# القرآن ودوره في إصلاح المجتمع

## تألبف

أ. د. أحمد عبد الكريم شوكه الكبيسي
 أستاذ القراءات والحديث المشارك
 بكلية الآداب / جامعة إب – اليمن

بحث حصل على جائزة المرحوم هائل سعيد الدولية (مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة) فرع العلوم الإسلاميَّة لعام ٢٠٠٧م اليمن / تعز

# بسم الله الرحمن الرحيم

الكبيسي ، أحمد عبد الكريم شوكه

القرآن ودوره في إصلاح المجتمع / أحمد عبد الكريم شوكه الكبيسي . – تعز : المؤسسة ؛

۲۰۱۰م ، ۳۵۰ص ، ۲۶سم .

١- القرآن الكريم ٢ - الإصلاح الاجتماعي

ديوى: ۲۲۹,٤٣

رقم الإيداع في المكتبة العامة - تعز: ٢٠١٠/٤١

الآراء الواردة في هذه البحوث تمثل وجهه نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهه نظر ناشريها .

- جميع الحقوق محفوظة ، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطى من الناشرين .

ALL rights reserved .No part of this book may be reproduced, stored or published in any form or by any means without prior written permission of the publisher

مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة الجمهورية اليمنية - تعز ص . ب : (٩٩٦٢ )

alsaeedlib@y.net.ye: البريد الإلكتروني

فاکس: ۲۱۷۳۲۱–۲۰۹۲۷

۲۰۱۰م

#### مقدمــــة

الكهك الله ، والصلة والسلام على رسوله الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ..

أمًّا بعد : فإنّ أولى ما يفني فيه المكلّ عمره ، ويعلق به خاطره ، ويعمل فيه فكره ، كتاب الله تعالى الذي تولى سبحانه حفظه بفضله ، وأعجز الخلائق أن يأتوا بمثله ، من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوُثقى لا انفصام لها .

وقد كان القرآن الكريم وما يزال ميداناً رحباً للدّراسات المتشعبة في ميادين كثيرة ، ومنها الدّراسات الحديثية ، واللغوية والنحوية ، والفقهيّة ، وغيرها ، إذ حوى كل ما يخطر على بال الإنسان ممّا يتصل بالحياة الدّنيا والآخرة من قريب أو بعيد ، وحوى كلّ توجيه سام وكريم يُحقق الإنسان به أعظم قدر من السّعادة والسّلام ، وفي هذا يقول الله تعالى: رُقَ قَدَّ جَ جَ جَ جَ جَ جَ جَ جَ رَدُ

وأعتقد أنّ تناول آيات القرآن الكريم المتصلة بتنظيم الاجتماع الإنساني وتوفير الشروط الضرورية للحياة الفاضلة في أسس مراتبها لم يأخذ حقه حتى الآن من البحث والدّراسة . وإنّ تقديم القرآن الكريم وآياته في هذا المجال يستحق المزيد من البحث والعرض ؛ ليكون ما وضعه للناس واضحاً ومتسقاً أمام جماهير المسلمين في كلّ مكان ؛ ليُدركوا مدى ما بلغه من سموً ، وما يُقدّمه من حلول سليمة للمشاكل التي تواجههم في حياتهم المعاصرة .. والقرآن لم يفرط في شيء .

وبقدر ما وسعني المجال أبدأ بخطوة على هذا الطريق بأن أقدّم أبرز الجوانب التي عني بها القرآن الكريم في شؤون الحياة التي يحياها الناس .. و لا أدّعي أنني أحصيت كلّ شيء في هذا الميدان ولكن أسجل ما انتهيت إليه كخطوة على الطريق والهدف من بيان هذه الجوانب وثيق الصلة بموضوع البحث (القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) ؛ لأنّ القرآن الكريم وإن كان قد بين لنا الوسائل والأساليب للمجتمع ودعانا إلى تبليغ ما تضمّنه من آيات ، تدعو لخير الحياة ، إذ تتمثل هذه الجوانب في عالميّة القرآن الكريم ، وشموليّة دعوته في نقاء الاعتقاد وصفاء العبادات، ونظرته إلى الإنسان والحياة الدّنيا وإلى النظام الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسيّاسي ، ودوره في حفظ الضروريّات الخمس وأسباب صلاح المجتمعات ، ونظرته إلى الغراقة بين المسلمين وغيرهم من الشعوب .. وما شابه .

إنَّ دراسة هذه الجوانب وغيرها على ضوء العلوم الحديثة يُمكن أن يُقدَّم للناس خدمة جليلة تثبّت إيمانهم وتعرّفهم بجوهر الدّين وأهدافه وغاياته السّامية .

وإنها تقدّم لأصحاب الدّعوة ، مادة وافرة وخصبة تخدم الحياة وتحقق أهدافهم في المضي في الدّعوة لخير هذا الدّين ، وتقدّم أجوبة شافيّة للرد على الأسئلة التي تثار بالنسبة للحياة المعاصرة وموقفها من الدّين و لاسيّما عند الشباب .

والمسلم مطالب دائمًا وأبدأ بإتباع القرآن الكريم ، والالتزام به ، والرّجوع إليه ، وتطبيق محتواه في حياته الخاصّة والعامّة ، وظهور آثار ذلك في سلوكه وتصرّفاته .

ولكنّ الملاحظ - ولاسيّما في عصرنا الحاضر - انصراف كثير من المسلمين عن كتاب ربهم تبارك وتعالى ، وإن أظهروا حبّهم وتقديسهم له ، إلا أنّ الواقع المعاش يُغاير ذلك .. ومن هنا

ا- سورة النحل: ٨٩.

كان الاختلال الواضح ، في حياة المسلمين أفرادًا ومجتمعات ، الأمر الذي أوقع الوهن في حياة الأمّة على مختلف الأصعدة الدينيّة والدنيويّة .

ولا شك أنّ المتأمّل في القرآن العظيم يجد الدّعوة الصرّيحة الواضحة للرّجوع إليه في حلّ المشكلات العصريّة ، والآثار العظيمة التي سيُجنيها الفرد والمجتمع من ذلك . وهذا ما رغبت الكتابة فيه إن شاء الله تعالى ، وذلك من خلال هذه المسابقة التي تشرف عليها مؤسسة آل سعيد الثقافيّة ، السّباقة إلى كلّ خير ، ذات الجهود المشكورة والأعمال المباركة ..

أمّا عنوان البحثُ فهو : (القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) ، ولعدم وجود مؤلف خاص في هذا الموضوع -على حد علمي- وإن كان هنالك إشارات وذكر متناثر في بطون الكتب ، أحببت أن أجمع شتات هذا الموضوع ، وأبرز معالمه ، وأوضح مقاصده ؛ ليكون دعوة خيرة للناس حميعاً ..

وقد شرعتُ في جمع شتات مادته ، واقتفاءِ آثاره ، وإن كان اليأسُ أخذ منّي ما أخَدَ ، بعد أن رأيتُ الموضوع طويلاً ، ولكنّ الشوق لا يزال يغمرني ، فرجعتُ إلى نفسي ، وركلتُ اليأسَ ونحيّته بعيداً من نفسي ، فتوكلتُ على الله وعقدتُ العزم على المُضيّ قُدماً في هذا العمل ؛ لأنني وجدتُ نفسي أمام ثروة عظيمةٍ لقرّائنا الكرام .

وانطلاقاً من هذا الشعور ، جاء البحث ، وقد انقسم في أصوله على بابين ، يتقدمهما مقدمة ويقفوهما خاتمة ، ثمّ قائمة المصادر والمراجع .

كخطة البحث: سأكتفي في ذكر الخطة هنا على اسم الباب.. وما تضمّنه من فصول وأعرض عن ذكر المباحث والمطالب، خشية إطالة المقدّمة، علماً أنني ذكر تُها بالتفصيل عند مفتتح الباب.

- نتاولت في التمهيد: تعريف مصطلح البحث ، وما تضمّنه من موضوعات فرعيّة .
  - ن قسمت البحث على بابين ..
- ✔ عرضت في الباب الأول : القرآن ودوره في إصلاح المجتمع ، وذلك من خلال ثمانية فصول ...

\*الفصل الأول : عالميّة القرآن الكريم .

\*الفصل الثاني : القرآن والإسلام .

\*الفصل الثالث: دور القرآن في حرية الرّأي .

\*الفصل الرّابع: شموليّة دعوة القرآن الكريم.

\*الفصل الخامس: القرآن ودعوته الإصلاحيّة إلى حفظ الضرورات الخمس..

وشمل خمسة مباحث ..

\*الفصل السّادس: القرآن والمجتمع .. وقد تضمّن خمسة مطالب.

- ن خصتصت الباب الثاني: لدراسة دور القرآن وأثره الإصلاحي ، فتكون من ثمانية فصول.
- تطرقت في الفصل الأول إلى: دور القرآن في إصلاح المجتمع عقديا .. وشمل أربعة مباحث.
- وفي الفصل الثاني تكلمت عن دور القرآن في إصلاح المجتمع من حيث العبادة وتكون من ثلاثة مباحث.
- وفي الفصل الثالث : تحدثت عن دور القرآن في الإصلاح الدعوي وتضمن مبحثين أساسيين .
- وفي الفصل الرابع تكلمت عن دور القرآن في إصلاح المجتمع خلقياً واحتوى أربعة مطالب .

- وفي الفصل الخامس: تحدثت عن دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي .. واحتوى ثمانية مباحث .
- وبسطت الكلام في الفصل السادس عن دور القرآن في إصلاح المجال الاقتصادي ، وتكون من أربعة مطالب .
- وتتاولت الحديث في الفصل السابع عن دور القرآن في إصلاح النظام السباسي .. وشمل أربعة مباحث .
- ثم أوجزت الكلام في الفصل الثامن عن دور القرآن في إصلاح الإعلام وانبثق منه ثلاثة مطالب.
  - .. ثمّ أتبعت البابين بخاتمة ذكرت فيها ملخص ما توصلت إليه من نتائج في هذه الجولة .
    - Oمنهج البحث : وأمَّا منهجي في كتابتي لهذا البحث ، فكان كما يأتي :
- اح و الآيات القرآنيَّة التي دُكرت في البحث ، سواء في صلبها أو في هامشها ، وقد اكتفيتُ بذكر الحرف في أوّل مواضعه وروداً في حال تكراره ؛ لئلا أرهق القارئ ، أو أثقل الهوامش بذلك .
- ٢- اعتمدت على كتب الاختصاص في محتوى الموضوع غالباً ، وعلقت على ما يستوجب التعليق موثقاً ذلك بالمصادر المختصة .
- ٣- اعتمدت في تخريجي للأحاديث على الكتب التسعة فحسب روماً للاختصار وهي: صحيحا البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه، وموطأ مالك ، ومسند أحمد والدارمي . بيد أنني رجعت إلى ما فوقها في موضوعات نادرة ؛ وذلك عند الضرورة .
- 3 إذا كان الحديث في الصّحيحين أو أحدهما حكمتُ بصحته ، لإجماع الأئمّة على صحّة ما أسند في صحيحي البخاري ومسلم دون دراسة . وما أوردتُ من أحاديث في هذا البحث فصحيحة كلها إمّا بنفسها أو بالتعاضد ، ولم أتطرّق إلى حديث فيه كلام البتة ؛ كي لا أشكل القارئ .
- عنيتُ بضبط الغريب من الكلام الوارد وبينتُ معناه ، معتمداً في ذلك على كتب أحكام القرآن والتفسير والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة ، وقد أستعين بإيضاح الكتب الحديثة ، مع الإحالة إلى المصادر الأصيلة .
  - لم أتطرق إلى ما يُستنبط من مسائل خلافية في بعض الموضوعات ؛ خشية الإطالة .
- ٧- أمًّا المصادر التي اعتمدت عليها فقد شملت كتب تفسير القرآن وعلومه ، والحديث وعلومه وغريب الحديث ، واللغة ، والتاريخ ، وغيرها ممّا لها صلة بموضوعنا ، وبيّنت طبعات المصادر والمراجع التي اعتمدتها عند ذكري لها في الهامش ؛ في أول ورودها في البحث وفقاً لمنهج البحث العلمي ، ولم أكرّر ذلك ؛ كي لا أنقل على القارئ ؛ ولعدم الفائدة من ذلك ، إذ هي مذكورة في فهرسها في آخر هذا البحث .
- ٨- عزوتُ المسائل أو الأراء الفقهية ، إلى مظانها الأصيلة من كتب الفقه ، وكان ترتيبها على
   حسب ترتيب أهل الفقه ، مصادر الأحناف ، ثمّ المالكية ، ثمّ الشافعيّة ، والحنابلة .. وهكذا .
- وقبل أن أقول كلمة الختام ، أرى من النَّصفة والعرفان بالجميل أن أذيع ما في نفسي من شكر وثناء أقدّمه بين يدي ذوي الفقيد الرّاحل الحاج هائل سعيد رحمه الله ، وجعل الجنة مثواه ، الذين تكرّموا بطرح هذه المسابقة العلميّة العلنيّة ، وتلطّقوا بتشجيع الباحثين ، وأردفوا ذلك بكرمهم الطائل معترفا بفضلهم ، ومقرّا بإحسانهم على أهل هذا البلد السّعيد عامّة ، وأهل العلم خاصة . . فجزاهم الله عنّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأجزل لهم العطاء ، وبوّاهُم ووالدهم المرحوم مقام الصّالحين الأتقياء .
- وأري لزاماً علي أن أنقدم بعظيم شكري وامتناني إلى أساتنتي الأفاضل المُحكَّمين ، والذين سيتكرَّمون ويتفضلون علينا بالإطلاع على هذا البحث ، مع اعتزازي وشعوري بفضلهم مسبقاً والذين سأستفيد حتماً من توجيهاتهم القيّمة ..أجزل الله مثوبتهم وأحسن إليهم .

و لا بدّ لي من إزجاء الشكر خالصاً إلى أصحاب المكتبات العامّة والخاصّة ، بل إلى كلّ مَن أعارني كتاباً أو دعا لي بظهر الغيب ، فإنّي أبتهلُ إليه تعالى أن يُساعدَني على ردّ جميلهم ، فجزى الله الجميع عنى كلّ خير .

وختاماً .. فهذا جهد التغيت به مرضاة ربّي ، وتوخّيت فيه الدّقة ، فإن كنت قد وافقت الصواب فبتوفيق الله وتسديده ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وحسبي أني بذلت غاية الجهد، وليس الكمال إلا لله سبحانه ولكتابه الكريم .

ولنْ أضع القلم حتى أتوجّه إلى الله العلي القدير أن يجعلَ عملي في هذه الدّراسات القرآنية عنده مقبو لا وأن أكونَ واحدا ً من جنود كتابه ، أتفيّأ ظلاله ، وأخدم في رحابه ، وأذودُ عن حياضه .

### وأكر طهانا أن الكيط الدرب الماليين .

### Frigo.

ويتضمن ما يأتي ..

أولاً: التعريف بمصطلح عنوان البحث بدءاً بالقرآن الكريم , ومن ثمّ الإصلاح ..

ثانياً: حقيقة الإصلاح في القرآن الكريم ..

ثالثاً: أنواع الإصلاح .. وسمات المصلح ..

رابعاً: مفاهيم الإصلاح .

### أوّلاً: التعريف بمصطلح عنوان البحث

جرت المنهجيّة العلميّة عند أهل الاختصاص من الباحثين أن يبدءوا بتوضيح مفهوم ما يُريدون الكتابة والبحث فيه ، ومعناه من حيث المصطلح للعلم أو الموضوع الذي يبحثون فيه .. ومن هنا وجب عليّ إيضاح مصطلح عنوان بحثي هذا المسمّى بـ(القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) ..

وأبتدئ بعد توكلي على الله تعالى بتعريف القرآن الكريم لغة -وإن كان القرآن من المشهورات التي لا تحتاج إلى تعريف فهو غني عن ذلك كله- .. لكنّ منهجيّة البحث تتطلب منّى ذلك كما ذكرت .

**\$ فتعريفه اللغوي** : اختلف أهل اللغة حول أصل كلمة (القرآن) وتعددت اتجاهاتهم في تحديد ذلك ويُمكننا حصرها في رأيين :

\_\_ الرّأي الأول، والذي يقول: إنّ القرآن الكريم اسم علم غير مشتق ، خاص بكلام الله تعالى ، وهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير المكي  $^{(7)}$  ، وهو مروي عن الإمام الشافعي ، إذ عنه أنه كان يهمز (قرأت) و لا يهمز (القرآن) ، ويقول: القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل  $^{(7)}$ 

\_ الرّأي الثاني: إنّ لفظ (القرآن) مشتق .. واختلف أصحاب هذا الرّأي على أقوال عدّة :

\* قال قوم ومنهم الأشعري:" هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر وسمّي به لقران السّور والآيات والحروف فيه " .<sup>(؛)</sup>

\* ذهب الفرّاء إلى أنه مشتق من القرائن ؛ لأنّ الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً ، وهي قرائن وعلى القولين هو بلا همز أيضاً ونونه أصليّة . ويرد الزجاج على هذا القول بأنه سهو ، والصّحيح أنّ ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى السّاكن قبلها . (٥)

\* اختلف القائلون بأنه مهموز ، فقال قوم ومنهم اللحياني : "هو مصدر لقرأت كالرّجحان والغفران ، سمّي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر" . (٦)

\* وقال آخرون هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قريت الماء في الحوض أي جمعته .

وخطأ ابن عادل الحنبلي هذا الرّأي بقوله : " غلط ؛ لأنَّهما مادَّتان متغايرتان " $^{( ext{ iny })}$ 

 $^{(\Lambda)}$  قال أبو عبيدة : " وسمّي بذلك ؛ لأنه جمع السّور بعضها إلى بعض  $^{(\Lambda)}$ 

\* وقال الرّاغب : " لا يُقال لكلّ جمع: قرآن ، ولا لجمع كلّ كلام: قرآن ؛ وإنما سمّي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السّالفة المنزلة وقيل ؛ لأنه جمع أنواع العلوم كلها ". (٩)

لوقو: (أبو معبد عبد الله بن كثير الداري ، المكي ، كان إمام المكبين في القراءة ، فصيحاً بليغاً ، مفورهاً ، عليه السكينة والوقار أحد القراء السبعة ... توفي سنة ١٢٠هـ) . ينظر: الجرح والتعديل : ٦٦/٩ ، التبصرة في القراءات : ٣٨ ، التبسير في القراءات السبع: ٦ .

<sup>&</sup>quot;- ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٨/٢، البرهان في علوم القرآن: ٢٧٧/١، الإتقان في علوم القرآن: ١٤٤/١. أ-ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): للرازي: ١٠٠/٣.

<sup>°-</sup> ينظر: تفسير اللباب: ٣٤٧/٢.

<sup>-</sup> ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٧٨/١.

<sup>·</sup> تفسير اللباب: ٢/٧٤ ، الإتقان في علوم القرآن: ١٤٤/١ .

٩- المصدر نفسه.

ثمّ قال الإمام السّيوطي بعد أن ساق تلك الأقوال:" والمختار عندي في هذه المسألة ما نصّ عليه الشافعي ". (١٠٠) أي الرّأي الأوّل ، وهو ما تميل إليه النفوس حقا ؛ للتمايز بين كلام الخالق والمخلوق.

ويذهب الشيخ الزرقاني إلى خلاف ذلك ، ويؤكد أنّ القرآن مشتق فيقول : " لفظ القرآن في اللغة : مصدر مرادف للقراءة ، ومنه قوله تعالى: ژي ژي هذا المعنى المصدري ، وجعل اسمًا للكلام المعجز المنزل على النبيّ ٢ ، من باب إطلاق المصدر على مفعوله ، ذلك ما نختاره استنادًا إلى موارد اللغة ، وقوانين الاشتقاق ، وإليه ذهب اللحياني وجماعة . أمّا القول: بأنه وصف من القرء بمعنى: الجمع ، أو أنه مشتق من القرائن أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء بالشيء أو أنه مرتجل أي: موضوع من أول الأمر علمًا على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من أل ، فكل أولئك لا يظهر له وجة وجيه ، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة ولا من بُعدٍ عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة . وعلى الرّأي المختار: فلفظ قرآن مهموز ، وإذا حذف همزه ، فإنما ذلك التخفيف ، وإذا دخلته أل بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف " . (١٢)

\$ التعريف بالقرآن الكريم اصطلاحاً: الحقيقة إنّ القرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقيّة ذات الأجناس والفصول والخواص بحيث يكون تعريفه حدّاً حقيقيّا ، والحدّ الحقيقي له هو استحضاره معهودًا في الذهن ، أو مشاهدًا في الحسّ كأن يُشار إليه مكتوبًا في المصحف أو مقروءًا باللسان فنقول هو ما بين هاتين الدّفتين ، أو نقول: هو بسم الله الرّحمن الرّحيم ژب بيبيثر ... إلى قوله تعالى: رُبُبُكِكِكِر ... الله قوله تعالى: رُبُبُكُون المُنْ الله الرّحيم رُبُبُهُ الله الرّبية وله تعالى: رُبُبُكُكِكُون المُنْ الله المُنْ الله الرّبية وله المُنْ الله المُنْ الله الرّبية وله المُنْ الله المُنْ المُنْ الله المُنْ المُنْ الله المُنْ الله المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ الله المُنْ ال

وقد وردت له تعريفات كثيرة ، ذكرها العلماء والباحثون من قبل ، ونعرض عن ذكرها هنا ؟ روماً للاختصار ، ونكتفي بتعريف جامع مانع له ، وهو : كلام الله المعجز ، المنزل على نبيّه مُحمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام ، المكتوب في المصاحف ، المحفوظ في الصدور ، المنقول إلينا بالتواتر المتعبّد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس . (١٤)

وما ذكره العلماء من تعريف القرآن الكريم بالأجناس والفصول كما تُعرف الحقائق الكليّة فإنما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه ، ممّا قد يشاركه في الاسم ولو توهما ، ذلك أنّ سائر كتب الله تعالى ، والأحاديث القدسيّة ، وبعض الأحاديث النبويّة ، تشارك

١٠- الإتقان في علوم القرآن : ١٤٤/١ .

١١- سورة القيامة : ١٧- ١٨ .

١٢- مناهل العرفان في علوم القرآن: ١١/١.

١٣- الآيتان في سورتي: الفاتحة: ٢ ، الناس: ٦. ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٢٠.

انظر: المناظرة في القرآن: ١/ ٢٢ ، لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير: ٦ ، التعبير الفني في القرآن: ١١

القرآن في كونها وحياً إلهياً .. فربما ظنّ ظانّ أنها تشاركه في اسم القرآن أيضاً ، فأر ادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفات التي امتاز بها عن تلك الأنواع . (١٥)

وللقرآن أسماء عدة ، منها: الفرقان ، والذكر ، والكتاب ، والتنزيل ، والنور ، والروح، والروح، والشفاء ، والمثاني ، والصراط المستقيم ... إلخ . (١٦)

وتعدد الأسماء هذه دَلالة على عظم المسمّى ، وإيماء إلى شرفه وعلوه ورفعته . ولا ريب أنّ القرآن الكريم هو أعظم وأشرف كتاب ، ولذا تعددت أسماؤه وأوصافه ، وكلها مستفادة من القرآن ذاته . والغالب من أسمائه : القرآن ، والكتاب .

وقد علل ذلك الدكتور مُحمّد دراز بقوله: "روعي في تسميته قرآنًا ؛ كونه متلوّا بالألسن ، كما روعي في تسميته كتابًا ؛ كونه مدوّنا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه في تسميته بهذين الاسمين ، إشارة إلى أنّ من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد -أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا – أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرّة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصديح المتواتر. وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمّة المحمدية اقتداءً بنبيها ثل ، بقي القرآن محفوظا في حرز حريز ، إنجازًا لوعد الله الذي تكفل بحفظه ، إذ يقول : رُكب كِكِكُ مُ مُ مُ مُ مُ الله ) . (١٧)

وبعد هذا الإيجاز عن القرآن الكريم ، أرى من الأهميّة بمكان أن أتحدث الآن عن مصطلح (الإصلاح) الذي شاع ذكر و كثر تداوله اليوم ، فمن وجهة أهل اللغة أنه بمعنى: "الصلاح وهو ضدّ الفساد، تقول: صلّح الشيء يصلُّح صلُوحاً ، قال الفرّاء: (وحكى أصحابُنا صلّح أيضاً بالضمّ). وهذا الشيء يصلُّح لك ، أي هو من بايتك والصيِّلاح بكسر الصيّاد: المصالحة ، والاسم الصلُح يذكّر ويؤنّث والصلُّح -بالضمّ : السلّم وقد اصلاحا وتصالحا وإصالحا -

١٥ - النبأ العظيم : ١٤ .

١٦- ومن رام الاستزادة فليرجع إلى : البرهان في علوم القرآن : ٢٨٠/١ ، الإتقان في علوم القرآن : ١٤٥/١ .. وغيرهما

<sup>.</sup> ۱۷ - سورة الحجر: ٩.

١٨- النبأ العظيم: ١٢.

مشدّدة الصّاد- . والإصلاح : نقيض الإقساد والمَصلْحة: واحدة المصالح . والاسْتِصْلاحُ: نقيض الاستفساد ". (١٩)

قال الإمام النووي : " الصَّلَح والإصلاح والمَصلحة والإصلاح قطع المنازعة ، مأخوذ من صلح الشيء-بفتح اللام وضمّها- إذا كمل ، وهو خلاف الفساد ، يقال: صالحته مصالحة وصيلاحاً بكسر الصيّاد ". (٢٠)

وفي الاصطلاح ، فمُجمله : " الإصلاح في الأرض ، ويكون بالإيمان الصّحيح والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصبي ، وأن تعمّر الأرض بطاعة الله والإيمان به ؛ لهذا خلق الله الخلق ، وأسكنهم الأرض ، وأدر لهم الأرزاق ؛ ليستعينوا بها على طاعته وعبادته ، فإذا عمل فيها بضدّه ، كان سعياً فيها بالفساد فيها ، وإخراباً لها عمّا خلقت له " . (٢١)

\* وقوبلت لفظة الصّلاح في القرآن الكريم تارة بالفساد وتارة بالسّيّئة ، قال تعالى: ﴿ دُ دُ رُ رُ رُ رُ  $^{(77)}$  ، رُكُ كُ كُو وُ رُ $^{(77)}$  ، رُكُ كُ كُو وُ رُ $^{(77)}$  ، رُهُ هُ هُ هُ رُ $^{(77)}$  .

والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس ، يقال منه: اصطلحوا وتصالحوا ، قال: رُ يين نذذ تَــَــرْ (۲۱) ، ژ دِدِدْرْ (۲۷) ، ژ سُرْرْ (۲۸) ، ژوؤؤ ۋوووژ (۲۹) .

وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إيّاه صالحا ، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده وتارة يكون بالحكم له بالصلاح ، قال تعالى:  $(5 - 1)^{(17)}$  ،  $(5 - 1)^{(17)}$  ،  $(5 - 1)^{(17)}$ (٣١) ، ر جحج چ ر (٣٢) ، ر ققم ج ج ج ر (٣٣) أي: المفسد يضاد الله في فعله فإنه يفسد والله تعالى

<sup>19-</sup> ينظر: الصّحاح في اللغة والعلوم: مادة: (صلّحَ):٣٩٣/١ ، القاموس المحيط: مادة: (صلّحَ): ١/ ٢٢١ ، لسان العرب: المادة نفسها: ٢/ ٥١٦.

<sup>&#</sup>x27;`- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه): ٢٠١.

<sup>&#</sup>x27;`- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السَّعدي) : ٤٢ ، التوقيف على مهمّات التعاريف : ٤٦٢ .

٢٢ - سورة التوبة : ١٠٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢٢</sup>- سورة الأعراف: ٥٦.

٢٤- سورة البقرة : ٨٢ .

٢٥- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١/ ٥٨٧.

٢٦ ـ سورة النساء : ١٢٨ .

۲۷- السورة نفسها: ۱۲۹.

۲۰- سورة الحجرات : ۹ .

۲۹- السورة نفسها : ۱۰ .

٣٠ سورة محمد: ٢.

<sup>&</sup>lt;sup>٣١</sup>- سورة الأحزاب: ٧١.

٣٠- سورة الأحقاف: ١٥. <sup>۳۳</sup>- سورة يونس : ۸۱ .

يتحرّى في جميع أفعاله الصّلاح ، فهو إذا لا يصلح عمله . وصالح: اسم للنبيّ  $\mathbf{U}$  ، قال تعالى:  $\mathring{\mathbf{C}}$ 

\* وكلمة الإصلاح كمصطلح ، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم على نوعين ..

النوع الأول: الإصلاح الحق: وهو إصلاح الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين .. ومنه قول شعيب عليه السّلام لقومه: رُ

وهو الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كلّ فرد وجماعة فيه وإن خيل إلى بعضهم أن إتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي ، ويضيع بعض الفرص، فإنما يفوت الكسب الخبيث ويضيع الفرص القذرة ؛ ويعوض عنهما كسباً طيباً ورزقاً حلالاً ، ومجتمعاً متضامناً متعاوناً لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام .(٢٧)

ثمَّ نهاهم عن ضدّه ، وهو الإفساد ، فقال: رُكْكُكُوُور (٣٨) ينهى الله تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضرّه بعد الإصلاح ، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ، ثمّ وقع الإفساد بعد ذلك كان أضرّ ما يكون على العباد ، فنهى تعالى عن ذلك . (٣٩)

حتى ينتج عن هذا الإصلاح الحق : الأمن والاستقرار والاطمئنان ، ورفع الهلاك ، عن البلاد لكن شريطة صدق أهلها في الإصلاح ، قال تعالى : (x,y) أي : وما كان

ربك يا محمد ليهلك القرى التي أهلكها ، التي قص عليك نبأها ظلما وأهلها مصلحون في أعمالهم غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم ظلما، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيّهم وتكذيبهم رسلهم وركوبهم السيّئات . وقد قيل معنى ذلك: لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله : ثر ثر ، يعني بشرك . ثر فيما بينهم لا يتظالمون ولكنهم يتعاطون الحقّ بينهم وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا (١٤)

النوع الثاني: الإصلاح الباطل: وهو إصلاح المكذبين والمفسدين والمنافقين ممّن يُلبسون على الأمّة بتسمية إفسادهم إصلاحاً ، كما قال تعالى عن أسلافهم: ﴿ كَكَ كَكَ كَكَ كَا كُمُ كَا اللهُ عَلَى الأُمّة بتسمية إفسادهم إصلاحاً ، كما قال تعالى عن أسلافهم

<sup>&</sup>lt;sup>۳۴</sup>- سورة هود: ٦٢.

<sup>°°-</sup> مفردات ألفاظ القرآن: ١/ ٥٨٧.

<sup>&</sup>lt;sup>٣٦</sup>- سورة هود : ٨٨ .

<sup>&</sup>lt;sup>۲۷</sup>- ينظر: في ظلال القرآن: ٤/ ٢٦٢.

<sup>&</sup>lt;sup>٣٨</sup>- سورة الأعراف: ٥٦.

<sup>&</sup>lt;sup>٣٩</sup>- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٩/٣.

<sup>· ٔ -</sup> سورة هود : ۱۱۷ .

انك ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٣٠/١٥.

ر (٤٢٠) ، لكن الدعاوى لا تنفع أصحابها إن لم تكن حقيقة ولذا رد الله عليهم وبيّن زيفهم وكذبهم بقوله : رُكُن لُ الله الله عليهم وبيّن زيفهم وكذبهم بقوله : رُكُن لُ الله الله عليهم وبيّن الله الله عليهم وبيّن الله الله عليهم وكذبهم

قال الطبري -رحمه الله-: " الإفساد في الأرض: العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه ، فذلك جملة الإفساد كما قال تعالى ، مخبرا عن ملائكته: رُبيين نائنتر (ئن) ، يعنون بذلك: أتجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمرك؟ فكذلك صفة أهل النفاق: مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملا إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا ؛ فذلك إفساد المنافقين في أرض الله وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها " .(٥٤)

ويُعلق سيد قطب رحمه الله على مدّعي الإصلاح زوراً وكذباً - وهم كثر في كلّ زمان، بقوله: "والذين يفسدون أشنع الفساد، ويقولون: إنهم مصلحون، كثيرون جدّاً في كلّ زمان، يقولونها ؛ لأنَّ الموازين مختلة في أيديهم، ومتى اختلّ ميزان الإخلاص والتجرّد في النفس، اختلت سائر الموازين والقيم، والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم ؛ لأنَّ ميزان الخير والشرّ والصّلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يثوب إلى قاعدة ربانيّة .. ومن ثمّ يجيء التعقيب الحاسم والتقرير الصّادق: رُكِّس لُ لَيْتُلْرُ

ويُجمل المفسر ابن عاشور رحمه الله أنواع الإفساد الواقعيّة في المجتمعات بقوله: "إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع ، كإلقاء النميمة والعداوة وتسعير الفِتَن ، وتأليب الأحزاب على المسلمين وإحداث العقبات في طريق المصلحين . والإفساد فعل ما به الفساد، والهمزة فيه للجَعل أي جعل الأشياء فاسدة في الأرض ، والفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره فالإفساد في الأرض منه تصيير الأشياء الصالحة مضرة كالغش في الأطعمة ، ومنه إزالة الأشياء النافعة كالحرق والقتل للبرآء ، ومنه إفساد الأنظمة كالفِتن والجور ، ومنه إفساد المساعي كتكثير الجهل وتعليم الدعارة وتحسين الكفر ومناوأة الصالحين

<sup>&</sup>lt;sup>٢٢</sup>- سورة البقرة : ١١ .

<sup>&</sup>lt;sup>٤٣</sup>- السورة نفسها: ١٢.

أنا- سورة البقرة: ٣٠.

<sup>° ؛ -</sup> جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٨٩/١.

<sup>&</sup>lt;sup>٤٤</sup>- في ظلال القر أن: ٤٤

المصلحين ، ولعل المنافقين قد أخذوا من ضروب الإفساد بالجميع ، فلذلك حُذف متعلق رُكْرُ ، تأكيداً للعموم المستفاد من وقوع في حَيز النفي . وذكر المحل الذي أفسدوا ما يحتوي عليه وهو الأرض ؛ لتفظيع فسادهم بأنه مبثوث في هذه الأرض ؛ لأن وقوعه في رقعة منها تشويه لمجموعها " .(٧٤)

إذن فعلى المُسلم الحاذق أن يتنبّه من مثل هذا النوع الخطير ، والذي يودي بالمجتمع الصّالح نحو الهاوية ؛ استجابة لرغبة هؤلاء الطامعين المعتدين ، وليكن على بصيرة من أحوال المصلحين ولاسيّما المدّعين .

### ثانياً: حقيقة الإصلاح في القرآن الكريم:

إنَّ علينا أن نُدركَ حقيقة الإصلاح من كتاب الله تعالى ؛ لنتعرّف على ماهيّة الإصلاح ؟ وما هو الذي يقع به ما نؤمله ونرجوه من هذا الإصلاح ؟ قال عزّ وجل : رُأَبِبِبِبِبِيبٍ يبِيرُ (٤٨)

إذن هذا الإصلاح هو منع للظلم والإثم ، وإن كانت الآية في شأن الوصية والموصى ، لكن المقصد أنه إذا وجد الجنف والظلم والاعتداء ولو من غير قصد ، أو إثم ومعصية وهي التي يكون فيها العلم والقصد ، فإن الإصلاح هو الذي يرد ذلك ، وإن حقيقته أن يحول بين الناس وبين هذا الظلم أو ذلك الإثم . (٤٩)

وحقيقة أخرى في الإصلاح: رُقَّقَةِ جَجَجِجِ جَجِجِجِ جَجِجِ جَجَجِ وَالأَية قد جاءت بعد ذكر حكم السرقة: رُنْانتُ تَتْ تُنْ اللهُ قَدْمُ اللهُ والإحسان .

ثمَّ هو كذلك مانع لأعظم سبب من أسباب الفساد التي تقع في الأرض فتزهق بها الأرواح وتذهب بها عصمة النفوس ، ويختل بها نظام الأمن ، ويقع فيها من الشرور والمفاسد ما لا ينضبط ولا يحصر أولا ولا آخرا ، كما قال جل وعلا : رُكِكُ كُكُ كُمُ كُمُ كُمُ مُهُمَهُم هم عصم عُنَ النَّهُ وَوَوَرُ (٥٢).

وهذه قاعدة تشريعية عمليّة لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك ، تحت النزوات والاندفاعات تأتي تعقيباً على تبين خبر الفاسق ، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحميّة والحماسة

<sup>&</sup>lt;sup>۷۷</sup>- التحرير والتنوير: ١٦٧/١.

١٨٢ - سورة البقرة : ١٨٢ .

<sup>13-</sup> ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٠/٢ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٥٥.

<sup>°-</sup> سورة المائدة : ٣٩ .

<sup>° -</sup> السورة نفسها : ٣٨ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢</sup>°- سورة الحجرات: ٩.

، قبل التثبت والاستيقان . وسواء كان نزول هذه الآية بسبب حادث معين ، أم كان تشريعاً لتلافي مثل هذه الحالة فهو يمثل قاعدة عامّة محكمة لصيانة الجماعة الإسلاميّة من التفكك والتفرّق ، ثمّ لإقرار الحق والعدل والصلّاح ، والارتكان في هذا كله إلى تقوى الله ورجاء رحمته بإقرار العدل والصلّاح . (٥٣)

وحقيقة الإصلاح هنا منع للقتل والاقتتال ولإزهاق الأرواح ، ولما يترتب على ذلك من اختلال الأمن وممّا يترتب عليه من شيوع الفوضى -نسأل الله عزّ وجل السّلامة- فمنع هذا ، أمر مهم ويلحق به كذلك أنّ من حقيقة الإصلاح بقدر الطاقة والاستطاعة منع الاختلاف والنتازع ، فالله جلّ وعلا يقول:  $(10^{10})$  و وجاء في قصّة الأنفال واختلاف الصّحابة  $\mathbf{y}$  في شأنها في بدر في أوّل غزوة تكون لهم فيها تلك الغنائم عندما قالت كلّ طائفة قولاً ، فجاء قوله تعالى :  $(10^{10})$  فجعل ذلك الإصلاح مانعاً للاختلاف ، وذلك بالرّد إلى كتاب الله وسنة رسوله  $(10^{10})$  واضح .

### ثالثاً: أنواع الإصلاح .. وسيمات المصلح:

إنَّ قضية الإصلاح إلى جانب أنها أهم قضية في حياة الناس فهي أعقد قضية ، إذ يتجلى الابتلاء في أتم صورة ومعانيه ؛ بسبب أنّ الإنسان عاجز عن القبض على الحقيقة دفعة واحدة وأنه عاجز عن الإلمام بالشأن الإنساني كله من جميع جوانبه وأبعاده ، فهو حين يظن أنه أصلح جانبا من جوانب الحياة لا يدري بالتحديد مدى الفساد والضرر الذي يُمكن أن يلحقه بالجوانب الأخرى ، وقد لا يظهر له ذلك إلا بعد مدّة طويلة ، فضلا عن تفاوت الخلفية العقائديّة والمزاجيّة لدى المصلحين واختلاف زاوية الرّؤية .. كلّ ذلك يجعل الجهود الإصلاحيّة مشتتة ، و أحيانا متصادمة ، يُجهض بعضها بعضا .

والإصلاح نوعان: نوع بسيط؛ لأنه يُعالج قضيّة محدودة ، كالإصلاح بين متخاصمين ، أو استئصال الفساد من مدرسة أو مؤسّسة .. وهذا يُمكن لكثيرين القيام به ، فهو عمليّة جراحيّة صغرى ومحدّدة. (٥٦)

<sup>°-</sup> في ظلال القرآن: ٣٣٤٣.

أ- سورة الحجرات: ١٠.

<sup>°°-</sup> سورة الأنفال: ١.

<sup>°-</sup> ينظر: مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوى: ٢٦٥.

ونوع مُعقد ، وهو ذلك الطرح الفكري والمنهج الحركي اللذان يستهدفان إصلاح الحياة العامّة في المجالات الفكريّة والتربويّة والتعليميّة والاقتصادية والسياسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة ... وهذا النوع هو المراد عند الإطلاق ، وهو الدّاء الذي أعيا الأطباء ، وحيّر الحُكماء . (٧٥) ولا ينبغي أن يُطلق لقب مُصلح) إلا على من اتسم بسمتين :

الأولى: امتلاكه رؤية شاملة لحال المجتمع الذي يهتم بشأنه على صعيد الإمكانات والمشكلات ومداخل الحلول والعقبات التي تعترضها ، وتأثيرات المحيط الخارجي في الوضع الدّاخلي والقوى المحليّة المنافسة التي تطرح وجهة نظر أخرى .

الثانية: امتلاك منهج للحركة تتجسد فيه رؤياه الإصلاحية ، ويتابع جهوده على هديه ، ولا يُشترط بالطبع أن يكون منهج الحركة لديه أو الإطار النظري للإصلاح صحيحاً ، فاعتقاده ناتج عن اجتهاد وليس عن أدلة قطعيّة ، وهو بذلك يُفارق الفكرة الذي يمتلك الرّؤية لكنه لا يُباشر عملية التغيير والتقويم التي يمتلك قواعدها ، وأنه يُفارق الدّاعية الذي يقوم بالدّعوة إلى الخير دون أن يمتلك رؤية شاملة لما ينبغي أن تكون عليه الحال . (٨٥)

لذلك كانت كلمة (مُصلح) كلمة كبيرة لا تطلق في كلّ بلد إلا على الرّجل والرّجلين ، وإن كنا نعتقد أنَّ المفكرين والمصلحين درجات عديدة . لا نريد هنا أن نعرض لسمات المصلحين والمجدّدين - فذلك تنظير لا حاجة له - وإنما نريد أن نقول إنّ المصلح لا يُوجد إلا عندما يتحلى بصفتين :

الأولى: تشبعه بالرّجاء والأمل في إمكانيّة حدوث الإصلاح والقضاء على الفساد والانحراف أما اليائسون فإنهم يرون عملية الإصلاح أشبه بالقيام بطلاء سفينة آخذة في طريقها نحو القاع!! .

والثانية: هي امتلاك حساسية عالية نحو بعض ضرورات التغيير ، فحين ينذر المُصلح ويحذر من أخطار واقع العيش يكون غيره غارقاً في الملذات ، أو مشغولاً بالتوافه ، أو لا يكون هنا ولا هناك!!. (٩٥)

### رابعاً: مفاهيم على طريق الإصلام ..

<sup>°°-</sup> المرجع نفسه: ٢٦٥- ٢٦٦ .

<sup>^ -</sup> مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي: ٢٦٦.

<sup>°°-</sup> ينظر: المرجع نفسه.

هنالك من المفاهيم العديدة التي لها الصلة الوثيقة بمنهج الإصلاح ، بَيْدَ أنني لا أستطيع أن أتطرق لها كلها في عُجالة هذا التمهيد ، وسأحاول ذكر أهمها ؛ -روماً للاختصار - ، ومنها ما يأتي ..

1- السلام والنظام شرطان أساسيان لوضع الأمّة في الوضع المنتج: إنّ تعاليم الشريعة السمّحة توفر الإطار العام للسلام الفردي والاجتماعي، وتوفر الكثير من المبادئ والمفردات التي تشكل النظم الحياتيّة كافة.

وأوللى درجات السّلام سلام المسلم مع نفسه ، وقبل ذلك مع ربه ثمّ مع مجتمعه الذي يعيش فيه، ولا يتحقق هذا السّلام إلا من خلال الاستقامة أوّلاً ثمّ تنمية الشعور الإيجابي بين أفراد المجتمع كلِّ تجاه الآخر ، وتقوم الدّولة بدور فاعل في تحقيق التناسق والتناغم الاجتماعي إلى جانب تنظيم حقول التبادل والتعاون ، وحين يُوجد السّلام يُمكن للنظام أن يقوم . (١٠)

أمًّا في حالات الحرب الأهليّة ، أو حالات الانهيار الاجتماعي فإنّ النظام وسيادة القانون ومبادئ الحقوق والواجبات تصبح جميعاً في مهبّ الرّيح .

والشريعة الغراء بأحكامها وأدبيّاتها ، وبما تنفرد به من قداسة وتقدير في نفوس المسلمين فهي النظام الأصلح والأقوى لتأمين المصالح الكبرى للناس ، وإلى أن تتعم جميع الشعوب الإسلاميّة بذلك وإنّ من مصلحة الناس عامّة أن يكون هناك نوع من الانضباط العام والامتثال لقوانين وتنظيمات محدّدة ؛ ذلك لأنّ هذا أحد المداخل المهمّة للقيام بالإصلاحات اللازمة .

إنَّ القانون مهما كان – افتراضاً عير عادل يظلّ خيراً من حالة لا يحكم فيها أيّ قانون ، إذ يأكل القويّ الضعيف ، وتسود المخاوف على النفس والعرض والمال . ولنا في العالم الغربيّ عبرة؛ فالنظم التي تحكمهم بعيدة عن هدي الإسلام ، لكنّ الضعيف في أكثر الأحيان ليستطيع الوصول إلى حقه والمظلوم يجد مرجعاً لرفع ظلامته ، والمصالح العامّة للناس مصونة إلى حدِّ بعيد ، ولك أن تقارن هذا مع بعض الدّول التي عمّتها الفوضى مثل العراق بلد الحضارات العريقة والصّومال وأفغانستان مع أنها مسلمة ، لكن انعدام النظام جعل كلّ القيم تتوارى ، وجعل الوحوش كلها تسرح وتمرح .

17

<sup>· -</sup> ينظر: نقد السياسة (الدين والدولة): ١٨٣.

لذا لا تستطيع أمّة أن تتقدّم قيد أنملة ، بل ولا تستطيع أن تحافظ على إنجازاتها الموجودة ما لم يعمّ السّلام الدّاخلي والأمن ، وهما اللذان يوفران لسلطة العُرف والقانون المناخ اللازم لرسوخهما وحمايتهما للمجتمع من النكوص على عقبيه .(٦١)

٢- لا إنجازات خارج نطاق الأمّة: إذ لا تملك (العامّة) وجماهير الناس خطابا منمّقا ، ولا مشاعر منظمة ، لكنهم يملكون المشاعر الصّادقة والحدس الذي لا يكذب ، وهم حين يظهرون نوعاً من الثقافة والبرود العاطفي يكونون غالباً على حقّ .

ومهما حاول المشككون إطلاق الشعارات ورسم الخطط وتسويق التنظيرات ، فإنّ مآل ذلك على الجمود والبوار ما لم يستطع كسب قاعدة شعبيّة جيدة إلى جانبه ، فالجماهير الواسعة هي التي ستتولى التنفيذ ، وهي التي تستطيع تعطيله ، وتجربة الحضارة الإسلاميّة العريضة شاهد على ذلك ؛ فقضيّة الجهاد والفتوح كانت أخطر القضايا التي تمسّ الأمّة كلها في صدر الإسلام ، وقد انفعل بها الناس انفعالاً منقطع النظير ، الشيوخ والشباب والنساء والأطفال والأصحاء والمرضى ، الجميع يُريد أن يكون له شرف المشاركة وشرف الشهادة ، ولذلك كانت الإنجازات أقرب إلى الخيال ، إذ فتح المسلمون في أقلّ من نصف قرن ما يزيد على أربعين ألفاً من المدن والقرى والقلاع والحصون .

وفي أيًامنا هذه طرحت قضايا كثيرة ، واستنهضت الأمّة لخوض معارك مصيريّة ، لكنها قابلت ذلك ببرود شديد ؛ لأنّ الخبز المروّج له ليس من قمحها ، ولأنّ صرخات الإهابة والاستغاثة ليس فيها شيء من رنين صوت بلال . وكأنهم بذلك يقولون كلّ حمل يتمّ خارج رحم الأمّة هو حمل كاذب، فهل يعني المنظرون المهتمّون بالشأن العام هذه الحقيقة أو أنهم سيظلون في حرب لا هوادة فيها ضدّ جنودهم وأهليهم ؟! .(١٢)

٣- المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة : إنَّ الإنسان كلِّ معقد ، وحين نقسم شخصيته إلى جوانب متعدّدة فإننا لا نعني أن كلّ جانب يستقلّ في فاعليّته وصحته ومرضه عن الجانب الآخر، وإنما ذلك من أجل تسهيل الدّراسة والفهم ؛ والملفت للنظر أن أيّ منهج في إصلاح حياة البشر هو مجموعة من النظم التي يكمّل بعضها بعضا ، ولا يعمل أيّ منها بكفاءة إلا من خلال عَلاقته التكامليّة مع غيره بحيث يتأثر كلّ نظام بالقصور الذي يعتري تطبيق باقي الأنظمة ، وهذا ليس خاصاً بمنهج ما ، بل إنه عام في الأنظمة كلها والتي تحكم حياة البشر ،

١٦- ينظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي: ٢٦٩.

<sup>11-</sup> ينظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي: ٢٦٩- ٢٧٠ .

و (الديمُقراطيَّة) الموجودة في الغرب ليست وليدة تطوّر ثقافيّ وتداع تأريخي فحسب وإنما هي نتاج وجود عتبة معيّنة من الرّخاء الاقتصادي ، والدّول التي أخذت بالدّيمقراطيّة في ظلّ فقر شديد أصيبت بخيبة أمل ؛ لأنَّ أصوات الناخبين كانت تباع لمن يدفع أكثر ، أي أنّ أرباب الثروات الطائلة هم الذين ينجحون ، وذلك من أجل تعزيز نفوذهم الاقتصادي وكسب مزيد من الثروات ، وقد كان أحد الخبراء الأسبان يقول : " إنَّ أسبانيا ستكون مهيَّأة للديمقراطيَّة حين يصل متوسط دخل الفرد إلى ألفي دو لار ؛ وقد كان هذا، فعند عشيّة وفاة فرانكو عام ١٩٧٤م كان متوسط دخل الفرد الى ألفي دو لار " . (١٣)

أمّا على صعيد المنهج الرّباني فيمكن أن نذكر مثالاً واحدا - التوضيح - : الزكاة جزء من النظام الاقتصادي الإسلامي ، وعدم القيام بهذه الشعيرة يؤدّي إلى ضعف كفاءة النظام الاقتصادي الإسلامي كله ، ويؤدّي إلى إلحاق الضرر بالنظام الأخلاقي والاجتماعي أيضا فالمقدار المفروض من الزكاة في الأموال وعروض التجارة هو: (٢٠٥%) ، وهذا القدر كاف لسدّ العديد من حاجات المجتمع الإسلامي على مقتضى الحكمة الإلهيّة البالغة ، لكنّ ذلك سيكون في الأحوال العادية والطبيعيّة ، وفي غير الأحوال الطارئة ، كما في حالات الزلازل والفيضانات والأعاصير - وما أكثرها اليوم -، وذلك أيضا فيما إذا التزم أغنياء المسلمين بإخراجها ، وإذا استمر ذلك الالتزام حقبة مناسبة من الزمن، فلو قدرنا أنّ (١٠%) من الأغنياء أخرجوا الزكاة ، وأنّ التزامهم بأدائها \_ في مجتمع ما \_ لم يمض عليه سوى سنتين فإنّ الزكاة آنذاك لا تقوم بمهامها على الوجه المطلوب ، إذ إنّ الحالتين تجعلان الفقر يَترَاكم ، ويتفاقم إلى الحدّ الذي لا تفي أموال الزكاة بالتخلص منه . (١٤)

ثمَّ إنّ نظام الزكاة يؤدّي مهامه في ظلّ فعاليّة الأنظمة الأخرى ، فإذا كانت موارد القطر شحيحة جدّاً أو كان النظام السياسي فيه مختلا ، وأدّى ذلك إلى انتشار البطالة والعطالة عن العمل ، فإنّ نظام الزكاة بالتالى لا يُوصلنا إلى الأهداف المنشودة منه .

وباعتبار الزكاة جُزءا من النظام الاقتصادي الإسلامي ، فإنها أيضاً لا تؤدّي وظائفها إلا بفاعليّة النظام الذي تنتمي إليه ، فمثلا (القرض الحسن) جزء من ذلك النظام ، وإعراض الدّولة أو الشعب عنه يؤدّي إلى نوع من تعطيل حركة المال وتداوله ، وبالتالي ضعف حركة التنمية والاستثمار ، ممّا يُفضى أيضاً إلى قلة فرص العمل وكثرة الفقراء والمعوزين .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۳</sup>- نهاية التاريخ وخاتم البشر: ١٠٨.

<sup>1-</sup> ينظر: المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة: ٨.

ومرَّة أخرى فإنّ فاعليّة نظام الزكاة ترتبط جزئيًا بقيام الدّولة بواجباتها في ضمان الحدّ الأدنى من المعيشة للفقير بالقدر الذي يحفظ عليه كرامته ، ويجعله في وضع منتج مثمر ، فإذا عجزت الدّولة عن ذلك ، أو قصرّت فيه فإنّ آليّة النظام (السّوق) ستوجد شريحة واسعة من المحتاجين الذين لا يُمكن أن تقوم بهم أموال الزكوات والنذور والكفارات ، وينفعل كلّ ذلك ويتأثر بقوّة النظام القيمي وفاعليّته ، فإذا كان نشطا اندفع الناس إلى النطوّع بالكثير من الأعمال الخدميّة ، واندفع كثير من الفقراء إلى العمل والحركة مع حسن التدبير والتعقف عن أموال الآخرين ؛ ممّا يُخقف من غلاء الحاجّة . (٥٠)

هذا كله يدلُّ على شيء واحد ، هو أنه لا مناص للمُصلح من الروّية الشاملة وإدارك العَلاقات التبادليّة بين جوانب الحياة كافة ، فلا بدّ من الأخذ بالكتاب كله على نحو ما قاله سبحانه : رُه على نخط فَاقُوْ وَوْوُوُوْرُ (٦٦)

وأخيرا وليس آخرا فإن قضية الإصلاح إذا هي أكثر قضية في حياة البشرية ، وهي المهمة الكبرى للأنبياء – عليهم الصلاة والسلام - وخلفائهم من العلماء وذوي الاهتمام بالشأن العام ، ذلك أن طبيعة الإنسان وطبيعة الاجتماع البشري ، وما يتولد عنهما من عقابيل فضلاً عن حاجة الإنسان إلى الإطار التوجيهي كل ذلك وأسباب أخرى ، يوجب على البشرية أن تظل في حالة من التوتر الدّائم لعلاج أخطائها وتقويم مسيرتها ، ومقاربة منهج الفطرة والاستجابة لأمر الله والاهتداء بهديه .

ولأهميَّة موضوع الإصلاح في المُجتمع فيكفينا أن نستدلَ بما كان يفعله عُمر بن عبد العزيز t إذ كانت كتبه كلها في إصلاح المجتمع كما جاء في خبر إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : " ما كان يقدم على أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة ، أو إحياء سنة ، أو إطفاء بدعة ، أو قسم أو تقدير عطاء ، أو خير ، حتى خرج من الدّنيا " . (٦٧)

.. وبعد هذا التمهيد نتوستع الآن في ذكر أصول بحثنا وفروعه ومجالاته كافة ؛ ليتسنّى لنا الإحاطة به أكثر – قدر الإمكان – إن شاء الله تعالى .. بعد إن اقتضت طبيعته المنهجيّة أن أقسمه على الترتيب المنهجي العلمي الآتي ..

<sup>°-</sup> ينظر: المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة: ٨.

<sup>&</sup>lt;sup>17</sup>- سورة البقرة: ٢٠٨.

## الباب الأو<u>ل</u> القرآن ودوره الإصلاحي

### ويحتوي الفصول الآتية ..

- الفصل الأوّل: عالميّة القرآن الكريم
  - الفصل الثاني : القرآن و الإسلام
- الفصل الثالث: دور القرآن في حرية الرّأي
- الفصل الرّابع: شموليّة دعوة القرآن الكريم
- الفصل الخامس: القرآن ودعوته الإصلاحيّة إلى حفظ الضرورات الخمس .. ويشمل المباحث الآتية:

- المبحث الأوّل: دعوته إلى حفظ الدّين
- المبحث الثاني: دعوته إلى حفظ النفس
- المبحث الثالث: دعوته إلى حفظ العقل
- المبحث الرّابع: دعوته إلى حفظ النسل
- المبحث الخامس: دعوته إلى حفظ المال

### • الفصل السّادس: القرآن والمجتمع .. ويتضمّن ما يأتى:

\*المطلب الأوّل: دعوة القرآن المجتمع إلى ترك الفساد ، وحثهم إلى الإصلاح \*المطلب الثاني: أثر القرآن في إصلاح أمن المجتمع \*المطلب الثالث: الأسلوب القرآني في مخاطبة الرّوح الجماعية \*المطلب الرّابع: دور القصّة القرآنيّة وأثرها في إصلاح المجتمع \*المطلب الخامس: القرآن والمجتمع اليماني

### <u>الباب الأول</u>

## القرآن ودوره الإصلاحي

إنَّ القرآن الكريم منهج واضح متكامل بأساليبه وأهدافه ، يوضح كلّ غموض يرد على خاطر أيّ إنسان ؛ ذلك لأنه يُعالج أمور الدّين والدّنيا ، وكلّ ما يصدر عن جوارح الإنسان ، وما تنطوي عليه الأنفس التي في الصدّور : رُجججججج في السدّور : رُجج ججج في الفرد حياته مع نفسه، مع خالقه ، مع أسرته ، مع أبناء مجتمعه عموما ، فهو من دون شكِّ أعظم منهج تنظيمي وإصلاحي للمجتمع كافة ، وأشمل زاد يتزود به المرتحل في رحلته وسفره : رُنْنْنَتَتَتَتُتُ للْمُ اللّه عنه الله وسفره . رُنْنْنَتَتَتَتُتُ للله وَ اللّه اللّه و اللّه و الله و الل

جاء القرآن الكريم بمنهج إصلاحيٍّ ونظام شموليّ للمجتمعات الإنسانيّة ؛ ليرشدهم إلى عين الحقيقة والصوّاب : رُبّبببببببييينٺٺٺنٿر  $(^{(V)})$  وإلى الطريق السّويّ : رُبُّلُتُلْهُهُمههه ههه عرځر  $(^{(V)})$  .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۸</sup>- سورة غافر: ۱۹.

<sup>&</sup>lt;sup>19</sup>- سورة الإسراء: ٩.

<sup>· · -</sup> سورة فاطر: ٣١.

.. وانطلاقا من هذا المنهج العظيم الخاتم ، سأستعرض بعض المقدّمات والموضوعات الهامّة والمتعلقة ببحثي (القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) .. قدر الإمكان ، الذي لا أدعي له الكمال ، بل الكمال لله تعالى وحده . إذ من الصّعب أن يُحيط إنسانٌ بنواحي الكمال التي تضمنها القرآن الذي لم يُفرّط في شيء وسأحاول هنا أن أتتاول أغلب الجوانب لهذا الكمال المفعم بالسلوك الإنساني ؛ لنرى كيف استهدف القرآن الكريم كمال الإنسان وسموه ، فهو في تناوله للكبائر وفي توجيهه لما دق وصغر من الأعمال والأقوال ، وفي حديثه عن السلوك الظاهر وتقصيه إلى ما وراء ذلك من النيّة وما تهجس به النفس البشريّة في سرّها وعلنها يُحيط بكلّ شيء ، ولا يترك شاردة ولا واردة تؤكد الغاية التي يدعو إليها من سمو الإنسان وكماله إلا أوردها في أحسن الكلم وبليغ الأساليب تأثيرا في النفس ، مناشدة وزجرا، أمرا أو نهيا وعدا أو وعيدا ، تحسينا أو تقبيحا ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك .

.. هذا ويحتوي الباب فصولاً عدّة - وفقاً لمنهج البحث العلمي - وعندما أتحدث عن القرآن فإنني بطبيعة الحال أتحدّث عن الإسلام كله - القرآن والسنة والإجماع والقياس - باعتبارها المصادر الأساسيّة للتشريع الإسلامي التي ينبغي للمجتمعات الإسلاميّة أن تأخذ بها ؟ لكي تحقق تطبيق الإسلام كاملاً في حياتها .

### الفصل الأول

### عالمية القرآن الكريم

إذا ما تأمّل الإنسان في كتاب الله تعالى ، وفكر في كلماته ومعانيه كلها وجد أنه يشتمل على الكون كله والأرض وما عليها والسموات وما فيها ، ومنهج الإصلاح لكلّ ما على الأرض فهو منهج الخالق

<sup>&</sup>lt;sup>۷۱</sup>- سورة الأنعام: ۱٦١ .

إلى خلقه المفضل ، منهج المبدع إلى أكرم ما صنع ، منهج القريب بل الأقرب لكلّ إنسان من حبل ژ (۲۳) ، ژ لَهُ هُ رُ اللَّهُ كُدُ مُ اللَّهُ كُدُ ژ<sup>(۲٤)</sup>، ژ ں ں ٹ ٹ ڈ و و *ې ي* ېې ۇۇۆۈۈۈۋۋ ۋووۋۋ يې پې (<sup>(٢٦)</sup>، ژاب بې بېپ پېپېينى ن ذذتت ت تَكْ لُهُ لَا لَقُ فَ فَقُفَّ قُرْ (٧٧) رْ نُكْ ذَذْتُ تَّذََّ كُلُّلُفْ فَقْ ف ف ق ج<u>ڄ</u>ڙ (۲۸) ، ژ (۲۹)

فلا توجد قضيّة تمسّ الفرد والمجتمع إلا وتوجد في منهج الله سبحانه وتعالى ما يُعالج هذه القضيّة وقد تعرَّض القرآن الكريم لقضايا الكون جميعاً وأوجد لها العلاج ، فهو يضع المبدأ ومن يبحث ويدرس وفي قلبه إيمان بالله وشعور بعظمة الله وقدرته يستطيع أن يحقق الكثير الكثير جدّاً . ((۸۰)

ولم يغفل المنهج القرآني – حاشاه- حقوق الفرد في ظلّ سلامة المجتمع ، وكما خلق الإنسان مزوّداً بطاقات وقدرات حيويّة تدفعه إلى إشباعها فقد أرشده إلى سبل تنظيم هذه الطاقات حتى لا تؤدّي إلى الفوضي والاضطراب أو إلى الإشباع الخاطئ الشاذ ، فشرعَ الحلال وأمرَ به ، وأشار إلى الحرام ونهي عنه . والمخالف لذلك ينالُ عقاباً ؛ ليمنعه وغيره من أبناء المجتمع من الوقوع في المعصية التي تعدّ مخالفة للنظام الذي ينظم أفعاله في عَلاقاته بربّه ونفسه والناس أجمعين ، فوضع الله تعالى حدُّ القتل العمد ؛ ليصونَ حياة الإنسان ، ووضع حدّ شارب الخمر ؛ ليصونَ عقل الإنسان ، ووضع حدّ القذف ليحفظ كرامة الإنسان ، ووضع حدّ الزنى ؛ ليصونَ نسل الإنسان ، ووضع حدّ السّرقة؛ ليحفظ ممتلكات الإنسان ، ووضع حدّ المرتد ليصونَ دينَ الإنسان ، ووضع حدّ قطاع الطرق وأهل البغى؛ ليصونَ أمن الإنسان ... وهكذا ، وفي إتباع تلك الحدود صيانة للفرد وصيانة للمجتمع وسلامته ؛ لأنَّ الفرد جزء من الجماعة ، والجماعة مجموع من الأفراد .(٨١)

وممَّا يُؤكد عليه القرآن الكريم في كلِّ وقت وفي كلِّ مناسبةٍ هو التمسُّك بالعقيدة ؛ ذلك لأنَّها سرّ الحلّ العملي لفتح طرق التقدّم والتطوّر كلها ، وبناء المجتمع وتحقيق رغباته وتوفير احتياجاته والله تعالى قد خصٌّ هَذه الأمَّة بأنَّ جعل فيها محمَّداً صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وآتاها ما لم يؤت أمَّة أخرى من الأمم ، إذ آتاها وأورثها القرآن العظيم وسنة النّبيّ ٢ ، ورزقها عقيدة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصَّالحين في كلّ زمان ومكان ووهبها من لدنه نعمة الحياة ، وفضلها وأسماها وشرَّفها بقوله تعالى: ژ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ اڻ (٨٢) ، ورزقها الوحدة والتناصر والتآزر والمحبّة والإخاء والتماسك والأمن والاستقرار والرّخاء ، ووفقها إلى الثبات على المبدأ والحفاظ على الأصول والجذور والتطوّر

ومن خلال ذلك يوضح للمدعو أنّ الإسلام ليس معناه أن نكون مؤدّين للعبادات متخلقين بالأخلاق الفاضلة وإلى هنا ننتهي ، بل يجب أن يوضح له أنّ الإسلام دين جماعي ، نظام حياة وحكم وتشريع عقيدة وأخلاق ودولة وجهاد ، وأمّة واحدة ، وأنّ المسلم لا يُمكن أن يكون أخذاً للإسلام من جميع جوانبه إلا إذا فهم هذا الفهم السليم ، فإذا فهمنا هذا الفهم السليم للإسلام فإنه - أي هذا الفهم- سيُملي

٢٥ سورة القلم: ٥٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>۷۳</sup>- الزمر: ۲۷- ۲۸.

<sup>&</sup>lt;sup>۷</sup>٤- سورة القمر : ٤- ٥ .

<sup>°′-</sup> سورة القمر : ۱۷ .

٧٦- سورة الحديد : ٩ .

٢٥ - سورة الحديد : ٢٥ .

<sup>···-</sup> سورة الجمعة: ٢.

<sup>&</sup>lt;sup>۷۹</sup>- سورة الطلاق: ۱۲.

<sup>^</sup>٠- ينظر: منهج الحياة في القرآن والسنة: ١٦٧.

<sup>&</sup>lt;sup>^1</sup>- ينظر : المرجع نفسه .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۲</sup>- سورة آل عمران: ۱۱۰.

علينا مسؤوليّاتٍ وواجباتٍ يجب أن نقوم بتأديتها امتثالاً لأمر الله تعالى حتى يقومَ المجتمعُ على القواعد الصّحيحة للإسلام في جميع النواحي السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة ...(٨٣)

وقد تتو عت أحكامه فلم تقتصر على الأسس والقواعد الواجبة التطبيق في مجال معين وإنما تضمنت الأحكام الخاصة بالعقيدة والشريعة والعبادات والأخلاق ؛ ذلك لكي تتكامل شخصية المؤمنين به وتتآزر مختلف الأحكام في تكوين المجتمع الفاضل وإعداد الشخصية المسلمة وتربية الأمّة تربية السلامية تؤهلها لوصف الله إيّاها بأنها خير أمّة أخرجت الناس ، إننا لن نسهب في بيان أنّ القرآن الكريم كتاب إلهي أوحاه الله تعالى إلى رسوله خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقل إلينا بطريق القطع الذي لا يدخله ريب في كلمة أو حرف منه ، نقلا متواترا ، لم تتخلله فترة من لحظات الزمن منذ أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتلقاه عنه أصحابه ، وكتبوه وحفظوه في صدور هم آية آية ، وسورة سورة ، على الوضع الذي هو عليه في صدور حفظته من عشرات الألوف من قرّاء الإسلام في كلّ عصر ومصر من أمصار الإسلام ؛ ذلك لأنّ هذا النحو من البحث إنما يكون من الذين يلحدون في آيات الله عناداً للحق ومكابرة لواضح البرهان ، وقد أشبعه العلماء بحثا ، وأطنبوا فيه حديثا ، حتى جعلوه لمن شرح الله صدره لقبول الحق مكان الشمس في ضحوة النهار ليس دونها سحاب .

والله تعالى لمَّا أنزل القرآن الكريم أنزله كتاباً لصلاح أمر الناس كافة ، رحمة لهم ؛ لتبليغهم مراده منهم ، قال تعالى :  $(1 - 1)^{(1/2)}$  قلى المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفرديّة والجماعيّة والعمرانيّة .

فالصر الأداب والتفكير ، لذا يهيئ ذهن الفرد لرحلة الآخرة بصورة تجعل الإنسان مطمئنا لمستقبله مصدر الآداب والتفكير ، لذا يهيئ ذهن الفرد لرحلة الآخرة بصورة تجعل الإنسان مطمئنا لمستقبله واثقاً منه كحاضره وماضيه ، ويُقرّبه من المولى سبحانه بما يرشده إليه من الإيمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثمّ صلاح السريرة الخاصة وهي : العبادات الظاهرة كالصلاة والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر . (٥٠)

وأمًّا الصَّلاح الجماعي فيحصل أوّلا من الصَّلاح الفردي ، إذ الأفراد أجزاء المجتمع و لا يصلح الكلّ الا بصلاح أجزائه ، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرّف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانيّة ، وهذا هو علم المعاملات ويعبّر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنيّة .

وأمًّا الصَّلاح العمراني فهو أوسع من ذلك ، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي وضبط تصرّف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع ورعي المصالح الكليّة الإسلاميّة وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها ، ويسمّى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع . (٨٦)

وقد اختار الله أن يكون اللسان العربي مظهراً لوحيه ومستودعاً لمراده وأن يكون العرب هم المتلقين أوّلاً لشرعه وإبلاغ مراده لحكمةٍ علمها منها: كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً وأكثرها

<sup>^^</sup> ينظر: الدعوة الفرديّة وأهمّيّتها في تربية الأجيال: ١٥.

<sup>&</sup>lt;sup>۸</sup> - سورة النحل: ۸۹.

<sup>^-</sup> ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ١٨ ، منهج الحياة في القرآن والسنة: ١٦٩ .

<sup>^1-</sup> ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٨/١١.

۸۰ سورة ص: ۲۹.

<sup>^^-</sup> التحرير والتنوير : ١/ ١٨ .

تحمّلًا للمعانى مع أيجاز لفظه ، ولتكون الأمّة المتلقية للتشريع والناشرة له أمّة قد سلمت من أفن الرَّأي عند المجادلة ولم تقعد بها عن النهوض أغلال التكالب على الرَّفاهيّة ولا عن تلقى الكمال الحقيقي إذ يسبب لها خلطه بما يجر "إلى اضمحلاله .

وهذا لا يعني أن يكون تخصيص العرب بالخطاب القرآني ، أن يكون التشريع قاصِراً عليهم أو مراعياً لخاصّة أحوالهم ، بل إنّ عموم الشريعة ودوامها وكون القرآن معجزة دائمة مستمرّة على تعاقب السّنين ينافى ذلك ، نعم إنّ مقاصده تصفية نفوس العرب الذين اختارهم - كما تقدّم- لتلقي شريعته وبثها ونشرها ، فهم المخاطبون ابتداءً قبل غيرهم ، فكانت أحوالهم مرعية لا محالة وكان كثير من أيات القرأن مقصودًا بها خطابهم خاصَّة ، وإصلاح أحوالهم ، قال تعالى : ﴿ كُلُّمْ ں لُّ لَٰ لَٰ اللهُ وَ اللهِ أَهُ اللهِ الله 

(٩٠) لكن ليس ذلك بوجه للاقتصار على أحو الهم .

بل الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمّة بأسرها ، فإصلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان ونبذ العبادة الضالة وإتباع الإيمان والإسلام ، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طريق النجاح وتزكية نفوسهم ، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدّة الدُّعوة فكانت أيات القرآن مستقلاً بعضها عن بعض ؛ لأنَّ كل أيةٍ منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه وتكميله وتخليصه من تسرّب الضلالات إليه فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة ، لذا وصف المفسرون(٩٢) القرآن بأنه يتطرّق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها ، وينتقل من حال إلى حال بالمناسبة فتكثر فيه الجمل المعترضة ؛ لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك ، فإنّ كلّ جملة تشتمل على حكمةٍ وإرشادٍ أو تقويم معوجٍّ ، كقوله : ژ دٍدٍ ٺ ٺ ذ ذ ٿ ٿ ٿ ﻑﻑ੬੬ڦڦڦڦڦڄڄڄڄ ﺟڃڃڿڿڿڿڿڇڇڇڍڍڎڎڎڎڎڎڕڕڕڕ ڰؼؼڎ<sup>(٩٣)</sup> فقوله: ژ ج ج ج چ چ ژ ، جملة معترضة ...

ولمّا بلغ الأجل المراد والمعين لمجيء الشريعة الحق الخاتمة العامّة ، أظهر الله دين الإسلام في وقت مناسب لظهوره ، واختار أن يكون ظهوره بين ظهراني أمّة لم تسبق لها سابقة سلطان و لا كانت ذات سيادة يومئذ على شيء من جهات الأرض ، ولكنها أمّة سلمها الله من معظم رعونات الجماعات البشريَّة ؛ لتكون أقرب إلى قبول الحقِّ ، وأظهر هذا الدَّين بوساطة رجل منها لم يكن من أهل العلم و لا من أهل الدُّولة و لا من ذريَّة ملوك و لا اكتسب خبرة سابقة بهجرةٍ أو مخالطةٍ ليكون ظهور هذا الحقّ الصّريح والعلم الصّحيح من مثله ، آية على أنّ ذلك وحي من الله نفح به عباده .. حتى جعل أسس هذا الدّين متباعدة عن ّذميم العوائد في الأمم ، حتى الأمَّة التي ظهر ّ بينها وموافقة للحقّ ولو كان قد سبق إليه أعداؤها وكانت أصوله مبنيّة على الفطرة ، بمعنى ألا تكون ناظرة إلا إلى ما فيه الصَّلاح في حكم العقل السَّليم ، غير مأسور للعوائد و لا للمذاهب ، قال تعالى: ﴿ كَ كَـٰ كَ وَوُ وَ وَ ۈ ۇ ۋۋووۋ ۋې *ې ې*ې

قال ابن سينا: " الفطرة أن يتوهم الإنسان نفسه حصل في الدنيا دفعه وهو عاقل لم يسمع رأيًا ولم يعتقد مذهبًا ، ولم يعاشر أمّة لكنه شاهد المحسوسات ، ثمّ يعرض على ذهنه الأشياء شيئًا فشيئًا، فإن أمكنه الشك في شيء فالفطرة لا تشهد به وإن لم يمكنه الشك فيه فالفطرة توجبه وليس كل ما توجبه الفطرة بصادق بل الصادق منه ما تشهد به فطرة القوّة التي تسمّى عقلاً قبل أن يعترضه الوهم " .<sup>(٩٥)</sup> فبهذا الأصل: أصل الفطرة كان الإسلام دينًا صالحًا لجميع الأمم في جميع العصور ، ثمّ ظهر هذا الأصل في تسعة مظاهر خادمة له ومهيأة جميع الناس لقبوله ..

<sup>&</sup>lt;sup>۸۹</sup>- سورة هود: ٤٩.

<sup>. 107 -</sup> سورة الإنعام 107 - 10V .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۱</sup>- ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/١.

<sup>&</sup>lt;sup>۹۲</sup>- ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٤ .

<sup>&</sup>lt;sup>9</sup> - سورة آل عمران : ٧٢ - ٧٣ . ٩٠- سورة الروم: ٣٠ .

<sup>°°-</sup> التحرير والتنوير : ١/ ٧٢٨ .

وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام وأكثر ما تعرض له ؛ ذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح ؛ ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة خوفا من لا شيء وطمعاً في غير شيء ، وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي؛ لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه .. حتى نشأ عن هذا الاعتقاد الإسلامي : عزة النفس ، وأصالة الرّأي وحرية العقل ، ومساواة الناس فيما عدا الفضائل. وقد أكثر الإسلام شرح العقائد إكثاراً لا يشبهه دين آخر، بل إننا ننظر إلى كثير من الأديان الصحيحة ، فلا نرى فيها من شرح صفات الخالق إلا قليلاً.

والمظهر الثالث: اختصاصه بإقامة الحجّة ومجادلة المخاطبين ، بصنوف المجادلات وتعليل أحكامه بالترغيب والترهيب ؛ وذلك مراعاة لمراتب نفوس المخاطبين ، فمنهم العالم الحكيم الذي لا يقتنع إلا بالحجّة والدّليل ، ومنهم المكابر الذي لا يراعى إلا بالجدل والخطابة، ومنهم المترهب الذي اعتاد الرّغبة فيما عند الله ، ومنهم المكابر المعاند الذي لا يقلعه عن شغبه إلا القوارع والزواجر . (٩٩)

المظهر الرابع: أنه جاء بعموم الدّعوة لسائر البشر، وهذا شيء لم يسبق في دين قبله قط وفي القرآن: رُدُدُهُ له مهم بهر (١٠٠٠).

وفي الحديث الصَّحيح: «أعطيتُ خمساً لمْ يُعْطهن ّأحدٌ قبْلي » .. فذكر: « وكانَ الرسول يُبعثُ إلى قوْمِهِ خَاصّة ، وبُعثتُ إلى الناس عَامّة » . $^{(1\cdot1)}$  وقد ذكر الله تعالى الرسل كلهم ، فذكر أنه أرسلهم إلى أقوامهم . والاختلاف في كون نوح رسولاً إلى جميع أهل الأرض إنما هو مبني : على أنه بعد الطوفان انحصر أهل الأرض في أتباع نوح عند القائلين بعموم الطوفان سائر الأرض ، ألا ترى قوله تعالى : رُدِّ تُ ثُ ثُ لُ رُ  $(^{(1\cdot1)})$  ، وأيًا ما كان احتمال كون سكان الأرض في عصر نوح هم من ضمهم وطن نوح ؛ فإن عموم دعوته حاصل غير مقصود . $(^{(1\cdot1)})$ 

المظهر الرابع : الدّوام ولم يدع رسول من الرّسل أنّ شريعته دائمة ، بل ما من رسول و لا كتاب إلا تجد فيه بشارة برسول بأتى من بعده .

المظهر الخامس: الإقلال من التفريع في الأحكام بل تأتي بأصولها ، ويترك التفريع لاستنباط المجتهدين ، وقد بيّن ذلك أبو إسحاق الشاطبي في تفسير قوله تعالى :  $(2 - 1)^{(1)}$  لتكون الأحكام صالحة لكلّ زمان .

<sup>&</sup>lt;sup>97</sup>- سورة آل عمران: ٦٤.

<sup>&</sup>lt;sup>۹۷</sup>- ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٧٢٨.

٩٠ - سورة النحل: ٩٧ .

<sup>&</sup>lt;sup>19</sup>- ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٧٢٩.

١٠٠- سورة الأعراف : ١٥٨ .

١٠١- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر): باب: (التيمم) ، رقم الحديث: (٣٢٨): ١/ ١٢٨ ، صحيح مسلم: باب: (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم: (٢١٥): ١/ ٣٧٠ ، سنن النسائي (المجتبى من السنن): باب: (التيمم بالصعيد) برقم: (٢٣٤): ١/ ٢٠٤): ١/ ٢٠٤): ٣٠٤/٦ ، سنن الدارمي: باب: (الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمام) ، برقم: (١٣٨٩): ١/ ٣٧٤.

١٠٢- سورة الأعراف : ٥٩

۱۰۳ - ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٢٢٩.

١٠٠٠ سورة الأنعام: ٣٨.

المظهر السّادس: أنّ المقصود من وصايا الأديان، إمكان العمل بها وفي أصول الأخلاق أنّ التربية الصّحيحة، هي التي تأتي إلى النفوس بالحيلولة بينها خواطر الشرور؛ لأنّ الشرور إذا تسرّبت إلى النفوس تعذر أو عسر اقتلاعها منها، وكانت

الشرائع تحمل الناس على متابعة وصاياها بالمباشرة فجاء الإسلام يحمل الناس على الخير بطريقتين : طريقة مباشرة ، وطريقة سدّ الذرائع الموصلة إلى الفساد ، وغالب أحكام الإسلام من هذا القبيل ، وإنها من جملة ما أريد بالمشتبهات في حديث : « إنّ الحلالَ بيّنٌ ، وإنّ الحرامَ بيّنٌ ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس ... » . (١٠٦)

المظهر الثامن : امتزاج الشريعة بالسلطان في الإسلام وذلك من خصائصه ؛ إذ لا معنى للتشريع إلا تأسيس قانون للأمّة وما قيمة قانون لا تحميه القوّة والحكومة ، وبامتزاج الحكومة مع الشريعة أمكن تعميم الشريعة واتحاد الأمّة في العمل والنظام .(١٠٩)

<sup>\*</sup> ومن الخصائص الرّئيسيّة للإسلام (١١٢) في توجيه الفرد والمجتمع .. ما يأتي :

الإسلام دين التوحيد : فالإيمان بوجود خالق واحد للعالم حقيقة تقتنع بها كل العقول المفكرة وهذا الخالق هو الإله المستحق للعبادة وحده : كالذبح والنذر ، والسيما الدّعاء القوله r : « الدّعاء هو العبادة » . (١١٣) فلا يجوز صرف شيء منها لغير الله .

٢ - الإسلام يجمع ولا يُفرق : فهو يُؤمن بجميع الرسل ، الذين أرسلهم الله لهداية البشر وتنظيم حياتهم، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتمهم ، وشريعته نسخت ما قبلها بأمر من الله تعالى أرسله الله إلى الناس جميعاً ؛ لينقذهم من جَوْر الأديان المحرفة إلى عدل الإسلام المحفوظ .

<sup>· · · -</sup> ينظر: الموافقات في أصول الفقه (الشاطبي): ٣/ ٣٦٩ .

١٠٠٠ صحيح مسلم: بأب: (أخذ الحلال وترك الشبهات) ، رقم الحديث: (١٥٩٩) ٣/ ١٢١٩ ، سنن أبي داود: باب: (في اجتناب الشبهات) ، برقم: (٣٣٢٩): ٢/ ٢٦٣ ، سنن النسائي: باب: (اجتناب الشبهات في الكسب) ، برقم: (٣٤٠٤): ٧/ ٢٤١ ، وباب: (الحث على ترك الشبهات) ، برقم: (٥٧١٠): ٨/ ٣٢٧ ، سنن الدارمي: باب: (الفتيا وما فيه من الشدة) ، برقم: (١٦٨): ١/ ٧٢ .

۱۰۷ - سورة البقرة : ۱۸۵

۱۰۰ ینظر: التحریر والتنویر: ۱/ ۲۲۹.

۱۰۹ - ينظر: المصدر نفسه .

<sup>·</sup> ۱۱- سورة آل عمرن : ۲۰ .

١١١- السورة نفسها: ١٩ . ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٧٣٠.

١١٠- ينظر: توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع: ٣-٢.

<sup>&</sup>quot; ، برقم: (الدعاء) ، برقم: (۱٤٧٩) : ۱/ ٤٦٦ ، سنن الترمذي : باب : (ومن سورة البقرة) ، برقم: (٢٩٦٩) : (7979) ، وقال عنه: (حديث حسن صحيح) ، سنن ابن ماجه : باب : (فضل الدعاء) ، برقم: ((7979) : (7979) ، مسند أحمد : برقم: (10810) : (10810) : (10810) ، (10810)

- ٣ إنّ تعاليم الإسلام سهلة واضحة مفهومة ، فهو لا يقرّ الخرافات ولا المعتقدات الفاسدة والفلسفات المعقدة ، وهو صالح للتطبيق في كلّ زمان ومكان .
- ٤ إنَّ الإسلام لا يفصل بين المادة والروح فصلا كاملا ، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة تشملهما معا ، فلا يأخذ إحداهما ويهمل الأخرى .
- ٦ ليس في الإسلام سلطة كهنونية تحتكر الدين ، ولا أفكار مجردة يصعب تصديقها ويستطيع كل إنسان أن يقرأ كتاب الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب فهم الصحابة والتابعين ثم يصوغ حياته طبقاً لهما .
  - \* فالإسلام إذا نظام كامل وشامل للحياة (١١٥) ، والتأكيد على ذلك أكثر يُمكننا تلخيصه فيما يأتي..
- ١ إنّ الإسلام ينظم الحياة البشريّة في مختلف ميادينها الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة
   كما يرسم لها الطريق الصّحيح لحلّ مشاكلها
- ٢ الإسلام يسعى إلى تنظيم الحياة للإنسان ، والعنصر الرئيسي هو تنظيم الوقت والإسلام وحده أقوى عامل لنجاح المسلم في الدنيا والآخرة .
- ٣ إنّ الإسلام عقيدة قبل أن يكون شريعة ، فالرّسول صلى الله عليه وسلم ركز جهده في مكة على التوحيد ، ثمّ بعد ذلك طبّق الشريعة عندما انتقل إلى المدينة لإقامة الدّولة الإسلاميّة فيها .
- ٤ الإسلام يدعو إلى العلم ، ويُشجّع على التطور العلمي النافع ، فقد كان المسلمون في القرون الوسطى جهابذة في العلوم العصريّة ، مثل ( ابن الهيثم ) و ( البيروني ) وغيرهم .
- ٥ الإسلام يبيح المال المكتسب من الحلال الذي لا استغلال فيه ولا غش ، ويُرتغب في المال الحلال للرجل الصالح الذي يُدفع منه للفقراء والجهاد ، وبهذا تتحقق العدالة الاجتماعية في الأمة المسلمة التي تأخذ تشريعها من خالقها ، وفي الحديث الصبّحيح : « نعم المال الصبّالح للمرء الصبّالح » . (ما جُمع مال من حلال ) ، فهو مكذوب لا أصل له .
- ٦ الإسلام دين الجهاد والحياة : فهو يفرض على كلّ مسلم أن يبذل ماله وروحه في سبيل نصرة الإسلام ، وهو دين الحياة يريد من المسلم أن يعيش حياة هنيئة في ظلّ الإسلام وأن يُؤثر أخراه على دنياه .
- ٧ إحياء الفكر الإسلامي الحرّ في حدود القواعد الإسلاميّة ، وإزالة الجمود الفكري والأفكار الدّخيلة التي شوّهت جَمال الإسلام الصّافي ، وحالت دون تقدّم المسلمين كالبدع والخرافات والأحاديث الموضوعة وغير ذلك . .

لذا قال بعض المستشرقين عن الإسلام ، ومنهم الفيلسوف (برنادشو) إذ قال: " إني أكن كلّ تقدير لدين محمّد لحيويته ، فهو الدّين الوحيد الذي يبدو لي أنّ له طاقة هائلة لملاءمته أوجه الحياة المتغيّرة وصالحاً لكلّ العصور ، لقد درست حياة هذا الرّجل العجيب ، وفي رأي أنه يجب أن يسمّى منقذ البشرية دون أن يكون في ذلك عداء للمسيح . وإني لأعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولى حكم هذا العالم الحديث منفرداً لحالفه التوفيق في حلّ جميع مشاكله بأسلوب يؤدّي إلى الستعادة والستلام اللذين يفتقر العالم إليهما كثيراً . إني أتنباً بأنّ الناس سيُقبلون على دين محمّد في أوربا في المستقبل ، وقد بدأ يلقى القبولَ في أوربا اليوم " . (۱۱۷)

١١٤- سورة الحجرات: ١٣.

١١٠ ينظر: توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع: ١٠٥.

١١٦ - مسند أحمد ، من حديث عمرو بن العاص t : رقم الحديث : (١٧٧٩٨) : ٤/ ١٩٧ .

۱۱۷ - توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : ١٤٧ .

وهذا رجل أمريكي يتحدّث عن إسلامه فيقول: "لقد كان اهتمامي في البداية مكرسا للديانة البوذيّة ولسنوات مضت أردت أن أصبح راهبا بوذيّا ، ولكن بعد دراستي للأديان المقارنة في الجامعة اتجهت نحو الدّين الإسلامي ، وبعد تخرّجي من الجامعة سافرت للى أوربا ، ودرست في هولندا بصحبة صديقين ، كان أحدهما طالب وهو أردنيّ ، وكان الآخر رجلا كبيرا في السّن ذو مكانة مرموقة ، لقد كان في ألبانيا وأمضى في هولندا مدّة ثلاثين أو أربعين عاماً مكرسا حياته لله ، وبتأثير هذين الشخصين دخلت دين الإسلام غير مهتم بجمال هذا الدّين ، أو نقائه ، أو فاعليّته ، بل مقتنعا بأنّ محمداً صلى الله عليه وسلم كان في الحقيقة رسول الله ، وإذا أعرضت جانبا عن رسالة الله ورسوله فيعرض الله عني " . (١١٨)

لتخرج هذه البشريَّة من الظلمات ، ظلمات الوهم والخرافة ، وظلمات الأوضاع والتقاليد وظلمات الحيرة في تيه الأرباب المتفرَّقة ، وفي اضطراب التصورّات والقيم والموازين . . لتخرج البشريّة من هذه الظلمات كلها إلى النور ، النور الذي يكشف هذه الظلمات ، يكشفها في عالم الضمير وفي دنيا التفكير ، ثمّ يكشفها في واقع الحياة والقيم والأوضاع والتقاليد والإيمان بالله نور يشرق في القلب فيشرق به هذا الكيان البشري ، المركب من الطينة الغليظة ومن نفخة روح الله . (١٢١)

والإيمان بالله نور تشرق به النفس ، فترى الطريق واضحة إلى الله ، لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب ، غبش الأوهام وضباب الخرافات ، أو غبش الشهوات وضباب الأطماع ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعثر ولا تضطرب ولا تتردد ولا تحتار . والإيمان بالله نور تشرق به الحياة، فإذا الناس كلهم عباد متساوون تربط بينهم آصرتهم في الله وتتمخض دينونتهم له دون سواه، فلا ينقسمون إلى عبيد وطغاة . وتربطهم بالكون كله رابطة المعرفة ، معرفة الناموس المسير لهذا الكون فإذا هم في سلام مع الكون وما فيه ومن فيه . والإيمان بالله نور ، نور العدل ونور الحرية ونور المعرفة ونور الأنس بجوار الله والاطمئنان إلى

١١٨- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع: ١٤٨.

۱۱۹- سورة النساء : ١٦٦ .

۱۲۰ - سورة إبراهيم: ۱ . ۱۲۱ - سورة إبراهيم: ۱ .

عدله ورحمته وحكمته في السرّاء والضرّاء ذلك الاطمئنان الذي يستتبع الصبّر في الضرّاء والشكر في السرّاء على نور من إدراك الحكمة في البلاء . والإيمان بالله وحده إلها وربا ، منهج حياة كامل لا مجرد عقيدة تغمر الضمير وتسكب فيه النور، منهج حياة يقوم على قاعدة العبوديّة لله وحده ، والإذعان لربوبيّته وحده ، والتخلص من ربوبيّات العبيد والاستعلاء على حاكميّة العبيد .

فالحديث عن إخراج الناس من الظلمات إلى النور تعبير رمزي على أعظم درجة من الأمانة والبلاغة في تصوير حالة العالم كله وتخبطه في الظلمات وما يبشر به من النور الذي سيخرج اليه القرآن. ومن قوله تعالى: ژننت تنظم المثلث شفق قد (١٢٣)

والحديث عن الهداية إلى الأقوم في كلّ أمر ، هو حديث عن بلوغ المثل الأعلى الذي يعدّ به القرآن الكريم المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالنسبة لما يأخذون أو يدعون من أمر الحياة . فيخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه رُّ تَّ تُرَّ بمعنى : أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق ، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره . (١٢٤)

.. هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم ، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان ، ويشمل ما يهديهم إليه كلّ منهج وكلّ طريق ، وكلّ خير يهتدي إليه البشر في كلّ زمان ومكان . يهدي التي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق الرّوح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء ، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق . (١٢٥)

ويهدي التي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة إلى العُروة الوُثقى التي لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض . ويهدي التي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء ، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار ، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال . ويهدي التي هي أقوم في عكلقات الناس بعضهم ببعض : أفرادا وأزواجا وحكومات وشعوبا ، ودولا وأجناسا ، ويقيم هذه العكلقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرائي والهوى ، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه ، وهو أعلم بمن خلق وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل ، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان . ويهدي للتي هي أقوم في تبنّي الديانات السماوية جميعها والربط بينها اللائق بعالم الإنسان . ويهدي للتي هي أقوم في تبنّي الديانات السماوية جميعها والربط بينها اللائق بعالم الإنسان . ويهدي للتي هي أقوم في تبنّي الديانات السماوية جميعها والربط بينها

١٢٢- ينظر: في ظلال القرآن: ٢٠٨٥.

<sup>&</sup>lt;sup>١٢٣</sup>- سورة الإسراء: ٩.

١٢٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٥٤ .

١٢٥- في ظلال القرآن: ٢٢١٥.

كلها ، وتعظيم مقدّساتها وصيانة حُرُماتها فإذا البشريّة كلها بجميع عقائدها السّماويّة في سلام ووئام . (١٢٦)

### الفصل الثاني

### القرآن والإسلام

إنَّ الله تبارك وتعالى قد أكمل لنا الدين ، وذلك غاية الكمال الذي يرجوه الإنسان في كلّ أمر من أمور الدين والدّنيا: t = x

والإسلام الذي جاء به القرآن ، يتجاوز حدود الفكر أو الرّأي أو الموضوع الخاص ؛ لأنه يتسع اليشمل حياة البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل ، بل ينفذ من

الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى فيرسم للإنسانية صورة بالغة الدّقة والدّلالة ليحفزها على الإيمان والعمل الصنّالح، ويحذرها من مخالفة ما أمر الله به من الأعمال الشريرة والفواحش التي تشوّه وجه الحياة وتصنع الشقاء والتعاسة للناس. (١٣٠)

وإذا كان من الصعب ، أن تُحيط بكل ما جاء به القرآن في شأن الإسلام وما دعا إليه ، فإننا نرى ونحن بصدد الحديث عن القرآن ودوره في إصلاح المجتمع ، أنه من الضرورة بمكان أن نذكر هنا أهم ما جاء به الإسلام من قيم الخير لصالح البشرية وهدايتها وتقدّمها .. ونقتصر في هذا المجال على القيم التي تعتز بها الحياة الإنسانية وتزداد بها خصبا وثراء ومن أهمها :

#### أوّلاً: المساواة:

كانت البشرية تعاني - عند ظهور الإسلام - من التقرقة بين أبنائها سواء على المستوى العام أم المستوى الخاص ، وكانت التقرقة بين الناس تستمد أسبابها من سيادة مبدأ القوة والقهر وتحكم القوي في الضعيف تحكما يصل إلى حدود الرق والعبودية ، وقد أدّت الحروب والصرّاعات المختلفة في كل مكان من المعمورة إلى تكوين طبقة العبيد من الأسرى نتيجة الحروب ونتيجة لعمليات السلّب والنهب كذلك كانت هناك تفرقة طبقيّة تستمدّ أسبابها من امتيازات تقرّرت على مدى التاريخ لبعض الطبقات كأهل الدّين والحكم وغيرهم ، وكانت هذه الحقوق تتوارث فيرثها الابن عن أبيه وأجداده ، وفي البلاد القديمة كبلاد الإغريق والرّومان كانت أعداد العبيد أضعاف أعداد الأحرار .

ولم يعرف العالم الغربي مبدأ المساواة إلا على صوت فلاسفة الثورة الفرنسيّة في القرن السّابع عشر وما بعدها ، ومن فرنسا انتقلت فكرة المساواة إلى بلاد أوربا مع تفاوت زمني بينها ، كان أخرها ما حدث أثناء الثورة البلشفية في روسيا في عام١٩١٧م التي رفعت شعارات مختلفة لتحقيق المساواة بين

١٢٦ - ينظر: في ظلال القرآن: ٢٢١٥.

۱۲۷- سورة المائدة : ۳ .

١٢٨- سورة الإنعام: ١١٥.

١٢٩- تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٦.

١٣٠- ينظر: الإعلام في القرآن الكريم: ١٠١.

أفراد المجتمع ، واستخدمت من أجله الصّراع الدّموي وقضت على بعض الطبقات التي تميّزت على ـ غيرها في الماضيي ، ولم تمض سوى سنوات حتى أصبح أعضاء الحزب يمثلون طبقة جديدة تحتلُّ منزلة متقدّمة بين أفراد الشعب على المستويين الاجتماعي والاقتصادي ، ونسيت شعارات

فالقرآن يُقرّر أن جميع بنبي البشر من أصل واحد وإن تفرّقوا شعوبًا وأجناسًا وألوانًا ، فهم جميعًا أبناء إب واحد وأمّ واحدة ، اشتركوا جميعًا في عمليّة واحدة للخلق حين يمرّون في أطوار واحدة لا فرق بين إنسان و اخر .

وإذا كانوا يتفقون ويتساوون في البداية عند الميلاد ، فإنهم جميعاً ينتهون إلى مصير واحد بالموت يقول الله تعالى في القرآن: رُ أَ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ يِ يَ نَ ذُ نَتْ رُ (١٣٢) ثُمَّ يقول في آيةٍ أخرى : رُجِ جِ جَ ۚ جِ جِ جِ چِ چِ چِ چِ چِ چِ رِ (١٣٣)، وحين تشير هذه الآية إلى المساواة في النشأة فإنها تحدّد هدفاً من أهداف الخلق ، وهو التعارف والتعاون على مستوى الأفراد والشعوب باعتبارهم أبناء أسرة و احدة .

ويذكر رسول الإسلام محمّد r بطريقةٍ واضحةٍ هذه القيمة فيقول : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلا لَا فَصْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيًّ وَلَا لِعَجَمِيًّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ ؟... » .(١٣٤)

ساوى بينهم في كلّ حق ديني ودنيوي ، ولم يجعل لأحد منهم ميزة في نسب أو حسب أو مال أو حسن صورة ، إنما الميزة والتفضيل بالمعاني العالية في النقوى وتوابعها . (١٣٥)

فهنا تأكيد لُوحدة الأصل التي تؤكد بوحدة التكوين والخلق ، ثم يكون التفاضل بين الأفراد مرتبطا بالعمل والتقوى ، والتقوى تعنى العمل بما أمر الله ، والابتعاد عمّا نهى عنه ، فلا مجال هنا كى يتمايز الناس بأصولهم وأجسامهم وأموالهم وقوّتهم ، ولكن التمايز يكون على أساس أكثرهم طاعة لربه وأكثرهم بذلاً للعمل الصَّالح .

وقيام الرَّابطة بين قيمة المساواة وقيمة العمل الصالح ، تمثل تقديرًا ساميًا لمضمون المساواة ومنزلتها في الإسلام ، ويحدثنا القرآن الكريم عن موقف من مواقف رسول الله وكيف عاتبه الله ووجهه إلى تعاليمه في شأن هذه القيمة المقرّرة وحين أعرض عن مؤمن فقير أعمي بعد أن دعاه واهتمّ بأمر سيَّد شريف ذي مال من أشراف مكة ، وكان صلى الله عليه وسلم حريصاً على هداية الخلق ، فمال صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى الغنيّ ، وصدّ عن الأعمى الفقير - رجاء لهداية ذلك الغني ، وطمعًا في تزكيتُه - فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف .. وأنزل عليه توجيه السَّامي في هذا الموقف ، فقال: ژاَٻٻٻٻٻپپپڀڀڀڀٺٺٺٺٺٿٿٿ ٿڻٿڻڻڨڨڨڨ ۛڦڦڦڦڦڄڄڄڄ ع ۾ ج ج ۽ ڙ (آتاً)

هنا يُذكّر الله تعالى رسوله بأسلوب فيه عتاب بأنّ ضعف ذلك الأعمى وفقره لا يصح أن يكون سببًا ً للأعراض عنه لأنه قد يكون أقرب إلى الصلاح والتقوى والطهارة من ذلك الغني الذي ظلّ أقرب إلى الجحود و الكفر .

وقد طبقت المساواة بين الناس على عهد رسول الله وعهد خلفائه من بعده في كافة ألوان النشاط الإنساني والاجتماعي ، وفي نطاق الأسرة والمجتمع . فقد زوّج رسول الله بنت عمّته زينب بنت جحش وهي من أسرة من أشراف قريش أباً وأمَّا لزيد بن حارثة الذي كان عبداً رقيقاً<sup>(١٣٧)</sup> ، .. ومثل ذلك كثير.

<sup>&</sup>lt;sup>۱۳۱</sup>- المرجع نفسه: ۱۱۰.

۱۳۲- سورة النساء: ١.

١٣٢ - سورة الحجرات : ١٣ .

١٣٠ - مسند الإمام أحمد ، من حديث أبي نضرة t : رقم الحديث: (٢٤٢٠٤) : ٥١ / ٢٤٤ . وإسناده صحيح . ينظر : السلسلة الصحيحة للألباني: ٢٠٣/٦.

<sup>°°</sup>۱- كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه: ٩١.

١٣٦ - سورة عبس: ١- ١١. وينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٩١٠.

١٣٧- ينظر: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم: ٣٤ ، الكامل في التاريخ: ١/ ٣٠٣.

وكانت الولاية سواء ولاية عمل مدني أو عسكري على هذه القاعدة ، فلا يختص الأشراف وأبناؤهم بالإمارة على المدن الإسلامية وجيوشها ، ولكنها تعطى للكفء من المسلمين ، ولو كان عبدا فقد ولى رسول الله إمارة جيشه الذي حارب الروم البيزنطيين في أول مرة لهم إلى زيد بن حارثة أحد الموالي وكان خالد بن الوليد أشهر قادة المسلمين جنديّا في هذا الجيش تحت أمر زيد ، كما أن ابنه أسامة كان أمير جيش آخر ، ومن جنده أبي بكر الصديق أول الخلفاء وعمر بن الخطاب ثاني الخلفاء المسلمين.

و لا يعني هذا أنّ المسلمين اتجهوا إلى معاملة العبيد والطبقات الدّنيا من المجتمع معاملة تتسم بالعطف والرّعاية ، بل استقرّت المساواة الحقيقيّة وأصبحت قيمة ثابتة من قيم الحياة أهلت الكفء مهما كان جنسه أو لونه أو نسبه ليتولى أرقى مناصب الدّولة .

يأتي بلال بن رباح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو رجلاً من أصحابه قال له يا ابن السوداء فيغضب رسول الله على صاحبه - ونص الحديث: عن أبي أمامة قال: عير أبو ذر بلالا بأمه فقال: يا ابن السوداء ، وإن بلالا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره فغضب ، فجاء أبو ذر ولم يشعر فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: ما أعرضك عني إلا شيء بلغك يا رسول الله قال: « أنت الذي تعير بلالا بأمه ؟ » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « والذي أنزل الكتاب على مُحمد - أو ما شاء الله أن يحلف - ما لأحد على فضل إلا بعمل ، إن أنتم إلا كطف الصاع » . (١٣٩) ويصف قوله بعمل الجاهلية ويشعر صاحب رسول الله بالندم فيمضي إلى بلال معتذرا .

وساوى بينهم في التملكات الماليّة بجميع طرقها ووجوهها ، وفي صحة التصرّفات كلها وإطلاقها حيث اشتركوا في العقل والرّشد . وساوى بينهم بأنّ الرّضا في المعاملات العوضيّة والتبرّعات والإحسان شرط لصحتها ونفوذها ، وأن من أكره منهم لا ينفذ له معاملة ولا يستقيم له تبرّع . (١٤٥٠)

إذن كانت قيمة المساواة قانونا من قوانين الله ، جاء القرآن بها للناس جميعا ، ولذلك كان حرص رسول الله عليها شديدا يطبقها على أولاده وأقرب الناس إليه . وما كان رسول الله يهتم هذا الاهتمام بالمساواة حتى بالنسبة له ، لولا علمه أنها تمثل أساساً من أسس الإسلام إذ الناس كلهم سواء أمام القانون ، وبهذا يكون الإسلام قد وضع منذ ألف وأربعمائة سنة مبدأ المساواة بين الحاكم والمحكوم في الحقوق والواجبات – بالعدل - قبل أن تضمن الدّساتير الحديثة هذا المبدأ فيها ، حدث هذا وطبق على كلّ أفراد الأمّة الإسلاميّة التي امتدت من المحيط الأطلسي إلى أسوار الصيّن .

و لاشكَ أنَّ الصلّة الوطيدة بين العدل والمساواة واضحة وضوح الشمس ، فلا عدل بلا مساواة و لا مساواة بلا عدل ، بل إنّ بعضهم يُقرّر أنّ المساواة أساس الحكم . وقد ساوى الإسلام بين الناس أمام

١٣٨- ينظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: ١٠، مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ٤٠/١.

١٣٩- شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي: رقم الحديث: (٥١٣٥): ٢٨٨/٤.

١٤٠ ـ سورة النساء : ١٣٥ .

١٤١ - سورة التغابن: ١٦.

١٤٢-سورة الطلاق: ٧ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱٤۳</sup>- سورة البقرة : ۲۸٦ .

١٤٠٠ - النحل: ٩٧ ، الأحزاب: ٣٥ .

١٤٥ - ينظر: كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه: ٨٠ - ٩٠ .

القضاء ، فلم يُعرف في عهد الرّسول ٢ ولا في عهد الخلفاء الرّاشدين ٧ فكرة المُحاكمة الاستثنائية و لا فكرة المُحاكمة الخاصّة ، التي تختص بمحاكمة بعض الناس دون بعض . (أَعَا)

.. هكذا صان الإسلام مبدأ المساواة والعدل بين الجميع ، ثمّ ترك الباب مفتوحا أمام كلّ فرد، للتفاضل بجهده ونتاج عمله وثمرة سعيه وخبرته ، ولم يحصر التفاضل في الجوانب الماديّة فقط كما تزعم الحِضارة الغربيّة المُعاصرة ، وتكرس ذلك في نظامها الإعلامي المعاصر ، ولم يحصر المساواة في العامل الاقتصادي كما يزعم النظام الإعلامي الشيوعي . (١٤٧)

وإن كنا اليوم في هذا القرن نشهد ألواناً من التفرقة في كلّ مكان من العالم .. حيث يتعرض الكثيرون بسبب النشأة أو اللون أو الجنس لألوان مختلفة من التفرقة والقهر .. وهو أمر يحجب الحقيقة الخالدة التي جاءت بها كلّ الأديان وأكدها الإسلام بقول القرآن الكريم: ژ ٱ ب ب ب ب ب پ پ پ پ ر ، وقوله وأصبحت ذا قيمة من قيم الحياة في الأمّة الإسلاميّة ولم تكن المساواة حقاً للعرب دون غيرهم يطبقونها على أنفسهم فحسب ، بل كانت حقاً لكلّ المؤمنين مهما اختلفت جنسيّاتهم وألوانهم . وقيمة المساواة التي جاء بها القرآن : تملك القداسة التي يملكها كلّ ما يأتي من عند الله تعالى . ثانياً: الإخاء :

يرى كثيرً من المفكرين أنّ الأديان العالميّة ، تعدّ ثورات واسعة استهدفت أحداث التغيير العميق في حياة الأفراد والجماعات ، وهي بمخاطبتها لعقل الإنسان ووجدانه ، تعمل على تأكيد أفضل العَلاقات صلاحية للاجتماع الإنساني في كلّ مكان وزمان .

والقرآن قد أقر فضلاً عمَّا تقدّم قيماً أخرى تتصل بحق الإنسان في الحريّة والعدالة في وقت لم تهتم فيه الثورات الاجتماعية التي سبقت ظهور الأديان بهذه الحقوق التي لم تعرف في العصر الحديث كما أنّ الحكم الديمقر اطى الذي ظهر في بلاد الإغريق في الزمن القديم لم يقرّر المبادئ المعترف بها الأن من تكافؤ للفرص بين المواطنين جميعاً مهما اختلفت جنسيّاتهم وألوانهم وأنسابهم ، ولم يعترف بالمساواة بين أبناء الأمَّة الواحدة .. فكانت هناك طبقات معترف بها لها امتيازات مقرّرة وطبقات أخرى كطبقة العبيد والأرقاء التي سلبت منها حقوق إنسانيّة أساسيّة .

ولكنَّ القرآن جاء بمجموعةٍ من القيم ، تعدّ من أهمِّ العوامل التي عملت على انتشاره ، ومن أقوى الحوافز التي دفعت الشعوب والأفراد إلى اعتناقه . ولم تكن القيم القرأنية مجردة أو مستقلة في ذاتها . عن حياة المسلمين وسلوكهم ولكنها كانت مندمجة في حياة المجتمعات وفي سلوك الأفراد وفكرهم وعملِهم وكان الوعي بهذه القيم والعمل بها ، من أهمّ الوسائل التي حبّبت الإسّلام إلَى النفوس . (١٤٨٠) كما أصبح المجتمع الإسلامي بهذه القيم مصدر إشعاع للقيم الخلقية والإنسانية في كلّ مكان وأصبحت قوام حضارته ومن أهم مميزاتها التي عاشت بها حتى اليوم . إذ تحدثنا عن قيمتي الإنسان والمُساواة كماً وردت في القرآن الكريم وكيف أصبحت المساواة أساساً من أسس طبّقها رسول الله وطبّقها خلفاؤه من بعده ، بين الناس جميعاً دون اعتبار للون أو نسب أو شرف (١٤٩)

و لا نكاد نجد مذهباً من مذاهب الأخلاق أو الاجتماع ، بلغ في تصوير قيمة الإخاء الإنساني ما دعا إليه القرآن ، وما طبّقه رسول الله وخلفاؤه الذين جاءوا بعده . إذ طبّق رسول الإسلام مُحمّد قيمة الإخاء تطبيقاً عاماً ، في مجتمع الإسلام الأول حين نزل بالمدينة يوم هاجر إليها مع أصحابه الذين ضيّق الوثنيون عليهم بمكة وصادورا حريّتهم في الاعتقاد والدّين وعذبوهم وقاطعوهم اجتماعيّاً و اقتصاديّاً .

فدعا أصحابه ، أن يتخذوا لهم إخوة من بين المؤمنين سواء من بين الذين هاجروا معهم أو من بين أهل المدينة التي هاجر إليها فكان الرّجل منهم سواء كان عبداً أم سيداً يتخذ له أخاً رجلاً آخراً يُشاركه في بيته وماله حتى وصل الأمر ببعضهم أن يطلق زوجته لتصبح زوجة لأخيه الجديد وكانت هذه الإخوّة التي لا نجد لها مثيلًا في الدّعوات والثورات من أقوى الرّوابط التي أكدت وحدة الإسلام .

١٤٦٠ ينظر: أسس الحكم في الإسلام (الشورى والعدل والمساواة): ٢٢ ، دستور للأمّة من القرآن والسنة: ٨٢ .

١٤٧٠ - ينظر: مفهوم المساواة في الإسلام در اسة ومقارنة: ٧٢.

١١٠٠ ـ ينظر: في ظلال القرآن: ١٥٤٨ ، الإعلام في القرآن: ١١٧.

١٤٩- ينظر: الإعلام في القرآن: ١١٨.

فآخى رسول الله ٢ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وعقد الألفة بينهم . روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (( ألف رَسُولُ الله ٢ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فِي دَارِ أَنَس بْنِ مَالِكِ )) . ((() واستجاب الأنصار للرسول حتى إنهم كانوا يتوارثون بهذا الإخاء إرثا مقدماً على القرابة فإذا مات المهاجر ورثه أخوه الأنصاري وإذا مات أحد الأنصار ورثه المهاجر ، ثمّ نسخ الإرث وبقي التناصح والتآزر والتآخي ، فشارك الأنصار المهاجرين بالمال فأشركوهم في زراعاتهم وتجاراتهم . عَنْ أَنَس - رضي الله عنه - قال : (( قدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَوْفٍ ، فَآخَى النَّبِيُ ٢ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّيعِ الأَنْصَارِيّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلُهُ وَمَالَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَن : بَارِكَ اللهُ لِكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلَنِي عَلَى السُوق..)) . ((())

وقد بلغ من قيمة هذا الإخاء ، أنهم كانوا يتوارثون بعد الموت فيرث الأخ ، أخاه في ماله ولم يكن للمشركين الذين تصلهم صلة القرابة أو الدّم أن يزاحموا الأخ المؤمن حقه في ميراث أخيه المؤمن وظلّ هذا المبدأ ساريا إلى أن زالت الوثنيّة واندثرت من المجتمع وانتشر الإيمان بين جميع أفراده فعادت مبادئ الإرث إلى سيرتها الأولى وقررت حقوق ذوي الأرحام فيما ترك آباؤهم وإخوانهم .

فكانت المؤاخاة بين المؤمنين ، البديل القوي للعصبية والقرابة التي كان العرب يتمسكون بها وجعل النبي صلى الله عليه هذه الأخوة الجديدة ، أقوى من إخوة الدّم والنسب ؛ ذلك لأنها قامت على الإيمان فارتفعت فوق روابط العصبية والقبلية وكانت بداية مجتمع لا ينظر إلا لحاضره ومستقبله القائم على القيم الأخلاقية الصدّدقة والخيرة .

فأتت بعد قيمة المساواة قيمة الإخاء ، والقرآن الكريم يُقرّر أنّ المؤمنين إخوة ثمّ يذهب إلى تأكيد هذه القيمة وتوسيع نطاقها إلى أبعد مدى في التطبيق العملي في الحياة ، فلم يضع القرآن حداً أو أقام عقبة تقف أمام هذه القيمة الإنسانية الجليلة الشأن ، ولم يجعل الجنس أو اللغة أو اللون سبباً يُمكن أن يُباعد بين الإنسان وأخيه ، يقول القرآن الكريم : رُو وُ وُ وْ رْ (١٥٣).

المؤمنون جميعاً في نظر القرآن إخوة من حيث أصلهم و لا يفاضلون إلا بالأعمال الصّالحة و لا يتمايز بعضهم عن بعض لأيّ سبب إلا أن يكون ذلك السّبب نابعاً من عملهم الصّالح .

وقيمة الإخاء في الإسلام ليست مبدأ نظريا ، أو شعارا يُرفع دون نظر إلى تطبيقه أو الأخذ به في العَلاقات الاجتماعية المختلفة ، بل إنّ هذه القيمة تعدّ مبدأ أساسيا ، وعقيدة ترتبط بإيمان الفرد بربه ودينه ، فيقول القرآن الكريم : رب ب

إذن الدين الذي يجعل من الإخاء الإنساني أصلا من أصول التعايش بين الناس ، والذي يشيد بأخوة العقيدة كأساس للترابط بين المسلمين ، والذي يؤكد أنّ المسلمين نساءً ورجالاً بعضهم أولياء بعض هذا الدين لا يُمكن أن يكون قاصراً على الأمور التعبديّة ، بل هو دين عام شامل لشئون الحياة الإنسانيّة كلها، وهو دين الإنسانيّة قاطبة حتى قيام السّاعة .

هذا الدين الذي لا يفرّق بين الناس المنحدرين من أصل واحد ، والذي لا يقيم لاختلاف الأجناس والألوان أيّ وزن ، والذي يقرّر المساواة أصلاً في التعامل الإنساني ، لا يصح أن يطلق عليه أنه

١٥٠- مسند أحمد : رقم الحديث : (١٤٣٥١) : ٣٨٤ / ٣٨٤ .

١٥١- صحيح البخاري : باب: (كيف آخي النبي بين أصحابه) ، رقم الحديث: (٣٩٣٧) : ١٣١/ ٢٨١ .

١٥٢ - سورة الحشر : ٨ - ٩ .

١٠٣- سورة الحجرات: ١٠.

<sup>&</sup>lt;sup>۱۰۱</sup>- سورة الحشر: ۱۰.

<sup>&</sup>quot; - صحيح البخاري : باب: (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، رقم الحديث: (١٣) : ١/ ٢٩ ، سنن الترمذي : باب: (قول النبي يا حنظلة ساعة ..) ، برقم: (٢٧٠٥) : ٩/ ٤٢٩ ، سنن النسائي : باب: (علامات الإيمان) ، برقم: (٥٠٣٣) : ٩/ ٤٧٩ ، وكلهم من حديث أنس بن مالك t .

دين عبادة وليس دين حياة ، وأنّ العبادة لا تنفصل عن الحياة ؛ لأنّ كلّ ما يقوم الإنسان به في سبيل نفسه وغيره - إذا التزم به حدود الشرع - يكون عبادة . وإنّ أخوّة العقيدة في الإسلام لا تعدلها أخوّة الدّم والنسب ؛ لأنّ هذه الأخوة تقوم على رباط الصلّة بالله والارتباط بشريعته ، فكل من انتسب إلى هذه الشريعة انتساب اعتقاد وعمل، فهو أخ في الله لسائر المسلمين لا فرق بين إناثهم وذكورهم ، أو بين حقيرهم وأميرهم إذ يسعى بذمّتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . (١٥٥)

والأخوّة في الله تعني الانقطاع عن كل عُلاقة دنيوية غير مشروعة وتنمي كل علاقة تقوم على المحبة والتناصر في الله ، كما أنها تعني معاداة كل من لا يؤمن بالله وموالاة كلّ من آمن بالله : ژو وُ رُ .

ويقول سبحانه وتعالى تذكيراً وعرضاً لحالة المؤمنين الأولين قبل اعتناقهم الإسلام ، وما يجب عليهم تجاه هذا التفضل بالهداية منه سبحانه وتعالى : (100) = 30

وأول مظاهر المحبة هو التقدير والاحترام ، وأن أسمى مظاهر هذه المحبة هي إيثار المرء غيره على نفسه فيحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، فالمسلم الذي لا تتحقق فيه هذه الصقات يُعد في نظر الإسلام ضعيف الإيمان ناقص الإسلام ، كذلك إذا قامت الكراهية في نفس المؤمن لأخيه الإنسان عُد ناقص الإيمان والدين . أمّا الذي يحب أخاه الإنسان ويرجوا له ما يرجوه لنفسه ، فذلك هو الإنسان الذي اكتمل إيمانه ودينه .

والإخاء الإنساني يعده الإسلام قيمة من أهم قيمه ، شأنه شأن المساواة لا يعني بحال من الأحوال أن يحرم أحد من ثمرات عمله أو يهضم من حقوقه التي يكتسبها نتيجة استعداده وامتيازه في هذا العمل ذلك أنّ الإسلام يفسح المجال لكلّ كفايةٍ أو خلق أو مزيةٍ عقليةٍ أو جديّةٍ لتأخذ نصيبها الذي تستحقه بعملها فيقول القرآن الكريم : رُ آ ب ب بب پ پ پ پ پ پ پ أ (١٥٨) .

حتى جعلَ بعضُ المستشرقين هذه القيمة هي سبب انتشار الإسلام ، وفتحاً جديداً في تأريخ العَلاقات الإنسانيّة فيقول: " وثمّة عنصر هامّ لهذه القوّة التي هيّأت للإسلام سبل الانتشار في إصرار الإسلام على أنّ المؤمنين إخوة متساوون تماماً أمام الله ، مهما اختلفت ألوانهم أو أصولهم " . (١٥٩)

وقد قضى الإخاء الذي قرره الإسلام وطبقه على خصومات وصراعات عميقة كانت في بلاد العرب في العهد الذي سبق الإسلام وكانت تحمل بحكم الثأر أسباب قتال دموي لا يهدأ ، كذلك أدى هذا الإخاء إلى بث شعور الأمن في نفوس الضعفاء والغرباء وغيرهم من الطبقات الدّنيا التي تآخت مع غيرها من السّادة والأشراف وأصحاب المال .

ويصف القرآن الكريم ما أحدثه هذا الإخاء في نفوس المسلمين بقول الله تعالى : رُ نُ ذَ نَتْ تَ تَ تَ تَ لَ ثُلُ تُ تُ تُ تُ لَ ثُلُ اللهِ عَالَى : رُ نُ ذَ نَتْ تَ تَ تَ تُ لُ ثُ لُ لُ لُ لُ لُهُ قُدْ قُدْ قُدْ مِ جِ جِ جِ جُ رُ (١٦٠) .

وأعلى مراتب الإخوّة في الإسلام هي الإخوّة في الله ، وتعني التقاء الناس إخواناً على حبّ الله والعمل على الله والعمل على الله والعمل على مجرّدين عن كلّ غرض من أغراضه الدّنيويّة .

#### ثالثاً: الحريّة والتحرّر:

لعلنا نتفق بأنّ الحريّة والفرديّة بمفهومها المعاصر لم تعرف في العالم القديم ، الذي خضع لأساليب من الحكم استخدمت القوّة والقهر لإخضاع الشعوب والإنسان بسيطرتها ونفوذها ومصالحها وحريّة الإنسان بصفة عامّة تمثل حق الإنسان في إبداء رأية والتعبير عن فكره وحريّة العقيدة وإقامة شعائرها وحق الإنسان في ثمرات عمله ، جزء من حقه في الحريّة وحريّة الإنسان فيما يفتي -وفق

١٥٦- ينظر: الضوابط الأخلاقية: ٥٤.

۱۰۷ - سورة آل عمران: ۱۰۲ - ۱۰۳ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۰۸</sup>- سورة الأنعام: ۱۳۲.

١٥٩- الإعلام في القرآن: ١٢١.

<sup>&</sup>lt;sup>١٦٠</sup>- سورة الأنفال : ٦٣ .

الشروط الشرعية - ويملك ، هي جزء من حرية العمل والحرية التي أقرّها القرآن تشمل كلّ هذه المبادئ التي لم تقرّر عالميا إلا في العهد الأخير عند إقرار حق الإنسان في التعبير والعقيدة وفي التعكير والسلوك والمعاملة والتملك والاقتناء ، وذلك بشرط عدم الاعتداء على حرية الآخرين . (١٦١) وقد تأسس مبدأ الحرية على قاعدة العبودية لله الواحد الأحد ، يقول ٢ : « ألا كُلُّ شَيءٍ مِنْ أمْر الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعً ... » (١٦٢) ، وهكذا فإنّ فكر الجاهلية وقيمها ومسلماتها التي ترتبط بها وضعت كلها ودفنت في غياهب النسيان ، ثمّ عدّد الرسول صلى الله عليه وسلم بعض تلك القيم الجاهلية التي كانت ترتبط بها قيمة الحريّة عندهم ، فقال: « دماء الجاهليّة موْضوعَة ... وربا الجاهلية موضوع ... ومآثر الجاهلية موضوعة » . (١٦٣)

هكذا أسس ٢ مبدأ الحرية على الخروج من مآثر الجاهليّة ، ومن قيد الشيطان والدخول في قيم الإسلام وقيد الرحمن ، ومن هنا تكون حرية الإنسان المسلم وإرادته لما يصلح حياته في إطار هذه القيم الثابتة والسير في ركاب هذا المفهوم يجعل حياة الإنسان في توافق وانسجام مع نواميس الكون وسنن الله في فطرة الوجود كله .(١٦٤)

فالحريَّة كما قرّرتها الشعوب كافة ، يحدها إطار اجتماعي يمنع تعدي الناس بعضهم على بعض لأيّ سبب من الأسباب ؛ لأنّ هذا يمثل عدواناً على حريّة الآخرين وهضماً لها .

وفي القرآن الكريم نرى تأكيدا لمبادئ الحريّة في كثير من الآيات وهذا التأكيد يشمل كافة الجوانب المختلفة لحريّة الإنسان وحقه في التعبير والسلوك والتفكير والعمل بالمفهوم المعاصر لمعنى الحريّة . وتأريخ الإسلام في كافة عهوده يشهد بأنّ المسلمين بهدى القرآن الكريم لم يفرضوا دينهم على أحد في البلاد التي فتحوها ، وأنه كان من حق أيّ إنسان أن يظلّ على دينه الذي يدين به مهما كان هذا الدّين ونقوم الدّولة بكفالة هذا الحق والدّفاع عنه . (١٦٥)

وبناءً على ذلك يُقرّر القرآنُ أنّ حريّة الاعتقاد أمر لا جدال فيه ، وبالنسبة لموقف رسول الله الدي بعثه داعياً إلى الله نرى القرآن يؤكد أنّ رسالته لا تتجه إلى القهر والضغط لفرض الدين ، ولكن دوره يقوم على تتوير الناس وحثهم على التفكير في أمر الحياة والخالق ليختاروا أنفسهم أي اتجاه يتجهون إليه في مجال الاعتقاد ، فالله تعالى يقول لرسوله : ژ ٺ ذذت ت ت تت تا تله تأهد فق قر (١٦٨) ، ثمَّ يقول تعالى تأكيداً لهذا المبدأ : ژ ۋ و و و و و و و ي ي ب ب ب ثر (١٦٨) ، ويقول لرسوله أيضا : ث ع ع غ الثر (١٦٨) ، ژ ذذ ت ت ت تت تت تت شاهر (١٧٠) .

١٢١ - الإعلام في القرآن: ١٢١ - ١٢٢ . وينظر: في ظلال القرآن: ٢٩١، ٣١٨٢ .

١٦٠ - صَحيح مسلم : باب: (حجة النبيّ) ، رقم الحديث: (٣٠٠٩) : ٨/ ٥٤ ، سنن أبي داود : باب: (صفة حجة النبيّ) ، برقم: (١٩٠٧) : ٦/ ٣٧ ، سنن الدارمي : باب: (في سنة الحج) ، برقم: (١٩٠٧) : ٥/ ٤٣٩ .

الله عند عسلم : باب: (حجة النبيّ) ، رقم الحديث: (۳۰۰۹) (۸۰٪ ، سنن أبي داود : باب: (صفة حجة النبيّ) ، برقم: (۱۹۰۷): ٦/ ۲۷، سنن الدارمي : باب: (في سنة الحج) ، برقم: (۱۹۰۷): ٥/ ۲۳۹ .

١٦٤- ينظر: الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام: ٧١ وما بعدها ، الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم: ١/ ٩٧

١٦٥- ينظر: الإعلام في القرآن: ١٢٢.

١٦٦ - سورة يونس: ١٠٨.

<sup>177 -</sup> سورة الشورى : ٥٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>١٦٨</sup>- سورة الغاشية: ٢١- ٢٢ .

۱۲۹ - سورة النحل : ۱۲۵ .
۱۲۰ - سورة آل عمران : ۱۰۹ .

وممًا تقدّم يتبيّن لنا أنَّ التوجيه القرآني السَّامي في هذه المرحلة من مراحل الدّعوة للإسلام قــد مهــد الطريق أمام رسول الله r ليجمع حوله الصفوة الخيرة الصادقة الصابرة التي حملــت معــه عــب، الرسالة وانتصرت بخيرها وإيمانها وصدقها على تعصب الوثنيّين وقسوتهم .

ويتبيّن لنا مدى ما ذهب إليه القرآن من تقرير لحريّة الاعتقاد ، وهو أمر يُعدّ بمقاييس العصر الذي ظهر فيه الإسلام غاية السمّو ، ويمثل قيمة حضاريّة لم تعرفها البشريّة قبل الإسلام .

وبعد حُريَّة العقيدة تأتي حريّة الرّأي والتعبير ، وقد اعتبر الإسلام الاجتهاد بالرّأي أصلاً من أصول استنباط الشرائع المنظمة للاعتقاد ، وإذا كانت حريّة الرأي والاجتهاد مكفولة بالنسبة لأمور الدّين فمن المنطقى أن تكون مكفولة لما دون ذلك من أمور .

و لا ريب أنَّ حريَّة الرَّأي تُعدُّ من أهمِّ ما يؤكد كرامة الإنسان ، وما يشجعه على التفكير والعمل والتعاون مع غيره لتحقيق الخير والتقدّم للمجتمع .

وحُريَّة الرّأي التي أكّدها القرآنُ الكريمُ ، على النحو الذي ذكرناه ، كانت من أسباب وحدة شعوبه وترابطها وتعاونها في مجالات العلوم والفنون المختلفة ، وكانت حلقات الحوار تقام في كلّ المدن الكبرى في المساجد والمعاهد يقودها علماء ويكون من حق كلّ إنسان أن يُشاركَ فيها بحريّةٍ تامّةٍ .

والقرآن الكريم الذي كفل حرية التعبير ، يوجّهنا إلى خير الأساليب التي تتحقق بها هذه الحريّة فيقول تعالى :  $(1 \times 1)^{(1 \times 1)}$  ، ويقول:  $(1 \times 1)^{(1 \times 1)}$  ، ويقول:  $(1 \times 1)^{(1 \times 1)}$  ، ويقول:  $(1 \times 1)^{(1 \times 1)}$ 

ونحن في هذا العصر نُدرك أنّ الحريّات بأنواعها المختلفة ، في العقيدة والفكر والرّأي والتعبير تمثل أهمّ الانجازات التي حققها الإنسان لنفسه في العصر الحديث ، كما تؤمن أنها أساس كلّ حياة إنسانية كريمه ولا غنى عنها لأيّ مجتمع أو شعب ينشد التقدّم العلميّ والاجتماعيّ والإنسانيّ . وهذه الحريّات كلها جاء بها القرآن الكريم ، ودعا إليها وكانت من أهمّ أسباب تقدّم العلوم والفنون والآداب التي قامت عليها الحضارة الإسلاميّة حتى عصر النهضة .

ونحن حين نقرر ذلك ندرك أنَّ الرُّوح الإسلاميَّة التي نؤمن بها ، تدعوا وتؤكد على حريّة الإنسان ولاسيّما الحريّة المرتبطة بالفكر والرّأي ؛ لأننا نعلم أن تقدّم الإنسانيّة وازدهار الحضارة وسيادة الرّوح الإنسانيّة ، إنما يرتبط أشد الارتباط بما يتحقق لأفراد المجتمع الإنساني من حريّة فكريّة ، ومن حقوق مقدّسة في إبداء الرّأي والتعبير ، وقد كان ذلك كله من دعائم الإسلام . (١٧٦)

ويلحق بهذه الحريّات الأساسيّة ما يطلق عليه في هذا العصر بالحريّة الاجتماعيّة ويعني بها تحرّر الإنسان من العوز والحاجة ، التي تشكل ضغوطا اقتصاديّة عليه تؤثر على حريّته ومجالات فكره وتسلبه كرامته وتخضعه لألوان من الضغط تشلّ إرادته ، وقد استطاعت جماعات إنسانيّة هنا وهناك استغلال هذه الحاجات الأساسية للإنسان ، تحت شعار تحريره من العوز والحاجة ، وقادت شعوبها

<sup>&</sup>lt;sup>۱۷۱</sup>- سورة الإسراء: ٥٣ .

١٧٢ - سورة الأحزاب: ٧٠ .

۱۷۳ - سورة فصلت : ۳۲ .

١٧٤ - سورة العنكبوت : ٤٦ .

البقرة: ٢٦٣ . سورة البقرة : ٢٦٣ .

١٧٦- ينظر: في ظلال القرآن: ٣١٨٢ ، الإعلام في القرآن: ١٢٦.

إلى نظم شموليّة ، حتى انتهى الأمر بها إلى سلب الإنسان أهمّ مقوّمات حريّته في الفكر والرأي والتعبير. (١٧٧)

والقرآن قد دعا إلى العمل والكسب ، ودعا إلى الاستمتاع الطيب بثمرات هذا الكسب وعدم تحريم الطيبات على الناس ، وإذا كان القرآن قد حرم بعض الأشياء ، كالخمر والقمار مثلاً فقد ثبت علمياً أضرار ما حرم على صحة الإنسان وعلى العلاقات الاجتماعية والإنسانية .

وكانت الدّولة الإسلاميّة على عهدها الأول ، أول دولة في التأريخ قرّرت لكل فرد عطاء من مواردها لسد حاجاته الأساسية ، فكان لكل فرد حق مدون في دفاتر العطاء يمثل الحد الأدنى لمواجهة أعباء الحياة والعيش .

وأقر القرآن الكريم حق الكسب ، والملكية الخاصة بوصفها مكملة لحقه في الحرية ، وأقر حق المالك في توريث أبنائه ما كسب من مال في حياته .. يأتي بعد ذلك حق الإنسان في الأمن على حياته وماله وعرضه .

والتحرر من الخوف والذي يعني: أن يأمن الإنسان على حياته وحياة أبنائه. وأن يأمن الإنسان على ماله وما كسب له ولأولاده. وأن يأمن على عرضه. وقد كان القرآن شديد الاهتمام بتقرير الأمن والطمأنينة للإنسان في هذه الأمور ذات الأهميّة الكبرى في حياته حتى يحقق له مبدأ التحرر من الخوف.

وبالنسبة للنفس ، أي الأمن على حياته تعدّ الشريعة الإسلامية حالة القتل العمد من أخطر الجرائم في المجتمع تستحق أشد وأقصى عقوبة يتعرّض لها الإنسان وهي القتل بالمثل ، والإسلام لا يعد هذه العقوبة ، انتقاماً ومطالباً للقانون فحسب ، بل ينظر إليها على أنها وسيلة لحفظ حياة الأفراد وضمان أمنهم واستقرار حياتهم ، فيقول القرآن الكريم : رُكْ كَ كُ وُ وُ وَ وَ وُ وُ وَ وُ وَ وَ وَ وَ وَ وَ وَ أَنّ في القصاص من القاتل المتعمّد حياة للأفراد والمجتمع .

#### الفصل الثالث

### دور القرآن في إصلاح حرية الرّأي

لعلّ من أهم الخصائص التي اتصفت بها الأمّة الإسلاميّة ، اضطلاعها بتحقيق التوازن في جميع الأمور ، والحرص على دوام ذلك ، الأمر الذي حدا بالقرآن الكريم ليصفها بالقول : رُقْ قُ قُ قُرْ (١٨٠) ، فهي على سبيل المثال : مبتلاة بالخير والشرّ فتنة لها في هذه الحياة ، ليزداد المؤمن إيمانا وتقرّبا إلى الله تعالى بمواجهة الفتنة بنوعيها ، شكرا على السرّاء ، وصبرا على الضررّاء: رُدِ

١٧٧- الإعلام في القرآن: ١٢٦. . .

۱۷۸ - سورة البقرة : ۱۷۹ .

١٧٩ - سورة المائدة : ٤٥ .

<sup>&</sup>lt;sup>١٨٠</sup>- سورة البقرة : ١٤٣ .

رُ (١٨١) ، فهي معادلة لابد من الحفاظ على توازنها مهما تغيّرت الظروف ، وتقلبت الأحوال وتغيّرت .

ومن جملة هذه الموازنات الصّعبة التي ابتليت الأمّة بها : ضرورة المحافظة على وحدة الأمّـة في ضوء تحقيق مبدأ حريّة الرّأي والتعبير عنه . فما من شك أنّ الوحدة الجامعة لكيان الأمّـة ضـرورة شرعيّة تفرضها تعاليم الإسلام، وحق التعبير عن الأراء هو أيضاً ضرورة قد يصبح في بعض الأحيان واجباً شرعياً ، يلحق المؤمن بكتمانه وعدم إبدائه للناس إثماً كبيراً وممّا يُشير إلى جدليّة العَلاقة بينهما (الوحدة الفكريّة وحريّة إبداء الرّأي) أنّ القرآن الكريم أشار إليهما أحياناً بشكل متلازم فعندما أمر القرآن بتحقيق الوحدة بين المسلمين وعدم جواز حصول الفرقة بينهم: رُقَّ ج ج ج ج ج جرُّ ا ، تلا ذلك أمر آخر بضرورة إبداء الرأى وعدم كتمانه : رث ك ك ك ك كُ كُ كُ كُ كُ كُ لَا ثَالَ اللهُ الله عنه المرا رُ (١٨٢) ، ثمّ أعقب ذلك تحذير من الفرقة والاختلاف فيما لو أخلّ بالتوازن بين الأمــرين : ر ه م به ه  $^{\circ}$  ہے ہے کے ئے نُے نُے کُے کُر  $^{(1 \wedge 7)}$  أصبح الاستبداد بالرّأي ، وعدم القدرة على تقبل الرّأي المخالف ، وما نتجَ عنه من تشرذم فكري أفضى إلى الاختلاف والتنازع، ظاهرة مألوفة في مجتمعاتنا المسلمة، وبدت وكأنها إشكاليّة جو هريّة تحول دون تحقيق الوحدة الشاملة للأمّة ولعلّ ذلك يعود إلى طبيعة العَلاقة الجدايّة بين حريّة الرأي والوحدة بشكل عام ، تلك العَلاقة التي أوحت الكثيرين بصعوبة تحقيق تفاعل إيجابي بينهما على أرض الواقع ؛ لما تقتضيه حريّة الرأي من الاختلاف المفضى إلى الفرقة غالبًا، وهو ما يشكل نقيضًا للوحدة بمعناها العام ، وربما كان للأساليب التي عولجت بها هذه العَلاقة أثراً في ذلك أيضاً ، ففيما شاعت حريّة الرّأي والتعبير عنه وتمّ تبادل الأفكار والآراء في صدر الإسلام ، ممّا ساهم في توحيد الأمّة وعدم تشرذمها ، بدأ لآخرين فيما تلا ذلك من عهود أنّ حريّة الرأي عامل يهدّد وحدة الأمّة ، فعملوا على تقليص مساحته والتضييق من نطاقه ، إلى أن شاعت مقولة (إغلاق باب الاجتهاد كليًا) وبات الناس يجترون آراء من سبقهم دون أن يؤدّي ذلك إلى تحقيق الوحدة المزعومة، أو التقليل من آثار الفرقة والاختلاف. استخدمت العربُ لفظ (حرّ) للتعبير عن كرام الناس وأشرافهم، كما عبّرت به عن خيار الأشياء وحسن الأفعال والأعمال (١٨٤) ، وجاء القرآن بعد ذلك ليتجاوز التركز على اللفظ إلى تحقيق مضمونه وذلك عندما جعل القضيّة الأساسيّة في مسألة الحريّة تدور حول إنسانيّة الإنسان وكرامته وضرورة تحقيق هذه الحريّة بإفراد الله تعالى وحده بمفهوم العبوديّة لتتحقق إنسانيّة الإنسان بالتساوي أمام خالقه مع جميع أبناء جنسه. (١٨٥)

وإذا كان مفهوم كلمة (الحرية) أصيلاً في اللغة ، ويحمل معان إيجابيّة بشكل عام في التراث فإن كلمة (رأي) التي تدور معانيها في اللغة بين الرّؤية البصريّة ، والرّؤية المناميّة والاعتقاد في الأمر تحمل شحنة سلبيّة . فقد نظر إلى كلمة (رأي) على أنها في مقابل (النصّ) دوما ممّا يعني منازعتها لقداسة النص ومجاله الحيوي ، ثمّ زاد الأمر بعد ذلك عندما ظهرت الفرق والجماعات الإسلميّة ، التي انحاز بعضها أثناء احتدام الصرّاع إلى الرّأي المحض ، متجاهلة في بعض الأحيان دلالات النصوص ومراميها . كلّ ذلك أشاع حالة من النفور من استعمال لفظ (رأي) في حدّ ذاته ، فضلاً عن منازعة لفظ الاجتهاد له وشيوع هذا المصطلح بين المسلمين للدّلالة على الجهد العقلي المستنير والمقبول عندهم

١٨١ - سورة الأنبياء: ٣٥.

١٨٢ - سورة آل عمران: ١٠٤.

۱۸۳ - سورة آل عمران : ۱۰۵ .

١٨٢٠ ينظر: لسان العرب: مادة: (حرّ): ٤/ ١٧٧.

<sup>&</sup>lt;sup>١٨٥</sup>- ينظر: القرآن وحريّة الرّأي: ص١.

على أيّ حال ، فقد أسهم النظر إلى مفهوم (حريّة الرأي) في العصر الرّاهن استناداً إلى حمولت التراثيّة (السّلبيّة) بصفة عامّة ، في تفاقم حالة النفور منه ، والابتعاد عن تحقيقه أو حتى تداول لفظ فضلاً عن حالة الشعور بالضعف والفرقة والتشرذم التي تعانيها الأمّة اليوم ، ليتمّ اعتباره أحد العوامل الجوهريّة فيما وصل إليه المسلمون في وقتنا الرّاهن . يضحى إذن السّبيل إلى استعادة المعنى الحقيقي لمفهوم (حريّة الرأي) ودوره في المجتمع في تجاوز تلك الفهوم الخاطئة عنه والاستعانة بمنهج القرآن الكريم لإعادة بناء هذا المفهوم مجدّداً في ضوء دلالته اللغويّة ، التي تجعل من هذا المفهوم يتبلور في معنبين اثنين :

أحدهما: هو أن يسلك الإنسان أساليب وطرق النظر العقلي دون قيد أو مؤثر .

والثاني: أن يكون في قدرة الإنسان إبداء ما يراه ويعتقده إشاعته بين الناس دون قيد أو مؤثر .(١٨٦) وحريّة الرّأي بهذين المعنيين مؤصّلة في القرآن الكريم مفسّرة عمليّاً في السّيرة النبويّة وحياة الصّحابة الكرام .

ولمَّا كان مفهوم (العبوديَّة) في الإسلام يعني سعياً مستمرَّا من الإنسان للتحرَّر والانعتاق من نير الآخرين وفتنة الشهوات والأهواء خلوصاً لله تعالى (١٨٧) ، فإنّ حريّة الرأي والتعبير عنه هي سعي مستمر لحفظ كرامة الإنسان على المستويين: الفردي والجماعي .

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وبموجب هذه القناة يتمكن كلّ فرد في المجتمع الإسلامي أن يمارس حريّة الرّأي أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، ابتغاء الأجر عند الله تعالى: رُنْ نَ ذَذْ تُ تُ تُ تُقُرُ ودعا القرآن إلى تكوين عصبة قائمة على الحق ترابط في رعاية هذا المبدأ

١٨٦- ينظر: القرآن وحريّة الرّأي ، ص١.

۱۸۷ - ينظر: التعريفات: ١١٦.

١٨٨- سورة البقرة: ١٧٠ . ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٥/٢.

١٨٩ - سورة غافر : ٢٩ . ينظر: تفسير الَّقرآن العظيم : ٩٩/٤ .

<sup>&</sup>lt;sup>١٩٠</sup>- القرآن وحريّة الرّأي : ٢-١ .

<sup>&</sup>lt;sup>191</sup>- سورة النحل: ١٢٥.

ثالثًا: الشورى وإسداء النصيحة: فالشورى هي القناة الرّئيسيّة لنداول الرّأي في المجتمع الإسلامي وعَلاقة الشورى بحريّة الرّأي عَلاقة وثيقة، بحيث لا يُمكن تصوّر أيّ وجود للشورى خارج نطاق الرّأي والرّأي الحرّ الآخر.

إنَّ تحقيق الوحدة الفكريّة بين المسلمين ضرورة وواجب شرعي ، وإذا كان القرآن الكريم قد اعتبر العقيدة أصلاً يؤسّس لهذه الوحدة ، فإنّ حريّة الرّأي وإبداءه هي الآلية التي اعتمدها لتمتين هذا الأصل والشدّ من أزره ، وإذا استطعنا أن نستوعب هذا المفهوم بمعزل عن إسقاطات الماضي ومؤثراته التي منحته شحنة سلبيّة ، وتعاملنا معه على أساس كونه وسيلة لسلوك الإنسان أساليب النظر العقلي ، ومن ثمّ القدرة على إبداء ما توصل إليه هذا الفكر دون قيد أو مؤثر ، وصولاً إلى عدّ أدنى من الوحدة إسلامي في إعمال العقل لنيل المعارف، فإنّ ذلك سيسهم بلا شكّ في التوصل إلى حدّ أدنى من الوحدة الفكريّة للامّة ، تكون ركيزة للتأسيس والبناء فيما بعد . (١٩٤)

وهو الأمر الذي يُمكننا إسقاطه على كثير من معطيات واقعنا ، فعلى سبيل المثال : تعد الوحدة مطلبا جوهرياً لجميع فصائل المقاومة الفلسطينية ، وممارسة الحرية في إبداء الرأي بما يعني من ظهور بوادر الاختلاف بين الآراء يجب ألا يؤدي في ضوء ممارسة الشورى وحرية الرأي إلى حجر علي تلك الآراء والتصورات ، بل إن ما يجب القيام به هو توحيد تلك الجهود الصنادة والنوايا الطيبة والاستفادة من تعدد الآراء واختلافها ، للوصول إلى قواسم مشتركة ومنهاج عمل موحد ، يخدم القضية الأساس ولا يفرط بأي حق من الحقوق التاريخية فاختلاف الآراء وتعدها سنة إلهية في البشر ، لكن التعامل معها بإيجابية هو ما يغني حالة الوفاق والوحدة ، فيما يؤدي الاستبداد بالرائي والتقرد باتخاذ القرار إلى تشتيت الجهود وزعزعة الوحدة ، ونثر بذور الفرقة والتشرذم من حيث ظهر الأخرون خلاف ذلك .

#### رابعاً: السّلام:

إنَّ السَّلام مبدأ من المبادئ التي عمّق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين ، فأصبحت جزءا من كيانهم وعقيدة من عقائدهم . وقد صاح الإسلام - منذ طلع فجره ، وأشرق نوره - صيحته المدويّة في آفاق الدّنيا يدعو إلى السّلام ، ويضع الخطة الرّشيدة التي تبلغ بالإنسانية إليه ، والإسلام يحب الحياة ويقدّسها ويحبب الناس فيها ، وهو لذلك يحرّرهم من الخوف ويرسم الطريقة المثلى؛ لتعيش الإنسانية متجهة إلى غاياتها من الرّقي والتقدّم وهي مظللة بظلال الأمن الوارفة .(١٩٦)

ولفظ الإسلام - الذي هو عنوان هذا الدّين - مأخوذ من مادة السّلام ؛ لانّ السّلام والإسلام يلتقيان في توفير الطمأنينة والأمن والسّكينة . وربّ هذا الدّين من أسمائه (السّلام ) ؛ لأنه يؤمن الناس بما شرع من مبادئ ، وبما رسم من خطط ومناهج .

وحامل هذه الرّسالة هو حامل راية السّلاّم ؛ لأنه يحمل إلى البشريّة الهدى والنور ، والخير والرّشـــاد والقرآن يحدّث عن رسالته ، فيقول : رْ ك ك گ گ گ رُ (١٩٧) .

وتحيَّة المسلمين التي تؤلف القاوب وتقوَّي الصلات وتربط الإنسان بأخيه الإنسان ، هي السلام وأولى الناس بالله وأقربهم إليه من بدأهم بالسلام ، وبذل السلام للعالم وإفشاؤه جزء من الإيمان، وقد جعل الله تحيّة المسلمين بهذا اللفظ ؛ للإشعار بأنّ دينهم دين السّلام والأمان وهم أهل السلم ومحبو السّلام .

۱۹۲ - سورة المائدة: ۷۸

۱۹۳ - سورة الشورى : ۳۸ .

١٩٤٠ - ينظر: القرآن وحرية الرأي: ٢.

١٩٥- ينظر: المرجع نفسه.

١٩٦٠ - ينظر: فقه السنة: ٢/ ١٠٩ - ١١٠ .

١٩٧- سورة الأنبياء: ١٠٧.

وما ينبغي للإنسان أن يتكلم مع إنسان قبل أن يبدأه بكلمة السلام ؛ وسبب ذلك: أنّ السلام أمان و لا كلام إلا بعد الأمان والمسلم مكلف و هو يناجي ربه بأن يسلم على نبيّه و على نفسه و على عباد الله الصلاحين ، فإذا فرغ من مناجاته لله و أقبل على الدّنيا ، أقبل عليها من جانب السلام و الرّحمة و البركة وفي ميدان الحرب و القتال إذا أجرى المقاتل كلمة السلام على لسانه و جب الكف عن قتاله يقول تعلى: ره عرئ عرف أن الله أن المراه المراه المراه و القتال إذا أجرى المقاتل كلمة السلام على لسانه و جب الكف عن قتاله يقول تعللي تعالى: ره عرئ عرف أن الله أن المراه المراه

وتحيّة الله للمؤمنين تحيّة سلام :  $(1^p)$   $(1^p)$   $(1^p)$  ،  $(1^p)$  ،  $(1^p)$  ،  $(1^p)$   $(1^$ 

وكثرة تكرار هذا اللفظ - السَّلام - على هذا النحو ، مع إحاطته بالجو الدّيني النفسي ، من شانه أن يوقظ الحواس جميعها ، ويوجّه الأفكار والأنظار إلى هذا المبدأ السّامي العظيم اتجاه الإسلام نحو المثاليّة ، بل إنّ الإسلام يوجب العدل ويحرّم الظلم ، ويجعل من تعاليمه السّامية وقيمه الرّفيعة من المودّة ، والرّحمة ، والتعاون ، والإيثار ، والتضحية . (٢٠٤)

وممَّا ينبغي علينا هنا أن نستشهد بمثال قرآنيّ نهتدي به إلى السَّلام ، ومنها أنه لمَّا انتشر الفساد في الأرض وعمّ البلاء بعبادة الأصنام في ما مضى ، بعث الله عباده ورسله إلى جميع خلقه، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهوهم عن عبادة ما سواه ، فكان أول رسول بعثه الله إلى الأرض هو نوح 👊 - كما ذكره المحدِّثوُن - (٢٠٠) فلمّا بُعث إلى قومه حاورهم ودعاهم إلى إفراد عبادة الله وحده وألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً وأن يعترفوا بوحدانيّتـــه ، وأنّ لا إلـــه غيره و لا ربّ سيواه كما أمر سبحانه من بعده من الرُّسل الذين هم كلهم من ذريّته: ثر أب ب ب ب رُ (۲۰۱۱) ، فَنَادَى بُهِم : رُ کُ کَ کَ گُ گُ کُ کُلُو کُلِ گُلُ گُ رُ (۲۰۷۱) . عَنْ قَتَادَةً قُولُهُ : رُكُ گُ كَمِّ كُلُّ رْ ، قال : " أرسل الله المرسلين بأن يُعبَّد اللهُ وحده و أن تتقي محارمه و أن يُطاع أمره " . (٢٠٨) وصر ح لهم قائلاً: رث ف ق ق ق ق ق ق ق ق ج ج ج ج ج ج ش (٢٠٩)، وقال: ربه ه هه ه ع ح خ ئے ڭ ڭ ژ (۲۱۰) ، وهذا هو صلب موضوع المحاورة السَّلميَّة إذ اختار نوحٌ 🛛 ألفاظاً بسيطة المعنى ، سريعة الوصول إلى أذهانهم ، لا تعقيد فيها ، ولم يكن خيالاً أدبيًّا فكان هذا التعبير : ﴿ وَقُفَّ قُ ق قَ جِرْ ، رْ ٨ هِ ٩ هه رْ ، ثُمّ يخوّفهم ويُهدّدهم بعد إعلامهم موضوع رسالته التي جاء من أجلها في تبليغهم بوجود الخالق الصتانع ووحدانيّة ذلك الموجد جلّ في عُلاه ، وبعد ملأ نفوسهم حـــذرا ورهبـــة من العصيان والنَّفور قال: رُج ججج جرُّ ، وهذا بعد ذلك التمهيد المسبق وتلك الصّياغة العظيمة وبسط التحاور السلمي في جذب هؤلاء .. حتى قال: رْ ككككك گ كَگَ ڳڳڳ ڳڳُ كُ رُ فبيَّن لهم تأكيد هدفه في دعوته لوجود الخالق وتوحيده بعد إبداء عطف لهم ؛ ليحدث في

١٩٨ - سورة النساء : ٩٤ . ينظر: فقه السنة : ٢/ ١١١ .

١٩٩ - سورة الأحزاب : ٤٤ .

٢٠٠ - سورة الرعد : ٢٣- ٢٤ .

۲۰۱ - سورة يونس : ۲۰ . ۲۰۲ - سرة الأناب ۲۰۲

٢٠٠٢ - سورة الأنعام : ١٢٧ .

۲۰۳- سورة الواقعة : ۲۵- ۲۹ . ۱۲/۲۰ . بنظر: فقه السنة :۱۱۲/۲.

٠٠٥- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٣٧٢/٦، شرح النووي على صحيح مسلم: ٥٥/٣.

٢٠٦ - سورة الصافات: ٧٧ .

۲۰۷ - سورة نوح: ۲ - ۳.

٢٠٨ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٦٣٠/٢٣ .

۲۰۹ - سورة الأعراف : ٥٩ . ٢١٠ - سورة هود : ٢٦ .

نفوسهم الرّهبة والنهيؤ فجاء بهذه الصّياغة المختارة : ﴿ كَكُمُّ كُ كُو بِكَامِلُ السَّلْمِ وَالأَدْبِ لَ

وما نقله الإمام القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنها محكمة (٢١٣) ، وكذلك كلام الإمام الترمذي عند قوله تعالى: ثرث ثر (٢١٤) ، بأن ذلك رخصة في حالة الخوف والضعف مع اشتراط سلامة الدّاخل في القلب ، فإن مفهومه أنها محكمة وباق العمل بها عند اللزوم ومفهومه أن المؤمنين إذا كانوا في حالة قوة وعدم خوف وفي مأمن منهم ، وليس منهم قتال ، وهم في غاية من المسالمة فلا مانع من برهم بالعدل والإقساط معهم ، وهذا ممّا يرفع من شأن الإسلام والمسلمين ، بل وفيه دعوة إلى الإسلام بحسن المعاملة وتأليف القلوب بالإحسان إلى من أحسن إليهم ، وعدم معاداة من لمعادهم وممّا يدل لذلك من القرائن التي نهينا عنها سابقاً ما جاء في التنبيل لهذه الآية بقوله تعالى : ثر ثر ثر ثر گ ثر فهذا ترشيح لما قدّمنا كما قابل هذا بالتنبيل على الآية الأخرى . (٢١٥)

وإذا ما رجعنا إلى عموم اللفظ وجدنا الآية صريحة شاملة لكلِّ من لم يناصب المسلمين العداء ولم يظهر سوءا إليهم ، وهي في الكفار أقرب منها في المسلمين ؛ لأنّ الإحسان إلى ضعفة المسلمين معلوم بالضرورة الشرعيّة ، وعليه فإنّ دعوى النّسخ تحتاج إلى دليل قويّ يُقاوم صراحة هذا المنص الشامل وتوفر شروط النّسخ المعلومة في أصول التفسير . (٢١٦) وقد عقد الإمام البخاري بابا أسماه : (باب الهديّة للمشركين) وروى فيه : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذْ قَالَتْ : ((قدمتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِي مُشْركة فِي عَهْدِ رَسُول اللَّهِ ٢ ، قاستفتيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ٢ ، قَلْتُ : وَهِيَ رَاغِبَة أَفَاصِلُ أُمِّي ، قَالَ : «نَعَمْ صلِي أُمَّكِ » )) . (٢١٧)

وفي رواية أخرى ، قالت: (( أتتني أمِّي رَاغِية فِي عَهْدِ النَّبِيِّ  $\mathbf{r}$  ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ  $\mathbf{r}$  ، آصِلِهَا ؟ قــالَ: «نَعَمْ » )) . قالَ ابْنُ عُيْيَنَة : " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا : رُج چ چ چ چ چ چ چ چ چ رُ " . (٢١٨) ابْن قسمٌ مسالمٌ لم يُقاتل المسلمين ولم يُخرجهم من ديارهم ، فلم ينه الله المسلمين عن برهم والإقساط إليهم وقسمٌ غير مسالم يُقاتل المسلمين ويُخرجهم من ديارهم ويُظاهر على إخراجهم، فنهى الله المسلمين عن مو الاتهم وفرق بين الإذن بالبر و القسط ، وبين النهى عن المو الاة و المودة . (٢١٩)

٢١١ - سورة الممتحنة: ٨.

٢١٠٠ - جامع البيان في تأويل القرآن: ٣٢٣ / ٣٢٣.

٢١٣- الجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٤٠.

٢١٤ - سورة آل عمرن : ٢٨ .

٢١٠- ينظر: مختصر الشمائل المحمديّة: ٢٢٨.

٢١٦ - ينظر: مختصر الشمائل المحمديّة: ٢٢٨ .

٢١٧- صحيح البخاري : باب: (الهدية للمشركين)، برقم: (٢٤٧٧) :٩٢٤/٢ ، صحيح مسلم : باب: (فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين) ، برقم: (١٠٠٣) : ٦٩٦/٢ .

٢١٨- صحيح البخاري: باب: (صلة الوالد المشرك) ، برقم: (٥٦٣٣): ٥٢٣٠٠ .

٢١٩- ينظر: مختصر الشمائل المحمدية: ٢٢٧.

وهذا من محاسن الإسلام وسمو تعاليمه وإنّ العالم كله اليوم لفي حاجة به ماسّة إلى معرفة هذه التعاليم السّماوية السّامية حتى مع أعدائه ، علما أنّ القرآن الكريم قد نصّ في أكثر من موطن على تحريم الاعتداء على غير المحاربين ، وأمر سبحانه بقتال الذين يُقاتلون المسلمين فحسب ، ونهى عن العدوان إذ قال : رُ (٢٢٠) وقد أجرم من نسب

وهذا الأمر يدعونا إلى كيفية الاستفادة من هذه الفرص المتاحة في الحوار والسللم وطرح الآراء بعيدا عن الإكراه والقسر ، كما أنه يقودنا إلى مكانة السلام مع الآخرين في ديننا الإسلامي وتراثنا الطويل . إذ الإسلام كله دعوة دائمة للسلام مع الآخرين ، بل هو دعوة خالصة للسلام ولحوار الحضارات لبيان زيف الحضارة المادية وانطلاقها من الماديّات فقط وإثبات صحة منهج الحضارة الإسلامية القائمة على مراعاة الماديّات والرّوحانيّات معا .

إنَّ الإِسلام يدعوا إلى السَّلام ، ويرفض الحرب والقتال للتملك والقهر ، ويذهب في سبيل إقرار السّلام إلى حدّ الدّعوة إلى الإحسان إلى الذين لم يقاتلوا المسلمين في دينهم وإن كانوا على غير دينهم : رُجِ ﴾ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ د دُ دُ دُ دُ دُ دُ دُ رُ رُ رُ رُ رُ ك ك رُ .

ومن هذا يتبين ما ينطوي عليه موقف الإسلام - فيما يتعلق بمبررات الحرب - من حرص على حماية النفس الإنسانية واحترام الحياة ، فهو لا يبيح الحرب وما تقتضيه من إزهاق بعض الأنفس إلا

٢٢٠ ـ سورة البقرة: ١٩٠ .

٢٢١ - سورة الممتحنة: ٩.

٢٢٢ - ينظر: الحريّة الدينية في الإسلام: ٧٣ ، ٨٨ .

٢٢٣ - سورة البقرة : ١٩٤ .

۲۲۶ ـ سورة النساء : ۹۰ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢٢٥</sup>- سورة الأنفال: ٦١.

۲۲۱ - سورة الشورى : ٤٨ .

٢٢٧ - ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٦٤.

٢٢٨- جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٤/ ٣٨٩ .

۲۲۹ - سورة يونس: ۱۰۸.

ولعلّ من منافاة السّلام وأوسعه انتشاراً في الوقت الحاضر أسلوب اللجوء السي العنف والسي زرع المتفجرات والقائها على الأبرياء والأحياء والمجمّعات السّكنيّة كما حدث في تفجيرات بعض السدّول الإسلاميّة على حجة قتل السّقير الكافر والشخص المشرك وما شاكل من تلك الحجج الواهية .. حتى ينتج عن ذلك دمار للمنشآت والاعتداء على الأشخاص من الرّجال والنساء والأطفال والشيوخ سواء كانوا من أبناء البلدة نفسها أو المقيمين ، وما أثارته تلك التفجيرات من رعب وفزع وقتل للأبرياء وتدمير للمنشآت وترويع للآمنين وعدوان على الدّين . (٢٣٢)

والقرآن ليس معجزاً للعرب وحدهم فحسب ، وإنما هو معجز للعربيّ وغير العربيّ ؛ لأنّ دعوة الإسلام دعوة عالمية ليست مرتبطة بلغة معيّنة، ولا بوطن خاص، وإنما هي دعوة تحتوي العالم بأسره ومن أجل ذلك كان القرآن معجزاً لكلّ الأمم .

كما أنَّ الإسلام دين عالمي ، ودعوة كلّ العالم إلى الإسلام ، وأنّ الإسلام دعوة عالميّة ليست خاصّة بالعرب ، ليست خاصّة بالجزيرة ، فالإسلام للعالمين ، ولذلك النبي r لما انتهى من الجزيرة أرسل الرّسائل خارج الجزيرة ، وأرسل رسائل دعوة للرّوم وللفرس ولغيرهم، فليس مختصّاً بفئة دون أخرى.

و لا نجد في القرآن ، الذي حوى من العلم والحكمة والمثل والعظة والشريعة والهدى ، وغير ذلك من الأيات ما لا سبيل إلى حصره ، ما تجسد في كتب العلم والحكمة وغيرها ، من الألفاظ المستغلقة أو المصطلحات التي لا يفهمها إلا الخاصة من أصحابها .

.. وبهذا كله وغيره ممّا ورد في الأساليب القرآنية كافة ، وبما حققته هذه الأساليب للجماعة والفرد من اطمئنان وأمان ثابتين وبما أقامته من مثل عُليا وغايات سامية للحياة البشرية ، فإنّها قد وضـعت أقوم الأسس للاستجابة لها سواء من ناحية الفرد أو المجتمع ، وبهذا سما الأفراد والجماعة إلى ذروة الكمال الإنساني بإيمانهم وسلوكهم .

<sup>.</sup> ٢٥١ - سورة البقرة : ٢٥١ .

٢٣١ - ينظر: الإعلام في القرآن: ١٣٠ - ١٣١ .

٢٣٢- ينظر: قانون السّلام في الإسلام: ٨٠٤.

٢٣٣ - سورة الزمر: ٢٣ .

٢٣٤ - سورة الأنعام: ١١٦ ، ١٢٦ .

## الفصل الرّابع شمولية دعوة القرآن الكريم

وعلى ضوء ما تقدّم يُمكن القول إنَّ الإسلام - الذي دعا إليه القر آن - قد استوعب كلّ حاجات البشر الماديّة والرّوحية وإنه لم يفرّط في كبيرة أو صغيرة تتصل بهذه الحاجات من قريب أو بعيد .

وفي هذا الشمول والاستيعاب الكامل يقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود: "والدّعوة الإسلاميّة عالميّة ونسخت لما قبلها من الدّعوات؛ لأنّ كلّ دعوة قبلها جاءت لتعالج ناحية من نواحي حياة الإنسان، فجاءت الموسوية لعلاج الوثنيّة وتحويل الناس إلى توحيد الله وجاءت العيوسيّة وقد أصبح الناس ماديّين ولا شيء يقدّسونه إلا المادة فاهتمت ديانة عيسى – عليه السلام - بالناحية الرّوحية والأخلاق، وغرست في نفوس ابتاعها مزيدا من التسامح والوداعة والرّحمة، ثمّ جاءت المحمديّة وقد استوت البشريّة على حال تمّ عليها أن تسير في طريق يؤدي إلى دين متكامل الجوانب يعالج مشكلات الحياة كلها ويرسم لها الحل السمّاوي السّوي الذي لا حلّ سواه، ولذلك كانت الدعوة جديرة أن تلغي ما سبقها من الدّعوات إلغاءً تفصيليا مع الاعتراف بها من ناحية الإجمال، ودليل نسخها لغيرها من الشرائع كان في أنها لم تكنف بعلاج ناحية واحدة أو أكثر في حياة الإنسان وإنما عالجت كلّ حالات الإنسان "(٢٣٦).. ولخص ذلك الشيخ مُحمّد رشيد رضا -رحمه الله- فيما يأتي (٢٣٦):

- كان الدّين الإسلامي وسطا جامعاً لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة وهو نــص قوله تعالى : رُقْ قُ قُ قُرْ ، أي : إنّ المسلمين وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجيدة والمنافع الماديّة كاليهود ، والذين يغلب عليهم التعاليم الرّوحية وتعيب الجسد وإذلال الــنفس والزهد كالهندوس والنصارى ، وإن خالف هذه التعاليم أكثرهم .
- غاية الدّين الإسلامي هي سعادة الدارين و لا يمكن الوصول إليها إلا بتزكية النفس بالإيمان الصحيح ، ومعرفة الله ، والعمل الصالح ، ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال لا بمجرد الاعتقاد والاتكال و لا الشفاعات وخوارق العادات .
- كون الغرض من الدعوة الإسلامية التعارف والتآلف بين البشر لا زيادة التفريق والاختلاف كما يزعم أعداء الأديان ؛ لأنّ الدّين الإسلامي عام مُكمّل للأديان التي جاء بها سائر رسل الله وبذلك امتازت أمّة مُحمّد صلى الله عليه وسلم بأنه مطالبة بالإيمان بسائر الرسل إيمانا إجماليا فقد قص القرآن أولئك الأنبياء ومهد إلى الألفة والأخوة الإنسانية العامة ، وتلك هي حجّة الإسلام على سائر الأمم ليكون جديرا بمنصب الإمامة في الناس : رق ف ق ق ق ق ق ق ق ج ج ج ج ج ج ث ، بالأمّة الإسلامية هي الأمّة الوسط العدل في الإيمان بجميع الرسل ، والرسول صلوات الله عليه شاهد على الأمّة الإسلامية يوم القيامة هل أدت رسالتها في تبليغ

٢٣٥- الإعلام في القرآن: ١٣٨.

٢٣٦- الوحي المحمّدي: ٢٤.

الدعوة الإسلامية إلى سائر الناس -كما تقول الآية- أم قصرت في ذلك واتبعت نزعات الشياطين ؟ وهكذا تكون أمّة المسلمين على الناس دليلاً على شمولية دعوتهم وعمومها .

- قلة التكاليف في الشريعة الإسلامية وبساطتها وسهولة فهمها وتنفيذها ، فقد كان الإعرابي يجيء النبيّ صلى الله عليه وسلم من البادية فيعلمه الرسول r ما أوجب الله وما حرم عليه في مجلس واحد ، فيعاهده الأعرابي على العمل بما تعلم في ذلك المجلس ، وكان هذا من أعظم أسباب قبول الناس للدّعوة وإقبالهم على الدّين الإسلامي الحنيف .
- نصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة يراعيان درجات تفاوت البشر في العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها ، فالقطعي منها هو العام وغير القطعي تتفاوت فيها الإفهام فيأخذ كل أحد منه بما أداه إليه اجتهاده ، ولذلك كان النبي ٢ يقر كل أحد من أصحابه فيه على اجتهاده ، كما

٢٣٧ - سورة البقرة: ١٨٥ ، ٢٨٦ .

٢٣٨ - سورة الحج: ٧٨.

٢٣٩ - سورة المائدة: ٦.

٢٤٠ - سورة البقرة: ٢٢٠ .

٢٤١ - سورة الأعراف: ٣١.

٢٤٢ - السورة نفسها : ٣٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>۲٤۳</sup>- سورة المائدة: ٧٧ .

۲٬٬۰ سورة فاطر: ۳۲.

فعل عندما نزلت آية البقرة (۱۶۰) في الخمر والميسر الدّالة على تحريم دلالة ظنية فتركها بعضهم دون بعض ، والآية هي : ژ و و ي ي بب

- معاملة الناس بظواهرهم وجعل البواطن موكولة إلى الله سبحانه ، فليس لأحد من الحكّام و لا الرؤساء الرّسميين و لا لخليفة المسلمين نفسه ، أن يعاقب أحدا و لا أن يحاسبه على ما يعتقد أو يضمر في قلبه ، وإنما العقوبات في الإسلام على المخالفات العمليّة للأحكام العامّة والمتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم .
- مدار العبادات كلها على إتباع ما جاء به النبي في الظاهر ، فليس لأحد فيها رأي شخصي ولا رئاسة ... ومدار العبادات في الباطن على الإخلاص لله تعالى وصحة النيّة ... والأيات والأحاديث في الأمرين كثيرة .

فالدِّين العام ضرورة عقليّة ؛ لأنّ ما سقناه من الحجج يوصلنا إلى نتيجة واحدة هي أنه لا عدر للإنسان في أيّ مكان أو زمان عن قبول دعوى القرآن هذه ، وأنه لا سبيل لسعادته إلا بذلك ، وتلك الحجج والبراهين تلجئنا بني الإنسانية جمعاء إلى قبول تلك الدعوى طائعين أو مكرهين ، ولكننا إذا تدبّرنا القرآن عكفنا على دراسته ، دراسة واعية مستبصرة متأمّلة عرفنا أنّ الأمر ليس كذلك ، فإن الآيات البيّنات والبراهين القاطعة التي جاء بها القرآن الكريم مستدلاً بها على دعواه أسمى من ذلك شرفا وأجلّ قدرا ، فإنها تحتنا وترغبنا في أن ندين بدين الله دين الحق دين الإسلام ، وقلوبنا مطمئنة بالإيمان مقتنعة بصدق كلمتها بدلاً من أن نقبل دعوته مكرهين أو مضطريّن لا ينشرح لها خاطرنا ولا تطيب لها نفوسنا ،.. وأقوى تلك الحجج والبيّنات المبثوثة في سور الكتاب العزيز وآياته البيّات وأشفاها للصدور وأقربها للعقل أربع ، هي التي صرف فيها القول وأعيد ذكرها مرارا بأساليب مختلفة مبتكرة وهي :

\* إنَّ الإسلام هو المنهاج الصحيح للحياة البشرية كلها ؛ لأنه يوافق الحقيقة على ما هي عليه في الأمر نفسه ، وكل طريق دونه ، ليس من الحقيقة في شيء كما ورد في التنزيل : رُّ

۲۱۹ : آية

۲٤٦ - آية : ۹۰

٢٤٧ - سورة العنكبوت ٢٣

۲٤٨ - سورة آل عمران: ٨٥.

رُ (٢٤٩).. فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله والكافر مستسلم لله كرها

، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم ، الذي لا يخالف و لا يمانع . (٢٥٠)

\* هو المنهاج الوحيد الصحيح للإنسان ؛ لأنه هو الحق ولا يصبح له طريق آخر حقا وعدلاً كما قال سبحانه :  $\dot{\tau}$  د  $\dot{\tau}$  د

رُّبٍ بِ بِ نَ نَ نَنْرُ (٢٥٦) بمعنى : " أنّ هدى الله هو الذي يهدي إلى الإسلام ، وهو الهدي الحق ، والذي يصلح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى ، وما يدعون إلى إتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى ".(٢٥٧)

\* هو الصرّراط المستقيم للإنسان ؛ لأنه لا يُمكن أن يقومَ العدلُ إلا به ، وأيّ طريق يسلكه الإنسان دون هذا الطريق لا بدّ أن يفضي به إلى الظلم ويحيد به عن طريق العدل ، كما قال جلّ شأنه : ژ

رُ (۲۰۸) ؛ لما نهى عن اعتداء الحدود، وهو تجاوزها ، وكان ذلك خطاباً لمن سبق له الخطاب قبل ذلك ، وأتى بهذه الجملة الشرطيّة العامّة الشاملة لكلّ فرد فرد ممّن يتعدّى الحدود أو يتجاوزها . (۲۰۹)

٢٤٩ - سورة آل عمران: ٨٣ .

٠٠٠ ـ ينظّر: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٦٢، الإعلام في القرآن: ١٤٢.

٢٥١- سورة الأعراف: ٥٤.

٢٥٢- ينظّر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٦/ ٤٨٤ .

٢٥٣ - سورة آل عمران: ٥.

<sup>&</sup>lt;sup>۲۰۶</sup>- سورة فصلت : ٤٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢٥٥</sup>- سورة البقرة : ٢٥٥ .

٢٠٦- السورة نفسها: ١٢٠ .

٢٥٧ - التفسير الكبير (تفسير الرازي): ٣٤/٤ - ٣٥ .

٢٥٨ - سورة البقرة : ٢٢٩ .

٢٥٩ - ينظر: البحر المحيط: ٢/ ٤٧٦.

والقرآن الذي قرّر هذا المبدأ حين دعا إلى الإيمان ، جعل النظر في الكون وخلقه ونظامه وتدبيره من أهمّ الوسائل التي تهدي الناس بالعقل والتأمّل إلى الله الذي خلق كلّ شيء ودبره .

#### الفصل الخامس

## دور القرآن في حفظ الضرورات الخمس

عني القرآن الكريم بالضرورات (٢٦٤) الخمس: الدّين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال لسلامة وأمن حياة الفرد والمجتمع واستقرارهما ، حتى عني علماء المسلمين بهذه الضرورات وتوسّعوا بها وبيّنوا أنها أقوى المراتب في مصالح العباد وأنها هي مقصود الشرع.

قال الآمدي: " إنّ حفظ هذه المقاصد الخمسة من الضروريات و هي أعلى مراتب المناسبات". (٢٦٥) وعن علة حصرها بالخمسة ، قال: " والحصر في هذه الخمسة الأنواع إنما كان نظراً إلى الواقع العلم بانتفاء مقصد ضروري خارج عنها في العادة ". (٢٦٦)

.. هذا وسأتطرَّق لكلِّ واحدة منها في مبحث خاص -وبإيجاز - ؛ لما لها من ارتباط وثيق فـــي بنـــاء المجتمعات وحفظها وتوجيهها نحو الحق والخير ، ولما لها من صلةٍ بموضوعنا ، وهي كالآتي ..

## المبحث الأوّل .. حفظ الدّين

٢٦٠ سورة الرعد: ٢- ٤.

٢٦١ - سورة الحج: ١٨ .

٢٦٢ - سورة الملك : ١٩ .

٢٦٣ - السورة نفسها: ٣٠.

<sup>&</sup>lt;sup>77\*</sup>- ومعناها: (أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرّجوع بالخسران المبين ). الموافقات في أصول الفقه: ٨/٢.

٢٦٥ - الإحكام في أصول الأحكام: ٣٠٠/٣.

٢٦٦ - المصدر نفسه .

الدّين الحق مصلحة ضرورية للناس ؛ لأنه يُنظم عَلاقة الإنسان بربه ، وعَلاقة الإنسان بنفسه وعَلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومجتمعه ، والدّين الحق يُعطي التصور الرّشيد عن الخالق ، والكون والحياة والإنسان ، وهو مصدر الحق والعدل ، والاستقامة ، والرّشاد .(٢٦٧)

والمقصود بحفظ الدّين والدّفاع عنه كما بيّنه الماوردي بقوله: "حفظ الدّين على أصوله المستقرّة وما أجمع عليه سلف الأمّة. فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل والأمّة ممنوعة من زلل ". (٢٦٨) وقال أيضاً: "ومنها إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام إذ لا يمكن الادعاء بحفظ الدين مع ترك المفاسد والمنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك ". (٢٦٩)

ولذا يقول برجستون : "لقد وجدت - وتوجد - جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة " . (٢٧١)

ويدلّ على ضرورة حفظ هذا الدّين وجوب العمل به بعد الدخول فيه والإيمان به ، وأنّ من لم يدخل فيه ولم يعمل به فهو خاسر في الدّنيا والآخرة ، ومن دخل فيه وآمن به فهو فائز في الدّنيا والآخرة والحدّ الأدنى للعمل بهذا الدّين هو التزام فرائضه واجتناب نواهيه ، قال تعالى :  $(7^{(7)})$  فإذا ما اشتغل المسلم بحفظ هذا الدّين بالعمل بالحدّ الأدنى منه فقط كان عضوا صالحاً في المجتمع وكان بعيداً عمّا حرّم الله ورسوله عبادةً لربه وليس خوفاً من الناس فحسب وسلم من الخسران .

ونظراً لتلك الاعتبارات حافظت شريعة الإسلام على الدين ، سواء من حيث غرسه في النفوس وتعميقه فيها ابتداءً ، أو من حيث تدعيم أصله وتعهده بما ينميه ويحفظ بقاءه استمرارا ودواما وشرعت لذلك الوسائل الآتية (٢٧٤):

\* وسائل حفظ الدّين من جانب الوجود : من وسائل غرس الدّين في النفوس ابتداءً في الشريعة الإسلاميّة ، الوسائل الآتية :

۱- ترسيخ اليقين بأصول الإيمان وأركانه ، وهي الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، يقول الله تعالى : (2 + 2) (2 + 2) (3 + 2) (3 + 2) (3 + 2) (4 + 2) (4 + 2) (4 + 2) (5 + 2) (5 + 2) (6 + 2) (6 + 2) (6 + 2) (7 + 2) (7 + 2) (7 + 2) (8 + 2) (1 + 2) (1 + 2) (1 + 2) (1 + 2) (1 + 2) (1 + 2) (2 + 2) (3 + 2) (3 + 2) (4 +

٢٦٧ - حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة: ٥٨ .

٢٦٨ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ٥، ٧.

۲۲۹ المصدر نفسه: ۷.

۲۷۰ ـ سورة الروم : ۳۰ .

٢٧١ - ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: ٧.

٢٧٢ - سورة العصر: ١ - ٣ .

<sup>&</sup>lt;sup>۲۷۳</sup>- ينظر: الموافقات: ۲/ ۸.

٢٧٠- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: ٧- ١٠ ، حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة: ٥٧ - ٦٨ .

- $^{4}$  هه ههر  $^{(77)}$  ، ويقول: رُج چ چ چ چ چ  $^{4}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{2}$   $^{3}$   $^{2}$   $^{3}$   $^{4}$   $^{5}$
- - ٣- ژاَب بېبپېپيينٺنن ٿٿڙڻ ٿاڙڻ ٢٠٩٠).
- القيام بأصول العبادات وأركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج ، بعد النطق بالشهادتين فهذه العبادات من أهم أسرارها وحكمها أنها تصل العبد بربه وتوثق صلته به ممّا يُرسخ أصل الإيمان في نفسه ويجدّده ، يقول الرسول r ، فيما يرويه عن ربه : «... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ مِمّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...» . (٢٨٠) ويقول r : « بُني الإسلامُ على خَمْس : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إلاَ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقام الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْم رَمَضَانَ » (٢٨١)
- @ وسائل المُحافظة على الدّين من جانب البقاء : والمقصود بها الوسائل التي انتهجتها الشريعة في المحافظة على الدّين بعد حصوله ؛ لصيانته وإزالة العوائق من طريقه ، وتزكيته في النفوس .. ومن هذه الوسائل (٢٨٥) :
- كفالة حرية العقيدة والتديّن وحمايتها ، فالإسلام لا يُكره أحداً على اعتناقه ، ويسمح بتعايش مختلف الأديان داخل دياره وفي رحاب دولته ، ويترك الحريّة لأهل الأديان في عقائدهم وممارستهم التعبديّة وتصرفاتهم المدنيّة ، بل إنّ من أهداف الجهاد الإسلامي

٢٨٥ - سورة البقرة : ٢٨٥ .

٢٧٦ - سورة النساء: ١٣٦.

٢٧٧ - سورة الأعراف: ١٨٥.

۲۷۸ - سورة يوسف: ۱۰۵ .

٢٧٩ - سورة البقرة : ١٧٠ .

٢٨٠- صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : باب: (التواضع) ، رقم الحديث: (٦٥٠٢) : ٢١/ ٣٩٢ .

<sup>(</sup>١٠٠٠ المصدر نفسه: باب: (دعاؤكم إيمانكم) ، برقم: (٨) : ١/ ١٩ ، صحيح مسلم: باب: (قول النبي بني الإسلام على خمس) ، برقم: خمس) ، برقم: (١٢٢) :١/ ١٤٠ ، سنن الترمذي (الجامع الصّحيح) : باب: (ما جاء يني الإسلام على خمس) ، برقم: (٢٨١٣) : ١/ ٤٨٠ ، سنن النسائي : باب: (على كم بني الإسلام) ، برقم: (٢٠١٥) : ١/ ٢٠٠ ، مسند أحمد : برقم : (٢٠٠٤) : ١/ ٤٣٠ . وكلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

۲۸۲ ٔ سورة أقمان : ۱۷ .

٢٨٣ ـ سورة العلق : ٩ ـ ١٠ .

۲۸۰ - سورة البروج: ۱۰ .

<sup>·</sup> ٢٨٠ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: ١١- ١٣.

تأمين حرية الاعتقاد والتديّن ، قال تعالى : ژينكنذت تتك ثلثث ڤڤڤ ڤڤ ڤقة ڄڄڄڄج جڃچچچچچچچچچددِژ .(٢٨٦)

- الالتزام بتعاليم الدِّين وتطبيقها بعد القناعة بها ، وبذلك تظل للدِّين حيويَّته في النفوس وأثره في الوجدان ، ومن هنا قرن الإيمان والعمل الصاّلح في كثير من نصوص القرآن إذ كثيرا ما يرد في القرآن : (٢٨٨)
- تشريع عقوبة الرِّدة ، وذلك حتى يكون الإنسان جاداً في اعتناقه للإسلام ، وحتى لا يقدم على الإسلام إلا بعد قناعة تامّة ، فالإسلام لا يُكره أحداً على اعتناقه . بل إنّ الله لا يقبل من الدين إلا ما كان نابعاً عن قناعة من صاحبه ، فإذا دخله الشخص فمن المفروض أن يكون على قناعة بما اتخذ من قرار ، فإذا ارتدّ بعد ذلك فمعنى ذلك أنه أحدث بلبلة فكريّة وسياسيّة تضطرب بها أوضاع المجتمع ، ويفقد استقراره الفكري والنفسي المنشود ، كما قال تعالى مبيّنا دعوة المشركين إلى هذه السياسة : رْبِينْ نُنْتُ تُتُ تُتُ تُتُ تُقَقْقُ فَقْرُ (٢٨٩) ، ونظر الذلك شرعت عقوبة الرّدة ؛ حماية لجديّة الاعتقاد وحرمة الدين .
- إقامة سياج من الحاجيات والتحسينات كأداء الصلاة جماعة ، ونوافل العبادات المختلفة وبكل هذه التشريعات يتأصل الدين ، ويرسخ في نفس الإنسان وفي المجتمع ممّا يُحقق الأنس والسكينة والخير للفرد والمجتمع .

## المبحث الثاني .. حفظ النفس

أوجب الله تعالى حفظ النفس بأساليب شتى في النصوص والتشريع ، فقد ثبت الوعيد الشديد لمن اعتدى على النفس في الكتاب والسنة ، بل بعض العلماء من السلف ذهبوا إلى عدم توبة من قتل نفساً محرماً بغير حق .(٢٩٠)

و لا يكون حفظ النفس إلا بمشروعيَّة قوله تعالى : رُكُكْكُوُوُوْرْ . وقال  $\Gamma$  : «... يَا أَنَسُ ، كِتَابُ اللَّهِ القِصاصُ » . (٢٩١)

ولم يبح الشارع القصاص ممن ادعي عليه أنه اعتدى على النفس إلا بإقامة البيّنة ، وأوجب الله تأخير تنفيذ الحد أو القصاص إذا كان في ذلك ضرر على غير الجاني حتى يزول الضرر

٢٨٦- سورة النحل: ٤٠.

٢٨٧- الأيتان في سورتي: البقرة: ١٩٠، النساء: ٧٥.

٢٨٨- سورة البقرة : ٢٧٧ .

٢٨٩ ـ سورة آل عمران : ٧٢ .

٢٩٠ - ينظر: الإسلام وضروريات الحياة: ٤٩.

٢٩١- صحيح البخاري: باب: (الصلح في الدية)و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصاصُ فِي القَثْلَى الْحُرِّ بالْحُرِّ) ، رقم الحديث: (٢٧٠٣)، (٤٥٩٧) : ٢٦/١٤، ٢٦/١٤، ٢٦/١٤ ، سنن أبي داود: ياب: (القصاص في السن) ، برقم: (٤٧٦٩) : ٢٨٠ ، سنن ابن ماجه: باب: (القصاص في السن) ، برقم: (٤٧٦٩) : ٢٨٠/ ٢٧٪ ) : ٢٠/٨ ، وكلهم من حديث أنس (القصاص في السن) ، برقم: (٢٧٥١) : ٢٩٠/٨ ، مسند أحمد: برقم: (١٣٠٤) : ٢٧/ ٢٧٤ . وكلهم من حديث أنس بن النضر t .

وربط الشارع إقامة الحدود والقصاص بالإمام ونائبه حتى لا يستعجل في إزهاق النفوس البريئة .(۲۹۳) وإنَّه لولا القَصاص ؛ لِتَهَارَجَ الخَلقُ وَاختلَّ نظامُ المَصالِح .(۲۹۳)

ولم يجز الشارع قتل غير المؤلف ولو أتى ما يبيح به قتل المكلف ، وأباح للمضطر - بل قد يجب عليه- أن يتناول ما هو محرم عليه في الأصل لإنقاذ حياته . وفرض سد الذرائع الموصلة إلى قتل النفس .

فالإنسان إذا مسئول عن نفسه ، وهو مسئول عن تزكيتها وتهذيبها وإصلاحها ودفعها إلى الخير وحجزها عن الشر" ، قال تعالى : رُدُدُفُ فُقْقَ قَقَ جَجِجِجِجِجِجِجِجِدُ (٢٩٤) ، كما أنه مسؤول عن حفظها ورعاية صحتها وتمتعها في حدود المباح ، قال تعالى : رُ

ىيي ژ . (۲۹۰) ثمّ إنه منهي عن إتلاف

نفسه وإضعافها وتعذيبها ، فقد نهى الله تعالى عن الانتحار بقوله : ر جَهَ چَچَ چَچَ چَرِ . (٢٩٦) وقال ٢ : « مَنَ قَتَلَ نَقْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَديدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَبَّ مَنْ قَتَلَ نَقْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلِ فَقَتَلَ نَقْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » . (٢٩٧)

ولنعلم أنَّ ديننا الحنيف لم يكتف بسنِّ قوانين القصاص والحدود والكفارات والدّيات من أجل حفظ النفس فحسب ، بل إنه قرر تدابير للوقاية من جريمة القتل ؛ لأنَّ الإسلام إذا حرّم شيئا حرّم الأشياء التي توصل إليه ، ومن تلك التدابير للوقاية من الجرائم عامّة وجريمة القتل خاصّة : تقوية الوازع الدّيني عند المسلمين ، وتعظيم شعائر الله ، والتخويف من معصية الله ثمّ بعد ذلك بناء العكلقات الاجتماعية على المحبة والمناصحة والمناصرة بالحق ، وتأكيد النهي عن أسباب الخلافات والفرقة وإصلاح ذات البين بين المسلمين المتخاصمين . (٢٩٨)

فالذي يقرأ أحكام الدّين الإسلامي يجد أنَّ الإسلام قد أحاط حفظ النفس المسلمة بثلاث حصانات متينة..

الأولى: التهذيب النفسي الذي يشمل كافة العبادات ، وهي تمثل الجانب الإيماني في حياة المسلم .

٢٢٠/٥ : ينظر: الإسلام وضروريات الحياة : ٥٥ ، المحصول في علم الأصول : ٢٢٠/٥ .

٢٩٣- ينظر: البحر المحيط: ٧/ ١٠١.

<sup>&</sup>lt;sup>۲۹۶</sup>- سورة الشمس : ۲- ۱۰ . <sup>۲۹۶</sup>- سورة القصص : ۲۷ .

<sup>-</sup> سورة النساء: ٢٩٠ . ٢٩٠

۲۹۷- صحيح مسلم: باب: (غلظ تحريم قتل الإنسان نفسهُ..) ، رقم الحديث: (٣١٣): ١/ ٣٧٣ ، سنن الترمذي: باب: (ما جاء فيمن قتل نفسهُ بسُمِّ أو غيره) ، رقم: (٢١٧٩): ٨/ ٩٣ ، مسند أحمد: برقم: (٧٦٥٦): ١/ ١٨٧ ، سنن الدارمي: باب: (التشديد على من قتل نفسه) ، برقم: (٢٤١٧): ٧/ ٢٥٧ ، صحيح ابن حبان: باب: (الجنايات) ، برقم: (٣٥٨): ٣/ ٥٩٨): ٣/ ٥٩٨٠. وكلهم من حديث أبي هريرة t .

والثانية: تكوين رأي عام فاضل ، وهو يتمثل بجانب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم .

والثالثة: العقاب، وهو ما يتمثل بالحدود والقصاص والكفارات والدّيات. (٢٩٩)

وقد حرّمت الشريعة الإسلاميّة تعاطي كلّ ما يؤثر على صحة الإنسان أو عقله فإنّ من المقاصد العامّة الضروريّة لها حفظ النفس والعقل والمال .(٣٠٠)

والشباب الذي يربى على هذه المعاني التي تمنع الاعتداء على النفس وتوجب حفظها ، بعد أن يتعاطى المسكرات والمخدرات التي هي من أهم وسائل الاعتداء على النفوس ، يجد ضرر ذلك جليًا .(٢٠١)

.. ولانتشار ظاهرة تعاطي المسكرات والمخدرات اليوم وبكثرة ، فأرى من الضرورة بمكان أن أنوه إلى أنَّ متعاطيها لا يسلم من الأمور الآتية :

- ١ إتيان الفاحشة التي يترتب عليها أمور وخيمة .
- ٢ عدم الغَيْرة على عرض نفسه ، ممّا قد يتسبب في وجود منكرات في أسرته واختلاط
   الأنساب فيها .
- ٣- بعض الأمراض التي نقتل نسله في حال الحمل ، أو أو لاده وأفراد أسرته ؛ بسبب الأثار التي تحذر له من تناول المسكرات والمخدرات .. فالشباب الذي يقتنع بوجوب حفظ النسل ، بل بضرورته ويعلم أنه يترتب على تعاطيه المسكرات والمخدرات ما يخل بحفظ النسل سيبتعد عن تعاطى ذلك .(٣٠٢)

#### المبحث الثالث .. حفظ العقل

للعقل في القرآن الكريم أهمية كبرى فهو مناط المسؤولية ، وبه كرم الإنسان وفضل على سائر المخلوقات وتهياً للقيام بالخلافة في الأرض وحمل الأمانة من عند الله ، قال تعالى :  $\mathring{c}$   $\mathring$ 

والعقل من أكبر نعم الله على الإنسان ، جعله الله فرقا بينه وبين الحيوان بما أودع فيها من طاقة للحكم على الأمور ، واستخلاص النتائج من مقدّماتها ، والغوص إلى معرفة الحقائق الكونيّة والاستدلال بها على عظمة الخالق ... والواجب أن يشكر الإنسان ربه على هذه النعمة التي لولاها لما كان هناك فرق بينه وبين الحيوان .

٢٩٩ - المرجع نفسه .

٣٠٠- ينظر: التكافل الاجتماعي: ٤.

<sup>&</sup>quot;-" - ينظر: الإسلام وضروريات الحياة : ٥٩ ، ٦٤ .

 $<sup>7^{-1}</sup>$ - ينظر : الوقاية من تعاطي المسكرات والمخدرات :  $9^{-1}$ 

<sup>&</sup>lt;sup>٣٠٣</sup> - سورة الأحزاب: ٧٢ .

وممَّا يدلل على ضرورة حفظ العقل أنه تعالى جعله مناط التكليف ؛ لأنّ العاقل هو الذي يكون قادراً على فهم خطاب الله ، بخلاف المجنون ، أو ناقص التصور بسبب نقص إدراكه لضعف عقله، كالصبّي فإنّ الله لا يكلفهم في تلك الحال ، فقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رُفِعَ القَلْمُ عَنْ تَلاَتَةٍ : عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَعْقِلَ » . (٣٠٥)

ولحفظ العقل وسائل عدّة ، يُمكن تلخيصها في ثلاثة أمور عامّة :

الأمر الأول: توجيهه إلى المجالات النافعة ، أي تفكيره في المصالح التي تعود على صاحبه ومجتمعه بالخير في الدّنيا والآخرة ، وتغذيته بالمعاني السليمة الصّافية سواء ما يتعلق منها بالمغيّبات أو المحسوسات : في أمور الدّنيا والآخرة .

٣٠٤- سورة النحل: ١٠- ١٢.

٣٠٥- سنن أبي داود ، من حديث علي بن أبي طالب t : باب: (في المجنون يسرق أو يصيب حداً) ، رقم الحديث: (٥٤٦/٢) (٤٤٠٥).

و هو حديث صحيح . ينظر: مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: ٦٠ .

٣٠٦- سورة البقرة : ١٦٤ .

٣٠٧ - جَامِع البيان في تأويل القرآن : ٢٧٧/٣ ، معالم التنزيل : ١٧٨/١ .

٣٠٨ - سورة يوسف: ٢.

<sup>-</sup> دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: ٢٢٧/٢.

ومن الأيات التي تعرَّضت لهذا المعنى، وهو حفظ العقل على التفكر فيما ينفع فيتعاطاه ، وما يضرّ فيجتنبه هذه الآية الكريمة المتعلقة بحفظ العقل نفسه ممَّا يفسده : ژ و و ي ي بې

ی ی یا یا شرنال (۲۱۱) هذا البیان لاستجاشة التفکر

والتدبر في أمر الدّنيا والآخرة ، فالتفكر في الدّنيا وحدها لا يعطي العقل البشري ولا القلب الإنساني صورة كاملة عن حقيقة الوجود الإنساني ، وحقيقة الحياة وتكاليفها وارتباطاتها ولا ينشئ تصوراً صحيحاً للأوضاع والقيم والموازين . (٢١٦) وكانت هذه الآية قبل أن ينزل تحريم الخمر البات في سورة المائدة تلفت عقول شاربي الخمر إلى أنّ النفع الذي قد يحصل منها بيعاً وشراءً وشرباً في جانب مضارها العظيمة يقتضي أن ترجح العقول السّليمة إلى البعد عنها بدلاً من تعاطيها . فإذا ما وحجهت عقول الشباب إلى المقارنة والموازنة بين المصالح والمفاسد وما ينبغي فعله وما ينبغي تركه فإنّ ذلك وسيلة من وسائل حفظ عقولهم من الضياع .

الأمر الثاني: صيانة العقل من المفسدات المعنوية ، وذلك يشمل العقائد والأفكار والمعارف كلها سواء كانت دينية أو اجتماعية أو سياسية أو عسكرية أو اقتصادية ، فإن العقل إذا غذي بعقائد وأفكار ومعلومات فاسدة يسوء تصوره ويفسد ويضل ويصبح أخطر من العقل الخالي من المعلومات ؛ لأن هذا الأخير يُمكن أن يهيا له من يغذيه بالعقيدة السليمة والفكر الصحيح والمعلومات الصادقة ، فيكون قبولها لها سهلا بخلاف العقل الذي يغذى بالمعاني الفاسدة ويؤكد له صدقها ، فإن انتزاع تلك المعاني الفاسدة منه وإحلال معاني صحيحة محلها ليس سهلا ، بل قد يكون في غاية الصعوبة ، وهذا واضح في أهل الملل المختلفة والأفكار المتشعبة في العالم كله .

والعقل الذي يُصان من المفسدات المعنوية يسهل أن يُصان من المفسدات الحسيّة بخلاف العقل الذي تفسده المعانى الفاسدة ، فإنه من السهل أن يستجيب لما يفسده حسيّاً .

وإذا كان الله تعالى قد تولى حفظ الناس من خرافات الجنِّ وكذبهم فمنعهم من استراق السَّمع فإنَّ الأرض مليئة بالخرافات التي يتولى نشرها بعض الإنس ، وكذلك الأفكار الفاسدة التي يطلق عليها الآن الغزو الفكري ، وقد حمّل الله تعالى المسؤولية علماء الإسلام وحكام الشعوب الإسلاميّة - الناجين من ذلك الغزو - فإنهم يجب عليهم أن يرموا من خالف الإسلام بشهب الحجة والحديد كما

٣١٠- سورة البقرة : ١٧٠- ١٧١ .

٣١١ - السورة نفسها: ٢١٩ .

٣١٢ - في ظلال القرآن: ٢٣١ .

<sup>&</sup>lt;sup>٣١٣</sup>- سورة الجن : ٨- ١٠ .

الأمر الثالث: صيانة العقل من المفسدات الماديّة ، وتندرج تلك المفسدات كلها في كلمة واحدة عني بها القرآن والسنة والفقه الإسلامي ، وهي الخمر التي هي أمّ الخبائث كلها لأنها تجمع بين التفتير والسّكر الذي هو قمّة الإضرار بالعقل ، فالسكر لا يحصل إلا بعد التخدير والتفتير ، وهذا ما أشار إليه علماء اللغة ، كما قال ابن الأثير : " وفي حديث عمر: ((أنه رزق الناس الطلاء فشربه رجل فتخدر)). أي ضعف وفتر ، كما يصيب الشارب قبل السّكر ، ومنه خدر الرّجل واليد " . (١٧١٧)

وقال ابن منظور : " وقد خَدرت الرِّجلُ ، تخْدَرُ والخدَر من الشراب والدّواء فتور يعتري الشارب وضعفُ ... والخَدَر: الكسل والفتور " . (٣١٨)

والأصل في تحريم الأشياء في الشريعة الإسلاميَّة كون المحرَّمات خبائث عند الله الذي يعلم خبثها سواء ظهر ذلك للناس أو له يظهر ، كما قال تعالى :  $\mathring{\tau}$  ج ج ج ج ج ج ج چ چ چ چ چ ي  $\mathring{\tau}$  د  $\mathring{\tau}$ 

وقال ابن حزم رحمه الله: "كلّ شيء أسكر كثيره أحداً من الناس ، فالنطفة منه فما فوقها إلى أكثر المقادير خمر ، حرام ملكه وبيعه وشربه واستعماله على كلّ أحد ... " . (٣٢٣)

فإذا كان الله تعالى قد حرّم على الناس أم الخبائث ، والخمر أم الخبائث كما نصّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع ، فمن الواجب بمكان أن تكون صيانة الناس وعقولهم من المسكرات والمخدرات - بالطرق الآتية :

<sup>&</sup>lt;sup>115</sup>- سورة الحديد: ٢٥.

<sup>-</sup> سوره العديد . ۱۰ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢١٥</sup>- ينظر: الوقاية من تعاطي المسكرات والمخدرات : ٧.

٣١٦ - المرجع نفسه .

<sup>&</sup>quot; النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٣/٢.

٣١٨- لسان العرب: مادة (خَدَر): ٤/ ٢٣٠.

٣١٩ - سورة الأعراف: ١٥٧ .

٣٢٠ سورة المائدة : ٩٠ - ٩١ .

<sup>&</sup>quot; - صحیح مسلم: باب: (کل مسکر خمر ..) ، رقم الحدیث: (۵۳۳۹) :۱۰٪ ۳۰۱ ، سنن ابن ماجه: باب: (کل مسکر خمر) ، برقم: (۳۰۱ه) :۱۰٪ ۳۰۱ ، وکلهم من حدیث عبد الله بن عمر رضی الله عنهما .

٣٢٠- المغني (في فقه الإمام أحمد بن حنبل) : ٣٢٠/٢٠ .

٣٢٣ - المحلى ، لابن حزم: ٧/ ٤٧٨ .

الأولى: منع صناعتها في داخل البلاد منعاً باتاً وإنزال العقوبة المناسبة بكلّ من تعاطى ذلك .

الثانية: منع إدخالها إلى البلاد عن طريق التجارة أو الاقتناء دون تفريق بين الناس، وإنزال العقوبة المناسبة بكلّ من حملها معه أو حاول إدخالها بأي وسيلة .

الثالثة: الحكم على من ضبط متعاطيها لها بما في شرع الله دون تعاون . (٢٢٤)

وهذا لا يكون إلا بعد توعية وتربية الشعب كله فرداً وأسرة ومجتمعاً على أنها من الخبائث التي حرّم الله ، وأنّ الله يُعاقب من ارتكبها كما هو معلوم .

و لا يفوتني أن أذكر وسيلة مهمَّة – للغاية - في حفظ العقل ألا وهي تحريره من سلطان الخرافة وإطلاقه من مسار الأوهام ، ومن هنا حرَّم القرآن الكريم السِّحر والكهانة والشعوذة وغيرها من أساليب الدَّجل والخرافة . وأنه منع على العقل الخوض في الغيبيّات من غير سلطان أو علم يأتيه من الوحي المنزل على الأنبياء ، وعد ذلك سببا في هدر طاقته من غير طائل ، قال تعالى : رُ \$ \$ \$ كُ كُ كُ كُ كُ كُ كُ نُ نُ لُ لُـ لُـ أَهُ هُ هُ مُ مُ هُمُ هُمُ هُمُ عُمْ عُمْ مُ عُمْ مُ اللهِ عُمْ مُ مُ مُ اللهُ هُمُ عُمْ مُ عُمْ مُ اللهُ عُمْ اللهُ عُمْ مُ مُ مُ اللهُ هُمُ عُمْ مُ عُمْ مُ اللهُ عُمْ اللهُ عُمْ اللهُ عُمْ مُ مُ اللهُ عُمْ مُ اللهُ عُمْ اللهُ اللهُ

و لا بدّ من تدريب العقل على الاستدلال المثمر والتعرّف على الحقيقة ، وذلك من خلال وسيلتين:

الأولى : إنه وضع المنهج الصّحيح للنظر العقلي المفيد لليقين ، ومن هنا كانت دعوته إلى التثبيت قبل الاعتقاد ، قال تعالى : ( رُرُ ثُرُ ثُرُ ثُرُ الله عنه الله

الثانية : الدّعوة إلى التدبر في نواميس الكون ؛ لاستكشافها وتأمّل ما فيها من دقة وترابط ، وإلى استخدام الاستقراء والتمحيص الدّقيق من أجل الوصول إلى اليقين .(٣٢٨)

إذن الإسلام وحده هو القادر على صيانة العقل من المفسدات المعنويّة والماديّة معاً ، ولا يستطيع أيّ دين ، أو أيّ قانون أن يصونه كما يصونه الإسلام .

## المبحث الرّابع .. حفظ النسل

ولو لم يحفظ الجنس لانقرض الجنس ، وهذا أمر لا يختلف فيه البشر، وقد جبل الله عليه المخلوقات فحافظت عليه بالتزاوج ، ويمتاز الإسلام عن غيره بأنه يوجب المحافظة على النسل أن يكون عن طريق النكاح المشروع ولا يجيزة عن طريق غير مشروع .

ولهذا جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تبيّن محبة الله ورسوله لحفظ النسل وتكثيره والترغيب في النكاح والتحذير من التبتل ، وبيان المصالح العائدة على الآباء في الدّنيا والآخرة من النسل ورتبت الشريعة على حفظ النسب أحكاماً كثيرة . (٣٢٩)

٢٢٠- ينظر : الوقاية من تعاطى المسكرات والمخدرات : ٨ .

٣٢٥- سورة غافر : ٥٦ .

٣٢٦ - سورة الإسراء: ٣٦ .

٣٢٧ - سورة الكهف : ١٥ .

٣٢٨ - ينظر: مقاصد الشريعة: ٢١ - ٢٢ .

٣٢٩ - ينظر: الإسلام وضروريات الحياة: ٦٧ .

و لا يُحفظ النَّسلِ إلا بتَحريم الزّنى وإيجاب العقوبةِ عليه ، قال تعالى : رْ بِ بِينَ نَ ذَذْ تَتَ تَدَّ لَّ تُ لَّ لَ ثُلُ اللَّسِبابَ داعية إلى التناصئر وَ التعاوُن الذِي لا يتأتى العيش إلا بهِ عادةً .

وإذا ما قيل حفظ العرض ، فالمقصود حفظ النسل والنسب ، بأرقى المسائل وأشرف الطرق ويُغبرُ عنه العلماء بحفظ النسب أو النسل . وإنّ وجود النسب والنسل فرعٌ من وجود النفس الإنسانية التي شرعَ الله تعالى لوجودها . وإنّ الحفاظ على العرض مقصودٌ لذاته من جهة ، وهو وسيلة لحفظ النسل والذريّة من جهة أخرى؛ حتى لا تختلط الأنساب ، وتضيع الذريّة ، ويتشرد الأطفال . وحرم الإسلام النبيّ ؛ لأنه اعتداء على نسب الطفل ، ونسل أبيه ، وأنّه يُمثل سرقة الدّم الحقيقي للإنسان . (٣٣٤)

#### المبحث الخامس .. حفظ المال

٣٣٠ سورة النور: ٢ .

<sup>-</sup> سورة الإسراء: ٣٢ .

٣٣٢- سورة البقرة : ١٨٧ .

٣٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٣٤/٢. . ٣٣٤- ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام - دراسة مقارنة مع الإعلام العالمي والإعلام الإسلامي لحقوق الإنسان - : ٩٠- ٩١ .

قَّ جِ جِ جِ جِ جِ جِ جُ رِ . (۲۳۷) فرفع منزلة العمل وأعلى من أقدار العمَّال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَكُلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَل يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ لَا كَانَ عَلَى مِنْ عَمَل يَدِهِ » وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ لله كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَل يَدِهِ » . (۲۳۸) ، وقرَّرَ حق العمل لكلِّ إنسان ، وجعل من واجب الدّولة توفير العمل لمن لا يجده ، كما قرّر كرامة العامل وأوجب الوفاء بحقوقه الماديَّة والمعنويَّة ، يقول ۲ : « أعْطُوا الأجبر َ أَجْرَهُ قَتْلَ أَنْ بَحِفَ عَرَقَهُ » . (۲۳۹)

وكذلك إباحة المُعاملات العادلة التي لا ظلم فيها ولا اعتداء على حقوق الآخرين ، ومن أجل ذلك أقر الإسلام أنواعاً من العقود كانت موجودة بعد أن نقاها ممّا كانت تحمله من الظلم ، وذلك كالبيع والإجارة والرّهن والشركة وغيرها ، وفتح المجال أمام ما تكشف عنه التجارب الاجتماعية من عقود

<sup>&</sup>lt;sup>٣٣٥</sup>- سورة الحديد: ٧.

<sup>&</sup>quot;" - الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٢٣٨.

٣٣٧- سورة الملك : ١٥ ، الجمعة : ١٠. ينظر : مقاصد الشريعة : ٢٨ .

t : باب: (کسب الرجل و عمله بیده) ، رقم الحدیث: (۲۰۷۲) تاب الرجل و عمله بیده) ، رقم الحدیث: (۲۰۷۲) t :

<sup>-</sup> ٣٩٨ سنن ابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : باب : (أجر الأجراء) ، رقم الحديث : (٢٥٣٧) : ٧/ ٢٩٨ . وهو حديث صحيح . ينظر: مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : ٢٩٥ ، مشكاة المصابيح : ١٧٥/٢ .

شريطة أن لا تنطوي على الظلم أو الإجحاف بطرف من الأطراف أو تكون من أكل أموال الناس بالباطل . (٣٤٠)

وضبط التصرّف في المال بحدود المصلحة العامَّة ، ومن ثمّ حرّم اكتساب المال بالوسائل غير المشروعة والتي تضرّ بالآخرين ، ومنها الرِّبا ؛ لما له من آثار تخلّ بالتوازن الاجتماعي ، قال تعالى: (گُ گُرُ لَ لَ لَ لَ لَ قُوْرُ (٢٤١)

وقد حرّم القرآن الكريم الاعتداء على مال الغير بالسّرقة أو السّطو أو التحايل ، وشرعَ العقوبة على ذلك ، قال تعالى :  $\mathring{c}$   $\mathring{c}$ 

ومنع إنفاق المال في الوجوه غير المشروعة ، وحث على إنفاقه في سبل الخير ، وذلك مبنيً على قاعدة من أهم قواعد النظام الاقتصادي الإسلامي ، وهي أنّ المال مال الله وأنّ الفرد مستخلف فيه ووكيل ، قال تعالى: (z = z) z = z z z = z z z = z z z = z z z =

ومن ذلك الحجر على البالغ اذا كان سيّئ التصرف في ماله ، قال تعالى : ژڭ كَـكُـوُ وُ وَ و وَ و وَ وَ ي رُ . (٣٤٨)

.. وبهذه التشريعات كلها حفظ القرآن الكريم المال وصانه عن الفساد حتى يؤدّي دوره كقيمة لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية ، وتحقيق أهدافها الحضاريّة والإنسانيّة شأنه في ذلك شأن كلّ المصالح السّابقة التي تمثل أساس الوجود الإنساني وقوام الحياة الإنسانيّة ، ومركز الحضارة البشريّة

٣٤٠ - ينظر: مقاصد الشريعة: ٢٩ .

٣٤١ - سورة البقرة : ١٨٨ ، ٢٧٥ .

٣٤٢ - سورة المائدة : ٣٨ .

ت المورد عسلم: باب: (تحريم ظلم المسلم وخذله) ، رقم الحديث: (۲۷۰٦):۱۹/۱٦: ، سنن ابن ماجه: باب: (حرمة دم المؤمن وماله) ، برقم: (٤٠٦٨): ۲۷۷/۱٦: (مسند أحمد: برقم: (۷۹٤٣): ۲۷۷/۱۳: .

<sup>&</sup>lt;sup>71</sup> - سورة النور: ٣٣ ، الحديد: ٧.

<sup>°°°-</sup> سورة الإسراء: ١٦.

٣٤٦ - السّورة نفسها : ٢٦ - ٢٧ . ينظر : مقاصد الشريعة : ٣٠ .

 $<sup>^{87}</sup>$ - الآيتان في سورتي : البقرة :  $^{75}$  ، النساء :  $^{75}$ 

٣٤٨- سورة النساء: ٥. ينظر: مقاصد الشريعة: ٣١.

٣٤٩- سورة النساء: ٢٩.

٣٥٠- سورة التوبة: ٣٤ . ينظر: مقاصد الشريعة: ٣٢ .

والتي بدون مراعاتها وحفظ نظامها يُخرّب العالمُ وتستحيل الحياة الإنسانية ويقف عطاؤها واستثمارها في هذا الوجود .

و لا شك أن الذي يتعاطى اليوم المسكرات والمخدرات لا يؤمن على حفظ ماله ومال غيره في حال سكره وحال صحوه ، فهو لا يبالي أن يجمع المال بأي أسلوب ، مشروعاً كان أو غير مشروع بل إنه يتعدّى على حقوق الناس من أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، فكيف يؤمن على حفظ المال .

ومن هنا يُعلم أنّ الذي يتعاطى المسكرات والمخدرات بالبيع أو الشراء أو الصنع أو النقل أو الإباحة ليس مؤتمنا على حفظ الضرورات والأهداف العليا التي يجب على المسلمين أن يسعوا إلى تحقيقها في الحياة ، بل كلّ الأمم لا حياة لهم بدونها ، وهي: الدّين ، والنفس والنسل ، والعقل ، والمال وبالجملة فإنّ الشريعة التي جاء بها كتاب الله تعالى مدارها على ثلاث مصالح:

المصلحة الأولى: درء المفاسد - المعروف عند أهل الأصول بالضروريات - عن ستة أشياء: حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسب ، والعرض ، والمال .. وسبق وأن أوجزنا الكلام فيها إلا العرض فمن المناسب القول بأن القرآن الكريم قد جاء بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها ، حتى نهى المسلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه ، وأوجب عليه إن رماه بفرية حدّ القذف ثمانين جلدة قال تعالى: رُا ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ي ي أن ذ ذ ت ت د ت الله المسلم غاية التقبيح بقوله : رُ

على مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل . وقال تعالى: ژو و و ي ي ب ب

٢٥١ - سورة الحجرات: ١٢.

٣٥٢ - سورة الحجرات : ١١ .

٣٥٣ - سورة النور : ٤- ٥ . ينظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : ٣/ ١٣٥ .

٣٠٠- سورة البقرة: ١٩٨، النساء: ٢٩، الجمعة: ١٠.

<sup>&</sup>quot; - جمع إجارة ، ومعنى الإجارة : (العقد على المنافع بعوض وهو مال وتمليك المنفعة بعوض) . أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، القونوي : ٢٥٩ ، التوقيف على مهمّات التعاريف ، المناوي : ٣٥ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢٥٦</sup>- وهي : (معاقدة جائز التصرف مثله على نخل أو كرم مغروس معين مرئي مدة يثمر فيها غالبا بجّزء معلوم بينهما من الثمرة المسامحة) . المصدر نفسه : ٢٥٣ . أو بمعنى : (دفع الشجر إلى من يصلحه بجزء من ثمره) . التعريفات ، للجرجانى : ٢٧١ .

٣٥٨- ينظر: أضواء البيان: ١٣٧/٣.

٣٥٩ - سورة البقرة: ٢٣٧.

ى ى ير ، وقال : ر به هه هه م

.. هذا ونخلص إلى أنّ القرآن الكريم قد حلّ المشاكل العالميّة كلها والتي عجز عنها البشر، ولم يترك جانباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدّنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها .

ويزداد الوضوح عند التأمّل في أحوال الأنظمة والقوانين البشريّة التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشريّة ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال ، ممّا يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص ، فيلغون غداً ما وضعوه اليوم ؛ لأنّ الإنسان محل النقص والخطأ ، والجهل لأعماق النفس البشرية ، والجهل بما يحدث غداً في أوضاع الإنسان وأحواله ، وفيما يصلح البشريّة في كلّ عصر ومصر . (٣٦٣)

وأمًّا العقوبات والحدود الشرعيَّة في الإسلام ، فهي ليست انتهاكاً لحقوق الإنسان - كما يزعمون - ، بل هي من أعظم مقاصد تشريعها: حفظ حقوق الإنسان الدينية والخلقيّة ، وكذا حفظ النسل والآداب للمجتمع ، كما أنّ في تنفيذها: تطهير للمكلف من ذنوبه ، وإرجاع له إلى الحالة السويّة ، إذ يعود محافظاً على أخلاقه وعلى حقوق المجتمع كله ، وفيها أيضاً ردع لعموم الناس من انتهاك الحقوق والتعدي عليها . (٣٦٦)

وفي هذا دلالة واضحة على أنّ الشريعة الإسلاميّة ، جاءت بحفظ تلك الضرورات ، وهي قاعدة عظيمة لحفظ حقوق الأفراد والمجتمعات العامّة والخاصّة ، ففي حفظ الدّين مثلا إعطاء لحق التدين والعبادة ، وفي حفظ النسل ، تأكيد لحق الإنسان في التروج ، وحفظ المال يتضمن حق الإنسان في التملك والسّعي في الأرض وممارسة أنواع المعاملات كالبيع والشراء والشراء والتجارة ، ونحوها وحفظ العقل فيه حق الحريّة في التفكير والتدبر ، وهكذا

# الفصل السادس القرآن والمجتمع

٣٦٠ - الآيتان في سورة المائدة : ٢ ، ٨ .

٣٦١ - سورة النساء : ٣٦ .

٣٦٢ - ينظر: أضواء البيان: ١٣٧/٣.

<sup>&</sup>quot; ٦٦ / ٦ ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: ٢/ ٨٦ .

٢٤٧/٢ . ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢٤٧/٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>٣٦٥</sup>- سورة الإسراء: ٩.

٢٦٦ - المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم: ٤٧.

ومن يستعرض كتاب الله تعالى يجد أنّ هنالك أهدافاً كثيرة ، يُمكنه حصرها في ثلاثة أمور ينطوي تحتها بعض الأوامر والنواهي ، وما يتصل بها من الصّالحات الباقيات ..

- ١- إصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربهم .
- ٢- إصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه .
- ٣- إصلاح حال المجتمع الإسلامي ، وواجب كل فرد نحو هذا المجتمع الذي يعيش فيه سواء
   في أسرته أو مجتمعه أو في الدولة وعلاقاتها .

تلك أهداف ثلاثة يرتبط بعضها ببعض وأولها يُعدّ أساساً لثانيها وثالثها .. والهدف هو سعادة العبد في دنياه ولا يتم هذا الهدف الأسمى إلا بتحقيق هذه الأهداف الثلاثة .

ويقول كذلك في شأنهم : ژې ې ې ب

ی ی ژ

جاءَ رجلٌ وهو سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه إلى رسول الله ٢ يسأله ، قال : قلتُ : يا رسول قُلْ لِي فِي الإسْلام قُوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَسَامَةٌ غَيْرَكَ - ، قال : « قل آمنـتُ بالله ثمّ استقم » . (٢٦٩)

قال القاضي عياض رحمهُ الله : " هذا من جَوَامِع كَلِمه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو مُطابق لقُولهِ تَعَالَى : رُ اَ بِ بِ بِ بِ پِ پِ رُ (٢٧٠) أي : وَحَدُوا اللَّه ، وَآمَنُوا بِهِ ، ثُمَّ استَقَامُوا فَلَمْ يَحِيدُوا عَـنْ التَّوْحِيــد وَالتَرْمــوا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن تُوفوا على ذلك " . (٢٧١)

وهذه إشارة من النبيّ ٢ إلى أنّ الإيمان أوّلاً ؛ لأنه أساس لقبول الأعمال فالإيمان أساس والأعمال بعده للبناء ، ولا يعول على بناء من دون أساس .. ولذا يتبيّن أنّ معنى الهدف الأوّل من أهداف الإسلام هــو عقيدة وأخلاق وشريعة .

ومن هدف الرسالة الإسلامية إصلاح حال العباد أولا فيما بينهم وبين ربهم ، وذلك بتحقيق الإيمان الصادق وإذا عرف المسلم من أين يبدأ عمله ، وعرف أنّ الأساس الذي تبنى عليه الأعمال هو إصلاح القلوب وتطهير النفوس ، أدرك أنّ القلوب المؤمنة تنبت فيها شجرة الضمائر الإسلامية الواعية وتقوم في هذه القلوب الرتقابة الدينيّة على كلّ عمل من أعمال الإنسان .

وهكذا يستعد لتحقيق الهدف الثاني من أهداف الرسالة الإسلاميّة ، وهو إصلاح حالة العبد في خاصّة نفسه وذلك لا يكون إلا إذا استقام واستجاب لله ورسوله فلا يخرج من حدود الله فيما رسمته الشريعة الإسلامية وبيّنته السنة المحمّديّة ، ذاكراً في جميع أحواله قول الله تعالى : ث ث وإذا

٣٦٧ - سورة النور: ٣٩.

٣٦٨ - سورة إبراهيم : ١٨ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢٦٥</sup>- سنن النسائي الكبرى: باب: (سورة الدخان) ، رقم الحديث: (١١٤٨٩): ٦/ ٤٥٨ ، شعب الإيمان: فصل: (في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه..) ، برقم: (٤٩٢٤): ٤/ ٢٣٨ .. وكلاهما من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي ، عن أبيه .

۳۷۰ - سورة فصلت : ۳۰ .

٢٧١ ـ ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١١٧/١ .

كان الهدف الثاني من أهداف الرّسالة الإسلاميّة هو العمل الصّالح الذي تعود فائدته إلى الإنسان نفسه فيما يكسب من الصَّالحات الباقيات ، فإنّ هذا يقتضي أن يكون على علم بما كلفته به الشريعة حتى يميز بين الحلال والحرام ، وبين الطيّب والخبيث .

أمَّا الهدف الثالث من الرسالة السّماوية فهو إصلاح حال المجتمع وواجب كلّ فرد نحــو المجتمــع الــذي يعيش فيه ، والأصول التي اتفق فيها جميع الأنبياء في كلّ عصر : ژ ڙ ڙ ک ک ک کک ژ 🏿 (۲۷۲) وقوّة الإسلام وعزته يرتبطان بقوّة المجتمع الذي يتمسّك بمبادئه ، ولذلك تضافرت الأدلــة مــن الكتــاب والسنة على تشريع المبادئ القويمة والأداب الاجتماعيّة التي تربي المجتمع تربية دينيّــة ويكــون أفــراد المجتمع كالبُنيان الواحد يشدّ بعضه بعضاً ، ويكون كالجسد الواحد: «... إذا اشتكى منه عضو تداعى لــه سائر الجسد بالسّهر والحمّى » . (٣٧٣) ، بل : « الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى عَيْثُهُ اشْ تَكَى كُلُهُ وَإِن اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ » . (٣٧٤)

ولا شكّ أنّ إصلاح المجتمع يتوقف على صلاح طائفتين : الطائفة المشرّعة ، والطائفة المنفذة .. وبفساد إحداهما يفسد المجتمع . وإنّ الشريعة الإسلاميّة قد رسمت للناس منهج الحياة العزيزة الكريمة، وإنّ الله تعالى قد جاءهم بكتاب مبين ضمنه مصالح العباد وهو أعلم بما فيه نفعهم وقد ملأه بالنذر والتهديد ليقوم بذلك عوجهم، وأرسل إليهم الأنبياء وأنزل على نبيّنا هذا القرآن العظيم ؛ ليبيّن للناس ما نزل إليهم .

ومن أجل المحافظة على سلامة مجتمعاتنا الإسلاميّة فلا بدّ من التمسيّك بالقوّة: ﴿ وُ وَ وَ وَ وَ وَ وَ و وَ ي يِرْ (٣٧٥) ، والعدل: رُوووووي ي ي بِ بِ رُ (٣٧٦) ، والتضامن: رُكْ كَكُوُ وُ وُرْ ، والنظام والطاعة: رُ ; (٣٧٧) ; ې ې ې

ژ (۳۷۸) ، وعسدم ی ی پی تصديق الشائعات الكاذبة: رْ كَ ذَذْتُ تَ دُدُتُ لَا دُدُفُ فَ فَوْفَ قَ قُورٌ (٣٧٩)، والشوري: رْ كَجْ كُ گُ گُگُوں ڻ ڻ ٿ ٿ ٿ هُ ڙ <sup>(٣٨٠)</sup> ، والعمل الصّالح: ژ ڏ ژ ژ ڙ ڙ ڻ ک ک ک ک ک گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ڱ ژ (٢٨٢)، والأمانة: ﴿ وُ وَ وَ وَ وَ وَ وَ ( ٣٨٣) والصِّدق: ﴿ تَّ ذَّتْ لَا ثَادَتْ فَ قَ وَ ( ٣٨٤)، والصَّبِر: ﴿ ر (٣٨٥)، والصلّح: رُكِكُ كُكُكُ كُكُلُ لَ لَا لَا لَا ذَا فَهُ هَ ﴿ بِهِ هُ هُ

۳۷۲ - سورة الشورى: ۱۳.

٣٧٠- صحيح مسلم : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) ، رقم الحديث: (٦٧٥١) :١٦/ ٤٧١ ، مسند أحمد : يرقم: (۱۸۸۷۰ ، ۱۸۸۷۰ ) : ۲۰ ، ۳۲ ، ۳۳ .. وكلاهما من حديث النعمان بن بشير t .

٢٧٤ / ٢٠ صحيح مسلم ، من حديث النعمان بن بشير : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) ، رقم الحديث: (٦٧٥٤) : ١٦/ ٤٧٤

<sup>°°°-</sup> سورة الأنفال: ٦٠.

٣٧٦ - سورة النساء: ٥٨ .

۳۷۷ ـ سورة النور : ۵۱ .

٣٧٨ - سورة النساء: ٥٩ .

٣٧٩ - سورة الحجرات: ٦.

<sup>&</sup>lt;sup>۳۸۰</sup>- سورة الشورى : ۳۸ .

<sup>&</sup>lt;sup>٣٨١</sup>- سورة النحل : ٩٧ .

٣٨٢ - سورة النساء : ٣٢ .

٣٨٣- السّورة نفسها : ٥٨ .

٣٨٠ - سورة الزمر: ٣٣.

<sup>&</sup>lt;sup>۳۸۰</sup>- سورة آل عمرن: ۲۰۰ .

ھے ہے ئے نے اُٹ اُٹ کُکُو وُ وَ وَوْرُ (٣٨٦)، وطهارة الكسب: رُكُ كُلُول لُ لُ لُدُهُ هُ مهم بهده  $\mathring{\tau}^{(\kappa \wedge \gamma)}$ ،  $\mathring{\tau} \neq \varphi \neq \varphi \neq \varphi \neq \varphi$ ، والتواصى بالرَّحمة والإحسان :  $\mathring{\tau}$   $\mathring{\varphi}$   $\mathring{\varphi}$   $\mathring{\varphi}$   $\mathring{\varphi}$   $\mathring{\varphi}$   $\mathring{\varphi}$   $\mathring{\varphi}$   $\mathring{\varphi}$ تُ الله فش قش قش قش قل قل قل المجتمع وحماية الضعفاء: رُ

ژ (۳۹۱) ، ژ اُ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ی ی پ پ

ر (٢٩٢)، رُ تَ تَ دَيْتُ لُهُ دُدُف فَ فَقَفَ قَقَ جِجِجِجِجِجِجِجِ دِوْر (٢٩٣)، وإبداء روح السَّلام: رُ ج رْ ٱب بېبېپ چېپ يې ئىن ننت ئىل ئىلىنى ئىڭ ئىلىنى ئىنسى ئىلىنىڭ ئىلىنىڭ ئىلىنىڭ ئىلىنىڭ ئىلىنىڭ ئىلىنىڭ ئىلىنىڭ ج ج ج چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڙ . <sup>(٣٩٥)</sup> والابتعاد عن کلّ ما يؤدّي إلى فساد المجتمع من فتن: ژ ى ي ي ي ي ي رُ (٣٩٦) ، واختلاف وفرقة: ر ه ٨ ٩ ٩ هـ ٨ هـ ع ع ع ع ع ك ك ك ك

كَكْرُ (٢٩٧) ، رُجِج چِچ چِچ ڇِڍ ڍ ڌ دُ دُ دُ دُ رُ رُ رُ (٢٩٨) ، وفساد المترفين: رُ ى ى رُ (٣٩٩) ، والتمسنك بالقديم الفاسد: رُ ٩ هـ ٨ ـ ع خ خ ك ك ك ك

كُكُّ وُ وُ وَ مَنْ (٤٠٠) ...

وممًّا تجدر الإشارة إليه أن الكثرة الغالبة في الآيات القرآنية اتجهت إلى مخاطبة الجماعة ممّا يدل على أنّ القرآن الكريم يجعل صلاح المجتمع أساساً لصلاح الفرد ، وهو ما ذهبت إليه النظريّات العلميّة الحديثة في علم النفس والاجتماع . فإذا ما اتجهنا إلى أخلاق الفرد ، تجلى نفس الهدف القرآني في تحقيق الكمال الخلقي للإنسان ، في مجموعة ضخمة من المعادن الخلقيّة التي لا تترك صغيراً ولا كبيرة في السَّلوك الإنساني ، الفاضل فيها أو الرِّذيل إلا بيِّنته ، فدعت إلى الفاضل بأعظم وأبلغ الأساليب تأثيراً في النفس ونهت عن الرَّذيل فيها وبيّنت شرّه بنفس الأسلوب المعجز .. ويمكننا الآن أن نــدرج تحــت هــذا الفصل المطالب الآتية ؛ ليتسنّى لنا إيضاح ما تقدّم أكثر:

## المطلب الأول دعوة القرآن المجتمع إلى ترك الفساد ، وحثهم إلى الصلاح

٣٨٦ - سورة الحجرات: ٩.

٣٨٧ - سورة البقرة : ١٨٨ .

٣٨٨ - سورة النساء: ٢.

٣٦٩ - سورة النساء : ٣٦ .

<sup>&</sup>lt;sup>٣٩٠</sup>- سورة المائدة : ٩١ .

٣٩١ - سورة البقرة: ٢١٥ .

<sup>&</sup>lt;sup>٣٩٢</sup>- سورة آل عمران: ٩٢ .

٣٩٣ - سورة البقرة: ٢٧١ .

<sup>&</sup>lt;sup>٣٩٤</sup>- سورة الممتحنة: A.

٣٩٥ - السورة نفسها: ١.

<sup>&</sup>lt;sup>٣٩٦</sup>- سورة الأنفال: ٢٥.

٣٩٧ ـ سورة آل عمران: ١٠٥ .

<sup>&</sup>lt;sup>٣٩٨</sup>- سورة الأنعام: ١٥٩.

<sup>&</sup>lt;sup>٣٩٩</sup>- سورة الإسراء: ١٦.

<sup>··· -</sup> سورة الأعراف: ٣٨ .

" وأصل الفساد هو استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره ، وقد يُطلق على وجود الشيء مشتملاً على مضرة وإن لم يكن فيه نفع من قبل يقال: فسد الشيء بعد أن كان صالحاً . ويُقال: فاسد إذا وجد فاسدا من أوّل وهلة من وكذلك يُقال: أفسد إذا عمد إلى شيء صالح فأزال صلاحه . ويُقال: أفسد إذا أوجد فساداً من أوّل الأمر " . (٤٠٤)

رُكِكِكُ كُثر : "رد للناصح على سبيل المبالغة ، والمعنى : أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فإنّ شأننا ليس إلا الإصلاح ، وإنّ حالنا متمحضة عن شوائب الفساد ؛ لأنّ إنما تفيد قصر ما دخلت عليه على ما يعده " . (٤٠٧)

فأفاد إنما هنا قصر الموصوف على الصقة ردّا على قول من قال لهم : ثر كَدَّرُ ؛ لأنَّ القائل أثبت لهم وصف الفساد إما باعتقاد أنهم ليسوا من الصلّاح في شيء أو باعتقاد أنهم قد خلطوا عملاً صالحاً وفاسدا ، فردوا عليهم بقصر القلب وليس هو قصرا حقيقيا ؛ لأنّ قصر الموصوف على الصّفة لا يكون حقيقيا ، فجعلت جملة القصر اسمية لتفيد أنهم جعلوا اتصافهم بالإصلاح أمرا ثابتاً دائماً إذ من خصوصيات الجملة الاسمية إفادة الدّوام .(٢٠٠٤)

هذا وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله خمسة أقوال في تحديد معنى قوله: ﴿ كَمَا كُلُ ... أَحَدُهَا: أَنَّ معناه إنكار ما عرفوا به ، وتقديره: ما فعلنا شيئًا يوجب الفساد .

٠٠١ - التحرير والتنوير: ١٦٧/١.

٤٠٢- سورة القيامة : ٤٠ . ينظر : الكشاف ، للزمخشري : ١٠٠١- ١٠١ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، والمعروف بـ (تفسير النسفي) ٢٠/١ .

نام التوقف على مبهمات التعاريف: ٥٥٥.

<sup>&</sup>lt;sup>113</sup>- التحرير والتنوير: ١٦٨/١.

<sup>\*\* -</sup> المصدر نفسه . وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٥٥١ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢٠٦</sup>- سورة البقرة: ٢٠٥ . التحرير والتنوير: ١/٠١٠ .

١٠٠٠ أنوار التنزيل وأسرار التأويل والمعروف بـ (تفسير البيضاوي) : ٢٧/١ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۰۸</sup>- التحرير والتنوير: ١٦٨/١ .

والثاني: أنّ معناه إنّا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين ، والقولان عن ابن عباس رضي الله عنهما .

والثالث: أنّهم أرادوا مصافاة الكفار صلاح لا فساد ، قاله مجاهد وقتادة رضي الله عنهما .

والرَّابِع: أنهم أرادوا: إنَّ فعلنا هذا هو الصَّلاح وتصديق مُحمَّد ٢ هو الفساد ، قاله السَّدي .

والخامس: أنهم ظنوا أنّ مُصافاة الكفار صلاح في الدّنيا لا في الدّين ؛ لأنّهم اعتقدوا أنّ الدّولة إن كانت للنبيّ r فقد أمّنوه بمبايعته ، وإن كانت للكفار فقد أمّنوهم بمُصافاتهم ذكره .(٤٠٩)

رُ كُلُ سُنُ لَ لَهُ وَ لَهُ وَ اللّهِ عليهم في غرورهم وحصرهم أنفسهم في الصلاح فرد عليهم بطريق من طرق القصر هو أبلغ فيه من الطريق الذي قالوه ؛ لأن تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند اليه فيفيد قوله : رُ كُلُ سُنُ رُ قصر الإفساد عليهم بحيث لا يوجد في غيرهم ، وذلك ينفي حصرهم أنفسهم في الإصلاح وينقضه وهو جار على قانون النقض وعلى أسلوب القصر الحاصل بتعريف الجنس وإن كان الرد قد يكفي فيه أن يُقال : إنهم مفسدون بدون صيغة قصر إلا أنه قصر ليفيد ادعاء نفي الإفساد عن غيرهم . وقد يفيد ذلك أن المنافقين ليسوا ممّن ينتظم في عداد المصلحين ؛ لأن شأن المفسد عُرفا أن لا يكون مُصلحاً إذ الإفساد هين الحصول ، وإنما يصد عنه الوازع فإذا خلع المرء عنه الوازع وأخذ في الإفساد هان عليه الإفساد، ثمّ نكرير حتى يصبح سجيّة ودأباً لا يكاد يُفارق موصوفه . (١١١)

وفي المقابل نجد أنّ القرآن قد حثّ على الإصلاح ودعا إليه ، وهو مهمّة الأنبياء ، كما قال خطيبهم شعيب عليه السَّلام : ژ

رُ إنه القيام بشؤون الناس في معاشهم ومعادهم ، وحفظ حقوقهم ، فهو قبل كلّ شيء إرادة قويّة وعزم صارم وليس شعاراً أو ادعاءً ، بل نوع من التصحيح الشامل و منهج " جاد للتغيير نحو الأفضل وبرامج واضحة للبناء والعمل ، كما يقول شعيب U رُ وحينما يُعبّر عن هذه الإرادة لا يفرض رأيا خاصيًا ، ولا يُحاكم الناس لجزئيات صغيرة ، بل يطرح عليهم بكلّ وضوح حسب

لا يفرض رأيا خاصاً ، ولا يُحاكم الناس لجزئيات صغيرة ، بل يطرح عليهم بكل وضوح حسب استطاعته :  $\hat{r}$   $\hat{g}$   $\hat{g}$ 

إنّ الأوضاع التي تفتقد الاستقرار قد تؤثر على حقيقة الإصلاح ومعناه ، كالأوضاع التي يشهدها العالم الإسلامي اليوم ، ممّا تشيع نوعا من التحفز ، فالبلد الواحد تدافع فيه كلّ فئة أو طائفة أو عرق عن مصالحها ، وتستشعر بأنها مُهدّدة ، وتسعى إلى أن تعوّض ما تراه من ظلم لها وهضم لحقوقها وإهدار لاحتياجاتها ، فترتفع وتيرة المطالب ، وتزداد الخطورة ويتحوّل ذلك إلى عمليّة عكسيّة ، فبدلا من أن يكون تغييرا إيجابيّا للأوضاع القائمة ومساعدتها على الاستقرار والأمن والتعايش والتصالح يصبح ذلك الشعور القاهر سببا للسّعي إلى تحجيم الفئات الأخرى ، وازدرائها وتبخيسها ، والاصطراع معها وربما القضاء على البقية الباقية من الرّوابط التي تجمع بين هؤلاء الناس تحت

٤٠٩ - زاد المسير في علم التفسير: ٣٢/١.

٤١٠ - سورة البقرة : ١٢ .

اناً- التحرير والتنوير: ١٢١/١.

٤١٢- سورة الغاشية: ٢١- ٢٢.

<sup>113-</sup> ينظر: الإصلاح .. إرادة: ص١ .

سقف واحد تجاه قضاياهم وحقوقهم جميعاً ، ومصير أمنهم واستقرارهم ، فالجهد الإصلاحي هو في أن نرفع راية واضحة للتعاون والعمل والتصحيح الجاد الذي يستهدف المجموع كله دون أية استثناءات .(٤١٤)

وجوانب الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي يجب أن تكون واسعة بسعة البلاء الذي يحلّ بها فمع أنّ عناصر الثراء والغنى والأهميّة موجودة في العالم الإسلامي ، إلا أنك تجدها أقلّ تفعيلاً واستغلالاً في وجوه التعمير والتنمية والبناء والإنتاج التي تحفظ تلك القوّة الاقتصاديّة على المدى البعيد ومع أنّ النفط - مثلاً - ثروة إسلاميّة كبيرة إلا أنك تجد أنّ تقنيّات استخراجه وصناعته آليات غربيّة ولا يزل العرب والمسلمون إلى اليوم بعيدين عن اكتشافها وتطويرها . وكذلك الزراعة وهي أحد أهم مصادر الدخل في العالم الإسلامي تجد أنّ معظم تقنيّاتها مستوردة . (١٥٠)

أمًّا النمو الاقتصادي في العالم الإسلامي بالعموم الذي يزخر بثروات ضخمة جداً فإنه لا يتجاوز ٢% ولا يزال دخل الفرد في العالم الإسلامي يتراجع بالنظر إلى زيادة عدد السكان وربما في العالم العربي أكثر من ٧٠ مليون إنسان تحت خط الفقر ، وفي العالم الإسلامي كله رقم أكثر بكثير ، ونسبة البطالة في العالم العربي كله حوالي ٢٠% ، والكثير من الشباب والفتيات يُواجهون مشكلة كبيرة لقلة فرص العمل وضآلة المساعدات .(٢١٤)

أمًّا التراجع السياسي فذلك أمر مشهود ، ولا يُمكن نسيان دوره في بذر الشقاق والاقتتال الطائفي والحروب الأهليّة الفتية التي يسمعها العالم كله ، ويعرفها ويُدرك أنها الأكثر حضوراً في البلدان العربيّة الإسلاميّة .. ويا لخيبة الأمل! والمشكلة الأساسية التي تحتاج للإصلاح هي في أنماط التفكير والنظر التي تحكم تلك المجالات كلها ، فتشيع فيها أسلوبها البعيد عن القيم الإسلامية والحِضاريّة والإنسانيّة . (١٧١٤)

وفي معالجتنا لقضايانا لا زلنا ننتظر البطل المنقذ الذي يحيل طمي الفقر وأوحال التخلف عسجدا وذهبا وحتى في قراءتنا للتاريخ نقرأه مشددين على عنصر البطل الوحيد الذي يفعل الأفاعيل، دونما إدراك إلى أنها قضية جيل واع وتربية رشيدة قويمة ومجتمع عاقل يلد هذه الرّموز لتصبح نتيجة طبيعية لذلك وليست مثلا شاذا وفردا واحدا يقلب كلّ شيء . (٤١٨)

وقبل أن أنهيَ هذا المطلب أودّ أن أشيرَ إلى أهمِّ الأسباب الدَّاعية إلى نشر الفساد في المجتمع من خلال الآيات القرآنيّة ، ومنها :

<sup>113-</sup> الإصلاح .. إرادة : ص١ .

<sup>&</sup>lt;sup>10</sup>- المرجع نفسه .

٤١٦- المرجع نفسه .

٤١٧ - المرجع نفسه .

١١٠٤ - الإصلاح .. إرادة : ص١ .

<sup>113 -</sup> سورة النساء: ١٢٣ - ١٢٤ .

- الفتن ، قال تعالى : ژ

- الاختلاف والفرقة: ژه ٨ ب ٢ هه هه ٥ ح ئ ئ ڭ ڭ ݣݣر ، ژ ج چ چ چ چ ڇ ڇ ڍڍ ژ (٢٢)

- فساد المترفين ، قال تعالى: ژ

- التمسلك بالقديم الفاسد – المخالف لشرع الله - : (8 + 2 - 2) : (87)

إذن فإننا بحاجة إلى إرادة حاضرة للإصلاح في العالم الإسلامي ، إرادة صادقة عند الكبار والصّغار؛ لأنّ الله سبحانه جعل التوفيق في الإرادة الحقيقيّة الصّادقة للإصلاح، فيجب علينا أن نضع هذه الإرادة بكلّ قوَّة وعزيمة ، يقول الله تعالى : ث ث ث ث ث ث ث ث .

#### المطلب الثاتي

## أثر القرآن في إصلاح أمن المجتمع

يعيش الإنسان على هذه الأرض وينقلب في مناكبها ، ويسعى بين جنباتها ، وقد يعرض له ما يخيفه ويحذر منه ونتيجة لذلك أصبح الأمن مطلباً ضروريًا للإنسان في حياته . والمتأمّل في كتاب الله تعالى يجد أنّ القرآن الكريم قد كفل للإنسان أمنه وطمأنينته في حياته الدّنيا ، وفي حياته الأخرى .

والأمن الذي نادى به القرآن الكريم شامل وكامل في حياة الإنسان ،" ولا يتوفر الأمن بمجرد ضمانه لحياة الإنسان فحسب ، بل هو يحتاج إلى الأمن على عقيدته التي يؤمن بها ، وعلى هويته الفكرية والثقافية، وعلى موارد حياته الاقتصادية والمادية " (٢٤٤)

يقول تعالى ممنتا على قريش بما هيأه لها من الأمن دون سائر القبائل ، وليكون ذلك داعيا لها إلى عبادة الله تعالى وتوحيده: رُ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ذ ذ ت ت ت ت ت رُ ( (٢٥٠) قال الحافظ ابن كثير: "أي تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا " . (٢٦١) وقال تعالى مبيّنا أنّ الأمن الحقيقي يكون لمن آمن به ووحده ولم يخلط إيمانه بشرك ، وإن غير ذلك من الأمن

وقال نعالى مبينا ان الامن الحقيقي يكون لمن امن به ووحده ولم يخلط إيمانه بشرك ، وإن غير دلك من الامن تبع له ، ويتضح ذلك في معرض قصتة إبراهيم  $\mathbf{U}$  مع قومه : (12 - 22) و (12 - 22)

ويبيّن القرآنُ العظيمُ أنّ الأمن الحقيقي والدّائم هو ما يكون يوم القيامة من دخول المؤمنين الجنة كما في قوله تعالى : رُو و و و و رُدُرُ الله المين من الآفات ، مسلمًا عليكم ، رُوُ رُ من كلِّ خوف وفزع ، ولا تخشوا من موت ، ولا إخراج ، ولا انقطاع ، ، ولا مرض ، ولا فناء . (٢٩٤)

<sup>·</sup> ٢٠ ـ سورة الأنفال : ٢٥ .

<sup>(</sup>٢١- الأيتان في سورتي: آل عمران: ١٠٥ ، الأنعام: ١٥٩.

٤٢٢ - سورة الإسراء: ١٦ .

٢٦٠ - سورة الأعراف: ٣٨.

<sup>.</sup>  $^{175}$  - الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام .  $^{175}$ 

٤٢٥ - سورة قريش : ٣- ٤ .

٤٩٢/٨ - تفسر القرآن العظيم : ٤٩٢/٨ .

٤٧٠ - سورة الأنعام : ٨٠- ٨٢ . وينظر: إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السّعود : ١٢٣/٤ ، معاني القرآن الكريم : لأبي جعفر النحاس : ٤٥٣/٢ .

٤٢٨ - سورة الحجر: ٤٦ .

٤٠٣/٤ : ينظر: زاد المسير: ٤٠٣/٢ ، تفسير القرآن العظيم: ٥٣٧/٤ .

أمًّا في هذه الحياة الدُّنيا فإنَّ الإنسان يتقلب بين أمن وخوف ، ولكن في الحقيقة لا أمن ولا طمأنينة له إلا بالاعتصام بكتاب الله تعالى ، والإيمان به وعبادته سبحانه دون شريك له ، قال تعالى : ر د د ق ق ق ق ج ج بعد خوفهم من الناس أمنا وحكماً فيهم " . (٤٣١) وقال تعالى منبهاً على خصوصيّةٍ لبيته الحرام ، وهي خاصيّة الأمن دون سواه من البيوت : أز و أو أو أو أو أو أو أله أن أمن دخل بيته الكريم فهو آمن، قال تعالى: رُ لُ لُـ لُـ مُ ه م م م م ه رُ . "قال الطبري : " وإذ جعلنا البيت مرجعا للناس ومعاذا يأتونه كلّ عام ويرجعون إليه ، فلا يقضون منه وطرا " .(٤٣٤)

وبعد أن بيَّن الله تعالى أسباب الأمن الحقيقيّة في كتابه الكريم حدّر من مغبّة اخترامها ، والاعتداء على حقوق الله تعالى ، وحقوق الناس ، وأنّ ذلك مَدعاة للخراب والخوف والدّمار ، قال تعالى : ثر ت ت ت ت ت ت ث ث ث ث ث ث قُ قُ قُ قَ قَ قَ جَ جِ جِ جِ جِ جِ جِ جِ جِ أَ فَمَن عبد الله حق عبادته ، واستجاب الأمره ، جَمَع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه . (٣٦٠)

ومن الوسائل العظيمة التي شرعها القرآنُ الكريمُ كي يعمّ الأمن وتقوم الحياة على منهاج أمن صحيح: الحدود الشرعية ، وتتفيذ أحكام الله تعالى بين الناس ، قال تعالى : ﴿ كَ كَ كُو وَ وَ وَ وَ وَ رَ (٤٣٧) و لا ربب أنّ تشريعات القرآن العظيمة قد كفلت الأمن والسّعادة للإنسان في حياته النّنيا الآخرة فكان التميّز القرآني المجيد على غيره من النظم والقوانين الوضعيّة ، والتي باتت ترنو إلى شيء من آثار القرآن الكريم وتشريعاته العالية

وإنَّ أهميَّة التشريع وضرورته لصلاح الحياة الإنسانيّة أمرٌ لا خلاف فيه فالحياة الإنسانيّة لا تصلح إلا بنظام ترجع إليه ، وتشريع تحتكم إليه ، ومن أخطر مشكلات الإنسان التي يواجهها في طريق بحثه عن السّعادة والأمن والاستقرار مشكلة التشريع الذي يرجع إليه في نشاطه ، والنظام الذي يحكمه في تصرفاته والضوابط التي يلتزم بها في عَلاقاته مع عناصر الوجود كله .

والقرآن الكريم هو المصدر الأعلى الجامع لأصول التشريع ، والسنة النبويّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع ، وهي تالية للقرآن الكريم في منزلة المصدريّة ورتبتها، وتجيء مبيّنة لمجمله، مفسرة لمبهمه مقيّدة لمطلقه ، محققة لشرطه والتطبيق العملي لنصوص الكتاب والسنة ووضع هذه النصوص موضع التنفيذ هو التطبيق الواقعي المستقيم لمقاصد الشريعة ، وهو التطبيق الذي جرى عليه الخلفاء الرّاشدون وعلماء الصّحابة في فتواهم وأمراء الولايات والفتوحات والجهاد في سياستهم وأحكامهم ومن استنّ سنّتهم وسار على دربهم إلى أن يرثّ اللهُ الأرضَ ومَنْ عَلَيْهَا . (٢٦٩)

<sup>&</sup>lt;sup>٤٣٠</sup>- سورة النور: ٥٥.

<sup>&</sup>lt;sup>٣١</sup> - تفسير القرآن العظيم : ٧٧/٦ . قال الطبري : " وإنما سمّاه الله (أمْناً) ؛ لأنه كان في الجاهلية معاذاً لمن استعاذ به ، وكان الرَّجل منهم لو لقى به قاتل أبيه أو أخيه ، لم يهجه ولم يعرض له حتى يخرج منه ، وكان كما قال الله جل ثناؤه:(أوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطُّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ)[العنكبوت:٦٧] " . جامع البيان في تأويل القرآن :

٤٣٢ ـ سورة البقرة: ١٢٥ .

<sup>&</sup>lt;sup>٤٣٣</sup>- سورة أل عمران : ٩٧ .

<sup>&</sup>lt;sup>٢٢٤</sup>- جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٦/٢.

<sup>&</sup>lt;sup>٢٥٥</sup>- سورة النحل: ١١٢.

٤٩٢/٨: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٩٢/٨.

٤٣٧ - سورة البقرة : ١٧٩ .

٢٠٠٠ - ينظر: الدّعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين: ٩٦ - ٩٥.

<sup>&</sup>lt;sup>٣٩</sup>- القرآن شريعة المجتمع: ١٥.

والحكم بما أنزل الله هو البرهان الأكبر على فهم المنهج الصتحيح والتزامه ؛ لأنّ اعتقاد شمولية الدّين لكلّ شؤون الحياة لا يتحقق إلا بالحكم بشريعة الله في كلّ هذه الشؤون، ولهذا فشلت تجارب لتطبيق الشريعة في بعض الدّول ، بل وأصبحت مجال شماتة الأعداء ؛ لأنها لم تقم على حكم الله تعالى بوعى وإيمان .

والقرآن الكريم بالمعنى الخالد هو الذي يجمع بين الأصالة بالمحافظة على دلالات النصوص التشريعيّة والمعاصرة المنسجمة مع مراعاة المصالح ودرء المفاسد ، وفهم الوقائع وملاحظة مقتضيات العادات والأعراف الصّحيحة لا الفاسدة .

لذا امتازت النصوص التشريعيّة في الإسلام بالمرونة والسّعة واستيعاب المستجدّات والمسائل الطارئة وهذا يُمهّد بيُسر وسهولة لممارسة الاجتهاد المطلوب على يد أهل الحلّ والعقد لمجابهة التحديات وإدراك المشكلات ، ومحاولة التوفيق بين أهدافها وضغوطها وبين مقاصد الشريعة القائمة على رعاية المصالح العامّة ومقاومة المفاسد والمضار "(٤٤٠)

# المطلب الثالث

## دور القصة القرآنية في إصلاح المجتمع

إنَّ اشتمال القرآن الكريم على ضرب المثل ، وحكاية القصنة ، له أثره الكبير في شدّ انتباه الناس، في حين تعدّ القصنة من مخاطبة الواقع الاجتماعي ، وتحريك عواطفهم ، والاسيّما المتابعين لقراءتها وتدبّرها ، فحينئذ نجدها وكأنّها تحاكى وتخاطب مجتمع الناس بفئاتهم المختلفة .

والقصة بأسلوبها الفني وما تستدعيه في النفس ، كانت وسيلة من وسائل تطهير النفس لتسموا إلى الرؤية والإدراك الوجداني ، والقصة القرآنية التي استخدمت كأسلوب من أساليب الإعلام والدّعوة القرآنية ، خاطبت العقل والشعور جميعاً ، فتحت أمام قلب الإنسان وعقله أبواب الإدراك واليقين ومن الواضح أنّ أهداف الأسلوب القصصي في القرآن ، يتصل في غالبية بالجانب الإيماني والدّيني وإن دعت أحيانا إلى غايات فاضلة وخيره من السلوك التي يتحلى به المؤمنون والمتقون . (١٤٤١)

وهي تمتاز بجمال فني معجز ، سواء في أسلوبها اللغوي ، أو بنيانها الفني وتصاعد الأحداث والمواقف - ويلاحظ في كثير من القصص القرآني أن تبدأ القصص بذكر ملخصها ثمَّ تعرض بعد ذلك تفصيلاتها من البداية وحتى النهاية ، وهو تناول يؤدّي إلى التشويق وإثارة انتباه المستمعين واستدعاء مشاعرهم ، وفي أحيان أخرى تبدأ القصنة بتوضيح المغزى أو العاقبة ، ثمّ تسرد التفصيلات - لتحقيق الأهداف نفسها المتصلة بإثارة الانتباه والتشويق مع ما في ذلك من تكثيف للهدف النهائي الدّيني السلوكي للقصنة بتأكيده في شعور الإنسان . (٢٤١٠)

هذا ممًّا جعل لها دور بارز على المجتمع ، له تأثيره البالغ في تربيته وتهذيبه ، مع التماس العظات والعبر منها ممّا جعلها ذات فوائد عظيمة تتميّز بما يأتي :

انها من واقع الناس ، فليست خيالية ، ولا هي من نسج الأو هام والخرافات ، وبالتالي فإن ما فيه عبرة وعظة من هذه القصص الوقائع القرآنية ، يصلح للاقتداء والنطبيق فلا تصف في جملة المثاليات التي يصعب تحقيقها ، فإن بعض الناس إذا دعي إلى بعض القيم والأخلاق الإسلامية، تذرع

ننا - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ٣٥.

اننه عنظر: الإعلام في القرآن: ٢٦٢ .

٤٤٠٠ - ينظر: الإعلام في القرآن: ٢٦٢ - ٢٦٧.

بأنها مثاليات لا تتحقق في الواقع ، أو أنه لا يمكن فعلها في عصرنا ، فذكر الدّعاة لشيء من هذه القصص والأحداث والوقائع يزيل التصوّر الخاطئ في المجال العملي التطبيقي . (٤٤٣)

Y - إن ذكر القصة القرآنية ، وتلمس الحلول المشكلات الواقعية من خلالها ، يوجد حركة اجتماعيه ومحاورات ذات جدوى يعود نفعه على المجتمع ؛ وذلك من خلال الاستدلال بها إن تتبع القصة القرآنية من قبل الناس توجد فيهم قدرا كبيرا من أهل الغيرة ، وتحرّك النفاعل ، والمشاركة الجماعية والشجاعة الأدبية ، ممّا توقظ المشاعر ، والتفكير الجماعي ، إذ إن من الأمراض الستقيمة التي تغشت في كثير من المجتمعات اليوم ، أن يعيش الإنسان النفسه فحسب ، فلا يبالي بمشكلات الآخرين ، بل لا يبالي لمشكلات جيرانه وإخوانه ، والأقربين منه ، وربما اعتقد أنّ الأمر لا يعنيه وتركه من حسن إسلامه وبذلك ضاقت مساحة الإصلاح في المجتمع ونقلصت وظيفة الأمر بالمعروف والتناصح والتعاون على البرّ والتقوى ، واتسعت مساحة الصمّت ، وعدم إنكار المنكر والتهيب من المناصحة والتذكير . (١٤٤٤)

في حين أننا لمّا نقرأ القصّة القرآنيَّة ، نجدها أحداثا واقعيّة ، ممّا ينبغي علينا أن نتنبّه إلى أمر عقدي وهو أنّ هذه القصّة ثابتة باليقين ، إصلاحيّة بتمامها ؛ وذلك الاشتمالها على العبر والعظات ولكونها مناسبة للوسط الذي يعيش فيه المخاطبون ، الذين الا تتبو عنها أسماعهم ، أو تمجّها عقولهم . والا نتصوّرها قصّة خياليّة ، علما أنّ القصّة القرآنيّة قد تميّزت عن غيرها بما يأتي :

1- التثبّت الشديد ، والتوثق الأكيد من وقوع القصّة أو الحادثة ، سواء بقراءتنا لها من خلال كتب التفسير الموثوق بها ، أو بسماعنا إيّاها من أفواه العلماء والدّعاة المصلحين المشهود لهم بالضبط والتثبت والإتقان ، بينما نجد القصّة الخياليّة مخالفة للواقع ، أو مجانبة بعض تقصيلاتها للحقيقة . لذا فإنّ التثبّت في النقل والأخبار منهج إسلاميّ أصيل ، يجب أن يراعيه المسلم في عكلقاته المختلفة و لاسيّما خطباء هذه الأمّة ، ودعاتها ، ووعاظها ومصلحيها ؛ لأنّ دائرة النشر لديهم أوسع من غيرهم ، والجمهور المتلقى منهم أكبر من غيرهم . (٥٠٤٠)

٢- إنَّ القصة القرآنية مدعاة التواصل والاستمرار في القراءة ، إذ تمثل دورة مكثفة مستمرة وفائدة التواصل والاستمرار في كل الظروف ، وفي جميع الفصول والمواسم ، له دور كبير في إرساء المفاهيم الإسلامية ، وتقليل الشرّ والفساد ورفع مستوى الخير والصلاح، والحث على الفضائل ، وحفظ الموضوعات المتعلقة بتصحيح العقيدة ، وتجنب الشرك بأنواعه وألوانه، وما يصون إيمانه ، ويحمي جناب التوحيد عنده ، ووعي الموضوعات الاجتماعية التي تتناول حياة المسلم في جوانبها الاجتماعية المتنوّعة ، وعلاقات المسلم المختلفة، وكذلك الموضوعات الأخلاقية التي تسمو بخلق المسلم وتزكي سلوكه ، وفهم الموضوعات التي تتبصر المسلم بفقه دينه ، ومعرفة الأحكام الشرعية في شؤون حياته المختلفة ، وإدراك الموضوعات السياسية التي تبصر المسلم بواقع أمّته ، و هموم مجتمعه ، وحقوق إخوانه المسلمين ، وواقع الأقليّات المسلمة في البلاد الأخرى . (٢٤٤)

وإذا ما قرأنا الآيات القرآنيّة بتمهل وتدبر وجدنا أنّ الدّعوة القرآنية توجّه الإنسان إلى حقيقة خالدة وتسلكه في هذا التيار المتدفق للإيمان ، وترفع منزلته حين تصله بالمؤمنين من بدء الخليقة وتحذره

<sup>&</sup>lt;sup>٤٤٣</sup>- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة: ٤١.

<sup>&</sup>lt;sup>333</sup>- ينظر: المرجع نفسه: ٤٢.

<sup>°</sup> نا - ينظر: المرجع نفسه: ٤٣.

٤٤٦ - ينظر: المرجع نفسه: ١٩٨.

عاقبة الكافرين والجاحدين ، وبذلك يشعر الإنسان أنه واحد في الصَّف المؤمن ، وأنه فرد في مجتمع المؤمنين الممتد عبر الزمن ويزوده ذلك ترصيد شعوري كبير يمدّه بالعزة والقــوّة والصّــبر ؛ لأنـــه واحد من صفوة بنى الإنسان.

> المطلب الرّابع الأسلوب القرآني في مُخاطبة الرُّوح الجماعيَّة

تتجلى عظمة الأسلوب القرآني في تزكية روح الاجتماع في الإنسان وإثراء الأخوّة الإنسانيّة التي نتجلی عطمه ، سسوب ر  $_{\rm c}$   $_{\rm c}$   $_{\rm c}$   $_{\rm c}$  تقود إلى الخير والنجاح ، يقول عز وجل في ذلك :  $(x_{\rm c}^{(4)})$ 

بهذا الحب الذي يبثه الأسلوب القرآنى نهض مجتمع الإسلام الأوّل الفريد في تاريخ البشرية مجتمع كل فرد فيه امَّة ، وهو على ضخامة شخصياته وإيجابيَّتها العجيبة الفذة ، متحاب مترابط لا تكاد تحسّ أين يبتدئ كيان كلّ واحد منهم ، وأين ينتهي الأخر ؛ لأنّ الحب قد أزال الحدود . والأسلوب القرآني يغذي روح الاجتماع بتوجيهاته الدّائمة إلى التعاون والتشاور والوفاق ، ويحث المؤمن على أن يحب إخوانه المؤمنين ويحسن إليهم: ثر ژ ، ژ چچچچ

ژ و ئ ۋ ۋ و و ۋ ۋ ي ي بېر ( (۱۶۹۹ ) (۱۶۹۹ )

فاعتنى الإسلام بتكوين روح الجماعة لدى المسلم إلى جانب تكوين روح الاعتداد بالنفس لديه ، حتى يتكون المجتمع من أفراد أقوياء متعاونين متحابين متساندين صفًا واحدًا كأنهم بُنيانٌ مرصوص تتكاتف جهودهم للعمل لهذا الدّين والانتصار له وإقامة الأمّة الإسلاميّة القويّة المنيعة الني تتأبي على الذلّ والهوان ، وتترفع عن الخضوع للكفار والتبعية لهم .

ومن الطرق التي سلكها الإسلام لتكوين الرّوح الجماعيّة لدى المسلم: تقوية أواصر الأخوة الإسلامية بين المسلمين والتحذير من كلّ ما يزعزعها . وتكوين الوعى الكامل بوحدة الأمّة الإسلامية وترابط مصالح الفرد والجماعة . وتقرير المسؤوليّة الجماعيّة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والتأكيد على الجماعة في الشعائر التعبديّة المشروعة أداؤها جماعة كالصّلاة المفروضة . والدّعوة الصّريحة إلى لزوم جماعة المسلمين وترك التفرّق . (٥٠٠)

وإذ يهتم الإسلام هذا الاهتمام الكبير بأن يكون المسلم متآلفًا مع الجماعة ، فإنه لا يترك هذه الرّوح الجماعيّة بدون شروط تجب مراعاتها ، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة تبيّن هذه الشروط التي يجب توفرها في تنمية الرّوح الجماعيّة ، ولعلّ أهمّ هذه الشروط أن يكون الاجتماع والتألف والتأخي على أساس الإيمان والنقوى والعمل الصّالح ، كما قال تعالى: ﴿ كَا كُلُّ كُلُّكُ كُلُّكُ كُلُّ كُلُّ لَا ثُا تُهُ هُ رُ (٤٥١)

ومن هذا الباب جاء الحث على اختيار الرَّفقة الصَّالحة ، حتى تكون وسيلة للتعاون على الخير والمحافظة على شخصية المسلم ووقايتها من الذوبان والانحلال الذي ربما جرّ -والعياذ بالله- إلى التشبه بالكفار

٤٤٧ - سورة الحشر: ٩.

<sup>&</sup>lt;sup>۱۱۸</sup> - الآيات – بالتريب- في سور : المائدة : ۲ ، آل عمران : ۱۰۳ ، الفتح : ۲۹ ، الشوري : ۳۸ ، الحجرات : ۱۰ .

الإعلام في القرآن: ٣١٨.

<sup>· · · ،</sup> ينظر: موسوعة الخطب والدروس: ١٥.

اه، السورة التوبة: ١١.

فعن أبي موسى t قال : قال رسول الله r : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِجِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمُسِلُّكِ ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لا يَعْدَمُكُ مِنْ صَاحِبِ الْمُسِلُّكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ تَوْبُكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيتَة » . (٤٥٢)

.. وهكذا تتحد الجماعة في الهدف ، وتتحد في العمق فتلتقي القلوب لترتبط كلها بالله في النهاية ، فلا يقوم بينها الشقاق والخصام ، وتلتقي النزعة الفردية المؤمنة الخلاقة والنزعة الجماعية الداعية إلى الخير كلتاهما في كلّ واحد يعمل لتحقيق مجتمع الله المتصف بالكمال والمغفرة والعفو ، وخرج منها الإنسان بمعرفة جديدة ، هي عداء الشيطان له ليباعد بينه وبين ربه .

#### المطلب الخامس

#### القرآن والمجتمع اليمانى

إنّنا لسنا بحاجة إلى تأكيد فكرة ارتباط المجتمع اليماني بالقرآن الكريم ، باعتباره المصدر الأولّ للتشريع الإسلامي الذي يُؤمن به جميع الناس في هذا البلد المعطاء (١٥٤) ، ولا أعتقد كذلك أنّ أحدا يُجادلُ في أهميّة أن يكون هذا القرآن مصدراً لكلّ التشريعات ، ولكلّ المسلمين في العالم دولاً وأفرادا ما داموا يرون أنّ هويّتهم هي الإسلام وليست شيئاً آخراً يتلقفونه من هنا وهناك .

وأهميّة القرآن في حياتنا هي التي جعلت أبناء هذا البلد يتحدّثون عن القرآن ومكانته في حياتنا، وهي التي جعلتهم يولون هذه المكانة بصورة عمليّة ما تحتاجه من أعمال ؛ لكي تحقق النتائج المطلوبة منها في حياة الناس كلهم .

راستحباب (استحباب (في العطار وبيع المسك) ، رقم الحديث: (۱۰۱) : ۱٦/٨ ، صحيح مسلم : باب: (استحباب مجالسة الصالحين) ، برقم: (٦٨٦) : ١٠٨/١٧ . ولفظ مسلم هو: « إنّما مثلُ الجَلِيس الصَّالِح وَالجَلِيس السَّوْء كَامِلُ الْمِسْكِ وَالْجَلِيس الْمَسْكِ وَالْجَلِيس الْمُسْكِ وَالْجَلِيس الْمَسْكِ وَالْجَلِيس الْمُسْكِ وَالْجَلِيس اللهِ مَسْكِ وَالْجَلِيس اللهِ مَسْكِ وَالْجَلِيس الْمُسْكِ وَالْجَلِيس الْمُسْلَعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلَعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس اللهِ وَالْمَالُ الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيس الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيسِ الْمُسْلِعِ وَالْمَالِعِ وَالْجَلِيسِ الْمُسْلِعِ وَالْجَلِيسِ الْمُسْلِعِ وَالْمَالِعِ وَالْمَالِعِ وَالْجَلِيسِ الْمُسْلِعِ وَالْمَالِمِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمَالِي الْمُسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمَالُ الْمُسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمَالِمُ الْمُسْلِعِ وَالْمَالِعِ وَالْمِلْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمَالِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِلْمِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمُولِي وَالْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمُعْلِيلِ الْمُسْلِعِ وَالْمِلْمِ وَالْمِسْلِعِ وَالْمِلْمُ وَالْمِسْلِعِ وَالْمُعْلِي وَالْمُعْلِي وَالْمِلْمِ وَالْمِيلِي وَالْمِلْمِ وَلْمِلْمِ وَالْمِلْمِ وَالْمِلْمُ وَالْمِلْمِ وَالْمِلْمِ وَالْمِل

<sup>&</sup>quot; أ- الآيات – بالترتيب – في سورة : آل عمران :١١٠ ، الأنفال : ٢٥ ، التوبة : ١٢٣ ، مُحمّد : ٧ ، الحجرات : ٦ ، الصف :١٠-١١ .

أناء إنّ قوانين الجمهوريّة اليمنيّة مستمدة من أحكام الشرع ، استناداً إلى دستور الجمهوريّة لعام ١٩٩٤م ، التي نصّت المادة الثالثة منه على أنّ : (الشريعة الإسلاميّة مصدر التشريعات جميعاً) . القضاء الإداري في اليمن (الأسس العامّة) : د. محمد محمد الدرّة ، ط٣جامعة تعز / اليمن ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م : ٢٧ .

ومن أجل تلك الأهميّة انبثقت هذه المسابقة حول (القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) برعاية كريمة وطيّبة من ذوي الفقيد الرّاحل الحاج هائل سعيد -عليه رحمات الله تعالى- ، بوساطة صرحهم العلميّ الكبير ، مؤسسة الحاج هائل سعيد الثقافيّة - جزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء- . ولمكانة كتاب الله تعالى ، فقد أولت وزارتي التربية والتعليم العالي أهميّة كبرى في تحفيظ القرآن الكريم للطلبة والطالبات ، ويُدعمان المسابقات في هذا الميدان ، بل هنالك أقسام عدة تابعة لكليتي الأداب والتربية ، وعلى مستوى محافظات جمهوريّة اليمن السّعيد (٥٥٠٠) ، يختص بعضها بالقرآن وعلومه وبعضها بالدّراسات الإسلاميّة كافة وفي مقدمتها دراسة الكتاب والسنّة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ فحسب ، بل هنالك جامعات إسلاميّة كجامعة الإيمان ، والتي لا يتخرّج الطالب الأكاديمي منها حتى يحفظ القرآن الكريم كله ، وكليّات للقرآن الكريم ، والعلوم الشرعيّة .. وفي بعضها الآخر أقسام متخصّصة في تدريس القرآن وعلومه ككلية الآداب والتربية عامّة على مستوى الجمهوريّة اليمنيّة ، والتابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

وكذلك الكليّة العُليا للقرآن الكريم وتعليم القراءات ، ومركز الشاطبي لتعليم القراءات القرآنيّة وكلاهما في العاصمة صنعاء .. وبترخيص من قبل وزارة الشؤون الاجتماعيّة في الجمهوريّة . فضلا عن المعهد العالي للتوجيه والإرشاد لتخريج الأئمّة والخطباء والدّعاة في صنعاء ، وفرعه الثاني في عدن .. التابع لوزارة الأوقاف والإرشاد في الجمهوريّة .

كما أنَّ وزارة الأوقاف والإرشاد ، ووزارة الشؤون الاجتماعيّة يشرفان ويتبنّيان المدارس الدّينيّة المسمّاة بــ (المراكز الشرعيّة) ، والجمعيات الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم في محافظات الجمهوريّة وحواضرها بحيث أصبح عددها حاليا ما يُقارب (٣٠٠) مركز – كحد أدنى - لتحفيظ القرآن الكريم للذكور والإناث ، متضمنا ذلك حلقات فرعيّة على نطاق واسع في المُحافظات كلها . وكذلك حفظ صحيحي البخاري ومسلم مع إجراء المسابقات لذلك . و (٣٠) جمعيّة بين خيريّة ، وإصلاحيّة ، وعلميّة - كحد أدنى أيضاً – بالنسبة للأصول دون الفروع على مستوى الجمهوريّة . (٢٥٠)

.. هذا بالنسبة على نطاق التعليم ، وأمَّا عن حريَّة الإعلام الدَّاعي له القرآن الكريم فقد تميَّرت جمهوريَّة اليمن بنصِّ مادة (٤١) على أنّ : " لكلِّ مواطن حق الإسهام في الحياة السياسيَّة

أدنا جمعت هذه المعلومات كلها ، بوساطة الأخ العزيز مدير إدارة تحفيظ القرآن الكريم ، ورئيس قسم التوجيه والإرشاد في محافظة إب عند زيارتي له .. ، وقد أوعدني خيراً بتزويدي بالمصادر المختصة لاحقاً إن شاء الله تعالى ، إذ قال لي هذا الكلام كله مدعم بوثائق ومصادر .. علماً أثني بذلت جهداً من أجل الحصول على بعض المصادر في هذا الشأن .. لكن للأسف لم أقف عليها .

<sup>°° -</sup> ينظر: كتاب الإحصاء السنوي ، لعام (٢٠٠٤م) : وزارة التخطيط والتعاون الدّولي – الجهاز المركزي للإحصاء - ، ط مؤسّسة الثورة - اليمن ٢٠٠٤م : ٢٦٢ - ٢٦٦ .

والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة ، وتكفل الدّولة حريَّة الفكر ، والإعراب عن الرَّأي بالقول والكتابة والتصوير في حدود القانون " . (٢٥٠٠)

وهذا ما نراه اليوم ونسمعه من الإعلام اليمني الذي بقي وما يزال حريصاً على توجيه المجتمع وإرشاده من خلال المحاضرات والندوات التي يُلقيها سعادة العلماء والدّعاة والأساتذة الفضلاء، وبث روح التسامح والتصالح بين أبناء هذا المجتمع الواحد ، وذلك من خلال الإذاعات المرئية والمسموعة .. ولا أبالغ إذا قلت أن الفضائية اليمنية متميّزة عن بقية فضائيّات البلدان الأخرى في تحفظها عن إخراج وإعلان كلّ ما يؤدي إلى التفسخ الخُلقي ، أو فساد المجتمع .

وأمًا عن حريَّة الصحافة والمطبوعات ، وإبداء الآراء المختلفة فقد نصت مادة (٥) من القانون (٢٥) لسنة ١٩٩٠م على أنّ :"الصتحافة حرّة فيما تتشره ، وحرّة في استيفاء الأنباء ، والمعلومات من مصادرها ، وهي مسئولة في حدود القانون" .(٢٥٨)

و لا شك أنه أصبح لوسائل الإعلام في اليمن دور مهم في الرقابة على أعمال الإدارة ، نتيجة ما تحضى به الصحافة من حرية بفضل التوجيه الديمقراطي ، فعن طريق ما تنشره من أخبار تكشف انحرافات تلك الإدارة وتجبرها على تصحيح أخطائها . وإن نشر مثل هذه الانحرافات تؤدي إلى إطلاع أكبر عدد مُمكن من الأفراد على حقيقة مجريات الأمور . (٢٥٩)

ولا يفوتني أن أذكر ما نقدّمه وزارة الأوقاف والإرشاد من خدمة جليلة تجاه أهل العلم ، من إقامة دورات صغرى على نطاق المحافظة ، وكبرى على نطاق الجمهوريّة ، وتعني تلك الدورات بالتوجيه والتقوية لإعداد خطباء متميّزين في الشخصيّة والأداء .

وكذلك فتح دورات تعليمية وإرشادية - بدءا بهذا العام - ، لتوعية الحجاج والمعتمرين ، عند مقربة وقت أداء فريضة الله تعالى ، وذلك على مستوى الجمهورية ، وعلى حسب المديريّات التابعة لوزارة الأوقاف والإرشاد .

إذن فمن الواضح أنّ القرآن الكريم يحتاج لكلّ ما أشرتُ إليه ، كما أنه يحتاج إلى أكثر من ذلك بكثير؛ لأنه هو الذي يجب أن يدير شؤون حياتنا كلها ، ونحن إن جعلناه يفعل ذلك فإننا سنبني مجتمعاً مثاليّاً يتحقق فيه الأمن والعدل وكلّ سُبُل الحياة التي يحتاجها كلٌّ منا وبقدر بُعدنا عنه تتعقد تلك الحياة الكريمة التي نتطلع إليها .

والقرآن الكريم من أهم المصادر التي يُمكنه إصلاح ذلك كله لو قدّم للشباب بصورة جيّدة مظاهر العنف -بكلّ أنواعه- بدأت تسري في جسد المجتمع وبعضهم يتكئ على القرآن في تسويغ

<sup>&</sup>lt;sup>٢٠٧</sup>- الجريدة الرّسميّة ، العدد (١٩) ، الجزء الثاني ، لعام ١٩٩٤م . نقلاً عن القضاء الإداري في اليمن (الأسس العامّة) :

٥٥٠٠ - القضاء الإداري: ١٨٧.

٤٥٩ - ينظر: المرجع نفسه.

هذا العنف فأين ذلك كله من الفهم الصّحيح للقرآن الكريم ؟ وهل يُمكن أن ننقل ذلك الفهم لأبنائنا؛ كي نقضي على ذلك العنف المدمّر؟.

القرآن الكريم خير ً كله لكننا نريد أن ننقل حروفه وكلماته ومعانيه لشبابنا بصورة جيّدة تحقق لهم الخير كما تحققه في الوقت نفسه للمجتمع الذي يعيشون فيه .

وهناك أصوات نشاز تطالب بالغائها وتغلف تلك المطالبة بقضايا واهية ، وكأن هذه المدارس في نظرهم أصبحت خطرا على المجتمع وعبئا عليه .

القرآن الكريم يجب أن يكون فاعلا في حياتنا ، نراه قولا وعملا ، يحقق لنا الحضارة المادية والمعنوية بكل أنواعها وألوانها ، ولكي يكون كذلك لابد أن نهيئ أشخاصا قادرين على القيام بذلك الدور ، ولابد أن يكون المجتمع كله واقفا معهم ؛ كي يتحقق الخير الذي نأمله .

هذا وسأتعرض في الصنّفحات الآتية – إن شاء الله- لبعض المفاهيم التي تبلورت لدينا مسائل الإصلاح مع الاعتراف بالقصور والتقصير ، وكون ما نقوله لا يعدو أن يكون اجتهادا يحتمل الخطأ والصنواب إنما المراد أن نثري السنّاحة الدعويّة بالأفكار الإيجابيّة .. وعلى الله قصد السّبيل .

.. وأخيرا ، فإنه من خلال هذه الوقفات القرآنية تتجلى لنا طبيعة منهج هذا الدين ، كما يتمثل في القرآن الكريم .. إنها طبيعة حركية تواجه الواقع البشري بهذا القرآن مواجهة واقعية عملية ..

فقد كان هذا الكتاب يتنزل على رسول الله ٢ في مكة ، والقلة المؤمنة معه محصورة بين شعابها والدّعوة الإسلاميّة مجمّدة فيها ، والطريق شاق طويل لا يكاد المسلمون يرون له نهاية! فكان هذا النور يكشف لهم عن نهاية الطريق ، ويريهم معالمه في مراحله جميعاً ويأخذ بأيديهم وينقل خطاهم في هذا الطريق ، وقد بات لاحباً موصولاً بموكب الدّعوة الكريم على مدار التاريخ البشري ، وبات بهذا الرّكب الكريم مأنوساً مألوفاً لا موحشاً ولا مخوفا! . . إنهم زُمرة من موكب موصول في طريق معروف ، وليسوا مجموعة شاردة في تيه مقطوع! وإنهم ليمضون من نقطة البدء إلى نقطة الختام وفق سنة جارية ، ولا يمضون هكذا جزافا يتبعون الصنّدفة العابرة! . (٢٦٠)

هكذا كان القرآن يتحرّك في الصنف المسلم ، ويحرّك هذا الوصف حركة مرسومة مأمونة .. وهكذا يُمكن اليوم وغدا أن يتحرّك القرآن في طلائع البعث الإسلامي ، ويحركها كذلك في طريق الدّعوة المرسوم ..

إنَّ هذه الطلائع في حاجة إلى هذا القرآن تستلهمه وتستوحيه . تستلهمه في منهج الحركة وخطواتها ومراحلها ، وتستوحيه في ما يصادف هذه الخطوات والمراحل من استجابات، وما ينتظرها من عاقبة في نهاية الطريق .

والقرآن بهذه الصوّرة لا يعود مجرد كلام يتلى للبركة . ولكنه ينتفض حيا يتنزل اللحظة على الجماعة المسلمة المتحركة ، لتتحرك به ، وتتابع توجيهاته ، وتتوقع موعود الله فيه .

٤٦٠ - ينظر: في ظلال القرآن: ١٩٤٨.

وهذا ما نعنيه بأنَّ هذا القرآن لا يتفتح عن أسراره إلا للعصبة المسلمة التي تتحريّك به لتحقيق مدلوله في عالم الواقع . لا لمن يقرأونه لمجرد التبريّك! ولا لمن يقرأونه لمجرد الدّراسة الفنيّة أو العلميّة ، ولا لمن يدرسونه لمجرد تتبع الأداء البياني فيه! .

إنَّ هؤلاء جميعاً لن يدركوا من هذا القرآن شيئا يذكر . فإنّ هذا القرآن لم يتنزل ليكون مادة دراسة على هذا النحو ، إنما تنزل ليكون مادة حركة وتوجيه .. (٤٦١)

إنَّ هؤ لاء وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن ؛ لأنهم يعيشون في مثل الجو الذي نزل فيه : ويحاولون المحاولة التي كان يحاولها من نتزل عليهم أوّل مرة ، و يتذوقون في أثناء الحركة والجهاد ما تعنيه نصوصه ؛ لأنهم يجدون هذه المعاني ممثلة في أحداث ووقائع . . وهذا وحده جزاء على كلّ ما يصيبهم من عذابات وآلام .

.. هذا ويطول بنا الحديث إلى غير حدٍّ ، إذا أردنا أن نتقصتى ما أورده القرآن الكريم في توجيهه المؤمنين إلى العوامل التي تحفظ مجتمعهم ، وتمكن له أسباب البقاء سليماً طاهراً يمضي على طريق الله والخير .

وممًا تجدر الإشارة إليه أنّ الكثرة الغالبة في الآيات القرآنيّة اتجهت إلى مخاطبة الجماعة ممّا يدلّ على أنّ القرآن الكريم يجعل صلاح المجتمع أساساً لصلاح الفرد ، وهو ما ذهبت إليه النظريات العلميَّة الحديثة في علم النفس والاجتماع . فإذا اتجهنا إلى أخلاق الفرد ، تجلى الهدف القرآني نفسه في تحقيق الكمال الخلقي للإنسان في مجموعة ضخمة من المعادن الخُلقيّة ، التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة في السلوك الإنساني ، الفاضل فيها أو الرّنيل إلا بيّنته فدعت إلى الفاضل بأعظم وأبلغ الأساليب تأثيراً في النفس ، ونهت عن الرّنيل فيها وبيّنت شرة بالأسلوب المعجز نفسه .

.. وبهذا نختم القول بأنّ طريق الخلاص وعنوان السّعادة التمسّك بكتاب الله تعالى ، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتزيل من حكيم حميد ، وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإنهما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان لعقيدة الإسلام وشريعته .

فأيّ منهج جانبَ هذا الطريق فإنه منهج خاسر ، فالتمسك بالقرآن الكريم هو سبيل المؤمنين وطريق الوصول اللي مرضاة ربّ العالمين ، والحصن الحصين ، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمّة من بدع المُبتدعين وانتحال المُبطلين ، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين وهو الطريق الذي صلحت به أحوال الأمّة في صدر الإسلام ، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرّجوع إليه منهجا ، ويستورا .

هذا وأرى أن أقتصر في هذا الباب عل ما مضى ؛ لأنه سيأتي في الباب الثاني ما يُمكن أن يغني عن الإطالة هنا في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى .

82

٢٦١ - ينظر: في ظلال القرآن: ١٩٤٨ .

# الباب الثاني دور القرآن في إصلاح المجتمع

ويحتوي الفصول الأتية ...

- الفصل الأول : دور القرآن في إصلاح المجتمع عقديا .. ويشمل ما يأتي :
  - المبحث الأوّل: أثر القرآن في إصلاح البناء الفكري
- المبحث الثاني: أثر القرآن في الدّعوة إلى الاعتدال الفكري
  - المبحث الثالث: دور القرآن في إصلاح مشكلة الغلو
  - المبحث الرّابع: فتنة التكفير وضرره على المجتمع
- الفصل الثاني : دور القرآن في إصلاح المجتمع من حيث العبادة .. ويحتوي ثلاثة مباحث :
  - المبحث الأوّل: ضرورة الدّين لإصلاح المجتمع
  - المبحث الثاني: أثر القرآن في تيسير التشريع والتكليف

- المبحث الثالث: الوسطيّة في التشريع والتكليف
- الفصل الثالث: دور القرآن في الإصلاح الدّعوي .. ويتضمّن مبحثين أساسيين هما:
- المبحث الأول: دور القرآن في إصلاح الدّعوة .. ويشمل المطالب الآتية : المطلب الأول: أهميّة الدعوة في إصلاح المجتمع المطلب الثاني: أثر القرآن في إصلاح خطبة الخطيب المطلب الثالث: أثر القرآن في الدّعوة إلى الأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر

- المبحث الثاني: دور القرآن في إصلاح الدّعاة
- الفصل الرّابع: دور القرآن في إصلاح المجتمع خُلقيا .. ويحتوي المطالب الآتية: المطلب الأول: أثر القرآن في الدّعوة إلى تعاون أفراد المجتمع المطلب الثاني: دعوة القرآن إلى إنصاف المجتمع المطلب الثالث: دعوة القرآن إلى إصلاح التآخي والمحبة بين

الأفراد

المطلب الرّابع: أثر القرآن في إعلام مصادر الإلزام الخُلقي

- الفصل الخامس : دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي .. ويتضمّن ما يأتي :
- · المبحث الأوّل: دور القرآن في إصلاح نظام الأسرة واستقراره
- المبحث الثاني: أثر القرآن في إصلاح التربية والتنظيم والتعليم
- المبحث الثالث: دعوة القرآن إلى المحافظة على النفس والصّحة
  - المبحث الرّابع: دور القرآن في إصلاح حقوق المرأة
- المبحث الخامس: أثر القرآن في إصلاح المُساواة بين الرّجل والمرأة
  - المبحث السّادس: دعوة القرآن إلى تطوّر المجتمع حضاريّا
  - المبحث السّابع: أثر القرآن الكريم في إصلاح حقيقة التغيير
    - المبحث الثامن: صلاح الفرد بصلاح المجتمع
- المبحث التاسع: توسيع الشريحة الوسطى مهمّة إصلاحيّة كبرى
- الفصل السّادس: دور القرآن في إصلاح النظام الاقتصادي .. ويحتوي أربعة مطالب:
  - الأوّل: أثر القرآن في إحكام النظام الاقتصادي
  - الثاني : دور القرآن في إصلاح كسب المال وإنفاقه
    - الثالث: دور القرآن في إصلاح المال وحفظه
  - الرَّابع: أثر القرآن في تكامل نظام المسؤوليّة المدنيّة والجنائيّة
- الفصل السّابع: دور القرآن في إصلاح السّياسي (دعوة القرآن إلى بناء الدّولة وإصلاحها) ..
   ويشمل المباحث الأتية:
  - المبحث الأوّل: دور القرآن في إصلاح مبدأ الشورى
  - المبحث الثاني: أثر القرآن في إصلاح طاعة ولاة الأمور
  - المبحث الثالث: دور القرآن في إصلاح العدالة تجاه أبناء المجتمع

- المبحث الرّابع: أثر القرآن في إصلاح ترسيخ العكلقات الدّوليّة

• الفصل الثامن : دور القرآن في إصلاح الإعلام .. ويتضمّن ما يأتي :

المطلب الأوّل: أثر القرآن في إصلاح رجل الإعلام المطلب الثاني: دور القرآن في إصلاح الشعور بالأمن

إعلاميّاً

المطلب الثالث: دور الرسالة الإعلاميّة الإسلاميّة

#### الفصل الأول

## دور القرآن في إصلاح المجتمع عقدياً

والإيمان الذي نعنيه هو: قول ، وعمل ، واعتقاد . (٢٥٠) وفي حديث جبريل - المشهور - الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسؤاله له للنبيّ صلى الله عليه وسلم عن الإيمان بقوله: « فأخْيرْنِي عَن الإيمان ؟ قال : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُثْبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَسُرّةٍ . قَالَ صَدَقت ؟ . (٢٦٤)

ومعلوم النقلة الإيمانيّة العظيمة التي أحدثها القرآن الكريم في نفوس المسلمين ، فانقاد الناس لتوحيد ربّ العالمين ، وانغرست في قلوبهم معاني الخير للناس أجمعين ، كذلك أثمر الإيمان في نفوس

٤٦٢ - سورة هود: ١٠١.

<sup>&</sup>lt;sup>۱۲۲</sup>- ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ١٨.

٤٦٤ - سورة الجمعة: ٢.

<sup>570</sup> ينظر: الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح: ٦/ ٣٦ ، شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي: ٤٦٧ ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: ٢/ ١٣٩.

٢٦٤ - صحيح مسلم: باب: (بيان الإيمان والإسلام والإحسان ..) ، رقم الحديث: (٨): ١/ ٣٦ ، سنن ابي داود: باب: (في القدر)، برقم: (٤٦٩٠): ٢/٥٣٠ ، سنن الترمذي: باب: (وصف جبريل للنبي..) ، برقم: (٢٦١٠): ٦/٥٠ ، سنن النسائي: باب: (في الإيمان) ، برقم: (٤٩٩٠): ٩٧/٨ ، سنن ابن ماجه: باب: (في الإيمان) ، برقم: (٢٦): ٢٤/١): ، مسند أحمد: برقم: (٢٩١): ٢٨/١ .. وكلهم من حديث عمر بن الخطاب t .

الناس التقوى و الإخبات لله تعالى و الخوف و الخشية منه و مراقبته تعالى في السرّ و العلن ، فكان لذلك الأمر نتائجه العظيمة في صلاح الناس و استقامة أحوالهم .(٢٦٠)

قال تعالى:  $\mathring{t}$  ج ج ج ج ج ج ج ج فكان المعنى إلا ليعبدوني وحدي ليوحدوني لا ليُشركوا غيري الإنس والجنّ على إرادته أن يعبدوه ، فكان المعنى إلا ليعبدوني وحدي ليوحدوني لا ليُشركوا غيري في العبادة فهو ردّ للإشراك . (٤٦٩) فالعقيدة المبنيّة على توحيد الله عزّ وجل، والخالصة من كلّ شائبة ، هي التي تنقي المجتمعات ، وتنقذ الشعوب من الرّدى وتثبت لهم عزّهم وفخرهم وتنجّيهم من الفتن والمحن والمحائب .

وعلى المسلمين كافة الاعتقاد بأنّ الخير والشرّ بتقدير الله وعلمه وإرادته ، ولكن فعل الخير والشرّ من العبد باختياره ، ومراعاة الأمر والنهي واجبة على العبد ، فلا يجوز له أن يعصي الله ويقول : (هكذا قدر الله ذلك)!!! الله أرسل الرّسل وأنزل عليهم الكتب ؛ ليبيّنوا طريق السّعادة والشقاء وتكرّم على الإنسان بالعقل والتفكير ، وعرّفه الضلال والرّشاد ، قال الله تعالى : ژ

ر . فإذن ترك الإنسان

لربية المجلمع على هذا الدين لربية صحية لا عبار عليها ، لذا صار التعليم في خاصرنا المعاصر من أوسع سبل التربية العقدية ، ولاسيما المراحل الأوليّة بالنسبة للناشئة إذ هو تعليم يزرع في عقولهم منذ البداية ، فلا بدّ أن يكون وفق المنهج الحقيقيّ ، الذي هو من شأنه غرس المعنى الصحيح للعبادة بصفته علية الوجود ، والذي يظهر صفاء ونقاوة هذا الدّين الحنيف ، ولا يكون ذلك إلا من خلال مادة التوحيد ، مع نفي كل شائبة الحاديّة ، يمكن أن تدنسه ، وعلى عكس ما يبتغيه ويتمنّاه بعض المستشرقين في استحداث وتجديد بعض المناهج التعليميّة . ونُدرك ثمرة هذه التربية الإسلاميّة في المسلم نفسه ، إذا ما قارنّاها بما يقابلها من النظرة الوثنيّة التي سادت الفكر والتعليم في أوروبا ومنها انتقلت إلى المسلمين وأثرت في مناهجهم التعليميّة .

علما أنَّ المسلمين اليوم لا يعوزهم التجديد العقدي ، وإنما يعوزهم العودة إلى ما كان عليه نبيّهم صلى الله عليه وسلم ، وسائر الأنبياء من قبله عليهم السّلام ، وسلف هذه الأمّة وصالحيها رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ومن المؤسف أنَّ بعض الناس ينظرون إلى أنّ التزام الأمّة الإسلاميّة بعقيدتها في عالمنا المعاصر نظرة ربية أو استخفاف بهذا الالتزام ، ولاسيّما أنّ الدّولة في العصر الحديث في أوروبا وغيرها من المجتمعات التي سيطرت عليها الحضارة الغربيّة قد جاءت بعيدًا عن الدّين ، والفكر الغربي منذ زمن طويل ، قد نجح في فصل الدّين عن الدولة ، وحاول جاهدًا عزلة الدّين عن المجتمع، وتهميشه في إصلاحه وتقدّمه ، ووجد هذا الفكر تأييدًا من جانب الذين تأثروا بالثقافة الغربيّة في بعض البلدان الإسلاميّة ، وطرحت قضيّة المنهج الإسلامي على بساط البحث ، على الرّغم من ظهورها ووضوحها في عقول المسلمين

٤٦٧ - ينظر: الدّعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين: ٦٩.

٢٦٨ - سورة الذاريات : ٥٦ .

وأناء ينظر: الجامع الأحكام القرآن: ١٧/ ٥٠ ، التحرير والتنوير: ١/ ٢١٥٤.

<sup>· &</sup>lt;sup>٢٠</sup> - سورة الإنسان : ٣ .

الله الله المورة الحديد : ٢٢ . ينظر: توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : ٣٣ .

وقلوبهم ، فالذين يريدون إبعاد الدين عن عمله القيادي في إصلاح المجتمع ونموة وتطوره ، لا يجرؤون على نقد العقيدة الإسلامية في مجتمع مسلم ، وهي العقيدة التي يدينون بها ولكنهم يدعون إلى الإصلاح والتقدّم الإنساني في كافة مجالات الحياة على أسس وضعيّة، لا أثر للدين فيها في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وبذلك ينعزل الإسلام عن حياة الناس ويصبح مكانه الوحيد في القلوب أو في المساجد فقط ، فلا ضرر عند هؤلاء من أن يكون الدين لله أمّا الذنيا فهي خالصة للناس ، يضعون شرائعها ويُحدّدون . (٢٧٤)

والإسلام اليوم وسط بين أقوام أسرفوا في الاعتقاد فصدتقوا كلّ شيء ، وآمنوا بغير برهان واستسلموا للخرافة ، وأقوام ماديّين ينكرون كلّ ما وراء الحسّ دون إنصات لصوت الفطرة ونداء العقل ، فدعا الإسلام إلى الاعتقاد والإيمان بما قام عليه دليل قطعيّ وبرهان يقينيّ، وما عدا ذلك فهي أوهام . (٢٧٤) وللتفصيلات أكثر ، رأيت من الضرورة بمكان أن أقسم هذا الفصل على مباحث عدَّة :

#### المبحث الأوّل أثر القرآن في إصلاح البناء الفكري

إنَّ البناء الفكري أو التصوري هو أساس كلّ القيم والمعابير والموازين ؛ لأنّ العمل فرع عن تصور ه فلا يُمكن لأيّ إنسان أن يقوم بأيّ عمل أو يقدم عليه حتى يكون قد كوّن عنه فكرة أو تصور المحدّد أسواء أكان هذا التصور خاطئا أم صائبا ، ومن ثمّ يتشكل السلوك بناءً على ذلك التصور . ولعلّ الدّارسَ للقرآن الكريم يُشاهد الآيات القرآنية في العهد المكي تتنزل ، ولا تُعنى إلا بجانب واحد وهو جانب العقيدة والتصور ، وإذا ما ذكرت أسس الأخلاق وبعض جوانب منها لا تذكر إلا على سبيل الاقتضاء والتبع لوجود العقيدة .

وعُرضت هذه القضيّة - قضيّة العقيدة - بشتى الأساليب ، وكانت تركز على أنّ الله الذي خلق الكون والإنسان ودبّر ذلك كله .. هو الذي رزق كلّ شيء وهو الذي يُحييه ويُميته، وهو الذي يُدبّر أمره على ظهر هذه الأرض ، وهو مالك الملك وأنه لا شريك له ولا ندّا، وأنه الضارّ النافع وأنه هو الحاكم الذي لا رادّ لحكمه ، وكما أنه يخلق فهو يُميت ثمّ يَبعثُ مَنْ في القبور ، ثمّ يُجازي يوم الجزاء إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر ّ . (٤٧٤)

وعلى ضوء هذه الفكرة الموجزة عن قضية العقيدة ظلّ القرآن يتتزلّ ويُؤكد على هذه المعاني: إفراد الله بالسلطان المطلق في الأرض وفي السمّاء ، في عالم الشهود وعالم الغيب في الظاهر والباطن فلا يُعطى لغيره جزءا من هذا السلطان في الفكر والعقيدة أو في الشعائر أو في الحكم والسلوك ، وهذا واضح من أوّل آية قرآنية : (5 + 5) على الفكر والعقيدة أو في الشعائر أو في الحكم والسلوك ، وهذا واضح من أوّل آية قرآنية : (5 + 5) على الأولى الذي قام عليه الإصلاح التربوي كله ؛ لأنه قلب الموازين كلها ، فإذا كان الفرد في جاهليّته وقبل تلقيه هذا التصور - يتلقى موازينه وقيمه من الأعراف والتقاليد والموازين الجاهليّة المنبثقة من القبيلة أو البيئة ، فإنّ الفردَ الدّاخل إلى الإسلام أصبح يتلقى من مصدر آخر وينبذ المصدر القبلى ، أو العشائري أو البيئى ، ولم يَعُدُ أمامه إلا مصدر واحد يتلقى منه

٤٧٢ - ينظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع: ٨٠/٢.

٢٥٠ - ينظر: وسطيّة الإسلام وسماحته ودعوته للحوار: ٢٥.

٤٧٤ - دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة: ٧٣.

<sup>&</sup>lt;sup>٤٧٥</sup>- سورة العلق: ١- ٥.

كلّ شيء .. إنه القرآن العظيم ، ومن ثمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه هذا الكتاب ، قال تعالى : تَـ ثُـ ثُـ ثُـ ثُـ قُـ قُـ قُـ قُـ قُـ أَـ رُ (٤٧٦)

وهذا الموقف وحده هو الذي كان يُثير الجاهليّة ، ويُلهب الغيظ في هذه الفئة نفسها وعلى الرّغم من قلتها وضعفها ، وعدم إشهار السّلاح في وجه الجاهليّة ، ومن هنا فإنّ هذه الفئة تعاني الكثير من الضغط ؛ لأنها قرّرت أن تشق لها طريقاً غير طريق المجتمع المحيط .. فلم تعُد تدين بالولاء له ولا لقيادته ، ولا تشاركه اهتماماته وتوجهاته وسلوكيّاته ، بل تتبع من أصل خاص بها ، وتسير على نهج خاص أيضاً بها . (٢٧٧)

بهذا التصور العقدي الواضح تجمع الكيان البشري كله ولم يَعُدُ مفرقاً بين الآلهة المتشاكسة .. وهذا هدف تربوي ضخم تحقق في حياة الأفراد ، وتحقق في حياة المجتمع ، وأصبح الجميع يندفعون في تيّار واحد غيّر مسار التأريخ البشري كله ؛ لأنه جعل سكان الأرض كلهم صنفين لا ثالث لهما : يدين ويخضع للمنهج الربّاني ، ويُفرد الله بالوحدانيّة والعبوديّة والسلّطان ، ولا يُشاركه أحدٌ من خلقه في إدارة شئون الأرض ، ويعمل على نشر هذا المنهج في الأرض . وصنف متمرد على الله يقف معاد له يُحادّه ، ويترصد لعباده بالمرصاد. (٢٧٨)

وكان القرآن - وهو يتنزل ليُثبت الجانب العقدي- يستخدم وسائل شتى وأساليب متنوعة لتوضيح العقيدة السليمة ، وتصحيح الانحرافات التي يقع فيها الناس حين تستولي عليهم الجاهليّة وتبعدهم عن الهدى الربّاني ، ثمّ يثبت هذه العقيدة ويعمّق أثرها في النفس .. ومن أهمّ هذه الوسائل (٤٧٩) :

- 1- عرض قصص الأنبياء السَّابقين ، في تلقيهم لقضايا العقيدة وصبرهم ومثابرتهم في أداء مهمّتهم ، وفي حرصهم على تبليغ ما أرسلوا به إلى أقوامهم منهم .. كلّ هذا كان يؤكد في نفس الرّسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه توحد وتشابه الموكب الإيماني عبر العصور والقرون ، فيدخل في نفوسهم الاطمئنان والاسترواح ولا يجدون أنفسهم بدعا من البشر ، أو أنّ دعوتهم غريبة على البشريّة ، بل هم جزء من قافلة موصولة على مدار التأريخ البشري .
- ٢- استحياء النفس البشريَّة من خلال استثارة نهاية هذا الإنسان من موت وبعث ونشور وحشر وحساب وجزاء (جنة أو نار).
- ٣- التذكير الدّائم بفاعليّة الله تعالى في الكون في كلّ جوانبه من خلق وتدبير ومحاسبة وعلم
   وإحاطة ، ولفت النظر إلى دقة قدرته ، واستحالة وجود شريك له في هذا الملك وهذا التدبير
  - ٤- مواجهة الإنسان بحقيقة ما يدور في نفسه في حال الرّخاء ، وحال الشدة .
- .. كلّ هذا وغيره عمل على إيجاد نفوس تسير على هذه البقعة وقلوبها معلقة بالله تعالى، لا ترى نفسها مُراقبَة من قبل القوانين والقوى الأرضيّة ولكنها الصلتها بالله كانت تُراقِبُ نفسها ذاتيّاً من داخلها .

& الرّد على من يقول بأنّ العالم وجد من قبيل الصّدفة :

٤٤٠ - سورة النحل: ٤٤ .

٤٧٧ - ينطر: در اسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة: ٧٣.

٤٧٨ - ينظر: المرجع نفسه: ٧٤.

٤٧٩ - ينظر: ركائز الإيمان: ١٨ - ١٩.

من المفيد بمكان أن أثير َ هذه المسألة هنا ؛ لما لها من انتشار على ألسنة الناس عامّة والمسلمين خاصّة إذ نسمع منهم كثيرا قولة : (إنّ الشيء الفلاني حَدَثَ صُدُفة) ، ويمر هذا اللفظ على الأسماع كأنه قول صحيح .. والواقع أنّ هذا اللفظ غير صحيح ، وليس له المدلول الذي يتبادر إلى الأذهان فليس في الكون مكان (للصدفة) وإنما هناك أسباب ومسبّبات ونتائج تسبقها مقدّمات ، وما يسمّى (صدفة) ما هو في الحقيقة إلا حدَث يجهل الناس أسبابه .. ولكنّ الجهل بالشيء لا يعني عدم وجود ذلك الشيء وتوضيح هذه الحقيقة أنَّ هذا الكون الواسع العجيب المدهش الذي خلقه الله تعالى : رث ه أه م به ه ه ه ه م ح رث . (١٠٠٠)

رُ (٤٨٢) . وهذا القانون الإلهي العام المسمَّى في القرآن الكريم (سنَّة الله) لا يقبل النبديل ولا التحويل .(٤٨٣)

وقد ذكرت كلمة (سُنّة) بالإضافة إلى لفظ الجلالة وأنها لا تتبدّل ، في القرآن الكريم في مواضع كثيرة حتى يرسخ مفهومها في النفوس وتنحسر الأوهام عن العقول . (وسنَّة الله) أو هذا القانون الإلهي العام يقوم على الأسباب والمسبّبات وربط النتائج بالمقدّمات على نحو هو في غاية الدَّقة والصرّرامة والاطراد .. والإنسان - وهو جزء من هذا الكون ، ولكنه جزء ممتاز - يخضع لهذا القانون في جميع حركاته وسكناته وتقلبات أحواله ، وتخضع له أيضا الأمم في علوها وانخفاضها وسعادتها وشقائها وعزها وذلها وبقائها وهلاكها وهذا الخضوع من الأفراد والأمم في جميع أحوالهم لهذا القانون العظيم يساوي بالضبط خضوع الأحداث الكونيّة الماديّة لهذا القانون ، فكما أنّ سقوط تفاحة من شجرة هو نتيجة حتميّة لأسباب معيّنة أدّت إلى هذا السقوط فكذلك يُعدّ سقوط دولة أو هلاك أمّة نتيجة حتميّة لأسباب معيّنة أدّت إلى هذا السقوط . (١٩٨٤)

وهذا ما تقضي به سنّة الله العامّة التي لا تقبل التخلف و لا التبديل : ر ى ي ي ي

رُ (٥٠٠٤) ، وكلّ الفرق بين الأحداث الكونيَّة الماديَّة وبين الأحداث الاجتماعيَّة هو أنَّ أسباب الأولى واضحة بيّنة مضبوطة إذا عرفناها أمكننا الحكم بدقة على نتائجها ومقدّمات هذه النتائج فالماء مثلاً ينجمد إذا بلغت درجة برودته كذا درجة ، ويصل إلى الغليان إذا وصلت درجة حرارته إلى كذا درجة وبعد كذا من الوقت ، ... وهكذا . (٢٨٤)

<sup>&</sup>lt;sup>٨٠</sup>- سورة السجدة: ٧.

<sup>&</sup>lt;sup>٤٨١</sup>- سورة يس : ٣٨ .

٤<sup>٨٢</sup>- سورة آل عمران: ٨٣.

٤٨٣ - القانون الرّهيب: ١٩.

٤٨٠٠ - ينظر: القانون الرّهيب: ١٩ - ٢٠ .

مه، عنه الفتح : ٢٣ .

٤٨٦ - ينظر: في ظلال القرآن: ٢٢٤٦.

أمًّا أسباب الأحداث الاجتماعيّة فهي بمختلف أنواعها من سياسيّة واقتصاديّة وحضاريّة وعمرانيّة وعمرانيّة وغلبة ونصر وهزيمة وخذلان .. الخ ، أسباب دقيقة وكثيرة ومتشعّبة ومتشابكة وقد يعسر على الكثيرين الإحاطة بها تفصيلا ، ولكن مع هذا العُسر يُمكن للمتأمّل الفاحص الدّقيق أن يعرفها ويُحيط بها علماً ، ويُمكنه الجزم بحصول نتائج معيّنة بناءً على أسباب معيّنة وإن لم يُمكنه الجزم بميعاد حصول هذه النتائج ، فنستطيع مثلاً أن نحكم على وجه الجزم واليقين بزوال حكم أو سلطان إذا وجدناه قائماً على الظلم

والإرهاب وإن كنا لا نستطيع تحديد وقت زواله على وجه الدّقة والضبط كما نحدّد ميعاد غروب الشمس أو شروقها .

ومن أجل هذا الفرق بين الأحداث الكونيّة الماديّة وبين الأحداث البشريّة يغفل الناس كثيرا عن سنة الله في الاجتماع البشري وفي تصرّفات وسلوك الأفراد والأمم ، ويظنون أنّ أمورهم لا تخضع كما تخضع الظواهر الكونيّة لقانون الأسباب والمسبّبات ، ويقوّي هذا الظن الخاطئ في نفوسهم أنهم يرون في الظاهر أسبابا متشابهة في دولتين أو أمّتين ولكن أحوالهما مختلفة ، فيقولون: أين هو القانون العام الذي تزعمون؟ وهذه الأسباب فيهما واحدة ولكن لم تؤدّ إلى نتائج واحدة؟ وفاتهم أنّ الأسباب تؤدّي حتما إلى مسبّباتها إلا لمانع ، وأنّ المقدّمات تؤدّي حتما إلى نتائجها إلا لعارض، وهم لم يبصروا الموانع والعوارض ، كما لم يبصروا كلّ الأسباب والنتائج ، فتراكم الخطأ عليهم فلم يعودوا يُبصرون. (٢٨٧)

وقد ردَّ الإمامُ ابنُ تيميَّة رحمه الله على من لم يعتبر الأسباب ويُنكر أن تكون مسبباتها ناتجة عنها بقوله: "وأمّا قولهم محو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل ، وهو طعن في الشرع أيضاً، فإنّ كثيراً من أهل الكلام أنكروا الأسباب بالكليّة وجعلوا وجودها كعدمها كما أنّ أولئك الطبعيين جعلوها عللاً مقتضية ، وكما أنّ المعتزلة فرقوا بين أفعال الحيوان وغيرها والأقول الثلاثة باطلة فإنّ الله تعالى يقول: رقى ي ب ب

۴۸۷- القانون الرّهيب: ۲۱- ۲۲ .

٤٨٨ - سورة الأعراف: ٥٧ .

٤٨٩ - سورة البقرة : ١٦٤ .

<sup>&</sup>lt;sup>٤٩٠</sup>- سورة المائدة : ١٦ .

٤٩١ - سورة البقرة: ٢٦ .

وكذلك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان هي من أعظم الأسباب؛ لما علق بها من الشقاوات " (٤٩٢)

وعن سنة الله فقد بيّنتها آيات كثيرة في القرآن الكريم ، فنحن نجدها في آيات قصص القرآن الكريم وسيرة الأنبياء ، وما جرى لهم مع أقوامهم ، وفي أخبار الأمم السّابقة وفي صراع أهل الحق مع أهل الباطل . ولو ذهبنا نعد هذه الآيات لألفيناها أكثر من آيات الأحكام ، فعلى ماذا يدل هذا؟ نعتقد أن هذه الكثرة من آيات القرآن التي جاء فيها ذكر (سُنّة الله) ومعناها وتطبيقها تدل دَلالة قاطعة على أهمية المعرفة بسنة الله في الكون ووجوب فهمها من قبل المسلمين ، كما يجب عليهم فهم أمور العبادات التي تخصيهم ؛ لأن الله عز وجل لا يخص بالذكر في القرآن الكريم إلا ما يلزم ذكره ويحتاج الناس الي معرفته ، فإذا تكرر ذكر شيء دل ذلك على أهميّته ولهذا جاء في هذه الآيات التي أشرنا إليها ما يدعو إلى التأمّل والاتعاظ والتفكر في سنن الله تعالى ، كما جاء فيها دعوة صريحة إلى وجوب فهم سنن الله في الاجتماع البشري . فمن النوع الأول : قوله تعالى: ث ( (١٩٣٠)

. ومن النوع الثاني: قوله تعالى : ﴿ كُ كُ كُلُّ كُلُّ كُلُّ كُلُّ اللَّهِ النَّالِ عَالَى اللَّهِ الْمُثَارِ (١٩٤٠)

ولهذا نرى أنَّ من الضروري جدّا للمسلمين عموماً أن يتفهّموا سنن الله في الاجتماع البشريّ؛ لينجوا من الهلكة أو ليتخلصوا منها إذا وقعوا فيها وقد وقعوا فيها فعلاً ، وأن يعلموا أنّ هذا الفهم من لوازم الإيمان ومن فهم أحكام الإسلام .

#### المبحث الثاني

## أثر القرآن الكريم في الدّعوة إلى الاعتدال الفكري

يسعى القرآن إلى تحقيق منهج فكريً معتدل في الحياة ؛ لإيجاد التوازن في حياة الإنسان الروحية والماديّة ، وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها ، منهج يلتقي فيه عالم الشهادة بعالم الغيب؛ لأنّ الإسلام دين عقيدة ترتكز على المادة والرّوح معاً .

فذلك منهج اكتمات أصوله في حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كما رسمها القرآن الكريم ولم تحدث ظاهرة زيادة شيء جديد له من بعد ، وليس فيه سرّ ولا نقصان ولا ما يصدم العقل أو العلم أو الفطرة. فالاعتدال الفكري مزيّة فريدة للإسلام حتى يطمع كثير من الناس أن تحقق للبشريّة عملاً مهماً .

يقول هاملتون جب: " أؤمن بأن الإسلام لا تزال له رسالة يؤديها إلى الإنسانية جمعاء ، إذ يقف وسطاً بين الشرق والغرب ، وإنه أثبت أكثر ممّا أثبت أيّ نظام سواه ، مقدّرة على التوفيق والتأليف بين الأجناس المختلفة ، فإذا لم يكن بدّ من وسيط يسوّي ما بين الشرق والغرب من نزاع وخصام، فهذا الوسيط هو الإسلام " . (٤٩٥)

فالنصوص القرآنيَّة تدعوا إلى الاعتدال والوسطيَّة في الاعتقاد ، وكثيراً ما تُحدَّر من النطرُّف وتعبّر عنه بعدَّة ألفاظ منها : الغلو والتنطع والتشدّد ، فمن خلال تلك النصوص أصبح من الواضح الجلي أنّ

٤٩٢ - مجموع فتاوى ابن تيميَّة : ٨/ ١٧٥ - ١٧٦ . (بتصرف يسير) .

<sup>&</sup>lt;sup>٤٩٣</sup>- سورة يوسف: ١١١ .

أ<sup>19</sup> - سورة آل عمران : ١٣٧ . ينظر: القانون الرهيب : ٢٢- ٢٦ .

<sup>°°</sup>¹- ينظر: عالمية الإسلام: ٣٧ .

قال ابن تيمية رحمه الله: " ليُعلم أنّ المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة ، حتى يدّعي السنة من ليس من أهلها ، بل قد مرق منها وذلك بسبب الغلو الذي ذمّه الله تعالى في كتابه " . (٤٩٧)

وفي الحديث الصَّحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إيّاكُمْ وَالْخلوّ في الدّين » . (٤٩٨)

وعن المتنطعين المجاوزين الحدود ، فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هلك المتنطعون َ » ، قالها ثلاثا . (٤٩٩)

وأوضح هذا الحديث الإمام النووي رحمه الله بقوله: " أي المتعمّقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم و أفعالهم " . (٠٠٠)

وقال الخطابي رحمه الله: " المتنطع: المتعمّق في الشيء المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم ".(٥٠١)

٤٩٦ - سورة النساء: ١٧١ ، المائدة: ٧٧ .

٤٩٧ - مجموع الفتاوى: ٣٨٣/٣. (مع بعض التصرّف)

٤- سنن النسائي: باب: (النقاط الحصى) ، برقم: (٢٠٥٧): ٥/ ٢٦٨ ، سنن ابن ماجه: باب: (قدر حصى الرمي) ، برقم: (٣٠٤٨): ١/ ٢١٥): ١/٠٨/١ ، مسند الإمام أحمد: رقم الحديث: (٣٠٤٨): ١/ ٣٢٤٨): ١/ ٢١٥ ، ١٨٥٨ ، صحيح ابن حبان: باب: (ذكر وصف الحصى التي ترمي بها الجمار) ، برقم: (٣٨٧١): ٩/ ١٨٣ ، سنن البيهقي الكبرى: باب : (أخذ الحصى لرمى جمرة العقبة وكيفية ذلك) ، برقم: (٩٣١٧): ٥/ ١٨٨ .

٩٩٤ - صحيح مسلم: باب: (هلك المتنطعون) ، رقم الحديث: (٢٦٧٠) : ٤/ ٢٠٥٥ ، سنن أبي داود : باب: (في لزوم السنة) ، برقم: (٢٠٥٨) : ٢٠٤/١ ، مسند الإمام أحمد : برقم: (٣٧٢٧) : ٢٥٤/٨ .

٥٠٠- شرح النووي على صحيح مسلم: ٢٢٠/١٦ .

٥٠١ - عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٢٣٥/١٢- ٢٣٦ .

٥٠٢- سورة الأعراف: ٣٦- ٣٢ .

٥٠٣- سورة المائدة: ٨٧.

<sup>°°°-</sup> سورة المائدة: ٨٨.

٠٠٥- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السّعدي): ٢٤٢.

وذمَّ النبيُّ ٢ التشدّد ونهي عنه ، وقد صررَّح بذلك في حديثٍ - إسناده حسن - ، يرويه عنه أنس ابن مالك رضى الله عنه إذ قال: « لا تشدِّدوا على أنفسكم، فيشدّد الله عليكم ، فإنّ قوماً شدّدوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهُم في الصّوامع والدّيارات : ژگ گگ گ گب گبژ (٥٠٠) » . (٥٠٠)

.. وهكذا يتضح لنا من خلال النصوص الشرعيَّة المتقدِّمة ، أنَّ الإسلام منهج معتدل ووسط في كلُّ شيء ، في التصوّر والاعتقاد والتعبّد والمعاملة والتشريع ، وينهي عن الغلوّ والتطرّف ، ولذا يمتدح الله تعالى هذه الأمّة يقوله: رْ فْ فْ قْ قْ رْ (٥٠٨)

وقد فسَّرها الحافظُ ابنُ كثير رحمه الله بقوله: " إنما حوَّلناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السَّلام واخترناها لكم ؛ لنجعلكم خيار الأمم ، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم ؛ لأنّ الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط ههنا الخيار والأجود ". (٥٠٩)

فلمًّا علمنا أنَّ الوسط هو الخيار العدل الخارج من بين طرفي إفراط وتفريط ، علمنا أنَّ الله تعالى أكمل عقول هذه الأمّة بما تتشأ عليه عقولهم من الاعتياد بالعقائد الصّحيحة ، ومجانبة الأوهام السّخيفة التي ساخت فيها عقول الأمم ، ومن الاعتياد بتلقى الشريعة من طرق العدول وإثبات أحكامها بالاستدلال استنباطاً ، بالنسبة للعلماء وفهما بالنسبة للعامّة ، فإذا كان كذلك لزم من معنى الآية أنّ عقول أفراد هذه الأمّة عقول قيّمة ، وهو معنى كونها وسطأ .(٥١٠)

ووسطيّة الإسلام تلزم الأمّة الإسلاميّة برفض الغلوّ والتطرّف في الدّين ، وردّ الغلاة إلى منهج الاعتدال والحِكمة ، ورعاية حقوق نفسه وحقوق غيره ، وحينما نتحدّث عن وسطيّة الإسلام يتبادر إلى أذهاننا ما يقابلها من كلمة سائدة على ألسنة الناس اليوم وهي التطرّف الدّيني ، فالإسلام يدعو إلى الوسطية ويحذر من التطريف بجميع صوره وأشكاله.

إذ الوسطيّة الإسلاميّة ترفض لأمّتها وأفرادها كلّ تطرّف خارج عن قواعدها ، وتحذر منه أشدّ التحذير وتدعو إلى معانى العدل والاعتدال والاستقامة والتوازن واحترام الأخر ، وما شاكل ذلك. فهي وسطيّة في التصوّر والاعتقاد ، لا تغلو في التجرّد الرّوحي ولا في الارتكاس المادّي<sup>(١١١)</sup> ، وسطيّة في التنظيم والتنسيق ، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، حتى تطورت وأصبحت . .

- وسطيّة في العقيدة ، قال تعالى: ﴿ أَ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ يِ يِ بِيرٍ . (١٢٠)

ژ . (۱۳۰) - وسطيّة في الأخلاق والسلوك ، قال تعالى: رُ ی ی پ پ (010) (015)

- وسطيّة في التشريع ، قال تعالى: ژو و و و ې ي ې ې ې

٥٠٦- سورة الحديد: ٢٧.

۰۰۷ - سنن ابي داود : باب: (في الحسد) ، رقم الحديث: (٤٩٠٤) : ٦٩٣/٢ ، مسند أبي يعلي : برقم : (٣٦٩٤) : ٣٦٥/٦

٠٠٨- سورة البقرة: ١٤٣.

<sup>°°° -</sup> تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٥٨ .

۱۰°- ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٤٣٨.

۱°۱- ينظر: في ظلال القرآن: ١٣١.

<sup>°</sup>۱۲ ـ سورة النساء : ۱۷۱ .

<sup>°</sup>۱۳ - سورة الفرقان : ٦٧ .

<sup>°</sup>۱۰ - سورة النحل: ١٢٦ . °۱° - ينظر: وسطية الإسلام: ٧، ١٢

وقمّة الإيمان: توحيد الله وتعظيمه؛ لأنه الخالق الرّازق والمهيمن على شئون الكون، ومرجع الحساب والثواب والعقاب في الآخرة، ممّا يزرع في النفس إجلال الذات الإلهيّة ووجوب إرضاء الله وطاعته، والخوف من مخالفة أو امره ونواهيه، وكذا محبته وشكره وعبادته. وتعمل بقيّة عناصر الإيمان على تزويد الإنسان بطاقات اليقين والهيبة ودفعه إلى العمل الصّالح في الدّين والدّنيا والآخرة. (١٧٥) وعقيدة الإيمان في شريعة الإسلام بسيطة غير معقدة، وسهلة الفهم، وتتقبّلها العقول بسرعة، وتريح النفس وتحقق لها الطمأنينة وتجبّبها القلق والاضطراب وتعينها على تجاوز مشكلات الحياة وتقبّاتها، بما فيها من خير وشر، وعزّ وذل وغنى وفقر، وصحة ومرض، وقوّة وضعف، ومتعة أو لذة وحرمان وسلام أو أمان وحرب وخوف، وغير ذلك من ظواهر الحياة الاجتماعيّة والإنسانيّة.

ومن يُحْرَم أصول الإيمان هذه يتعرّض لكثير من الهزّات والأزمات ، فيتعرّض للقلق والاضطراب، والوقوع في فريسة الأهواء والجهالة والغموض ، والعمل دون هدف نبيل ، أو الوصول لغاية شريفة أو مطلب معسول ، ويكون أشبه بالهائم في الأرض ، لا يدري فهم حقائق البدء والمسيرة والانتهاء .

فيكون الإيمان بحسب أصول الإسلام طريق إسعاد وإنقاذ ونجاة وفلاح وعمران وبناء ، وسمعة عالية وأثر عميق في التاريخ ، وكلّ ذلك بفضل بساطة العقيدة الإسلاميّة ووسطيّة مفاهيمها ومداركها وغاياتها .(٥١٨)

وفي مقدّمة مظاهر عقيدتنا واعتدالها: تقرير حريّة الإنسان في اختيار أفعاله ومسئوليّته عن أعماله في مظلة من القيود أو النواميس الكونيّة بحيث لا يستطيع اختراقها كالحياة والموت والإقامة والارتحال والقوّة والضعف ، والعزّ والذلّ ، وكلٌّ ميسَّر لما خلق له ، في نطاق المشيئة والإرادة الإلهيّة ، فليس الإنسان مجبورا ظاهرا وباطنا ، ولا خالقا لأفعاله، من غير تدخل خلق الله وإيجاده لقوله تعالى: رُكُكُو وُ وْ رُ (٥١٩) . (٥٠٠)

ومنهج الاعتدال يدعو إلى الوُحدة ونبذ الخِلافات وإجراء حوار الحِضارات وتقوية التبادل ويبيّن أنّ النزاعات الدّاخليّة قد أضعفت بكثير قوّة الأمّة الإسلاميّة وعرقلت تطوّرها وتقدّمها وإنّ تقوية الوُحدة وتعزيز العَلاقة ، أصبحت حاجة ماسنّة وواجبة للأمم ، وليس في استطاعة الأمّة أن تجابه تحدّيات العصر والعَولمة إلا بالاتحاد والتعاون ، فالوسطيّة الإسلاميّة تهدف إلى تنمية الوحدة، والتعاون بين

<sup>°</sup>۱۲ ـ سورة الحجرات: ۱۳ .

۱۷°- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ١٢.

<sup>°</sup>۱۸ وسطية الإسلام وسماحته: ۱۲.

<sup>&</sup>lt;sup>019</sup>- سورة الصافات: 97.

<sup>°</sup>۲۰ ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ١٣.

شعوب العالم الإسلامي انطلاقا من مبدأ: رُو وُ وْ رْ لإجراء الحوارات فيما بينهم؛ لتقوية التعاون وتعزيز العكلقة بينها ، وانطلاقاً أيضاً من شموليّة الإسلام ، وهي الكلمة التي تعني في مفهومها الخاص: " الشريعة التي جاء بها سيدنا مُحمَّد ٢ خاتم الأنبياء والمرسلين إلى العالمين ، والتي لا تقتصر على جنس أو قوم ، ولكن إلى الناس كافة ، وهي بهذا شريعة عالميّة كاملة " .(٢١)

1 – الربانية : فهو من عند الله ، فمصدره ومُشرِّع أحكامه هو الله تعالى بخلاف الشرائع الوضعية فمصدرها الإنسان . والنصوص الشرعيّة التي تدلّ على ربانيّة هذا الدّين كثيرة منها: قوله تعالى : (c + c) = c + c وغيرها من الآيات الدَّالة على أنَّ الإسلام بدوره من عند الله تعالى .

٢- الشموليّة: فهو يجمع بين مصالح الدّنيا والدّين ، وهو شامل لكلّ شؤون الحياة، وسلوك الإنسان وهو رسالة الزمن كله ، والعالم كله ، والإنسان كله ، في أطوار حياته ومجالاتها كلها وهناك شمول في جميع التعاليم الإسلاميّة.

٣- الوسطيّة: ويعبّر عنها أيضاً بالتوازن ويعنى بها التعادل بين طرفين متقابلين ، أو متضادّين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل ، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه ، وقد أوردنا لاحقاً الآيات الدّالة على هذه الخصوصيّة.

3- الواقعيّة: وتعني مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة ووجود مشاهد، ولكنه يدلّ على حقيقة أكبر منه، ووجود أسبق وأبقى من وجوده، هو وجود الواجب لذاته، وهو الله تعالى. وكذلك مراعاة واقع الحياة من حيث هي حافلة بالخير والشرّ، تتتهي بالموت توطئة لحياة أخرى وكذلك مراعاة واقع الإنسان من حيث ازدواج طبيعته واشتمالها على الجانب الرّوحي والجانب المادّي، وبهذا لم يكن الإسلام كغيره مجرد وصايا ومواعظ، وإنما كان للدّين والدّنيا وللعقيدة والشريعة والعبادات والمعاملات والأخلاق.

٥-الجمع بين الثبات والمرونة: إنّ الإسلام دين مرن متطوّر في أحكامه وتعاليمه ، وفي الوقت ذاته هو دين خالد ثابت في تشريعه وتوجيهه ، فهو بهذا دين متوازن ، وهنالك أنظمة للإسلام يتكوّن كلّ نظام منها من مجموعة من الأحكام ، ومن هذه الأنظمة: نظام الأخلاق ، ونظام المجتمع ، ونظام الإفتاء ، ونظام الحسبة ، ونظام الحكم ، ونظام الاقتصاد والمال ، ونظام الجهاد ونظام الجريمة والعقاب ونظام الأسرة ، ونظام العلاقات الدّوليّة ، ونظام العكلقة بالأخر .

<sup>°</sup>۲۱ - مفاهيم إسلامية : ۲۰ .

٥٢٠- الثلاثة في سورة الأعراف: ٦٥، ٧٣، ٨٥.

<sup>°</sup>۲۳ - سورة الأنبياء: ١٠٧.

<sup>&</sup>lt;sup>٥٢٤</sup>- سورة سبأ: ٢٨ .

<sup>°</sup>۲۰ - الآيتان في سورة آل عمران: ١٩، ٨٥.

٦-احتواء توجيهاته على مقومات العطاء الحضاري التي مارسها سلف المسلمين فصنعوا حضارة
 كانت هي الأساس الذي قامت عليه النهضة الأوربية . (٥٢٦)

#### المبحث الثالث

#### دور القرآن في إصلاح مشكلة الغلو

ظاهرة الغلو من أخطر الظواهر الفكرية التي تنشا في المجال الدّيني ، وقد أخذت هذه الظاهرة تتبعث في عصرنا بصورة مقلقة للغاية ، ويتزايد ظهورها بين أوساط الشباب خاصّة وبالشكل الذي يلفت النظر إليها ، ويحرض على التأمّل فيها . لهذا كان من الضروري العودة إلى القران الكريم الذي تحدّث عن هذه الظاهرة ؛ وذلك لمعرفة المنطق القرآني في النظر لهذه الظاهرة .

أولاً: تتحدّد كلمة الغلو من حيث الاستعمال الحقيقي لها في مجال العَلاقة بالدّين ، ويُراد من هذه الكلمة وصف العَلاقة غير السّويّة بالدّين - أي بتجاوز الحدّ زيادة و إضافة - أو نقصاناً ونكراناً على ما حدّده وقرّره الدّين . الزيادة والإضافة هو ما وقع فيه النصارى باعتقادهم أنّ المسيح هو ابن الله أو أنه الله، أو القول بعقيدة النتليث . والنقصان والنكران هو ما وقع فيه اليهود بنكرانهم لنبوّة نبيّ الله عيسى (٢٩٥)

ثانياً: إنّ الخطاب في هاتين الآيتين موجّه إلى أهل الكتاب (٥٣٠) الذين وقعوا في مشكلة الغلو وكانت أعظم مشكلة وقعوا فيها. والقرآن ينبّهنا إلى هذه المشكلة الخطيرة ويُلفت نظرنا إليها لكي نكون على بصيرة في أمر ديننا.

ثالثاً : قد حدّدت هاتان الأيتان مفهوم الغلوّ في إطار عَلاقته بمفهوم الحق : ژب ٢٠٠٠ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ر ، و هذا يعني أنَّ الغلوَّ هو خروج أو تجاوز على الحق . والمقصود بالحق تارة ما قرّره الوحي والكتاب و هذا من جهة النص ، وتارة ما و افق السّنن و القو انين الإلهيّة و هذا من جهة الواقع . (٥٣١)

رابعاً: إنَّ مشكلة الغلوِّ قد تنشأ بطريقة ذاتيّة ، وقد تنشأ بطريقة متوارثة من قوم سابقين فآية النساء تشرح مشكلة الغلوّ حين ينشأ بطريقة ذاتيّة بسبب إشكاليات وتفسيرات بشريّة خاطئة في فهم العقيدة رُب پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ ب پ پ ب ب المائدة تشرح مشكلة الغلوّ حين ينشأ بطريقة متوارثة من قوم سابقين: رُ پ پ پ پ پ ن ذذت ت ت ت ت ت ت عطف على النهي عن الغلو ، وهو عطف عام من وجه على خاص من وجه ؛ وهذا نهي لأهل الكتاب الحاضرين عن متابعة تعاليم الغلاة من أحبارهم ورهبانهم الذين أساءوا فهم الشريعة عن هوى منهم . (٥٣١)

خامساً: إنَّ آية النساء تخاطب أهل الكتاب وتذكر بعصرهم القديم حين ظهرت عندهم مشكلة الغلو في الدين ، وآية المائدة تخاطب أهل الكتاب بعد ظهور الإسلام وتذكرهم بألا يتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل. (٣٣٠)

٥٢٦ - ينظر: مفاهيم إسلامية: ٩٧ ، التشريع الإسلامي مصادره وأطواره: ٣٦ .

<sup>&</sup>lt;sup>۲۷</sup>- سورة النساء: ۱۷۱.

<sup>&</sup>lt;sup>۲۸</sup>- سورة النساء : ۱۷۱ ، المائدة : ۷۷ .

<sup>°</sup>۲۹ ينظر: معالم التنزيل: ۸۳/۳ ، البحر المحيط: ٤٩١/٤ .

٥٣٠- ينظر: أسباب النزول ، للواحدي: ٣١٢/١.

<sup>°11</sup> بنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٢١٦/١.

<sup>°</sup>۲۲ - ينظر: التحرير والتنوير: ۱۱۸۰/۱.

<sup>°°°-</sup> ينظر: تفسير النسفى: ۲۹۳، ۲۹۳، .

سادساً: قد حدّدت آية المائدة مصير الغلو في الدّين ، وأنه ينتهي بأهله إلى الضلال والابتعاد عن سواء السّبيل . واللافت في هذه الآية أنها كرّرت كلمة الضلال بصيغة الفعل ثلاث مرات مرّة كان المقصود بها الذين أدخلوا الغلوّ في الدّين وهم الذين وصفتهم الآية : رّبٍ بٍ بٍ بٍ ن ن ذ نر ومرّة كان المقصود بها الناس الذين اتبعواأولئك في ضلالهم ، وهؤلاء هم الذين قالت عنهم الآية رُ تُ تُرْ والكثرة هنا إشارة إلى الناس .

ومرّة كان المقصود بها الذين بقوا على ضلالهم بإعراضهم عن الإسلام بعد بلاغه اليهم، وهؤلاء هم الذين قالت عنه الآية : ثر قدّت ث ث ( ٥٣٤)

سابعاً: إنَّ مشكلة الغلوِّ التي ظهرت عند أهل الكتاب لا يُمكن أن تحدث في الإسلام ، لكن يُمكن أن تحدث عند المسلمين أو عند بعضهم ، ومن المفترض أن لا تحدث أساساً ؛ لأنّ الإسلام نزل بلسان عربيّ مبين ، ويهدى من يتبعه سبل الرّشاد ؛ ولأنه نزل كاملاً : رُ چ چ چ چ چ چ ي ي ي ت دُ رُ ؛ ولأنه يمثل سواء السبيل - أي انه دين الوسطيّة والاعتدال والتوازن – قال ابن القيِّم رحمه الله : " ما أمر

الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : إمّا إلى تفريط وإضاعة ، وإمّا إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه ، كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميمين ، فكما أنّ الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحدّ ، وهذا بتجاوزه " (٥٠٥)

والغلو يُضلّ صاحبه عن سواء السِّبيل أي ينتهي بصاحبه إلى النطريّف والتحجّر والجمود .. لهذا فإنّ ظاهرة الغلوّ هي ظاهرة غريبة عن الإسلام ، وهي من الظواهر الخطيرة التي تضلّ الإنسان عن سواء السّبيل .(٣٦٠)

.. هذا وقد اجتهد العلماء في وضع تعريف للغلوِّ بعبارة موجزة ، وهذه بعض تلك التعريفات :

- قال الإمام ابن تيميّة رحمه الله : " الغلو هو مجاوزة الحدّ بأن يُزاد في حمّد الشيء أو ذمّه على ما يستحق ونحو ذلك " .(٥٣٧)

و عرقه الحافظ ابن حجر رحمه الله بأنه: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد ". (٥٣٨) وصنف ابن القيّم رحمه الله الغلوّ على نوعين: "نوع يُخرجه عن كونه مطيعاً ، كمن زاد في الصّلاة ركعة أو صام الدّهر مع أيّام النهي أو رمي الجمرات بالصّخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق أو سعى بين الصقا والمروة عشراً ، أو نحو ذلك عمداً . وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار كقيام الليل كله وسرد الصيّام الدّهر أجمع بدون صوم أيّام النهي والجور على النفوس في العبادات والأوراد". (٢٩٥)

ومن الملاحظ على ضوء ما تقدّم:

أ- أنَّ الغلوَّ في حقيقته حركة في اتجاه القاعدة الشرعيّة والأوامر الإلهيّة ، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حدّها الشارع.

ب - أنَّ الغلوَّ ليس دائماً فعلا ، بل يدخل فيه الترك أيضاً .

ج - إنّ نسبة الغلوّ إلى الدّين بقول : (الغلوّ الدّيني) أو (التطرُّف الدّيني) تجوّز في العبارة ، إذ الغلوّ إنما هو في أسلوب التديّن لا الدّين نفسه .

د - إنّ الحكم على العمل بأنه غلو يجب أن يُتأنى فيه ، ويُنظر إلى العمل بدقة ، فقد يُحكم عليه بأنه غلو مع أنه سليم ، ولكنّ الوسيلة إليه قد تكون من باب الغلو ، فيقع الخلط من هذا الباب.

<sup>°°°-</sup> ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٣/١ ، اللباب: ١٩١/٦ .

<sup>°°° -</sup> مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ٤٩٦/٢.

٣٦٠- ينظر: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر - الأسباب ، والآثار ، والعلاج: ٣٥ ، وما بعدها .

٥٣٧- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: ١٠٦.

٥٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٣/ ٢٧٨ .

٥٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ٢/ ٤٦٩.

- هـ ليس من الغلوّ طلب الأكمل في العبادة ولكن من الغلو الإثقال على النفس إلى درجة الملل . وعلى هذا وذاك يُمكننا الآن تحديد الغلو الذي تقع فيه الأمّة اليوم في نوعين (٥٤٠) :
- \* الغلو الكلي العقدي : وهو المتعلق بكليّات الشّريعة وأمّهات مسائلها ، وهذا الغلو الكلي العقدي أشّد خطراً من الغلو الجزئي العملي ؛ لأنه يتجاوز حدوده ولاسيّما عمل الإنسان ليكون هو المحدّد لمواقفه من الخلق ، ومنه يحدث الافتراق .
- \* الخلو الجزئي العملي : وهو ما كان متعلقا بجزئيّة أو أكثر من الشريعة العمليّة ، سواء أكان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح ، وذلك مثل : قيام الليل كله .
- وأضحت مشكلة الغلو من أهم المُشكلات في العصر الحديث ، وصارت همًا يؤرّق أعداء الإسلام والمسلمين ، كما هي هم يؤرّق أهل الإسلام .. ولهذا الاهتمام مظاهر منها :
- اهتمام السَّاسة بهذه المشكلة في أنحاء العالم ، إذ تجد مكاناً في تصريحاتهم والبيانات الختاميَّة للقاءاتهم .
  - كثرة الكتابات والمؤلفات ، والمقالات والندوات عن هذه المشكلة .
- -تصدر الأخبار المتعلقة بالغلو نشرات الأخبار والصقحات الأولى من الجرائد حتى صار الغلو .. مشكلة مركبة ، فلم يعد قاصراً على غلو الغلاة ، بل اكتنفه ظروف زادت الأمر إشكالاً، ومن بين ذلك :
- عالمية المُشكلة: إنّ الغلو من السمات الظاهرة في هذا العصر ، إذ صار في كلّ بلد وفي كلّ حضارة طوائف عرفت بنلك الأعمال ، وتختلف طبيعة كلّ فئة بحسب الحضارة ، أو الدّين والمذهب الذي يعتنقه أفرادها ، كما أنَّ للعالميَّة وجها آخراً: فقد نقل الإعلام المعاصر الأحداث (الإرهابيَّة) من المحليَّة إلى العالميَّة .
- تدارس المفهوم الصّحيح للغلو: إذ أصبحت المفاهيم المتعلقة بالغلوّ ، مفاهيم نسبيّة تحملها كلّ طائفة على ما يوافق أهواءها ، وذلك على المستوى المحلي ، وعلى المستوى العالمي وأصبحت المفاهيم ضائعة في جوّ من الضبابيّة والاختلاف.
- تعقد المظاهر والأسباب وتشابكها: ممّا يعقد المشكلة في العصر الحديث من حيث تعدد مظاهرها وأسبابها ومواردها ، إذ لم تعد تلك المُشكلة التي ليس لها مظهر أو مظهران ، بل تعدّدت المظاهر وتتوّعت .
- وفي الأسباب مثل ذلك ، فقد تتوعت وتعددت وتشابكت لتشكل المُشكلة المُعاصرة ، والكلام فيها بعدل مقتضيا توسيع النظر في الأسباب والمظاهر .
- تصدّي أصناف متعدّدة لهذّه المشكلة: إنّ الواقع يُظهر أنّ هذه المُشكلة أضحت نهباً لأراء متباينة تباين اتجاهات المتكلمين فيها ، بحسب تباين مشاربهم وعقائدهم ، بل وأصبح التصدّي للغلو و(الإرهاب) سلماً لأغراض دنيويّة كثيرة. وكلّ ذلك زاد المُشكلة تعقيداً، وزاد في اضطراب الرّؤية

- انقسام الناس ما بين مهول ومهون : إن تهويل المشكلة يفقد الدّارس لها الرّؤية الصّحيحة كما أنّ تهوينها يفقد الرّؤية الصّحيحة أيضا ، وعندما يُفتقد العدل في التعامل مع القضايا المتشابهة تزداد المشكلة تعقيدا ، بل يصبح ذلك الجور في التعامل جزءا من المُشكلة ذاتها . (١٥٠١) فبهذا يتضح أنّ المشكلة لم تعد مشكلة الغلو فقط ولكنها مشكلة الغلو ومشكلة الخطأ في فهم الغلو ، ومُشكلة تصدّي من ليس بأهل للكلام في المُشكلة للكلام فيها ومُشكلة اتخاذ الغلو ذريعة لمحاربة الإسلام ، ومُشكلة انقسام الناس ما بين مهول ومهون إنها مُشكلة مرتبطة بمشكلات أخرى .

و لا ننسَ المُصطلحات في العصر الحاضر إذ قد أضحت أدوات للصرّاع والنزاع .. أدوات في الصرّاع الحضاري والفكري ، فمن بين الأمم والحضارات ، وفي داخل الأمّة ذاتها ، يهتمّ أعداء أيّ

°٤١ مشكلة الغلو المركبة من أبرز التحديات لمجتمعاتنا: ص١.

<sup>· • • •</sup> مشكلة الغلو المركبة من أبرز التحديات لمجتمعاتنا: ص١ .

مبدأ أو فكرة في الصّراع مع المبادئ الأخرى بالألفاظ والمصطلحات ، وهما مصطلحان يرمزان إلى حال معيّنة في التاريخ الغربيّ ، ونقلا إلى العالم الإسلامي واتسما بكثير من التشويش .

لذا شهدت الساحات الإعلاميَّة والثقافيَّة مولد مصطلحات كثيرة ذات صلة بالغلو ، ولعل من أشهر ذلك مصطلحي (الأصوليَّة والإرهاب) . ولا يزال هذان المصطلحان ينتشران بحسب وجود الأحداث وطبيعتها ، ولا أخال أن وقتا كثر ترديد المصطلح فيه كهذه الفترة الزمنيّة التي نعيشها ، فقد أصبح المصطلح عالميّا ، بل صار معيارا للتفريق بين الدّول والهيئات . فمصطلح الإرهاب مثلا فيه اختلاف كبير ، ومع أنّ القضيّة لها وجه قانوني ، ومن طبيعة القضايا القانونيّة أنها محدّدة ، فإنها تحوّلت إلى كونها إعلاميّة ، حتى أصبح استخدام مصطلح (الإرهاب) نوعاً من الإرهاب الفكري (١٤٥٠)

هذا وقد قال الأستاذ عبد الرحمن اللويحق: "جمعت عشرات التعريفات لجهات رسمية وعلمية في أنحاء العالم، والاحظت من خلال هذا الحشد لتعريفات (الإرهاب) الملاحظ الآتية: إنّ المفهوم غامض غير محدد، وشدة التباين في تحديد معنى المصطلح، وتعدد التعريفات وأنّ التعريفات نسبية وحمّالة وجوه، وافتقاد المعيار، وعدم وفاء اللفظة للمعاني الدّاخلة فيها ". (٥٤٣)

C ملامح الغلو".. وحقيقته:

إنَّ أظهر الألفاظ الشرعيّة المتعلقة بهذا النوع من الانحراف : الغلو ، وبالتأمّل في النصوص الناهية عن الغلو ، والنصوص التي فيها بيان قيام الدّين على النيسر ورفع الحرج ، تتبيّن لنا ملامح الغلو في الدّين من خلال ما يأتي (١٤٠٠) :

١- أن يكون الغلو متعلقا بفقه النصوص ، وذلك بأحد أمرين:

- أ- تفسير النصوص تفسيراً متشدداً .
- ب- تكلف التعمّق في معانى التنزيل.
- ٢- أن يكون الغلو متعلقا بالأحكام ، وذلك بأحد أمرين :
- أ- إلزام النفس أو الآخرين ما لم يُوجبه الله عز وجل تعبداً وترهبا .
  - ب- تحريم الطيبات التي أباحها الله عز وجل على وجه التعبد .
    - ٣- ترك الضروريّات أو بعضها .
- ٤- أن يكون الغلو متعلقاً بالموقف من الآخرين ، وذلك بأحد أمرين:
- أ أن يقف الإنسان من بعضهم موقف المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه سواء أكان فردا
   أم جماعة إلى درجة العصمة فيجعله مصدر الحق .
- ب أن يقف الإنسان من بعض الناس أفرادا أو جماعات موقف الذام الغالي ، فيصف المسلم بالكفر والمروق من الدين ، أو يصف المجتمع المسلم بأنه مجتمع جاهلي .
- و لا شُكَّ أنَّ العنفُ أو التطرّفُ الذي يأتي -غالبًا- نتيجة الغلو في الدّين ، قد ذمّه القرآن الكريم -كما تقدّم- ؛ لأنه يخرج صاحبه عن المنهج الوسط الذي اختاره الله لهذه الأمّة ..

ويُعد العنف من الأمور الطارئة في حياة الأمم والشعوب والتي يؤثر وجود العنف فيها على الاستقرار والأمن في المجتمع . ولتحقيق تماسك بنيان المجتمع وضمان أمنه ، لا بد من السّعي إلى القضاء على العنف أو التقليل منه وبالرّغم من أنه لا توجد تعريفات محددة للعنف نظرًا لاختلاف ظروفه ومسبباته إلا أنه يُمكن الإشارة إلى أنّ العنف يُعد سمة من سمات الطبيعة البشريّة ، يظهر حين يكف العقل عن قدرة الإقناع أو الاقتناع فيلجأ إلى الأنا تأكيدًا لذاته ووجوده وقدرته على الإقناع المادي أي استبعاد الآخر الذي لا يقتنع على إرادة الأنا ، وإمّا نهائيًا بإنهاء ذات وجوده . (٥٤٥)

°٤٥- مشكلة الغلو المركبة: ٢.

<sup>°</sup>٤۲ - ينظر: المرجع نفسه: ١- ٢.

<sup>\*\*°-</sup> ينظر: الغلو في الدّين في حياة المسلمين المعاصرة: ٦٦ - ٨٣ ، التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدّولي: ٣٧ ، وما بعدها.

<sup>&</sup>lt;sup>33</sup>- ينظر: حقوق الإنسان وأسباب الضعف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة: ١٣ ، العنف والشريعة في مصر (دراسة قانونية): ٤٩.

ويرى آخرون أنَّ العنف هو الاستخدام العقلي للقوّة ، أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والإتلاف للممتلكات .(١٠٤٠)

ونستنتج من هذين التعريفين أنّ العنف لا يأتي من خلال التفكير المتعقل ، وإنما يأتي بعد أن يتوقف العقل عن التفكير ويرى طريقًا واحدًا فقط لإقناع الآخرين برأيه أو منهجه عن طريق القوّة فينتج عن ذلك اختلافات كبرى ، وزعزعة للاستقرار سواء بين الأفراد أو المجتمع .

والعنف له صور مختلفة فمنها ما يُمكن أن يطلق عليه العنف الفردي والذي يقتصر ضرره على نطاق محدود ، وهناك العنف الاقتصادي الذي تعود جذوره إلى أسباب اقتصادية مثل الفقر والبطالة وأيضًا هناك العنف الاجتماعي الذي يعود لأسباب اجتماعية

مثل فقدان أحد الوالدين ، أو الشعور بظلم المجتمع ، أو الشعور بالرّغبة في الانتقام لأسباب اجتماعيّة

أمَّا أخطر صور العنف ، وأكثرها تأثيرًا في بُنيان المجتمع وتماسكه فهو العنف العَقدي ، أي الذي يعود لأسباب عقديّة ، فهو لا يرتبط بمشكلات شخصيّة ولا اجتماعيّة ولا اقتصاديّة . ولكنه يرتبط بالغلو ومجاوزة الحد والتشدد والمبالغة في الأمور الشرعية ، قال تعالى محذرًا من الغلو والتشدد في الدّين : رُ أب ب ب ب ب ب ب ب ي ي ي ي ي الهذا التطرّف والغلو مظاهر وعلامات يأتي في مقدّمتها

التعصب للرّأي ، والتمحور حول الشخصيات والأحزاب والجماعات ، والتقليد الأعمى وسوابق الأفكار والانطواء والتقوقع والنقص العلمي وعدم الاتزان الفكري والتجرؤ على الفتوى ، والطعن في العلماء والتشنيع على المخالف ، والجلافة والغلظة والشدة والفهم الخاطئ للإسلام ، والتزام التشديد دائمًا (٧٤٠)

والخوارج أوّل من بدأ في سلوك طريق التشدد في الدّين ، إذ كانت أبرز معالم تشددهم تظهر في :

- الطعن في مخالفيهم وتضليلهم وتكفيرهم: ودليل ذلك طغيانهم في رسول الله ٢ وقسمته وتكفيرهم لأمير المؤمنين عثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما والحكمين وأصحاب الجمل.
- سوء الظن : ودليل ذلك اتهامهم الرسول r بعدم الإخلاص في القسمة ؛ لأنهم لم يفهموا مقصده السامي لقصر نظرهم ومرض قلوبهم .
- المبالغة في العبادة بغير علم: لقوله r: « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم... » . (٥٤٨)
  - الشدّة على المسلمين : لقوله r : « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان... » . (١٩٥٥)
- نقص التجربة والخبرة وصغر السن وسفاهة العقل : لقوله ٢ : « سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام... » . (٥٥٠)

<sup>٢١٥</sup>- ينظر: دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر ، دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر : ٥٦٨ ، العنف والشريعة في مصر (دراسة قانونيّة) : ٥٠ .

٬٬۰ ينظر: المتطرّفون: ١١١٠ - ١١٢، ٧٥ .

<sup>۱۱</sup> محیح البخاري : باب: (علامات النبوة في الإسلام) ، رقم الحدیث: (۳٤۱٪) :۱۳۲۱/۳ ، صحیح مسلم : باب: (ذکر الخوارج وصفاتهم) ، برقم: (۱۰۱٪) :۷٤۱/۲ ، سنن ابن ماجه : باب: (في ذکر الخوارج) ، برقم: (۱۱۹۹٪) :۱۰/۳ . وکلهم من حدیث أبي سعید الخدري رضي الله عنه .

أن صحيح البخاري: باب: قول الله تعالى: [وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله] ، رقم الحديث: (٣١٦٦) ٢١٩/٣: ١٢١٩/٣: مصحيح مسلم: باب: (ذكر الخوارج وصفاتهم) ، برقم: (٢٠١٤) ٢٤١/٢: ، سنن أبي داود: باب: (في قتال الخوارج) ، برقم: (٤٧٦٤) ٢٥٠/٠: ، سنن النسائي: باب: (المؤلفة قلوبهم) ، برقم: (٢٥٧٨) ٢٥٧/٥: مسند أحمد: برقم: (٢٥٧٨) ٢٨/٣. . وكلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

" - صحيح البخاري : باب: (قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ) ، رقم الحديث: (٦٥٣١) : ٢٥٣٩/٨ ، مصحيح مسلم : باب: (التحريض على قتل الخوارج) ، برقم: (١٠٦١) : ٧٤٦/٢ ، سنن أبي داود : باب: (في قتال الخوارج) ، رقم: (٤٧٦٧) : ٢٥٧/٢) ، سنن الترمذي : باب: (في صفة المارقة) ، برقم: (٤٧٦٧) : ٤٨١/٤ ، سنن النسائي : باب: (من شهر سيفه ثم وضعه في الناس) ، رقم: (٤١٠١) : ١١٩/٧ ، سنن ابن ماجه : باب: (في ذكر

قلة الفقه لعدم تتلمذهم على الصحابة: لقوله r: « يقرؤون القرآن لا يُجَاوز تراقيهم يمرثُونَ من الدّين كما يَمْرقُ السّهمُ مِن الرّمية ... ». (٥٥١)

+ طبيعة مشكلة الغلو ً .. وحجمها :

ثعد معرفة طبيعة الغلو مدخلا مهما لتقويم المشكلة وعلاجها في كل عصر من العصور ومن دون هذه المعرفة يتخبط الباحث أو الدارس المعالج لهذه المشكلة خبط عشواء ، وكثير من الأخطاء التي يقع فيها الدارسون للمشكلة سببها غياب الفهم لطبيعتها ، ويُمكن إجمال التساؤلات التي تجلي الإجابة عنها طبيعة الغلو في العصر الحديث فيما يأتي :

هل المشكلة فعل أو رد فعل ؟ هل هي مشكلة مرحلية أو مشكلة دائمة ؟ هل هي مشكلة تربوية اجتماعية أو سياسية أو هي أعم من ذلك ؟ هل هي مشكلة محلية في بلد واحد أو عالمية ؟ هل هي مشكلة نابعة من المجتمع أو هي وافدة ؟ هل المشكلة فردية أو جماعية ؟

وسنعمل هنا على بيان الإجابة عن هذه التساؤلات بما يكشف طبيعة الغلو في حياة المسلمين المعاصرة..

أو لا : هل المشكلة فعل أو ردّ فعل ؟(٢٥٥)

فالغلو في أصله استجابة سلوكية ، يميل السلوك البشري عادة إلى الانطباع بها كانعكاس لعدد من العوامل الدّاخليّة المتعلقة بصميم الحياة النفسيّة للفرد ، والخارجيّة المتعلقة بتأثيرات البيئة بمفهومها الشامل : عقدياً وثقافيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً وغير ذلك . وغالباً ما يحدث الغلو في البيّئات أو الأزمنة المضطربة ، فهو في حقيقة الأمر ردّ فعل أكثر من كونه فعلا بدليل أنّ الغلوّ باستعراض التاريخ يحدث غالباً في أوقات الأزمات واضطراب أحوال الأمم .

ولا يردّ على هذا حدوث الغلوّ في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم وعهود صحابته رضوان الله عليهم أو العهود ذات الحكم العادل الرّشيد ، إذ إنّ الغلوّ الذي حدث في عهودهم ردّ فعل لأوضاع خاطئة بزعم الغالي ، وليس هذا تبرئة لساحة الغلاة وتبريرا لما وقعوا فيه ، إذ إنّ الغلاة مرضى بما يُمكن تسميته بالقابليّة للغلوّ ، فهم غير أسوياء في الناحيّة العلميّة بشرع الله . وغير أسوياء في الفكر من حيث المنهج المستخدم لفهم نصوص الشارع . وقليلو الاتصال بأهل الذكر والعلم ، وهذه القابليّة أو التربة الصيّاحة

للغلو يقع وزر تهيئتها وإصلاحها لاستنبات الغلو على الغلاة أولاً ، وإنّ عدم فهم هذين الجانبين للمشكلة وهما:

- إنّ هناك أفعالاً هي التي أوجدت ردّ الفعل .

- إنّ هناك قابليّة للغلو عند الغلاة .

أوجد خللاً في فهم المشكلة ، الأمر الذي أدّى إلى خلل في تقويمها وعلاجها .

ويكاد هذا - أي القول: إنّ الغلو في هذا العصر الحديث ردّ فعل - أن يكون محلّ اتفاق بين الباحثين المهتميّن بهذه المشكلة.

ثانياً: هل هي مشكلة مرحليّة ، أو مشكلة دائمة ؟(٥٠٥)

الذي يراه الباحث أنه للإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من التفريق بين الأفراد والأمة ، فهي بالنسبة إلى الأفراد مشكلة مرحليّة في غالبيّة الأحوال ، وهي بالنسبة إلى الأمّة مشكلة دائمة هذا بالنسبة إلى الأفراد أمّا بالنسبة إلى مجموعة الأمّة ، فالأمر غير هذا ، إذ إنّ الغلو حال دائمة تتسع وتضيق بحسب اتساع عواملها ، فلا يكاد يخلو زمان من وجود غلاة ، واستعراض التأريخ من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد لهذا .

ثالثًا : هل المشكّلة محليّة في بلدٍ واحدٍ أو هي عالميّة ؟ (١٥٥٠)

الخوارج) ، برقم: (١٦٨) : ٥٩/١: مسند أحمد : برقم: (٦١٦) : ٨١/١ .. وكلهم من حديث علي ، عدا الترمذي وابن ماجه فمن حديث ابن مسعود رضى الله عنهما .

ا " - ينظر في تخريج الحديث : مصادر النقطة الثالثة نفسها .

<sup>°° -</sup> مشكلة الغلو المركبة من أبرز التحديات لمجتمعاتنا: ٢.

<sup>&</sup>lt;sup>°°°</sup>- المرجع نفسه .

إنَّ هذه المشكلة ليست مشكلة محليّة مقتصرة على بلدٍ واحد ، بل أصبحت مشكلة عالميّة تشمل جميع أرجاء الوطن الإسلامي ، والمشكلة مطروحة على السّاحة في كثير من البلاد الإسلاميّة ، لكنها تتفاوت في الحدّة ، فهي في بعض البلدان أكبر وأظهر من بعضها الآخر وهذا يعود إلى قوّة العوامل المنتجة لهذه المشكلة وضعفها في كلّ بلدٍ من البلاد الإسلاميّة ونحن في بلادنا لسنا بدعاً من الناس بل وقع الغلوّ في بلادنا ، ووقوع الغلوّ في العالم كله في هذه المرحلة الزمنيّة يعني -فيما يعني - أنّ العوامل العالميّة المشتركة هي الأظهر في أحداث الغلوّ ، أمّا النظر المحلي الخاص لعوامل الغلوّ ، مع أنّ الحدث عالميّ ، ففيه نوع من الظلم والإججاف .

رابعاً : هل المشكلة نابعة من المجتمع أو واَفدة ؟ (٥٥٥)

تعدّ هذه الإشكاليّة الأكثر تردداً على الألسنة وفي المقالات بعد حوادث الغلو ، وتجد الناس ينزعون اللهي أحد منزعين :

المنزع الأول: القول بأنها وافدة ، وكثيراً ما يطرح هذا الرّاغبون في تبرئة المجتمع ومؤسساته . المنزع الأخر : القول بأنها نابعة من المجتمع ، بل قد يزيد هؤلاء فيقولون : بل غلو الآخرين نابع من مجتمعنا ، وكثيراً ما يطرح هذا الرّأي الرّاغبون في إدانة المجتمع أو مؤسساته ، أو مناهج التعليم فيه ونحو ذلك .

وأحسب أنَّ كثيراً من الكتابات المتعلقة بهذه الإشكاليَّة لم تكن ناتجة من دراسات علميَّة ، بقدر ما هي مجرد انطباعات نابعة من مواقف مسبقة . إنَّ حلّ هذه الإشكالية يكمن في وضع دراسات علميّة لتحديد منابعها ، وأسبابها وعواملها وبمعرفة هذه العوامل والأسباب يظهر مصدر المشكلة .

خامساً : هل المشكلة فرديّة أو جماعيّة ؟(٥٥٦) إنّ النظر في أنواع الغلو ، وأنه على نوعين :

- غلو كليّ اعتقادي .

- غلو جزئي عملي .. يظهر به أنَّ كون المشكلة فرديّة أو جماعيّة أمر دائر مع نوع الغلو ، فإن كان الغلو غلواً كليّا عقديّاً فهو جماعيّ ، وإن كان غلواً جزئيّاً عمليّاً فهو غلو فرديّ ، وهذا في غالب الأحوال .

وقبل الانتهاء من هذا المبحث أود أن أذكر أن الميزان الأهم لصلاح الفرد والمجتمع وفسادهما هو أن المجتمع الصالح هو المجتمع الإسلامي بمعنى القائم على أساس العقيدة الإسلامية التي ينبثق عنها النظام الاجتماعي الإسلامي ، الذي ينظم شؤونه المختلفة والذي بيّنا بعض خصائصه . والمجتمع الفاسد هو الذي يقوم على غير أساس العقيدة الإسلاميّة ولا يحكمه النظام الاجتماعي ، وتشيع فيه المنكرات ، وهو الذي يسميّه الإسلام بالمجتمع الجاهلي . أو بكلمة أخرى المجتمع الصالح هو القائم على معاني الإسلام وأفكاره ومناهجه والتي تطبق فيه أحكامه والمجتمع الفاسد بخلافه . (٥٠٥)

## المبحث الرّابع

## فتنة التكفير وضرره على المجتمع

وعلى وفق ما تقدّم ، أردت الآن أن أصل بالقارئ الكريم إلى التعرّف بالمنهج المتطرّف الجديد ألا وهو (منهج التكفير) ؛ ليكون على بصيرة في التفريق بين ما تطرّقنا إليه من سماحة الإسلام ووضوحه والاعتدال الفكري ، وبين هذا الثوب الجديد .

ومن الأهميّة بمكان أن أعرّج بأصل كلمة التكفير أوّلاً ، ومن ثمّ أبيّن حكمه ، ومدى ضرره على المجتمع ..

<sup>&</sup>lt;sup>300</sup>- المرجع نفسه .

<sup>°°°-</sup> مشكلة الغلو المركبة من أبرز التحديات لمجتمعاتنا: ٢.

<sup>&</sup>lt;sup>٥٥٦</sup>- المرجع نفسه .

<sup>°°° -</sup> ينظر: الوحي المحمّدي: ٣٢٠.

- فالتكفير لغة : التغطية والستر، ومنه قوله تعالى : رُ ج ج ج ج ج رُ  $(^{\circ\circ})$  أي الغراس ، إذ أنهم يسترون الحبوب داخل التربة . وأكفر تُ الرّجل ، أي دعوتُه كافِرا ، يقال : لا تُكفَر أحدا من أهل القبلة ، أي لا تتسبهم إلى الكفر .  $(^{\circ\circ})$  وقيل للزارع : كافر ؛ لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي غطاه وستره .  $(^{\circ\circ})$ 
  - وفي الاصطلاح: " فهو نسبة أحد من أهل القبلة إلى الكفر ". (٢١٥)
- وأمّا معنى الكفر في الشرع: فهو نقيض الإيمان ، وهو الجحود ، ومنه قوله تعالى: رُ كُ كُ كُ وُ وُ رُ (٥٦٢) أي جاحدون . (٥٦٣) وهو بهذا لا يخرج عن المعنى اللغوي ؛ لأنّ الكافر يستر قلبه ويغطيه بكفره . (٥٦٤)

حكمه : إنّ نسبة أهل الكفر إلى كفرهم لا شيء فيه بالاتفاق ، ولكن نسبة المسلم إلى الكفر فإنه يدور بين حكمين ..

أحدهما: التحريم ، وذلك إذا كان المسلم باقياً على إسلامه ، ولم يقم دليل على كفره لقوله تعالى : رُهُ هُ هُ مُ هُ مُ هُ هُ هُ عُ عُ عُ لَى لَا كُور ( $^{\circ \circ}$ ) ولقوله  $^{\circ}$  فيما يرويه عنه أنس بن مالك  $^{\circ}$  قال : « مَنْ صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمّة الله وذمّة رسوله ، فلا تحقروا الله في ذمّته » .  $^{(\circ \circ \circ)}$  وفي رواية  $^{\circ}$  : « مَنْ صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم » .  $^{(\circ \circ \circ)}$  وصرتَ خالنبيُ  $^{\circ}$  في حديث آخر ، يرويه عنه أبو هريرة  $^{\circ}$  ، قبال : « إذا قبال الرّجلُ لأخيه  $^{\circ}$  : يا كافر ، فقد باء به أحدهُما » .  $^{(\circ \circ \circ)}$  وبوضوح أكثر في رواية مسلم  $^{(\circ \circ \circ)}$  ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال ، قال رسول الله  $^{\circ}$  : « أيّمَا امْرئ قالَ لأخيه  $^{\circ}$  يا كافر ، فقد باء بها أحدهُما إنْ كانَ كما قالَ ، وإلا رجعتْ عليه » .

قال ابن عبد البر: "وفائدة هذا الحديث النهي عن تكفير المؤمن وتفسيقه ؛ قال الله عز وجل :  $(^{\circ})^{\circ}$  ، فقال جماعة من المفسرين في هذه الآية : هو قول الرّجل لأخيه

<sup>&</sup>lt;sup>۸۵</sup>- سورة الحديد: ۲۰.

ود-ومن النظر: الصَّماح في اللغة : مادة : (كفر) : ٢/ ٨٨ ، تاج العروس من جواهر القاموس : المادة نفسها : ١٤ / ٦٢ .

٥٦٠ - التبيان في تفسير غريب القرآن: ٤٠٩/١.

٥٦١ - مفاهيم إسلامية : ٩٧ .

٥٦٢- سورة القصص: ٤٨.

<sup>&</sup>lt;sup>٥٦٣</sup>- ينظر: أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء : ١٧٤ ، التوقيف على مهمّات التعاريف : ٢٠٦ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۱</sup>°- ينظر: تحرير ألفاظ التنبيه: ٤١.

<sup>&</sup>lt;sup>070</sup>- سورة النساء: ٩٤. ينظر: البحر المحيط: ٢٣٧/٤ ، التفسير الكبير: ٤٦٤/٤ .

<sup>،</sup> رقم الحديث : (۳۸٤) : (فضل استقبال القبلة) ، رقم الحديث : (۳۸٤) : ۱۰۳/۱ .  $^{\circ 7}$  سنن النسائي : باب : (صفة المسلم) ، برقم : (٤٩٩٧) :  $^{\circ 7}$ 

٥٦٠- صحيح البخاري : باب : (من أكفر أخاه بغير تُأويل فهو كما قال ) ، رقم الحديث: (٥٧٥١) : ٢٢٦٣/٥ ، مسند أحمد .

برقم: (۵۰۷۷) : ۲۷/۲ .

<sup>· &</sup>lt;sup>۷۰</sup> - سورة الحجرات: ۱۱.

يا كافر ، يا فاسق وممّن قال بذلك : عكرمة والحسن وقتادة وهو معنى قول مجاهد لأنه قال هو الرجل يدعى بالكفر وهو مسلم ". (٥٧١)

ثانيهما: الوجوب وذلك في حق من صدر عنه ما يكفره ممن له صلاحية إصدار الحكم كالإفتاء والقضاء لمصلحة شرعية معتبرة تترتب على الحكم بتكفيره . وحتى تكون نسبة أحد إلى الكفر صحيحة لابد وأن يكون من حكم بكفره قد رجع عن الإسلام بأحد صور الرّجوع كالقول أو الفعل أو الامتناع عن الفعل ، بشرط كونه قاصدا ، عالما ، فلا يحكم - مثلا- بكفر من جرى على لسانه الكفر دون قصد أو دراية لمعنى ما صدر عنه . (۲۷۰)

ومن أخطر صور الانحراف – اليوم - عن منهاج الإصلاح والاعتدال ، والبُعد عن طريق رسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام ، ومن تبعهم بإحسان ، القول بتكفير أصحاب الكبائر وخروجهم من الإسلام ، تلك الفتتة القديمة الجديدة: قديمة ؛ إذ قالت بها فئة خرجت على جماعة المسلمين في عهد الخلفاء الرّاشدين ، فسمًاها المسلمون : (الخوارج) ، وترتب على خروجها في التكفير والقول على الله وعلى رسوله بغير علم ، فتن وخلافات بين المسلمين ، سُفكت فيها الدّماء وانتهكت فيها الحرر أمات ، وقاسى المسلمون من آثارها المدمّرة منذ بدأت إلى الآن ، آلامًا عظيمة، ومحنا كبيرة. وجديدة ؛ لأنّ بعض الجماعات الإسلاميّة في الوقت الحاضر تقول بتكفير الحكام المسلمين والمجتمعات الإسلاميّة ، وتدعو للخروج عليهم، وهذه الجماعات بهذا المسلك تلتقي مع الخوارج في تكفير أصحاب الكبائر، والدّعوة إلى الخروج على و لاة الأمر ، وإثارة الفتن في صفوف المسلمين. (٥٧٣)

ومن أسباب ضلال أصحاب هذه الأقوال ، فِهمُهم الخاطئ لقول الله تبارك وتعالى : ر م ه ه م به به هه هر (٥٧٤) ، فقد فسر وا الكفر هنا بالخروج من الدين ، وأنه لا فرق بين من وقع فيه ، وبين أصحاب الملل الأخرى الخارجة عن ملة الإسلام ولم يرجعوا إلى فهم صحابة رسول الله r وأقوال الأئمَّة المعتبرين في هذا المجال ، ولا إلى معنى لفظ الكفر في اللغة العربيَّة .

وهذا ممَّا يُؤكد على ضرورة أن يكون الدّعاة على علم بكتاب الله تعالى ، وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وأقوال السلّف الصّالح في ذلك ، ومدلو لات اللغة العربيّة في نصوص الكتاب والسنة .

إنَّ لفظ الكفر في هذه الآية ، لا يدلّ على معنى واحد فقط ، وهو الخروج عن الدّين ، شأنه شأن الظلم والفسق في الآيتين الكريمتين ، وهما قول الله تعلى : (c + c) : (c + c) ، (c + c) ،

<sup>&</sup>lt;sup>۷۱</sup>- الاستذكار ، لابن عبد البر : ۹/۸ .

<sup>°</sup>۲۲ - ينظر: مفاهيم إسلامية: ۹۷ .

٥٠٠- ينظر: الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدّعوة إلى الله: ٦٤.

<sup>&</sup>lt;sup>۷۷</sup>- سورة المائدة : ٤٤ .

٥٧٥ - السورة نفسها: ٥٤.

د چ چ چ چ پ پڑ (٢٦٠)، فالوصف بالظلم ، أو الفسق لا يعني خروج المتصف به عن الإسلام ، فكذلك وَصــْفُ من وصف بالكفر لا يعني خروجه عن الدِّين . (٧٧٠)

وقد أوضح علماء السَّلف y هذا الموضوع بكلِّ وضوح ، ورفعوا عنه لثام الغرابة والغموض ، إذ قسَّموا الكفر إلى : عملي ، واعتقادي . وقد يُراد بهذه الآية الكريمة الكفر العملي ، الذي لا يُخرج من الدين بالكليّة ، ولكنه يدلِّ على المخالفة في هذه الأعمال .

لذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية بقوله: " إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة ، كفر دون كفر " . (٥٧٨) وقال طاوس: " وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله " . (٥٧٩) وفسرها أيضاً عطاء بقوله: "كفر دون كفر ، وفسق دون فسق ، وظلم دون ظلم " . (٥٨٠) وقال عكرمة: " ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به ، فهو ظالم فاسق " . (٥٨١)

وهذه التفسيرات هي التي تنسجم مع النصوص الأخرى ، التي وردت فيها كلمة الكفر، وهي لا تعني الخروج من الدّين ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال: « سيبَابُ المُسلّم قُسُوقٌ ، وقتالُهُ كُفرٌ » . $^{(7/\circ)}$  فالكفر هنا هو المعصية، والخروج عن الطاعة ، وليس الخروج من الملة . $^{(0/\circ)}$ 

سبحانه وتعالى الطائفة الباغية بكونها من المؤمنين وإن كانت تقاتل الطائفة التي على الحق .<sup>(٥٨٥)</sup>

إذن دلت النصوص على أنّ التكفير - كسائر الأحكام الشرعيّة - لا يتمّ إلا بوجود أسبابه وانتفاء موانعه ولذا قد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أنّ هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر ، ولا يكفر من اتصف به ؛ لوجود مانع يمنع من كفره كالإكراه ، وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو

٥٧٦ - السورة نفسها : ٤٧ .

٧٠٠- ينظر: الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدّعوة إلى الله: ٦٥.

٥٨٠- ينظر: تفسير سفيان الثوري: ١٠١/١ سنن الترمذي: ٢١/٥ ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ٥٨٠/٤ .

<sup>&</sup>lt;sup>^^</sup>- ينظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل): ٦٠/١.

٥٨٢- صحيح البخاري: باب: (باب ما ينهي من السباب واللعن) ، برقم: (٢٢٤٧): ٥/ ٢٢٤٧ ، صحيح مسلم: باب: (باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ، برقم: (٦٤): ١/ ٨١ ، سنن الترمذي: باب: (ما جاء في الشتم) ، برقم: (١٩٨٣): ٣٥٣/٤) ، ٣٥٣/٤ ، سنن ابن ماجه: باب: (في الإيمان) ، برقم: (٣٦): ٢٧/١ ، مسند أحمد: برقم: (٣٦٤٧): ٣٨٥/١.

٥٣/٠- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري :١١٢/١ ، شرح النووي على صحيح مسلم :٥٣/٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۸</sup> - سورة الحجرات: ٩.

<sup>°^°-</sup> ينظر: الأمّة الوسط: ٦٦.

غضب أو نحوهما ، فلا يكفر بها ؛ لعدم القصد . كما في قصنَّة الذي قال : « اللهمّ أنتَ عبدي وأنا ربّك، أخطأ من شدّة الفرح » . (٢٨٥)

وأمًّا أصحاب هذا النهج فقد أخذوا بظواهر النصوص دون فقه أو تثبّت ، ولا اعتبار لدلالة المفهوم ولا قواعد الاستدلال ، ولا الجمع بين الأدلة ، ولا اعتبار لفهم العلماء ، ولا نظر في أعذار الناس حتى تجرّؤا فحكموا بذلك على الأشخاص والجماعات والأنظمة ، دون اعتبار للضوابط الشرعية، وهو ما وقع فيه بعض الأفراد والجماعات في هذا العصر ، إذ توجهوا إلى تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله ، ولا سنة رسوله ٢ ورتبوا على ذلك استباحة الدّماء والأموال والاعتداء على حياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم ، والاعتداء على مصالحهم العامّة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها ، فحصل بذلك فساد كبير في المجتمعات الإسلاميّة . (٨٥٠)

فلمًا صارت وسطيَّة الإسلام هي من أعظم حقوق هذه الأمّة الإسلاميّة التي سمّاها الله تعالى : ر ق قر فمن الواجب عليها أن تدافع عنها كلما حدث في المجتمع

الإسلامي أي انحراف عنها فكريّا أو سلوكيّا ، ويجب على الأمة الوسط الدّفاع عن وسطيّتها في العقيدة والأخلاق والتشريع والسلوك ضدّ كلّ غلو أو تطرف . (١٨٥٠) ويجب التحذير من الإفراط والتفريط والتسرّع في تبديع أو تفسيق أو تكفير المسلمين ، ولاسيّما الدّعاة لمجرد خطأ وقعوا فيه وكذلك التحذير من أهل الغلو في الجرح في زماننا الذين لم يسلم من لسانهم أحد من الصالحين . (١٩٥٥) والاعتدال الإسلامي منهج اجتماعي ، ففي العصر الحديث تعرض العالم الإسلامي للاحتلال الدّائم والغزو الشامل من المستعمرين الغربيّين ، فبالرّغم من أنّ كثيرا من بلدان العالم الإسلامي قد تخلصت من الاستعمار وحققت الاستقلل ، بيد أنهم في الحقيقة خرجوا من باب ودخلوا في باب آخر من أبواب الاستعمار التي دبرتها أعداء الإسلام ، وقد فرضت عليهم الدّول الغربيّة القوّة العسكريّة والوكالة السياسيّة والهيمنة الاقتصادية ، الأمر الذي جعل العالم الإسلاميّ دائما تحت أزمات ومشكلات داخليّة وخارجيّة ، وندهورت الأوضاع وفقد التوازن في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ، وتحد حقا هذه الفترة من الزمن في التأريخ الإسلاميّ تأريخ الهوان والذل والمقاومة، وتحت مثل هذه الظروف الصعبة القاسية لم تستطع وسطيّة الإسلام أن تبرز خاصيّتها ، بل تكاد تفقد صورتها أمام تحديات النيّارات والأفكار المناقضة ، ومنها النطرة . (١٠٥٠)

٥٨٦- صحيح مسلم: باب: (أخطأ من شدّة الفرح) ، برقم: (٢٧٤٧): ٤/ ٢١٠٤.

<sup>&</sup>lt;sup>۸۷°</sup>- ينظر: إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه: ۱۲. . ۵۸۸- ينظر: أصول المجتمع الإسلامي: ۱۸۳.

٥٨٠- ينظر: الحراث المجتمع الإسلامي . ١٨١ . ٥٨٩- ينظر: الرائد دروس في التربية والدعوة : ٣٣ .

<sup>°°-</sup> ينظر: وسطيّة الإسلام: ١٧ .

إذن القرآن الكريم ومن خلال ما تقدَّم يُؤكد أنَّ الإسلام دين وسط معتدل ، صالح للمجتمعات كلها زماناً ومكاناً ، واسع الأفق ، قابل لكلّ تجديد في سبيل الرّقي والتقدّم والبناء ويرفض الجمود والتعصّب والعنف والهدم .

#### الفصل الثانى

## دور القرآن في إصلاح المجتمع من حيث العبادة

إنَّ الأثر التعبدي الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع المسلم فهو من دون شكّ أثر عظيم وكبير وذو فوائد جَمَّة عديدة . والعبادة التي نعنيها ليست قاصرة على نوع محدّد من العبادات بل هي شاملة لكلّ ما يطلق عليه اسم العبادة .

ففرض الله تعالى الدين الإسلاميّ على عباده ، وهو سبحانه أعلم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم و أخراهم ، وهذا الدين لا يستقيم أمره ، إلا بإقامة شعائره كاملة ، ولكلّ شعيرة جانب تربوي للنفوس وتأثير في بناء المجتمع .

ويمتاز الإسلام بأنه جمع في الترغيب بين العمل للدّنيا والعمل للآخرة ؛ لتتحقق المصلحتان وتتوافر المنفعتان ، ولإكمال رسالة الدّنيا وجعلها جسراً للآخرة ؛ لأنّ متطلبات الحياة الدنيويّة كثيرة، وتعمير الدّنيا وتقدّمها وتحضرها من مقاصد الخلق الإلهي ، وذلك مثل الاستعداد بالإيمان والعمل الصّالح للآخرة دار الخلود ، قال الله تعالى في قصة قارون : رُ

والإنسان فاعل مختار ضمن ظروف وأحوال محيطة به ، فهو في شأنه وسط ، وهو حر في حدود النظام الكوني العام ، وما مثله إلا كمثل من يعيش في حديقة غنّاء واسعة يتمتع بكل ما فيها من خيرات ونعم وثمار وظلال ، ويتجنب ما قد يكون فيها من مخاطر ومضار ، ولكنه لا يستطيع تجاوز سور الحديقة . (٩٤٠)

٥٩١ - سورة الحج: ٣٢ .

٩٢٠ - سورة القصص : ٧٧ .

<sup>°°° -</sup> ينظر: معالم التنزيل: ٢٢١/٦ ، تفسير القرآن العظيم: ٢٥٣/٦.

٩٤٥- ينظر: وسطيّة الإسلام وسماحته: ١٤.

ومن بين أصول ووسطيّة الشريعة الإسلاميّة ، مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانيّة أو مراعاتها في منهجيّتها وأحكامها العمليّة ، والخلقيّة ، وممارسة العبادات بما يلائم طبيعة الإنسان وإمكاناته المزدوجة الجامعة بين حقّ الجسم وحق النفس أو الرّوح ، ويحفظ التوازن دون إلحاق جور أو ضرر أو كبت أو إرهاق لجانب على جانب آخر ، حتى وصف الإسلام بأنه (دين الفطرة ) $^{(040)}$  كما جاء في قوله تعالى :  $^{\circ}$   $^{$ 

فشرِ عت العبادات المفروضة ونوافلها في الإسلام من طهارة وصلاة وصيام وحج وزكاة ونحوها وتميّزت باليسر والسماحة ، وقلة التكاليف ، وسهولة الممارسة ، والبعد عن التشدّد والغلو والتعبير بها وكون المشقة فيها معتادة ، فضلاً عن فوائدها الجمّة ، وآثارها التهذيبيّة والاجتماعية ، والتعبير بها عن عبوديّة الإنسان لله الخالق ، فإنّ لله تعالى حقوقا على عباده ، بل إنّ الغاية الأصليّة من الخلق الإلهي للبشريّة هي عبادة الربّ تبارك وتعالى قال سبحانه : رُج ج ج ج ج ج ج ج د رُ (١٠٠٠)

والطهارة أول الأسس في حماية البيئة والنفس والتحرّز عن المؤذيات والمضارّ . والصّلاة بفرائضها الخمس: صلة بين العبد وربّه ، وتذكير بالواجبات والمسؤوليّات واحترام قيمة الوقت وتهذيب النفس. والصّوم: صحة وعافية ، وتدريب على الصبّر وقوّة الإرادة ، وشحذ العزيمة ، والترفع عن الماديّات والتشبّه بالملأ الأعلى من الملائكة ، وانتصار على الأهواء والشهوات والمغريات . والزكاة لتحقيق التكافل الاجتماعي ، والتعاون والتراحم ، وعلاج ظواهر البؤس والفقر والعوز أو الحاجة وتطهير المال وصونه من الضياع والسرقة . والحجّ يحقق منافع كثيرة أولها جمع المسلمين على قدم المساواة وتوحيد الله ووحدة الاتجاه والالتفاف حول مركز واحد وهو الكعبة المشرّفة ، وتربية الأخلاق بالاغتراب والسقر والاحتكاك بالآخرين .(١٠٢)

٥٩٥ سورة الأنفال : ١٧ ، آل عمران : ١٢٦ ، ١٦٠ .

٥٩٦ - سورة المؤمنون : ١١٥ .

<sup>°°°-</sup> ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦٩/١٤.

<sup>&</sup>lt;sup>۹۸</sup>- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : A .

<sup>&</sup>lt;sup>۹۹</sup>- سورة الروم: ۳۰.

٠٠٠ - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ١٥.

<sup>&</sup>lt;sup>1.1</sup>- سورة الذاريات: ٥٦.

١٠٠٠ ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ١٧ .

وإذا ما نظرنا نظرة تأمّل في مشروعيّة صلاة الجماعة ، وجدناها قد شرّعت لأجل التوادّ والتواصل بين المجتمع وعدم التقاطع ، فباجتماعها يحصل التآلف والوئام ، والأنس والانسجام، والتعاطف والتلاطف والالتئام فتصفو القلوب ، وتزكو النفوس ويجتمع الشمل ويرتئب الصدّع ، وتتقشع سحب الضغينة وغيوم الإحن والأحقاد ، ويبقى المجتمع نظيفاً من الغلّ والحسد ، طاهرا نقيّا من السّخيمة والشحناء ، تخيّم عليه المحبة الواثقة ، وتملأ أفئدة بنيه المودّة الكامنة الصادقة به ، ويطلع المسلم على أحوال أخيه ويتحسّس مواضع حاجته فيسعفه ويواسيه ، يعرف من ملامح وجهه ورثاثة حاله ما يعتلج في جنانه من شظف عيش وسوء حال ، وعوز وفاقة ، وما يخالج ضميره من همّ وكدر فيخفف عن آلامه بمدّ يد العون والرّفد والعطاء ، ويعالج ما أقلقه من مصائب وغموم ، فيزيل عنه شديد قلقه وثقيل أتراحه (١٠٤) قال ۲ ، فيما يرويه عنه أبو موسى الأشعري † : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا » . (١٠٤)

وإعمال هذه الأصول في الحياة العمليّة يُحقق التوازن والاعتدال والطمئنينة والتوسيّط في الأمور ويمنع التحايل على شرع الله وقواعده الكليّة ، ويجنّب من الوصول إلى غايات غير مشروعة لمصادمتها مقاصد الشريعة ، وهو ما يعرف بمبدأ : ( سدّ الذرائع )(١٠٠٨) ؛ وذلك لأنّ الشريعة تحرص على نقاء الظاهر والباطن ، وتطارد الانحراف بذرائع وأسباب ووسائل مشبوهة أو مصادمة لأصل التشريع وغاياته الرسيدة ، وتجعل الإخلاص والنقاء هو محور العمل ، وأنّ النتائج المتحققة غير المشروعة تعدّ دليلاً على سوء النيّة ، وخبث الباعث أو الدّافع . ومن المعلوم أنّ مقاومة الفساد مطلب أساسيّ في شرعة الله تعالى ، فإذا انتشر وباء الفساد ، قضى على الإيجابيّات ومناهج إصلاح المجتمع وصادر الدّعوة إلى الخير والفضيلة وذلك يوجب مراعاة هذه الاعتبارات الذاتيّة ، وتفعيل منهج الوسطيّة . (١٠٩)

٦٠٣- ينظر: وظيفة المسجد في المجتمع: ٣٥.

٢٠٠٤- صحيح البخاري: باب: (نصر المظلوم) ، برقم: (٢٣١٤) : ٨٦٣/٢ ، صحيح مسلم : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) ، برقم: (٢٥٨٥) :١٩٩٩/٤ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاء في شفقة المسلم على المسلم) ، برقم: (٣٥٠٠) : ٣٢٥/٤ ، سنن النسائي : باب: (أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه) ، برقم: (٣٥٦٠) : ٧٩/٥ . مسورة البينة : ٥ .

٦٠٦- صحيح البخاري: باب: (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، برقم: (١): ٣/١ ، صحيح مسلم: باب: (قوله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنية) ، برقم: (١٩٠٧): ١٥١٥/٣.

١٠٠ ينظر: الفوائد في اختصار المقاصد: ٣٤٠ ، القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام: ٢٦٩.
 ١٠٠ وهو: (منع الجائز ؛ لأنه يجر إلى غير الجائز وبحسب عظم المفسدة في الممنوع يكون اتساع المنع في الذريعة

<sup>``` -</sup> وهو: (منع الجائز ؛ لانه يجر إلى غير الجائز وبحسب عظم المفسدة في الممنوع يكون اتساع المنع في الدريعه \_ وشدته) . الموافقات في أصول الفقه : ١١٣/١ . \_ .

<sup>1·</sup>٩- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ٢٥.

وعن دور الوسطية في الإصلاح التعبدي ، فلنا في قصة نهي رسول الله r ثلاثة من أصحابه عن الغلو في العبادة اعتباراً وعظة ، إذ ظن هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم أن أفضلية العبادة وعظم ثوابها لا تحصل إلا بالمشقة البالغة وحرمان أنفسهم من طيبات الدّنيا وقد صحح النبي r فهمهم الخاطئ وأرشدهم منهج وسطية العبادة في الإسلام .

فكمال الوسطيّة أو وسطيّة الكمال قد وضع الله سبحانه وتعالى لها منهجا ربانيّا شاملا وسعى رسول الله r في حياته وسيرته إلى التطبيق الكامل لهذه الوسطيّة فهذه الوسطيّة خصيصة الأمّة الإسلاميّة المرحومة بمفهومها الإسلاميّ المتمثل في لغة القرآن ومعانيه ومواقفه ، كما أورده القرآن الكريم وطبقه رسوله الكريم r ، فهي تختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الوسطيَّة عند غير المسلمين . فالوسطيَّة الإسلاميَّة لا تهدف إلى الجمع بين المتضاديِّن أو المتعارضين أو التوسط بين النقيضين أو إرضاء الطرفين واتخاذ موقف محايد ، وإنما الهدف من الوسطيّة الإسلاميَّة هو الوصول إلى الحقّ (٢١٠)

هذا ويتجلى أثر الإصلاح التعبدي في المجتمع من خلال ما يأتي (٢١١):

- الارتباط بالله والشعور بمعيّته ، وسرعة الأوبة إليه لمن حصل منه شرود وغفلة .
- التمسنك بالقرآن الكريم والسنة النبوية في الهدي والعمل ، والتيقن بهما في مجال العبادات والتديّن .
  - الإقتداء بالسلف الصالح t في كيفية منهجيّة الحياة وتطورها .
  - الالتزام بأقوال علماء هذه الأمّة ودعاتها وصالحيها ، علما وترجيحاً .
  - الحرص على الوفاء بالعبادات واستكمال شروطها واتقاء مبطلاتها بالسوّال والتحرّي.
- الاهتمام بالفرائض والمبادرة إليها وتعظيمها وتقديمها على ما سواها ، والشعور بضياع من يهملها ويتكاسل عنها وفساده .
  - الرّغبة في نوافل العبادات والتطوّعات صلاة وزكاة وصوماً .
    - الحرص على قراءة القرآن والأذكار والأدعية المأثورة .
- الحرص على إظهار شعائر الإسلام والالتزام بتعاليمه وتطبيقها بعد القناعة بها ، وبذلك تظلّ للدّين حيويته في النفوس وأثره في الوجدان ، ومن هنا قرن الإيمان والعمل الصّالح في كثير من نصوص القرآن الكريم ، إذ كثيرا ما يرد فيه : (717) ك گ گ گ گ (717) وتمثل هذه الصّور بعمومها سِمة للمجتمع .
  - .. واستكمالاً لما بدأنا به ، جاءت المباحث الآتية ..

المبحث الأوّل ضرورة الدّين لإصلاح المجتمع

قدر الإسلام ما للدّين من أهميّة في حياة الإنسان إذ يلبّي النزعة الإنسانيّة إلى عبادة الله ولما يمدّ به الإنسان من وجدان وضمير ، ولما يقوى في نفسه من عناصر الخير والفضيلة وما يضفي على حياته

أنام عنظر: وسطية الإسلام: ١٣.
 المرجع نفسه .

٦١٢- سورة البقرة : ٢٥ .

من سعادة وطمأنينة ؛ نظراً لتلك الأسباب كلها كان الدّين ضرورة حياة بالنسبة للإنسان ، قال تعالى :  $(11)^{(11)}$ 

ولذا يقول هنري برجسون : " لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة ٍ " .(٦١٤)

ونظراً لتلك الاعتبارات حافظت شريعة الإسلام على الدين ، سواء من حيث غرسه في النفوس وتعميقه فيها ابتداء ، أو من حيث تدعيم أصله وتعهده بما ينميه ويحفظ بقاءه استمرارا ودواما وشرعت لذلك الوسائل الآتية (٦١٥):

أ- وسائل حفظ الدِّين من جانب الوجود : من وسائل غرس الديّن في النفوس ابتداءً في الشريعة الإسلاميّة الوسائل الآتية (٦١٦) :

- ٣- القيام بأصول العبادات وأركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج ، بعد النطق بالشهادتين فهذه العبادات من أهم أسرارها وحكمها أنها تصل العبد بربه وتوثق صلته به ممّا يرسخ أصل الإيمان في نفسه ويجدده ، يقول الرسول r ، فيما يرويه عن ربه : « وما نقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ ممّا افترضت عليه ، و لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ...» . (١٢٢) ويقول r : « بُنيَ الإسلامُ على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » . (١٢٣)

٦١٣ - سورة الروم: ٣٠ .

١١٤- الدين - بحوث ممهدة لدر اسة الأديان - : ٨٣ .

<sup>11° -</sup> ينظر: مقاصد الشريعة: ٧.

٦١٦ - المرجع نفسه : ٨-١٠ .

٦١٧ - سورة البقرة : ٢٨٥ .

٦١٨- سورة النساء: ١٣٦.

٦١٩- سورة الأعراف: ١٢٥.

٠٦٢- سورة يوسف: ١٣٥.

٦٢١- سورة البقرة: ١٧٠.

٦٢٢- صحيح البخاري ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : باب: (التواضع) ، برقم الحديث: (٦١٣٠) ٥٠ ٢٣٨٤ . ١٢٢٠ صحيح البخاري : باب : (الإيمان) ، رقم الحديث : (٨) : ١٢/١ ، صحيح مسلم : باب : (بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام) ، برقم : (١٦) : ١٥٥٤، سنن الترمذي : باب : (ما جاء بني الإسلام على خمس) ، برقم : (٢٠٠٩) : ٥/٥ ، سنن النسائي : باب : (على كم بني الإسلام) ، برقم : (٥٠٠١) : ١٠٧/٨ . مسند أحمد : برقم : (٦٠١٥) : ١٢٠/٢ . وكلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

( (۲۲۶) ، رُ دُدْهٔ هُه م بهر (۲۲۰) ، رُ دَدُدُدُرُ

ژ رُ رُ ک ک ک ک گ گ ژ . (۲۲۱)

ب- وسائل المحافظة على الدين من جانب البقاء: والمقصود بها الوسائل التي انتهجتها الشريعة في المحافظة على الدين بعد حصوله، لصيانته وإزالة العوائق من طريقه، وتزكيته في النفوس .. ومن هذه الوسائل (٦٢٧):

- 1- كفالة حُريَّة العقيدة والتديّن وحمايتها ، فالإسلام لا يُكره أحدا على اعتناقه ، ويسمح بتعايش مختلف الأديان داخل دياره وفي رحاب دولته ، ويترك الحريّة لأهل الأديان في عقائدهم وممارستهم التعبديّة وتصرفاتهم المدنيّة ، لذا صار من أهداف الجهاد الإسلامي تأمين حريّة الاعتقاد والتديّن ، قال تعالى : رُدُف ف ق ق ق ق ق ق ق ج ج ج ج ج ج ج ج جيثر .(٦٢٨)
  - ٢- تشريع الجهاد تمكينا للدِّين ودرءاً للعُدوان وحماية للاعتقاد ، قال تعالى : رُ

- ٤- إقامة سياج من الحاجيات والتحسينات كأداء الصلاة جماعة ، كنوافل العبادات المختلفة وبكل هذه التشريعات يتأصل الدين ، ويرسخ في نفس الإنسان وفي المجتمع ممّا يحقق الأنس والسكينة والخير للفرد والمجتمع .

# المبحث الثاني أثر القرآن في تيسير التشريع والتكليف

٦٢٤- سورة لقمان: ١٧.

٦٢٥- سورة العلق : ٩- ١٠ .

٦٢٦- سورة البروج: ١٠.

٦٢٧- مقاصد الشريعة: ١١-١٣.

٦٢٨- سورة الحج: ٤٠.

٦٢٩- الآيتان في سورتي: البقرة: ١٩٠، النساء: ٧٥.

<sup>&</sup>lt;sup>۱۳۰</sup>- سورة آل عمران: ۷۲ .

ويُمكن تحديد الحديث عن تقرير القرآن لرفع الحَرَج والتيسير على هذه الأمّة في تشريعها وتكليفها في فقراتٍ متتاليةٍ ؛ ليسهل تحرير هذه القضيّة واستيعابها ..

1 – امتن الله على هذه الأمّة في الكتاب العزيز بأن وضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على من قبلها ، ولم يحمّلها ما حمّل من قبلها ، فكان ذلك مظهر أ من مظاهر تيسير هذا الدّين . يقول تعالى في وصف نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم لموسى عليه السّلام : (t, t, t) ك ك ك ك ك ي على وإنّ من جملة دعاء رسول الله والمؤمنين : (t, t) على على الله والمؤمنين : (t, t)

ي ي  $(777)^{-1}$ . وفي الحديث الصّحيح : « إنّ هذا الدّين يُسر ولن يشادّ هذا الدّين أحدٌ إلا غلبه » .  $(777)^{-1}$  وكذلك كان يأمر أصحابه الذين يرسلهم إلى بث الدّين ؛ فقال لمعاذ وأبي موسى حين أرسلهما إلى اليمن : « يسرّ ا و لا تُعسرّ ا »  $(777)^{-1}$  ، وقال لمعاذ لما شكا بعض المصلين خلفه من تطويله : « يا معاذ أفتان أنتَ » .  $(777)^{-1}$ 

فكان التيسير من أصول الشريعة الإسلاميّة وعنه تفرّعت الرّخص بنوعيها . (١٣٨) والإصر هو العهد الثقيل الذي في تحمّله أشدّ المشقة . والأغلال هي الشّدائد التي كانت في عبادتهم . (١٣٩) وفي آيتي البقرة والأعراف إشارة إلى أنه ، عليه الصلّلة والسلّلم ، قد جاء بالتيسير والسّماحة . (١٤٠) قال الجشمي : " دلت آية - الأعراف - على أن شريعته أسهل الشّرائع ، وأنه وضع عن أمّته كلّ ثقل كان في الأمم الماضية " . (١٤٠) وقال الطبري في تفسير آية سورة الحج : " جعل الدّين واسعًا ولم يجعله ضبقًا " . (١٤٢)

والأدلة على ذلك قطعيّة ، قال الشاطبي: " إنّ الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع". (٦٤٣)

٦٣١- سورة الحج: ٧٨.

٦٣٢- سورة البقرة : ١٨٥ ، ٢٨٦ .

٦٣٣- سورة الأعراف: ١٥٧.

٦٣٤- سورة البقرة: ٢٨٦.

<sup>-</sup>٦٣٥ صحيح البخاري : باب : (الدين يسر) ، برقم : (٣٩) : ٢٣/١ ، سنن النسائي : باب : (الدين يسر) ، برقم : (٥٠٣٤) : ١٢١/٨ .. وكلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٦٣٦- صحيح البخاري : باب : (قول النبي صلى الله عليه وسلم : يسروا ولا تعسروا) ، برقم : (٥٧٧٣) : ٢٢٦٩/٥ ، مسند أحمد : رقم الحديث : صحيح مسلم : باب : (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم : (١٧٣٣) : ١٧٥٩/٣ ، مسند أحمد : رقم الحديث : (١٩٧٥) : ١٧/٤ . وكلهم من حديث سعيد بن ابي بريدة عن ابيه عن جده .

البخاري: باب: (من شكا إمامه إذا طول) ، برقم: (٦٧٣): ٢٤٩/١ ، صحيح مسلم: باب: (في قراءة البخاري: باب: (من شكا إمامه إذا طول) ، برقم: (٦٧٣): ٢٤٩/١ ، سنن البي داود: باب: (في تخفيف الصلاة) ، برقم: (٢٩٠): ٢٦٩/١ ، سنن النسائي: باب: (اختلاف نية الإمام والمأموم) ، برقم: (٨٣٥): ١٠٢/٢ ، مسند أحمد: رقم الحديث: (٢٢٢٦): ٢٩٩/٣ . وكلهم من حديث جابر بن عبد الله t

٦٣٨- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣٥/٢ ، التحرير والتنوير: ٩٣٤/١.

٦٣٩- ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ٨٢/٦ ، معالم التنزيل: ٣٥٧/١.

١٤٠- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣٥/٢.

٦٤١ - ينظر: تفسير القاسمي ، المسمى: (محاسن التأويل): ٢٨٨٢/٧.

٦٤٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩١/٩ .

٦٤٣ - الموافقات : ٣٤٠/١ .

ولبيان تيسير الإسلام في التكاليف في ضوء ما شرعه الله في كتابه ، وعلى لسان رسوله  $\mathbf{r}$  ، نذكر نماذج من الأحكام التي جاءت في التوراة التي بين أيديهم ، حتى يتبيَّن منها الأغلال والآصار التي كانت عليهم .

ـ جاء في سفر الخروج في الإصحاح الحادي والعشرين : " من شتم أباه وأمّه يُقتل قتلا . إذا نطح ثور رجلا أو امرأة وكان الثور نطاحًا من قبل ، وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يُرجم وصاحبه يُقتل " .

\_ وفي الإصحاح الخامس والثلاثين وفي السفر نفسه :" ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل " .

\_ وفي الإصحاح الحادي عشر من سفر اللاويين: "كلّ من مسّ حائضًا يكون نجسًا إلى المساء وكلّ ما تخلس عليه يكون نجسًا ، وكلّ من مسّ فراشها يغسل ثيابه ، ويستحم بماء ، ويكون نجسًا إلى المساء ".

\_ وفي الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية : " تحرث على ثور وحمار معاً ، ولا تلبس ثوباً مختلطاً صوفاً وكتاناً معاً " .

رُ (۱۶۱) وكلّ ذلك ساقه الله في كتابه لبيان ما امتن به على هذه الأمّة من التخفيف ، والتيسير والتسهيل ، ونعت نبيّه صلى الله عليه وسلم ، بأنّه : ر د د د ر ر ر ر ر ر ر ر ك ك ك ك ككر (۱۶۷). وقد ذكر علماؤنا رحمهم الله شيئًا من الأصار والأغلال التي كانت على من قبلنا منها: قطع موضع النجاسة من الثوب أو منه ، ومن البدن ، وإحراق الغنائم وتحريم السبّت ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتعين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وأمروا بقتل أنفسهم علامة على التوبة ، وطلب منهم أداء ربع المال في الزكاة ، وعدم جواز الصلة إلا في البيعة ، وحرمة الجماع في أيّام الصوّم بعد العتمة والنّوم وحرمة الطعام بعد النوم وعدم النّطهير بالتيمّم ، وكتابة ذنب الليل بالصبّح على الباب العتمة والنّوم

وممًّا سبق يتّضح دلالة آيتي البقرة والأعراف على تقرير منهج التيسير ورفع الحَرَج في التّشريع والتّكليف، وهو من أعظم أسس الإصلاح في كسب العباد ودوامهم على عبادتهم.

١٤٢ - ينظر: رفع الحرج في الشريعة - ضوابطه وتطبيقاته - : ١٥٨ .

٥٤٥- سورة النساء: ١٦٠.

٦٤٦- سورة الأنعام: ١٤٦.

٦٤٧- سورة الأعراف: ١٥٧.

٦٤٨ - رفع الحرج في الشريعة: ١٥٨- ١٦٠ .

<sup>169 -</sup> سورة البقرة : ٢٨٦ ، ٢٨٦ .

<sup>&</sup>lt;sup>٦٥٠</sup>- سورة الطلاق: ٧.

الأول: قوله تعالى : ژ ي د ب

الثاني: قوله : ژ

الثالث: قوله تعالى : ژ ی ی ی یا شر (۱۰۶)

قال البقاعي معلقاً على هذه الآية: "عرقهم - أي عباده- مواقع نعمه من دعاء ربّبه على الأخف فالأخف على سبيل التعلي ، إعلامًا بأنه لم يؤاخذهم بما اجترحوه نسيانا ، ولا بما قارفوه خطأ ولا حمل عليهم ثقلا ، بل جعل شريعتهم خفيفة سمحة ، ولا حمّلهم فوق طاقتهم ، مع أنّه له جميع ذلك وأنّه عفا عنهم في سترهم فلم يخجلهم بذكر سيئاتهم ".(٥٥٠)

و لاشك أنّ الأحكام الشّرعيّة إذ كانت مطلوبة في حدود الوسع والاستطاعة دون بلوغ غاية الطّاقة ففي ذلك الدّلالة الظّاهرة على أن الحررَج مرفوع ، وأنَّ الشريعة مبنيّة على التيسير وعدم التعسير فهي حنيفيَّة سهلة سمحة .(٢٥٦)

قال الإمام الطبري: " يعني بذلك جلّ ثناؤه لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً فيتعبدّها إلا بما يسعها ، فلا يضيق عليها و لا يجهدها " . (١٥٧)

وقال المفسر الشيخ مُحمَّد رشيد رضا في تفسيره (٢٥٨) بمعنى : " ولا يُحاسبها إلا على ما كلفها والتُكليف هو الإلزام بما فيه كلفة ، والوسع ما تسعه قدرة الإنسان من غير حرج ولا عسر ، وقال بعضهم : هو ما يسهل عليه من الأمور المقدور عليها ، وهو ما دون مدى طاقته ، والمعنى : أنَّ شأنه تعالى وسنته في شرع الدّين ألا يُكلف عباده ما لا يُطيقون " .

والوسع ما يسع الإنسان فلا يعجز عنه ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه ، فقوله تعالى :  $\mathring{c}$  و و و و و و و و  $\mathring{c}$   $\mathring{c$ 

<sup>107 -</sup> سورة الأنعام: 107.

٦٥٢- سورة الأعراف: ٤٢.

٦٥٣- سورة المؤمنون: ٦٢.

٢٥٢- الآيات الثلاث في سورة البقرة : ٢٨٦ .

١٥٥ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٨٥١ .

٦٥٦ - ينظر: رفع الحرج في الشريعة : ٧١، ٧٣ .

٦٥٧ - جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ١٥٤/٣.

٦٥٨- تفسير القرآن العظيم ، المعروف بـ(تفسير المنار) ، للشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) : ١٢٧/٣ .

أوه - رفع الحرج في الشريعة الإسلامية : ٦٩ . وينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٨٠/١ ، ٤٥٥ ، معالم التنزيل : ٢٥٦/١ ـ ٣٥٧ .

ن نذ ت ت ت ت ت ت ث ث ر . (١٦٠) هذه هي الآيات التي وردت مبيّنة أنَّ التكليف بحسب الوُسع والطّاقة ، ولا شكَّ أنَّ الأحكام الشَّرعيّة إذا كانت مطلوبة في حدود الوُسع والاستطاعة دون بلوغ غاية الطّاقة ، ففي ذلك الدّلالة الظّاهرة على أنّ الحررَج مرفوع ، وأنَّ اليُسر سمِة هذا الدّين ، والتّوسعة على العباد خاصيّة من خصائصه فهي الحنيفيَّة السّمحة والوسطيَّة التي لا عَنَتَ فيها ولا مشقة . (١٦١)

ونقل القاسمي قول الشعبي في تفسير آية البقرة ، إذ قال : " إذا اختلف عليك أمران ، فإنَّ أيسر هما أقربهما إلى الحق لهذه الآية " . (٦٦٥)

وهذه الآيات السالفات تبين أن الله أراد بهذه الأمَّة اليُسر والتخفيف ، ونفي إرادة العُسر والمشقة وهذه الآيات وإن كان بعضها ورد في سياق قضية خاصة ، كالآية الأولى وردت في شأن الرخصة في الصيام إلا أن المراد منها العموم ، كما صرّح بذلك غير واحد من المفسرين ومثل ذلك آية النساء فقد وردت في سياق ما أبيح من نكاح الإماء عند العجز عن الحرائر إلا أن الذي صرّح به كثير من المفسرين أن المراد عموم التّخفيف في الشريعة وإرادة التيسير ورفع المشقة .(١٦٦٦)

فلمًا أورد القرطبي قولي مجاهد والضّحاك في معنى اليُسر بالفطر في السّقر ، والعُسر بالصّوم في السّقر . أعقب رحمه الله قائلاً : " والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدّين، كما قال تعالى : ژهه ه له عن عربي عن الله عنه الله عن

وقال مُحمَّد رشيد رضا رحمه الله عن آية سورة البقرة - المتقدّمة - : " وهذا تعليل لما قبله ، أي : يريد فيما شرعه من هذه الرّخصة في الصبّام ، وسائر ما يشرعه لكم من أحكام ، أن يكون دينكم يُسرًا تامًّا لا عُسر فيه " .(٦٦٨)

و لا يفونتا قوله تعالى ژ ٺ ذ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ڙ . قال الحافظ ابن کثير في تفسيره: " أي في شرائعه ، وأو امره ، ونو اهيه ، وما يقدّره لكم " .(٦٦٩)

وفي هذه الآيات دلالة ظاهرة على رفع الحَرَج على هذه الأمَّة ، وأنَّ الله لم يجعل في التشريع حرجًا وبعض هذه الآيات وإن كانت خاصنة في أحكام معينة ، ولكنَّنا نجد التعليل عامًّا ، فكأنّ التخفيف ورفع الحَرَج في هذه الأحكام والفروض بإعادة الشيء إلى أصله وهو رفع الحرج عن هذه الأمَّة، فكلّ شيء يؤدّي إلى الحَرَج لسبب خاص أو عام فهو معفو عنه رجوعًا إلى الأصل والقاعدة .

<sup>· · · ·</sup> الأيات في السور الأتية : البقرة : ٢٣٣ ، الطلاق : ٧ ، الأنعام : ١٥٢ .

<sup>171 -</sup> ينظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: ٧٣.

٦٦٢- سورة الأعلى : ٨ .

<sup>777-</sup> سورة الشرح: ٥- ٦.

٢٦٤- سورة النساء : ٢٨ .

<sup>&</sup>lt;sup>110</sup> - ينظر: تفسير القاسمي: ٤٢٧/٣.

٦٦٦ - ينظر: رفع الحرج في الشريعة: ٦٨ .

٦٦٧ - الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/٢.

<sup>&</sup>lt;u> ۲۲۸</u> - تفسیر المنار : ۱۲٤/۲ .

<sup>&</sup>lt;sup>179</sup> - تفسير القرآن العظيم: ٦٣٦/١.

٠٧٠- الآيات في السور الآتية: المائدة: ٦، التوبة: ٩١، الأحزاب: ٣٨.

وفيها أيضاً دَلالة واضحة على أنّ هناك تكليفًا وأمرًا بالتعبد - أوامر ونواهي- ، ولكنه في حدود الوُسع والطاقة ، وعدم المشقة ، وليس فيهما تضييق أو عسر أو إجهاد ، وهذه هي حقيقة التيسير والتخفيف على هذه الأمّة ، والتي جاءت لإرساء قواعد هذا الدّين .

ومن خلال ما سبق ، اتضحت المنطلقات الأساسية التي تُبيّن المنهج الشّرعي في التُشريع والتَّكليف إذ ذكرت أن الله وضع عنّا الإصر والأغلال التي كانت على من قبلنا ، وأنّ الله لا يُكلف نفسًا فوق طاقتها بل لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، وما آتاها ، وآيات رفع الحرج دلالة قويّة على متانة هذا المنهج العظيم يؤكد ذلك ويقرّره ما صاحب ذلك من يُسر ورفع للعسر والمشقة .

#### المبحث الثالث

#### الوسطيّة في التشريع والتكليف

ممًا يُؤكّد ويقرّر منهج الوسطيّة في التشريع والتّكليف ، الآيات التي وردت برفع الحَرَج السّالفة الذكر - ومثل تلك الآيات التي جاءت تنفي الحَرَج عن فئةٍ معيّنةٍ ، كقوله

ويبيّن وسطيّة هذا الدّين ورفع الحرج عنه ، الحافظ ابن كثير بقوله:" أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ، فالصلّاة التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعاً وفي السقر تقصر إلى اثنتين وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة وتصلى رجالاً وركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، وكذا في النافلة في السقر إلى القبلة وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصليها المريض جالساً فإن لم يستطع فعلى جنبه إلى غير ذلك من الرّخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات " . (١٧٣)

وقال رشيد رضا في تفسير آية المائدة – المتقدّمة - : " ولما بيّن فرض الوضوء وفرض الغسل، وما يحلّ محلهما عند تعدّر هما أو تعسر هما ، تذكيرًا بهما ومحافظة على معنى التعبّد فيهما وهو التيمم بيّن حكمة شرعهما لنا مبتدئًا ببيان قاعدة من أعظم قواعد هذه الشّريعة السمحة، فقال : ر د د د د د د د د د د د أي أي : ما يُريد الله ليجعل عليكم فيما شرعه لكم في هذه الآية حرجًا ما ، أي أدنى ضيق وأقل مشقة ؛ لأنه تعالى غنّي عنكم رءوف رحيم بكم ، فهو لا يشرع إلا ما فيه الخير والنفع لكم". (١٧٤)

٦٧١ - سورة النور: ٦١ .

۲۷۲- سورة الأحزاب: ۳۷.

٦٧٣- تفسير القرآن العظيم : ٣١٧/٣ .

٦٧٤ - تفسير المنار: ٢٥٨/٦.

فرفع الحَرَج ، والسمّاحة والسمّهولة راجع إلى الوسط والاعتدال ، فلا إفراط ولا تفريط فالتنطع والتشديد حَرَج في جانب عُسر التكاليف ، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدّي إليه من تعطل المصالح وعدم تحقيق مقاصد الشرع . قال تعالى : ژ ڤ ڤ ڤ ڤ څ ژ فالتوسط هو منبع الكمالات، والتّخفيف والسمّاحة ورفع الحَرَج على الحقيقة هو في سلوك طريق الوسط والعدل . (۲۰۰ وقد كانت الشدائد والعزائم في الأمم ، فأعطى الله هذه الأمّة من المسامحة واللين ما لم يعط أحدًا قبلها رحمة من الله و فضلا .

قال ابن العربي: "ولو ذهبت إلى تعديد نعم الله في رفع الحرج لطال المرام ". (١٧٦) ومن الأهميّة بمكان أن نواصل ذكر الأدلة العلميّة من القرآن الكريم في باب التشريع والتكليف التي تقرّر منهج الوسطيّة ، والذي يُعدّ سِمة هذا الدّين ، وسرّ من أسرار عظمته ومن بين هذه الآيات.

والأمر الأوّل: فيه من المشقة والعسر ما لا يخفى . والثاني: يُؤدّي إلى الاستهانة باليمين وهو قادح من قوادح الإيمان . أمّا التفصيل: وهو التفريق بين لغو اليمين (١٨٣٠) الذي يصعب التحرّز منها، فهذا معفو عنه

٦٧٥ - ينظر: رفع الحرج في الشريعة: ١٣.

٦٧٦ - ينظر: أحكّام القرآن لابن العربي: ٥٥٧/٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۷۷</sup>- سورة البقرة : ۲۳۲ . ۱<sup>۷۸</sup>- السورة نفسها : ۲٤۱ .

٦٧٩- ومعنى التمتييع : (أن يعطي الزوج امرأته حين يطلقها عطية جبرا لخاطرها لما يعرض لها من الانكسار) . التحرير والتنوير : ٣٣٤-١١ .

<sup>&</sup>lt;sup>1۸۱</sup>- سورة البقرة: ۲۲٥.

٦٨٢ - سورة المائدة : ٨٩ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۸۳</sup>- ومعنى اليمين اللغو: (ما يحلف عليه ظاناً أنه كذا وهو بخلافه عند أبي حنيفة وأحمد. وعند الشافعي: ما ورد على ما سبق اللسان من غير قصد). ينظر: المغني (لابن قدامة): ١٦٧/١١ ، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: ١٧٢/١، التوقيف على مهمات التعاريف: ٧٥١/١.

أمّا ما عداه ففيه الكفارة الشّرعيّة صيانة لليمين والقسم، فهذا هو الأمر الوسط، فلا إفراط فيه و لا تفريط (٦٨٤)

ولهذا الموضوع مناسبة لما قبله من حيث التيسير ، ورفع الحَرَج ، واختصاص هذه الأمّة المرحومة بهما ، قال الإمام ابن تيميّة عليه رحمة الله : " ولهذا لما لم يكن في شرع من قبلنا كفارة ، بل كانت اليمين توجب عليهم فعل المحلوف عليه ، أمر الله أيّوب لل أن يأخذه بيده ضغثا فيضرب به ولا يحنث لأنه لم يكن في شرعه كفارة يمين ولو كان في شرعه كفارة يمين كان ذلك أيسر عليه من ضرب امرأته ولو بضغث ، فإن أيّوب كان قد ردّ الله عليه أهله ومثلهم معهم لكن لما كان ما يوجبونه باليمين بمنزلة ما يجب بالشرع كانت اليمين عندهم كالنذر ، والواجب بالشرع قد يرخص فيه عند الحاجة كما يرخص في الجلد الواجب في الحدّ إذا كان المضروب لا يحتمل التفريق بخلاف ما التزمه الإنسان بيمينه في شرعنا فإن لا يلزم بالشرع لزمه ما التزمه وله مخرج من ذلك في شرعنا بالكفارة ولكن بعض علمائنا لما ظنوا أنّ الإيمان من ما لا مخرج لصاحبه منه بل يلزمه ما التزمه فظنوا أنّ شرعنا في هذا الموضع كشرع بني إسرائيل احتاجوا إلى الاحتيال في الإيمان : إمّا التزمه فظنوا أنّ شرعنا في هذا الموضع كشرع بني إسرائيل احتاجوا إلى الاحتيال في الإيمان : إمّا وإن غلبوا عن هذا كله دخلوا في التحليل ؛ وذلك لعدم العلم بما بعث الله به محمّدا صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع من الحنيفيّة السمّحة ، وما وضع الله به من الأصار والأغلال " . (١٨٥٥)

\* وقوله تعالى في بيان كفارة اليمين : ژ ۆ ۈ ۈ ۈ ؤؤ ۋ و و و و و ب ې ې ې ې

ىي  $au^{(717)}$  . والوسطيَّة في هذه الآية من ثلاثة

وجوه:

1 - i إطعام المساكين يُراعى في نوعيّة الطعام أو الكسوة الوسط في ذلك ، وجعل المقياس الذي يُرجع إليه في اختيار هذا الوسط إطعام الرّجل لأهله أو كسوتهم ، فينظر في ذلك ويُخرج الوسط منه .. قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة y: " أي من أعدل ما تطعمون أهليكم وقال عطاء الخراساني : من أمثل ما تطعمون أهليكم " . ( وفي هذا تتحقق الوسطيَّة من وجهين أيضاً .

الأول: مراعاة الوسط في حق كل إنسان ، فلم يؤخذ من أعلى ماله أو أدناه ، وليس بأفضله ولا بأخسه بل الوسط منه ، مراعاة للفقير أيضًا .

<sup>117/</sup>٤ : الوسطية في ضوء القرآن الكريم : ١٩٦ ، وينظر : أحكام القرآن للجصاص : ١١٢/٤ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۸۰</sup>- مجموع الفتاوى الكبرى: ۲٥٦/٣.

٦٨٦ - سورة المائدة : ٨٩ .

الثاني: مراعاة الفرق بين حال الغنيّ والفقير والمتوسّط ، وهذا فيه من معنى الوسطيّة ما فيه فلم يأت الحكم بالتسوية بينهم . (٦٨٨)

٢- إنَّه جعل الكفارة تدور على أحد ثلاثة أمور: إمّا الإطعام ، أو الكسوة ، أو الإعتاق والحالف مخير بينها دون إلزام بواحد منها ، وهذا فيه من التوسعة والتيسير ما لا يخفى. (٦٨٩)

٣- إذا لم يجد الحالف أو لم يستطع على أيّ نوع من هذه الثلاثة انتقل إلى الصيام ، وهذه رحمة من الله وتوسعة على عباده . (١٩٠٠)

وبهذا اجتمعت أطراف الوسطيَّة في هذه القضية، وهي قضية جزئية يسيرة، فلا شك أن ما كان أعلى منها وأشدّ كلفة تكون مراعاة الوسطيَّة فيه من باب أولى ؛ لأنّ الله غني عنًا وعن أعمالنا ، ولكن التشريع ميدان للامتحان والابتلاء ، والله بنا رءوف رحيم .

خ كذلك نلحظ الوسطيَّة في هذا التشريع ، قال سبحانه : ژ و و و و و و و و و و  $\mathfrak{g}$   $\mathfrak{$ 

والوسطيَّة تبرز في موضوع الطعام ، وموضوع النكاح من أهل الكتاب ، ممَّا لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل .(١٩٢)

\* وكذلك نرى إقرار منهج الوسطيَّة في موضوع الطّلاق وأحكامُه فلم يُحرّم الطّلاق ، ولم يجعله مُتاحاً دون قيد أو شرط أو وصف . بل إنَّه فرّق بين الحالات التي تبينُ فيها المرأة من طلقة واحدة أو من ثلاث طلقات ،.. وهكذا . (١٩٣٠)

ولا شك أن موضوع الطلاق وأحكامه من أقوى الأدلة على وسطية هذا الدين والذي روعيت فيه أحوال وأوضاع تتعلق بالرجل والمرأة والأسرة . والآيات التي وردت في سورتي البقرة والطلاق هي البرهان على ذلك .

هذه بعض الأدلة العمليّة على الوسطيّة التي رسمها القرآن الكريم ، وأكدها في أكثر من موضع في باب التشريع والتكاليف .

وقد اتضح لنا ممّا سبق أنّ آيات رفع الحَرَج دليل واضح وبرهان قاطع على وسطيَّة هذا الدّين في تشريعه وتكاليفه . وأنّ الوسطيَّة ركنٌ من أركان ديمومة هذا الدّين وعالميّته ..

كلّ ذلك أوصلنا للحقيقة الواضحة ، وهي أنَّ القرآن الكريم عنى عناية تامّة في رسم منهج الوسطيّة و تثبيته .

<sup>^^^ -</sup> الوسطية في ضوء القرآن الكريم: ١٩٧ ، وينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٤١٤/٢ ، أحكام القرآن (للجصاص): ١١٥/٤.

<sup>&</sup>lt;sup>749</sup>- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٥/٢.

<sup>19.</sup> ينظر: أحكام القرآن (للجصاص): ١١٤/٤ - ١١٥ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۹۱</sup>- سورة المائدة : ٥ .

٦٩٢ - الوسطية في ضوء القرآن الكريم: ١٩٩٠ .

٦٩٣- المرجع نفسه.

#### الفصل الثالث

## دور القرآن في إصلاح الدّعوة (١٩٤١) والدّعاة

إنَّ من آثار القرآن الكريم العظيمة في المجتمع: أثره في دعوة الناس إلى الله تعالى وإصلاحهم في مختلف المجالات الاجتماعيّة والحياتيّة. والدّعوة إلى الله تعالى لا تقتصر على أمر معيّن بل ينتظم فيها كلّ ما يهمّ المسلم في دينه ودنياه، وبمعنى آخر: تُعد الدّعوة صياغة جديدة لحياة المسلم مبناها على التوحيد الخالص لله تعالى، والالتزام بشرعه والتمسك بأمره والابتعاد عن نهيه.

<sup>195</sup> \_ عرّفت الدّعوة بعدة تعريفات منها: ما ذكره الأستاذ محمَّد الغزالي ، إذ قال :" هي برنامج كامل يضمّ في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها النّاس ليُبصروا الغاية من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي يجمعهم راشدين ". مع الله \_ دراسات في الدعوة - : ١٧.

<sup>-</sup> وعرقها الدكتور أبو بكر زكرى بقوله: " هي قيام من له أهلية النصح والتوجيه المنديد من المسلمين في كلّ زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً ، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة ، . . العوة إلى الإسلام : ٨ . وعرفها أخرون بتعريفات أعرضنا عن ذكرها هنا ، وأرى أنّ ما ذكره الأستاذ الغزالي هو أشمل

وأوسع ، لهذا الوقت المعاصر . ١٩٥٠ سورة الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ .

<sup>&</sup>lt;sup>197</sup>- سورة الحج: ٦٧ .

ومن هنا كانت النقلة النوعيّة العظيمة في حياة المجتمعات الإنسانيّة حينما ابتدأت الدّعوة الإسلاميّة وظهرت وانتشرت ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، واستقامت حياتهم على الحقّ والخير والهدى والصلاح .

ولا ريب أنّ الدّور الدّعوي والإصلاحي الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع المسلم دور عظيم وكبير ، ليس في داخل الأمّة الإسلاميّة فحسب ، بل تأثرت به المجتمعات الإنسانيّة الأخرى وأصبحت تلك المجتمعات تنظر إلى المسلمين نظرة الإعزاز والتقدير ، وتتمنى أن تصل إلى ما وصل إليه المسلمون في حياتهم وشؤونهم الخاصيّة والعامّة .(٠٠٠)

هذا وسأنطلق في كتابتي لهذا الفصل بعد تقسيمي له على مبحثين أساسيين هما .. الأول: دور القرآن في الإصلاح الدّعوي . والثاني: في إصلاح الدّعاة .

#### المبحث الأول

## دور القرآن في الإصلاح الدّعوي

كان لدعوة القرآن الكريم الإصلاحية أثر واضح في تطهير المجتمعات من العقائد الباطلة وتنقيتها من كلّ شائبة رذيلة ؛ وذلك من خلال وصولها إلى معظم البلدان إذ عملت على تعليم الناس وتوعيتهم ونشر الوعاظ والمرشدين في المدن والأرياف ، وكان لهؤلاء دور كبير في إصلاح الناس، وتثقيفهم ونشر مبادئ الشريعة الإسلامية ، والسير على هداها .

ولعناية القرآن الكريم بهذا الركن الدّعوة - اعتناءً عظيماً ، واهتماماً بالغاً ، فقد ذكره في عدّة مواضع منه ، تارة بذكر آدابه وأساليبه التي يجب إتباعها ضماناً لنجاحها ، كما قال تعالى :  $(a \wedge b + a \wedge b)$  هه هه  $a \wedge b \wedge b$  أن  $(a \wedge b \wedge b)$  أن  $(a \wedge b)$ 

٦٩٧ - سورة القصص : ٨٧ .

٦٩٨- سورة المائدة : ٦٧ .

<sup>&</sup>lt;sup>٦٩٩-ينظر:</sup> أهميّة الدعوة وصفات الدّاعية ٢١٤٠

<sup>.</sup>  $^{\vee}$ - ينظر: الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين:  $^{\vee}$ 1 .

٧٠١ سورة النحل : ١٢٥ .

٧٠٠- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥/٥ ٢٠ .

وتارة بذكر قصص الأنبياء مع أممهم المخالفة لأمر الله وما حلّ بها ، كقصة موسى مع فرعون، قال تعالى : (7.7) ، وقال : (7.7)

هذا وقد أحدثت الدّعوة وعيا دينيّا كبيرا في شتى أرجاء المعمورة ، إذ أحيت الشريعة وأنارت العقول والقلوب ، وقضت على الخرافات والبدع وترّهات الأمور من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى ، وأنها استطاعت أن تجعل الرّابطة الدّينيّة تحل محلّ الرّابطة القبليّة .

وأكدت الدّعوة القرآنية على دور المسجد في توجيه الناس والتزامهم بآداب الشرع والالتزام بإقامة الصّلوات الخمس في أوقاتها في المساجد ؛ ذلك لأنّ المسجد ركن ركين للعلم ومعين قوي لا ينضب ومرتاد لكلّ رائد للعلم أريب ، ومنهل ينهل منه أفراد المجتمع ما يروي نهمهم ، ويشبع رغباتهم ويعطيهم قوّة علميّة وشحنة إيمانيّة تدفع عنهم الشكوك والأوهام وتحميهم من سموم الأعداء ونفثاتهم المحمومة المسعورة التي يحاولون بها الدّسّ والتضليل وذرّ الرّماد في العُيون السّليمة؛ لتتعكس مرئياتها ومفاهيمها ، وتعشو أبصارها فتتبلل أفكارها ، يحاولون بذلك إرضاء نزعاتهم الشريرة ورغباتهم الجامحة ونزواتهم الطائشة ثر آب ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ پ پ الله ويكسبهم منه خُلقا حميدا وسمات الرّوح وزاد الإيمان للناس كافة ، يرويهم من بين أروقته علما ز لالأ ويكسبهم منه خُلقا حميدا وسمات فريدة . يجالس المسلم فيه أصفياء أوفياء خيّرين وأصدقاء أحماء طاهرين يستفيد منهم سلوكا حسنا ، ونهجا مشرّفا ، يحفزونه على العلم والهدى ، ويرشدونه إلى الحق والتقى، ويمنحونه العلم الذي يرفعه الله به در جات . ( $^{(N)}$ )

وما من علم تحتاجه الأمّة المسلمة إلا وللمسجد فضل في تطويره ونشره ورفع مستواه وحثّ الناس على الاقتباس منه ، والاصطياد من خرائده ولآلئه ودراريه ، سواء كان علميّا أو نظريّا ، علوم دنيا أو آخره .. هذا وقد انطوى تحت هذا المبحث المطالب الآتية :

# المطلب الأول المجتمع المجتمع الدَّعوة في إصلاح المجتمع

<sup>&</sup>lt;sup>۷۰۳</sup>- سورة النازعات : ۱۰-۱۷.

٧٠٤- سورة طه: ٤٤. وينظر: التفسير الكبير: ١٩/٥١٠، ١٩، الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسّنة): ٢٣٦.

<sup>···-</sup> الآيتان في سورتي: يوسف: ١٠٨، فصلت: ٣٣.

٧٠٦ - في ظلال القرآن: ٣١٢١.

٧٠٧- سورة التوبة: ٣٢ . ينظر: وظيفة المسجد في المجتمع: ٢٤ .

٧٠٨- ينظر: وظيفة المسجد في المجتمع: ٢٤.

رُ . (٧٠٩) إِنَّ الدَّعوة إلى الله

قال تعالى : ژ ۋ و و و و و ې ي ې ې

تعالى تعني تحمّل الأمانة التي كلف الإنسان بحملها ، والعمل بمقتضاها ثمّ دعوة الناس لها ، ولذا كانت من وظائف الأنبياء والمرسلين ومنهاج الصّالحين المتقين من عباد الله؛ لأنهم صفوة خلق الله ، وهي من أهمّ ركائز الإيمان وأعظم ركن من أركانه وأمرها وفضلها وخطرها بمكان معلوم ، إذ هي بمنزلة الرّأس من الجسد والغذاء للبدن والرّي للعطشان ، بها نشر الملة السمّحاء التي تمتاز في منهجها ببيان الحقّ ونشر الخير والهدى وتحقق السّعادة للبشر ، وتكشف وسائل الباطل والمنكر وأساليبه الملتوية بشتى الطرق والوسائل .

ولمًا كانت الدَّعوة الإسلاميّة ضروريّة في كلّ وقت ومتجدّدة بتجدّد الزمان ؛ للظروف التي تواجه مجتمعنا اليوم ، إذ تضفي على موضوع الدّعوة وإعداد الدّعاة أهميّة خاصّة لأسباب أهمّها (٢١٠) ..

- ١- ما يتعرّض له مجتمعنا من تيارات وأفكار متباينة ، قد تتعارض في كثير من القيم والاتجاهات مع قيمنا الدّينيّة الأصيلة ، والطريق مفتوح أمام هذه التيارات عن طريق وسائل الاتصال الحديثة ، ومهما يبذل القائمون على الثقافة في مجتمعنا من جهود في الرّقابة على البرامج أو في الانتقاء فيما يُنشر أو يُذاع ، فلن يستطيعوا الوقوف أمام التيارات الجارف تيار الأقمار الصنّاعيَّة والكاسيت والفيديو كاسيت وغيرها ، ومن هنا كانت الطريقة المثلى مع الرّقابة والانتقاء هي التوعية الرّشيدة المستمرّة عن طريق الدّعوة والدّعاة ، وتحصين نفوس ابنائنا وبناتنا ولاسيَّما الشباب بالتربية الدّينيّة السليمة ، وبالقيم الأصيلة، والتفهم الواعي للفكر الإسلامي .
- ٢- استشراء بعض السلبيات في السنوات الأخيرة في سلوكيات بعض فئات من المجتمع ولاسيما تلك الفئات التي تتعامل مع جماهير الشعب في العمل والتجارة والأسواق؛ لأسباب قد يغلب من بينها الجانب الاقتصادي ، ولا تجد هذه السلوكيّات السلبيّة من الوازع الدّيني ما يكبح جماحها في كثير من الأحيان .
- ٣- تطرّف بعض فئات من الشباب في فهم دينهم ، أو تعصّب بعضهم الآخر تعصبًا أعمى، وفي كلتا الحالتين ، يرجع السبب إما إلى سوء فهم لأحكام الدّين ، وللشريعة السمحة ، وإمّا إلى تأثير المذاهب الهدّامة المستوردة ، وإمّا إلى انقياد أعمى لبعض المضللين الذين يتخذون من الدّين تجارة ، وإمّا إلى فراغ ديني لم يجد من يسدّه .
- ٤- ظهور بعض اتجاهات نشيطة ، مناوئة للإسلام ، في بلاد إسلامية ، أو بلاد بها أقليّات إسلاميّة وضرورة التصدّي بقدر ما تتيحه إمكاناتنا لهذه الاتجاهات بتجلية أحكام الإسلام ومفاهيمه لهذه الشعوب .

ومن هنا نرى أهميّة الدّعوة والدّعاة اليوم ، ونحن نعلم أنّ رسالة الكليات والمعاهد والمدارس الدّينيّة في جمهوريّة اليمن السّعيد لا تقف عند الجانب التعليمي فحسب ، وإنما تتجاوز هذه المهمّة إلى حفظ التراث الإسلاميّ ودراسته وتجليته ونشره ، وإلى أداء رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً والعمل على إظهار حقيقته وأثره في تقدّم البشر ، ويقتضي الأمر – لكي تؤدّى الرّسالة على أكمل وجهٍ – أن تكون هنالك خطة لإعداد الدّعاة وتدريبهم على أسس علميّة واقعيّة وسليمة .

#### المطلب الثاني

٧٠٠ - سورة الأحزاب: ٧٢.

٧١٠- الإعلام في القرآن الكريم: ٤٤٠.

### أثر القرآن في إصلاح خُطبة (٧١١) الخطيب

ثعد الخُطبة مَعْلم من مَعَالم الدّعوة الإسلاميّة ، إذ لها ضرورة اجتماعيّة تفرضها الظروف وتعبّر عن المجتمع بوجه عام ، وكلّ الأمم في حاجة إليها ، بل إنّ المواقف المجيدة في تاريخ الأمم مدينة للخطباء الذين عبّروا عن قضاياهم أصدق تعبير ، وأثروا في مجتمعاتهم أعظم التأثير .. ولنا في هذا الموضوع مقدّمات لا بُدّ من التطرق لها أوّلاً ، كإلمامنا بأنواع الخطابة وطرقها ، ثمّ الحديث عن الخطابة كفنّ؛ حتى نتوصل إلى ما نبتغيه ..

فللخَطابة أنواع كثيرة منها: الخَطابة العلميّة ، والخطابة السياسيّة ، والخطابة العسكريّة والخطابة الدينيّة ، والخطابة العضائيّة ، والخطابة العضائيّة ، والخطابة العفلية .

وللخطابة طرق للتحصيل وعوامل للرقي ، فمن طرق تحصيلها : الموهبة والاستعداد الفطري ودراسة أصول الخطابة ، ودراسة كثير من كلام البلغاء ، وحفظ الكثير من الألفاظ والأساليب، وكثرة الاطلاع على العلوم المختلفة ، والتدريب والممارسة . وأمّا عوامل رقيّها فمن أهمّها : الحريّة وطموح الأمّة بذلك ؛ لترتقي إلى حياة سعيدة وأفضل . (٢١٢)

وعن فنِّ الخطابة فله أصول يتعلق بعضها بالخطيب وبعضها بالخُطبة.. فأمّا ما يتعلق بالخطيب فأهمه: الموهبة ورباطة الجأش ، وسلامة الصوّت من العيوب وطول النفس وحسن الوقفة ، وحسن استخدام الإشارة في موضعها المناسب ، والسّمت الذي يستميل سامعيه .

وأمًّا ما يتعلق بالخُطبة فأهمّه: براعة الاستهلال ، ووفرة المحصول من مختلف أساليب البيان والتنقل بين الإنشائيّة والخبريّة ، ووضوح المعاني من خلال قصر الجمل، وملاحظة تقسيم الخُطبة، ثمّ موضوع الخُطبة ، ثمّ الختام الذي يجب أن يشتمل على جمل يسهل تردادها وتذكرها بعد انتهاء الخطيب من خطبته ، ولاسيّما في النوعين السيّاسي والدّيني من الخطابة . (٧١٣)

وللخطابة عَلاقة وثيقة بغيرها من العلوم ، فبالنسبة للعلوم الإنسانيّة : لها عَلاقة وثيقة بعلم المنطق وعلم النفس ولاسيّما علم نفس الجماعة ، وعلم الاجتماع .

وبالنسبة للعلوم الإسلاميَّة : فهي تتصل بكلِّ هذه العلوم ، والعلوم الإسلاميَّة تفيد علم الخطابة بصفةٍ عامّةٍ والخطابة الدينيّة بصفةٍ خاصّةٍ .

ومن أهم ما يحتاجه الخطيب من العلوم الإسلاميّة ومصادرها : القرآن الكريم ، والسُّنَّة النَّبويّة، ومقارنة الأديان ، ومعرفة الأحكام الفقهيَّة ومصادر التشريع ، والعلم بالتأريخ الإسلامي – ولا تخفى عَلاقتها– أيضا بالشعر والأدب ، والكتابة ، والأخلاق والسيّاسة . (١٤٠)

وإنَّ الذي لقن أهل القرآن ما فيه جماع طرائق الرسد بوجه لا يحيط به غير علام الغيوب لم يهمل إرشادهم إلى التحلي بزينة الفضائل ، وهي أن يقدروا النعمة حق قدرها بشكر المنعم بها فأراهم كيف يتوجون مناجاتهم بحمد واهب العقل ومانح التوفيق . ولذلك كان افتتاح كلّ كلام مهم بالتحميد سنة الكتاب المجيد . فسورة الفاتحة بما تقرّر منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب أو المقدّمة للخطبة

٢١٠ عرّف بعض المُحْدَثين الخُطبة بقوله: " نوع من فنون الكلام ، غايته إقناع السّامعين واستمالتهم والتأثير فيهم بصواب قضية أو بخطأ أخرى " . الخطابة وفن الإلقاء: ٧ .

<sup>-</sup> وعرفها آخر بأنها: " علم يقتدر بقواعده على مشافهة الجماهير بفنون القول المختلفة لإقناعهم واستمالتهم ". الخطابة: د. يوسف محمّد يوسف عيد: ٢١.

٧١٢ - ينظر: مفاهيم إسلاميّة: ١٣٨ .

٧١٣- ينظر: المرجع نفسه

<sup>&</sup>lt;sup>۷۱</sup> - ينظر: المرجع نفسه .

وهذا الأسلوب له شأن عظيم في صناعة الأدب العربي وهو أعون للفهم وأدعى للوعي ، وقد رسم أسلوب الفاتحة للمنشئين ثلاث قواعد للمقدّمة (٥١٠) :

القاعدة الأولى: إيجاز المقدّمة ؛ لئلا تملّ نفوس السّامعين بطول انتظار المقصود ، وهو ظاهر في الفاتحة وليكون سنة للخطباء فلا يطيلوا المقدّمة ؛ كي لا ينسبوا إلى العي فإنه بمقدار ما تطال المقدّمة يقصر الغرض ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السّور الطوال مع أنها سورة قصيرة .

الثانية: أن تشير إلى الغرض المقصود وهو ما يسمّى براعة الاستهلال ؛ لأنّ ذلك يهيّئ السّامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم فيتأهّبوا لتلقيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدّرجة ؛ ولأنّ ذلك يدلّ على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبّه السّامعين لوعيه ، وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم وهذا وجه من أوجه تسمية الفاتحة بأمّ القرآن .

الثالثة: أن تكون المقدّمة من جوامع الكلم ، وقد بيّن ذلك علماء البيان عند ذكر هم المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها ، فعليه أن يفتتح بحمد الله تعالى .

إنَّ القرآن أنزل هدى للناس وتبيانا للأحكام التي بها إصلاح الناس في عاجلهم و آجلهم ومعاشهم ومعادهم ولما لم يكن لنفوس الأمّة اعتياد بذلك لزم أن يهيّأ المخاطبون بها إلى تلقيها ويعرف تهيؤهم بإظهارهم استعداد النفوس بالتخلي عن كلّ ما من شأنه أن يعوق عن الانتفاع بهذه التعاليم النافعة، وذلك بأن يجردوا نفوسهم عن العناد والمكابرة، وعن خلط معارفهم بالأغلاط الفاقرة، فلا مناص لها قبل استقبال تلك الحكمة والنظر من الاتسام بميسم الفضيلة، والتخلية عن السفاسف الرَّذيلة.

ولما لقن المؤمنون هذه المناجاة البديعة : رُ پ پ پ پ پ رُ (۱۲۰٪) التي لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه قدّم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إيّاهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل . (۱۲۰٪) هذا وتتميّز خُطبة الجُمُعة إلى جانب ذلك بتتوع الحاضرين إليها ، وباختلاف مستوياتهم وطبقاتهم العلميّة ، والاجتماعيّة ، فإنّ الخطيب في خُطبة الجمعة يُخاطب جميع فئات المجتمع ، ولا يختص الحضور على فئة دون أخرى ، وهذا التتوع يعني تذليل العقبات التي تحول دون تنفيذ طرائق الإصلاح الاجتماعيّة ، فإنّ العامل وصاحب العمل ، والطالب والمعلم والموظف والرئيس كلهم يُخاطبون في أن واحد ، ويوضعون أمام مسؤولياتهم ؛ ولأنهم تركوا أعمالهم جميعا وجاءوا ملبّين يُخاطبون في أن واحد ، ويوضعون أمام مسؤولياتهم ؛ ولأنهم تركوا أعمالهم جميعا وجاءوا ملبّين قوله تعالى : رُ اً ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ي ي ي ن ٺذذت ت ت ت ت ث ث رُ (۱۸۰٪) ، فلا تُخاطب فئة منهم غوان الخرى . ومن هنا كان اختيار في غياب الفئة الأخرى ، ولا تحمّل المسئولية على فئة منهم دون الأخرى . ومن هنا كان اختيار عنوان الخطبة ليس بالسهل ، وعلى الخطيب أن يكون يقظا نبها حتى يبرز دوره في إيقاظ الهمم ، عنوان الخرائم ، في تبصير المسلمين كافة بحقائق دينهم، وعقيدتهم ومكايد عدوّهم ، وممّا يجب عليهم ومال يسعهم جهله . (۱۲۰٪)

وممًا يحسن الاستشهاد به في الخُطبة أيضا ، وتنويه الخطيب به بين الحين والآخر ما يزخر به واقع غير المسلمين من تناقضات ، وما يعصف به من فساد وموبقات ، وآثار مدمّرة في المجالات الصحيّة

<sup>°٬٬</sup>۰ ينظر: التحرير والتنوير: ۸۷/۱.

<sup>-</sup> ينطر. المعرير والمتوير . المعرير والمتوير . الماتحة : ٢ .

۷۱۷- ينظر: التحرير والتنوير: ۸۷/۱.

٧١٨ - سورة الجمعة : ٩ .

٧١٩- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمّة: ٥.

والاجتماعية ، والاقتصادية ، تتمثل في الأمراض الجنسية الفتاكة وجرائم القتل والاغتصاب ، والسرقة وترويج المخدرات ، وتفكك الأسرة ، والروابط الاجتماعية ، وغير ذلك ممّا يصلح أن تكون كلّ جزئية منه مداراً لمضمون خُطبة ، ومحوراً للتوجيه والتذكير ، واستخلاص العبر ولكن ليحذر الخطيب في هذا المجال من التهويل والمبالغة ، والإفراط في وصف تلك المجتمعات والاعتماد في استقاء المعلومات والإحصائيّات على مصادر غير موثوق بها ، أو جهات غير معتمدة. وليكن قصده بيان عظمة الإسلام ونعمته ، وسلامة المجتمع الإسلامي من أمراض الانحراف والشذوذ والإيدز وغير ذلك ممّا تُعاني منه المجتمعات الكافرة والخارجة على دين الله تعالى المتمرّدة على شرائعه ، وليست مهمّة الخُطبة إيصال المعلومات الجديدة للناس ، بقدر ما هي تفعيل للسّامعين وتحريك لنفوسهم ثمّ الانتقال بهم من حال التأثر إلى التغيّر والإصلاح . (٢٠٠)

وسارت على هذا النمط الأجيال المؤمنة تستخدم منابر المساجد والإرشاد والتوجيه والإنذار والتحذير وبيان الأحكام ، وغرس العقيدة الصحيحة ، وعلاج ما في المجتمع من أدواء وعيوب ، واستئصال شأنات الحقد والحسد وكل خلق ذميم ، والحث على المنهج الصحيح ، والسلوك المستقيم حتى يعيش المجتمع المسلم نقيًا صافيًا متوادًا متراحما ، متكاتفًا متعاطفًا يحس فرده بما يقلق جماعته، وجماعته بما يزعج فرده : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت إليه سائر الأعضاء بالسهر والحمص » . (۲۲۱) ومن الواضح أنه كم من خطبة تناقل الناس عباراتها ، واحتجوا بأفكارها ، وتداولوها بينهم إعجابًا واستحسانا بها ، وكم من خطبة أحدثت تحولًا في عادات الناس وتصوراتهم ، وكم من خطبة فتحت باب الأمل والتوبة لدى بعض المخاطبين . بيد أنه بالمقابل ربّما كان للخُطبة آثار سيئة ، وأضرار خطيرة على المخاطبين من تهييج أو تيئيس ، أو تناقل أخبار من قبيل الشائعات ، أو طمس سنة، أو خطيرة وفساد بين الناس . (۲۲۲)

#### المطلب الثالث

#### أثر القرآن في الدَّعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنَّ الدَّعوة إلى إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعدّ من أولويات وأسس الدّعوة الإسلاميّة إذ هو دعامة المجتمع ، ولا يقوم المجتمع إلا إذا شعر كلّ فرد من أفراده أنه جزء من كلٍّ ، وأنّ فساد جزء من هذا الكلّ فساد للجميع ، وأنّ من يُحبّ لنفسه أن يكون صالحة فعليه أن يُحبّ لأخيه أن يكون صالحاً مثله وجوياً ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدُكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه». (٧٢٣)

وإذا شعر الإنسان بهذا الشعور النبيل وهو ما يقتضيه الإيمان ويفرضه عليه ، فإنه لا بدّ أن يسعى في إصلاح المجتمع بشتى الوسائل بالطرق التي تضمن المصلحة وتزول بها المفسدة فيأمر بالمعروف بالرّفق واللين والإقناع ، وليصبر على ما يحصل له من الأذى القولي والفعلي فإنه لا بدّ من ذلك لكلّ داع كما جرى ذلك لسيد المصلحين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وليجعل الأمل والنجاح

<sup>·</sup> ۲۰ ينظر: المرجع نفسه: ۲۰ .

٧٢١ - الحديثان سبق تخريجهما .

٧٢٢- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة: ٢ ، ١٤ .

٧٢٣- صحيح البخاري : باب : (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، برقم : (١٣) : ١/ ١٤، صحيح مسلم : باب : (الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير) ، برقم : (٤٥) : ١/ ٦٧. وكلاهما من حديث أنس بن مالك .

نصب عينيه ، فإن ذلك أكبر عون له على سيره في مهمته ، ولا يجعل لليأس عليه سبيلا فتفتر همته وتضعف عزيمته . وإن على المؤمنين كلهم أن يتعاونوا في هذا الأمر الجليل العظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يُساعدوا من رأوه قائماً به ، ويقوموا معه نصرة للحق وقضاء على الباطل وأن لا يخذلوا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو يرجفوا به ، فإن في ذلك نصراً للباطل وإذلالاً للحق . (٢٢٤)

اتخذ بعض الناس عادة توجب توهين عزائم الدّعاة إلى الله وتضعف همم الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكان الأجدر بهؤلاء أن يشجّعوا ويقولوا للدّاعي والآمر إنك على خير وقد حصلت أجرا أو أبرأت ذمّتك ، وسينفع الله بذلك إن شاء الله ، ويُبشروه بقوله ٢: « لأنْ يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حُمر النعم » . (٢٠٥) وهو واجب علينا جميعاً أن نتعاون تعاونا حقيقيّا فعّالا في إصلاح المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن نكون جندا وهيئة في هذا الأمر العظيم كما جعلنا نبيّنا ٢ فقال : « مَنْ رأى منكم منكرا فليغيّره بيده فإنْ لم يستطعْ فبلسانه ، فإنْ لم يستطعْ فبلسانه ، فإنْ لم يستطعْ فبلسانه ، وذلك أضعف الإيمان » . (٢٠١) وإنّ علينا أن نعرف أن الذمّة لا تبرأ ونحن نعلم بالمنكر ولا نغيّره أو نبلغه لمن يغيّره .

فإذا ما ققد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع ، أصبح وَلاء بعض هذا المجتمع قائماً على النفاق ، وليس على الإيمان ، وكان العصيان شعارهم والفسق قائدهم إلى لعنة الله وأليم عقابه بدلاً من تلك الرّحمة المبنيّة على الطاعة والولاء الصّادق الذي لا ينفك عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : ر ه ه ه م م م م ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ي ك ع ئ ف أن قُ كُذُو و و و و ر و ( ٢٢٩)

وعندما يُفقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع يكون شبيها بركاب سفينة اتخذوا بأيديهم أسباب غرقها بهم وهلاكهم في البحر ، كما أنّ المجتمع الذي تقوم فيه قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون عكس ذلك ، وهو أنه اتخذ الوسائل والأسباب كلها المؤدية إلى سلامة سفينتهم وسلامتهم من الغرق ، كما بين ذلك حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، عن النبي r قال : «مثلُ القائم على حُدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا

۷۲۶- ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه): ٤٩ ، الضياء اللامع من الخطب الجوامع:

٧٢٥- صحيح البخاري: باب: (مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ابي الحسن رضي الله عنه) ، برقم: (٣٤٩٨): ٣/ ١٣٥٧ صحيح مسلم: باب: (من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، برقم: (٢٤٠٦): ٤/ ١٨٧٢. وكلاهما من حديث سهل ابن سعد t.

٢٢٠- صحيح مسلم: باب: (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان) ، برقم: (٤٩): ١/ ٦٩، سنن الترمذي: باب: (ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب) ، برقم: (٢١٧٢): ٤/ ٤٦٩ ، وقال عنه الترمذي: (حسن صحح). وكلاهما من حديث طارق بن شهاب.
 ٢٢٧٠- ينظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع: ٢٧٧٦ .

۲۲۰ سورة التوبة: ۷۱.
 ۲۷۰ السورة نفسها: ۷۲.

في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .(٧٣٠)

والأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر له صفة الشّمول ، فليس متعلّقًا بعمل معيّن ، بل يشمل كلّ معروف وكلّ منكر ، بينما سائر الأعمال نجدها أعمالاً مخصوصة معيّنة ، فالصيّام يتعلّق بعمل مخصوص ، والزّكاة والحج وغيرهما كذلك . ولذلك فهو يشترك مع الإيمان في صفة الشّمول ، إذ أنّ الأمر بالمعروف يشمل جميع أبواب الإيمان والإسلام .

هذا وللأمر بالمعروف شروط ، من أهمّها ...

٣- أن يعرف الحلال والحرام فيما يأمر به ، حتى ينفع و لا يضر جهله .

3 - يحسن بالآمر أن يكون مطبقاً لما يأمر به ، ومبتعداً عمّا ينهى عنه ، حتى تكونَ الفائدة أتمّ وأنفعَ قال تعالى مخاطباً من يأمر و لا يعمل : (77) ، (77) ، وعلى المُبتلى أن يحذر ممّا هو واقع فيه معترفاً بخطئه.

٦- أن يكون الآمر شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم ويصبر على ما قد يصيبه .

٧- أن ينظر إلى المصالح والمفاسد ، ومعنى ذلك أن يكون قول الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر بفقه ونظر فيما يصلح من ذلك للمجتمع وما لا يصلح له ، وما يقدر عليه وما لا يقدر ، فإذا تعارضت المصالح والمفاسد فيما يأمر به أو ما ينهى عنه نظر : فإن كان فيما يقوله أمرا ونهيا مصالح أعظم من المفسدة التي تحصل في أمره ونهيه وجب عليه الأمر والنهي وإن كان العكس، أي المفاسد أعظم لم يجب عليه بل قد يحرم .

٨- أن يبلغ حسب الإمكان ، وليس من شروط أداء واجب التبليغ أن يصل أمر الآمر ونهي الناهي
 إلى كل إنسان مكلف في العالم ؛ إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة فكيف يشترط فيما هو من

٢٦٠- صحيح البخاري : باب: (هل يقرع في القسمة والاستهام فيه) ، رقم الحديث: (٢٣٦١) : ٨٨٢/٢ ، سنن الترمذي : باب:(ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب) ، برقم: (٢١٧٣) :٤٧٠/٤ ، مسند أحمد : برقم: (١٨٣٨٧) : ٢٦٨/٤ .

۷۳۱ - سورة يوسف: ۱۰۸ .

<sup>&</sup>lt;sup>۷۳۲</sup>- سورة النازعات : ۱۸- ۱۹ .

٧٣٣ - سورة البقرة : ٤٤ .

٧٣٤ - سورة الأعراف: ١٦٤.

توابعها، بل يشترط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم ثمّ إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه فإن التفريط منهم لا منه .(٥٣٠)

وهنالك وسائل عدة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من جملتها:

- ١- الخُطبة يوم الجُمُعة والعيدين ، يبيّن الخطيب أنواع المنكرات.
- ٢- المحاضرة أو المقالة في مجلةٍ أو صحيفةٍ لبيان أمراض المجتمع وإعطاء العلاج الشافي
  - ٣- الكتاب : يعرض المؤلف ما يريد بيانه للناس من أفكار لإصلاح الناس .
- ٤- الموعظة : تكون في مجلس ، فيتكلم أحد الحاضرين مثلاً عن أضرار الدّخان الجسميّة والماليّة .
  - ٥- النصيحة: تكون بين الأخ وأخيه سرًا لترك خاتم الذهب، أو تحذيره من ترك الصلة.
- ٦- الرسالة: من أفيد الوسائل، فكل إنسان يستطيع أن يقرأ صفحات قليلة عن الصلاة أو الجهاد، أو الزكاة .. (٣٦٠)

إذن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من خصائص هذه الأمَّة العمليَّة قيامها بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر ، وهذه شهادة الله لها : ژَٺْ ٺَ ذَٰذَتَ تُ تُ تُ ثُ ثُ ثُوثُ ثُر .

قال القرطبي مفسرًا هذه الآية: "أي لا ينهى بعضهم بعضاً: ثر يد ذ ثر ثر نمّ لتركهم النهي وكذا من بعدهم يذمّ من فعل فعلهم " .  $^{(VTA)}$  ثمَّ قال في موضع آخر: " دلت الآية على أنّ تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر ، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " .  $^{(VTA)}$  وقال الحافظ ابن كثير: "أي كان لا ينهي أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم ، ثمّ ذمهم على ذلك ليحذر أن يُر ثمَبَ مثل الذي ارتكبوا، فقال : ثر يد ذ ثر " .  $^{(VS)}$ 

إذن جاءت الآيات لتبيّن خطورة ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأنّ تضييع هذا الرّكن وعدم القيام به انحراف عن الصّراط السّوي ، وهي بهذا تحدّر المؤمنين من سوء عاقبة هذا الأمر وترشدهم إلى طريق الحق والسّلامة والنّجاة .

#### المبحث الثاني

## دور القرآن في إصلاح الدّعاة

إنَّ الدُّعاة المصلحين هم أساتذة المجتمع ، يعلمون الناس ويفقهوهم ، ويرشدوهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وهي وظيفية شرّفهم الله تعالى بها بل علموا أنها واجبة عليهم تجاه إخوانهم؛

<sup>°</sup>۲۰- ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٢٥/٢٨، ١٢٩، توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع: ٩٧، أصول الدعوة: ٤٥٦.

٧٣٦ - ينظر: توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع: ٩٥.

٧٣٧- سورة المائدة : ٧٨- ٧٩ .

<sup>&</sup>lt;sup>۷۳۸</sup>- الجامع لأحكام القرآن: ۲۰۳/٦.

۲۳۷/٦ - المصدر نفسه : ۲۳۷/٦ .
 ۲۳۷/٦ - تفسير القرآن العظيم : ۱٦٠/٣ .

لنصحهم ودعوتهم نحو الخير والصلاح . كما كان من قبلكم من الصلاء الأجلاء رضوان الله عليهم يفهمون أنّ الدّعوة إلى الله تعالى واجبة ، إذ كانوا يبادرون بسؤال الرّسول r تعليمهم وتفقيههم؟ ليقوموا بدعوة أقوامهم من خلفهم . (٢٤١)

والدَّاعية يبدأ بإصلاح نفسه ، ثمَّ بمن يعول ، ثمَّ بالبعيد فالأبعد ، إن استطاع وإلا فليس عليه ترك دعوة المجتمع ، بحجة أنه لم يفعل ما يأمرهم ، ثمّ يستدل بقوله تعالى : ( b ) b

بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف ، وذهب بعضهم إلى أنّ مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف ، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية فإنه لا حجّة لهم فيها والصحيح: أنّ الدّاعية يأمر بالمعروف وإن لم يفعله ، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، لذا يقول سعيد بن جبير : (( لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر))". ( $^{(72)}$ ) بَيْدَ أنه رحمه الله يمضي قائلاً : " لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة ، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم " . ( $^{(72)}$ )

وقال الشيخ السَّعدي: "وهذه الآية ، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل ، فهي عامّة لكلّ أحد لقوله تعالى: ثر كَ كُ كُ كُ ل ن ث ث ث ث ث ه م م م ه ه ه ه ه ث (٤٤٠) وليس في الآية أنّ الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين ، وإلا فمن المعلوم أنّ على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه ، وأمر نفسه ونهيها ، فترك أحدهما ، لا يكون رخصة في ترك الآخر ، فإنّ الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين والنقص الكامل أن يتركهما وأمّا قيامه بأحدهما دون الآخر ، فليس في رتبة الأول ، وهو دون الأخير وأيضا فإنّ النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة «٥٤٧)

وهذا ما نرجحه ونميل إليه ، وهو الذي تطمئنُ إليه النفوس ؛ ذلك لورود أحاديث صحيحة قد توعدت بمن يعمل المعاصي وينهى الناس عن إتيانها وهو عالم بذلك .. ومنها :

عن أسامة بن زيد قال : سمعتُ رسول اللهِ ٢ يقول : « يُجاءُ بالرّجُل يومَ القيامةِ فيلقى في النّار ، فتندلقُ أقتابهُ في النار ، فيدور كما يدور الحِمَارُ برحَاه ، فيجتمعُ أهلُ النار عليه فيقولونَ : أي فلاناً مَا شأنُكَ ؟ أليسَ كنتَ تأمرنا بالمعروف ، وتنهانا عن المنكر ؟ قالَ : كنتُ آمرُكم بالمعروف و لا آنيهِ ، و أنهاكم عن المنكر و آنيهِ » . (٢٤٦)

<sup>.</sup> البصيرة في الدعوة إلى الله : ٥ .

٧٤٢ - ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٤٧/١.

٧٤٣ المصدر نفسه.

<sup>&</sup>lt;sup>۱</sup> ۲- سورة الصف: ۲- ۳.

٥١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٥١.

<sup>&</sup>lt;sup>۷٤٦</sup>- صحيح البخاري : باب: (صفة النار وأنها مخلوقة) ، رقم الحديث: (٣٠٩٤) : ١١٩١/٣ . صحيح مسلم : باب: (عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله) ، برقم: (٢٩٨٩) : ٢٢٩٠/٤. ومعنى (فتندلق

- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ٢ : « مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به ، كمثل السرّاج يضيء للناس ويحرق نفسه » . (٧٤٧) وحديث آخر عن أنس ابن مالك t قال : قال رسول الله r : « ليلة أسري بي رأيت قوما تقرض السنتهم بمقاريض من نار - أو قال : من حديد - قلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك » . (٧٤٨)

فالدَّاعية إذن من أولى الناس مطالبة بالإخلاص لله تعالى ؛ لأنه ربّما رأى مقامه وهو يتكلم أمام المئات ويعلمهم ويذكرهم فيرى أنّ له فضلاً عليهم ، وتقدّما دونهم ، فتحمله نفسه على العُجُب والتعالي والغض من قدر غيره ونسبتهم إلى الجهل ، فالإخلاص لله تعالى يعرفه قدر نفسه ، ويقيه شرّها ، ومن هدي رسول الله ٢ في الحديث الصحيح في خطبة الحاجة أنه كان يبتدئ الخطبة بقوله : « إنَّ الحمدَ للهِ نستعينُهُ ونستغفرُهُ ونعوذ باللهِ من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له». (٩٤٠)

وهي كلمات عظيمة ، وافتتاحية جليلة ، يبتدئ بها الكلام ، فليتدبّر الدّاعية أو الخطيب هذه الكلمات ولا يجريها على لسانه دون وعي لمضمونها ، فإنّ فيها نسبة الحمد شهِ تعالى استحقاقاً وأنه يستعين به جلّ وعلا في شأنه ويستغفره لذنبه وتقصيره ، ويستعيذ به سبحانه من شرّ نفسه ، فهو لا يزكيها في هذا المقام ، بل يحذرها ويستعين باشهِ تعالى عليها ، ويحتمي به من غدراتها ووساوسها ، وما تزيّنه له. ومن قبح الريّاء أنّ علاماته تلوح على صاحبه ، فتنفر الناس منه ، وتفقدهم الثقة فيه وقلّ ما أخفي فساد السريرة ولم تفضحه لوائح الظاهر والعلانيّة . (٥٠٠)

وعلى الخطيب أن يكون له هدف عال في خطبته يهدف في صعوده المنبر ، تصحيح مفاهيم الناس وبخاصة وبخاصة حول معتقداتهم ، وأن يهدف في صعوده أيضا تقريب الناس من ربهم وأن يحبّب الدين وأحكامه إليهم ، وعليه بما يقوي فيهم الإيمان ويزرع فيهم الخير والنفع والرّحمة والشفقة ، وأن يهدف إلى تصحيح أوضاع اجتماعية تعارف عليها الناس ، وقد يكون الصواب في غيرها ، فله أن يجتهد في توجيه الناس إلى الصواب ، وحذار من السّخرية والاستفزاز والإعجاب وسرعة الوصول إلى النتائج .

إنك أيها الخطيب تهدف إلى إصلاح المجتمع ولن يتأتى هذا العلاج بخُطبة أو خُطبتين فوطن نفسك على الرّفق وحبّ الخير للناس ونصحهم وتوجيههم في كلّ قول تقوله ، إذ أنّ أحكام الإسلام متفاوتة في أهميّتها فأعط كلّ حكم ما يستحقه من الاهتمام ، والحكمة ضالة المؤمن قال عزّ وجل : ثر (٢٥٠)

أقتاب): قال أبو عبيد: (الأقتاب: الأمعاء) ، وقال الأصمعى: (واحدها قتبة) ، وقال غيره: (قتب) ، وقال ابن عبينة: (هي ما استدار في البطن وهي الحوايا والأمعاء وهي الاقصاب واحدها قصب والاندلاق خروج الشيء من مكانه). شرح النووي على صحيح مسلم: ١١٨/١٨ .

٧٤٧- المعجّم الكبير للطبراني: رقم الحديث: (١٦٨١): ١٦٥/٢. قال عنه الهيثمي: (رجاله موثوقون). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٤٤٠/١، وصححه الألباني. ينظر: اقتضاء العلم العمل: للخطيب البغدادي، تح. محمد ناصر الدين الألباني: ٤٩٤.

<sup>^&</sup>lt;sup>^2</sup>- مسند أبي يعلى : رقم الحديث : (٤٠٦٩) : ١١٤/٧ . وقال عنه محققه حسين سليم أسد : " رجاله رجال الصحيح " . <sup>²²</sup>- سنن أبي داود : باب : (في خطبة النكاح) ، برقم : (٢١١٨) : ١/ ٦٤٤ ، سنن الترمذي : باب : (في خطبة النكاح) ، برقم : رقم : (١١٠٥) : ٣٠٤٣) ، ثم قال عنه : (حسن) .

٠٠٠- يَنظُر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة: ١٢٠.

٧٥١- سورة البقرة: ٢٦٩ . ينظر: خطبة الجمعة في الكتاب والسنة: ٣٩ .

.. وحتى يكون الخطيب موفقاً في اختياره للخُطبة ، وفي مناقشته ، وحتى يُعطي الأثر المطلوب في نفوس المصلين ، عليه مراعاة ما يأتي :

- ١- مناسبة الموضوع لظرف الواقع الذي يعيشه الحاضرون ، وهذه المناسبة لا شك أنها متغيرة لكنها ينبغي أن تكون نابعة من صميم واقع الناس ، متجددة بتجدد مشكلاتهم وحاجاتهم وليس من الحكمة ما يفعله بعض الخطباء ، من الجمود على مناسبات محددة طول العام بأن يضع لكل شهر خُطبته أو خُطبه المعدة مسبقا ، أو يعتمد على كتاب في خُطب العام لا يكاد يخرج عنه ، وكأنه يُخاطب الناس من خارج عصره بلغة غير لغتهم ، وبهم غير همومهم وهذا يفقد الخُطبة أثرها ، ويفصل الخطيب عن جمهوره ومخاطبيه . (٢٥٢)
- ٧- أهميّة الموضوع: ممّا يجدر بالخطيب أن يراعي الأهمّ فالمهم من الأمور والموضوعات صحيح أنّ بعض الأمراض الاجتماعيّة مشتركة في العصور كلها لكن يبقى لكلّ بيئة خصائصها ، ولكلّ زمان معطياته ، وكلما جمع الخطيب بين الأصالة والمُعاصرة ، وبين فقه الواقع وسعة الاطلاع ، كان أعظم بصيرة وأوسع تأثيراً في النفوس . إنّ الخطيب الموفق يبرع في انتزاع موضوعات خُطبه من المُناسبات الاجتماعيّة في مجتمعه ، أو من الأحداث والوقائع التي تمرّ بأمّته والخطيب البارع يستطيع أن يُوجد عَلاقة بين موضوعه-مهما كانوبين واقعه ويستطيع أن يستخرج من هذا الواقع من الصوّر والأمثال ، والقصص ، ما يُحقق غرضه من تبصير الناس ، وتعليمهم وتثقيفهم . (٥٥٠)
- ٣- شموليَّة الموضوع: إنّ الإسلام دينٌ شاملٌ يُنظم الحياة كلها ، وهذا الشمول سمة أساسية وخطيب الجُمعة حين يختار موضوعاته للناس يجب أن يُراعي هذه السمة فلا يكون موغلا في بيان جانب من الجوانب يُركز عليه ويغفل ما سواه .

إنّ الناس يحتاجون إلى بيان أمور الاعتقاد ، ويحتاجون إلى تعليم الأحكام الشرعيّة في العبادات والمُعاملات والأحوال الشخصيّة ، كما يحتاجون للوعظ والرقائق ، بل وإلى بيان أحوال الأمم السّابقة وما جرى بينهم وبين أنبيائهم واستخلاص عبر تلك الأحداث : ث

رُ ( ( والله عز وجل ساق قصصهم في القران الكريم ليكون في ذلك العبرة والذكرى للمؤمنين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذكر الناس بأيًام الله فقال : رُ وُ وَ وَوْرُ . (٥٠٠)

.. كلّ ذلك مع الاحترام والالتزام بالوقت المُناسب للخُطبة ، فإنّ أهميّة الموضوع لا تسوغ له الإطالة المُمِلّة التي تؤدّي بالمُخَاطبين إلى السّآمة ، وإلى مخالفته في أسلوب علاجه للمشكلة .

#### % دعوة القرآن الدّعاة إلى الوسطيّة في الدّعوة :

٧٥٢- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمّة: ٥٨- ٥٩ .

<sup>&</sup>lt;sup>۷۰۳</sup>- ينظر: المرجع نفسه: ٦٠- ٦١.

<sup>&</sup>lt;sup>۷۰</sup>٤ سورة يوسف: ۱۱۱ .

٥٠٠ - سورة إبراهيم: ٥. ينظر: موضوعات خُطبة الجُمعة: ٥١.

وكذلك بالقدوة بأن يصبح المجتمع الإسلامي مجتمعاً سليماً يحقق لأهله وللبشر جميعاً الحق والخير والستعادة والاستقرار ، ولاسيّما في الأوقات والظروف التي يزداد فيها الانحراف والبعد عن المنهج الربانيّ ويكثر فيها العنف والتطرّف وتشويه صورة الإسلام الحقيقيّة والنيل منه . (٢٥٦)

فوسطيَّة الإسلام تقتضى إيجاد شخصية إسلاميّة متزنة تقتدي بالسَّلف الصَّالح ومن اقتفى أثرهم في شمول فهمهم واعتدال منهجهم وسلامة سلوكهم من الإفراط والتفريط، والتحذير من الشطط في أيّ جانب من جوانب الدّين، والتأكيد على النظرة المعتدلة المنصفة والموقف المتزن من المؤسسات والأشخاص في الجرح والتعديل. (٧٥٧)

وكان منهج السَّلف في الأمور كلها سواء كانت الأمور عقدية أو منهجيّة أو سلوكيّة منهجاً وسطيّا ويتمثّل ذلك في منهج التعامل مع المسئولين ودعوتهم إلى الله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بقصد إنباع السنة ، والبعد عن الشطط وإيثار المصالح العامّة على المصالح الفرديّة . (٢٥٨)

لذا يقول الإمام ابن القيَّم رحمه الله في تقرير الأصول الاعتقاديَّة: "السَّمع والطاعة لأئمَّة المسلمين وكلّ من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة واشتدّت وطأته من بر أو فاجر ، فلا يخرج عليه جار أو عدل ، ونغزو معه العدوّ ونحجّ معه البيت ، ودفع الصَّدقات إليهم مجزية إذا طلبوها ، ونصلي خلفهم الجُمُعة والعيدين ، قاله غير واحد من العلماء ". (٥٩٧)

وهذه الوسطيّة تميّز المسلم عن غيره بمنهج حياته ، ويقف صامداً ثابتاً أمام تحدّيات العصر وتيّارات مجريات الأحداث ، ولا يكون حائراً متردّداً على مفترق الطرق ، ولا تذوب هويته في أمواج الأفكار المتعارضة ، ولا يميل نحو الشرق ولا نحو الغرب ، ولا يكون متساهلا مفرطاً حتى يكون علمانيّا ولا منطرّفا مكفراً أو مفسقاً فيأتي إلى استخدام أساليب القسوة والعنف ، وبهذه الوسطيّة أصبح الإسلام أسمى من النظم المدنيّة كلها ؛ لأنه يشمل الحياة كلها ويهتمّ اهتماماً متساوياً بالدّنيا والآخرة وبالنفس والجسد معا ، وبالفرد والمجتمع على المستوى الواحد .. إنه لا يحمّننا على طلب المحال ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة ممّا فينا من استعداد وإلى أن نصل الى مستوى أسمى من الحقيقة إذ لا نفاق ولا عداء بين الرّأي وبين العمل .(٢٠٠)

إنَّ الإسلام ليس ديناً كسائر الأديان ، ولكنه شامل الجوانب : الاعتقاد ، والمجتمع ، والدّولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والأخلاق ، وإنّ ميزة الإسلام أنه نظرة كليّة شاملة ، وأنه لم يجزئ الحياة بل نظر إليها نظرة كليّة كما نظر إلى الإنسان على أنه وحدة نفسيّة وجسميّة لا تنفصل . (٢٦١)

والدَّعوة إلى الإسلام وإرشاد الآخرين هو المحك الحيوي الحسّاس في نجاح الدّاعية وبناء الأجيال وتصحيح مسيرة المجتمع ، وذلك على نحو يتسم بالتعقل والوعي والحكمة وفهم نفوس الآخرين وإدراك مدى صلاحيّة الأساليب المستعملة وتحقيق أهداف الوحي الإلهي والتفاعل مع الآخرين وتهيئة النفوس للقبول ، وملاحظة أهميّة الشفافيّة والحساسيّة في تعامل الدّعاة مع الناس جميعاً مسلمين أو غير مسلمين ، وتوافر الأسوة الحسنة للدّاعية واقتران القول مع الفعل والتطبيق والاتصاف بصفة الحلم والأناة ، والصبر واللطف، وترك اليأس ، والتسلح بالعلم والمعرفة الكافيين وملاحظة الأصالة

٧٥٦ - ينظر: وسطيّة الإسلام: ٤.

 $<sup>^{\</sup>vee \circ \vee}$  - ينظر: الرائد دروس في التربية والدعوة : ٩ .

۲۰۸ ينظر: الإسلام على مفترق الطرق: ١١٠.

٢٥٩ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: ٨٦ .

<sup>&</sup>lt;sup>٧٦٠</sup>- ينظر: وسطية الإسلام: ١٦.

٧٦١ - ينظر: المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر: ٢٩.

والمعاصرة أو الحداثة ، وفهم طبائع الشعوب ، ومعرفة رصيد الأديان الأخرى والعادات والتقاليد الشائعة (٧٦٧)

وشه در القائل: ضاع هذا الدين - أي الإسلام- بين الغالي فيه والجافي عنه ، هذه المقولة تفصح عن خطورة الابتعاد عن الوسطية التي هي أبرز سمات الأمة الإسلامية ، الإسلام وسط فلا إفراط ولا تفريط ، وسط فلا طغيان ولا نقصان ، وسط فلا تشدّد ولا ترخص ، وسط بين رعاية حقوق الفرد على حساب الجماعة ، أو العناية بمصالح الجماعة على حساب الفرد ، فالوسطية تعني العدل ، فلا يظلم جانب على حساب جانب آخر ، والوسطية تعني التوازن فلا يختل أمر على حساب آخر (١٦٣) ويريد الله تعالى للمسلمين أن يحملوا للعالم رسالة الحبّ والخير والعدل ؛ لتحقيق وسطية هذه الأمة : رق ق ق ق ق و وكذلك يُريد منهم أن يزيلوا الظلم والطغيان ، فلم يحمل المسلمون السيف في وجه الجاهلية إلا لأنها طغت وتجبرت ووقفت في وجه الدّعوة الإسلامية ، ولم يشن المسلمون حربهم ضدّ الفرس والرّومان والغدر اليهودي إلا بتجنيهم على القيم الإنسانية العالية التي يعتز بها بنو البشر . (١٦٢٠) وحينئذ يتحقق للدَّعوة إلى الله منهج الوسطية المطلوب في الإسلام وهو ما وضع أساسه القرآن الكريم في قوله تعالى – المنقدّم - : ر ه م به هه ه ي ح ئ ئ ڭ ڭ ك ك و و و و و و و و و و و و و ر و و

ومَعالم الفقه الحضاري وإصلاح الدَّعوة نتمثل في منهج الوسطيّة في مراعاة قواعد الإيمان والإسلام وعالميّة الشريعة ، وخلود التشريع وخاتميّته ، ولا بدّ من إدراك هذا التلازم بين العقيدة والشريعة والعبادة ، والأخلاق والسلّوك ، والمعاملة الرّشيدة والصّحيحة .

فليس من الفقه الحضاري غض النظر عن معطيات الحياة المعاصرة ومستجداتها في نظام التعامل والعكلقات والأنظمة الدوليّة ، والأعراف السّائدة ، ولكن لا بدّ من البحث عن البديل المقبول ، وتنزيل الوقائع الجديدة على الأصول والنصوص الشرعيّة ، لا تعطيلها أو تجاوزها ، فلا يتورّط أحدٌ مثلا بإباحة الرّبا أو الفوائد المصرفيّة ، وإنما يشجّع على تنمية روح التعاون والاستثمار المشترك ، ولا داعي لبحث ما يتعلق بالرّق والاسترقاق ؛ لأنّ الإسلام وإن سكت عن تحريمه فقد كان أول من أيقظ الضمير العالمي لإدراك مفاسده وشذوذه وأضراره على الكرامة الإنسانية . (٢٦٦)

٧٦٢ - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ٣٤.

٧٦٣- ينظر: مقوّمات الدّاعية الناجح: ٢٢٦.

٧٦٤ - ينظر: الإسلاميّة والقوى المضادة: ٨٧ - ٨٨ .

٥٢٠ - سورة الصف : ٩ . ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٣٧ .

٧٦٦ - ينظر: المرجع نفسه.

لله المتروا و لا تعسروا و و التبذير و بين الشح والله والادخار والتوزيع والإنفاق إذ تقوم على التوسّط بين الإسراف والتبذير ، وبين الشح والبُخل والتقصير وأن نبيّن سمة الأخلاق والسّلوكيات فيه أيضا ، إذ تتميّز بالسّماحة والتخفيف واليُسر وترك التنطع والتشدّد ، والغِلطة والاستكبار فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله  $\mathbf{r}$  : « إنَّ هذا الدّين يُسر ، ولن يشادّ الدّين أحدٌ إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا » . (۲۹۹ أي اقصدوا السّداد من الأمر وهو الصوّاب ، واطلبوا المقاربة وهي القصد في الأمر الذي لا غلو فيه ولا تقصير وأبشروا بالنجاة وتحقيق الغايات وفي حديث آخر تضمّن خطاباً عامّاً للصّحابة الكرام عن أنس  $\mathbf{t}$  قال رسولُ الله  $\mathbf{r}$  : «سرّوا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » . (۷۲۰)

ومن الأمثلة العمليَّة في القرآن الكريم على ملازمة اليُسر والسماحة: تشريع الرّخص ، أي الأحكام الاستثنائيّة كرُخص القصر والجَمْع في الصلاة ، والفِطر في رمضان في حالة السقر والمرض، وتناول المحرَّمات حالة الاضطرار .

وفي خطابه للمشركين غاية الحيدة والتجرّد ، والاعتدال والسّماحة والاحتكام إلى المنطق، قال الله تعالى:  $\mathring{c}$   $\mathring{c}$ 

على الدّاعية في الوقت نفسه أن يقوّمَ المدعوين ويستمر ّ في ذلك ، وهو أمر ضروري إذ من خلاله يُمكن أن يتعامل مع المدعوين بناءً على ذلك التقويم .

والتقويم يكون الفرد المدعو عضواً صالحاً في المجتمع الإسلامي ، والتقويم يكون على الأقوال والأفعال التي يلمسها الدّاعية ، وتارة يكون على ما غاب عليه وذلك بأن يُنقل إلى الدّاعية من أخبار المدعو ما يلزم تقويمه بعد التثبّت من صحة ما نُقل ، وهذا جانب في غاية الأهميّة إذ أنّ المدعو قد يتصنّع الاستقامة أمام الدّاعية ، فإذا نُقل إلى الدّاعية أنّ المدعو يصاحب أناساً لا خير فيهم وجب التنبيه على ذلك بالرّفق واللين .

و لا بدّ أن يشمل التقويم جميع الجوانب وإلا كان ناقصًا وعلى حساب جانب دون آخر ، فكما يجب تقويم الأفعال من عبادات وغيرها فيجب تقويم الأقوال والأخلاق والهيئة ... إلخ .(٢٧٤)

٧٦٧ - سورة النساء: ٢٨.

<sup>^</sup> ٢٨- سورة التغابن : ١٩ . قال الشاطبي : " إنَّ الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع ، أي اليقين ، وقد سمى الله هذا الدّين الحنيفية السمحة ، لما فيه من التسهيل والتيسير " . الموافقات : ٢٤٠/١ .

۲۲۰- صحیح البخاري : باب: (الدین یسر) ، رقم الحدیث: (۳۹) : ۲۳/۱ ، سنن النسائي : باب: (الدین یسر) ، برقم: (۲۳/۱ ) . ۱۲۱/۸: (۱۲۱/۸ )

ر-۷۷۰- ينظر: فتح الباري: ۱۲۱/۱ .

۷۷۱ - صحيح البخاري : باب: (ما كان النبي r يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا) ، برقم: (٦٩) : ٣٨/١ ، صحيح مسلم : باب: (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم: (١٧٣٢) :١٣٥٨/٣.

٧٧٠- الآيات الثلاث في سورتي: الأنعام: ٧١ ، سبأ: ٢٤ ، ٣٢ .

٧٧٠ - سورة آل عمران : ٦٤ . ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٣٨، ٤٠ .

٧٠٠- الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال: ٤٦.

لذا فعليه التثبت الشديد ، والتوثق الأكيد من وقوع القصّة أو الحادثة ، و لا يكفي أن يسمعها من بعض المصادر أو من بعض الأشخاص الذين لا يعرف مدى ضبطهم وإتقانهم، وحرصهم على التثبت من الأخبار ، قال تعالى : رُ نَ ذَذَتُ تَ تَ تَ تَ لُ لُ لُهُ فَ قَ قَ قَ قَ قَ قَ قَ قَ قَ أَوْ  $(^{(\circ)})$  ، فإنّ مخالفة بعض هذه الأخبار والحوادث للواقع ، أو مجانبة بعض تفصيلاتها للحقيقة من شأنه أن يزلزل ثقة الناس بأخباره ونقوله ، ممّا ينعكس على خُطبه ، ودروسه ومواعظه .  $(^{(\circ)})$ 

لذا فإنّ التثبت من النقل والأخبار ، منهج إسلاميّ أصيل ، يجب أن يُراعيه المُسلم في عَلاقاته المختلفة ولاسيّما الخطباء ، والدّعاة ، والوعّاظ ؛ لأنّ دائرة النشر لديهم أوسع من غيرهم والجمهور المتلقي منهم أكبر من غيرهم .

## الفصل الرَّابع

<sup>·</sup> ۲۰ سورة الحجرات: ٦.

٧٧٦ - ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة: ٢.

## دور القرآن في إصلاح المجتمع خُلقيّاً (۷۷۷)

إنَّ الأخلاق في المنهج القرآني ليست ذات غاية نفعيّة ، وإنما هي محترمة مصونة لذاتها ولأنها جزء من العقيدة والدّين ، وهي محلّ عقاب وجزاء في الدّنيا والآخرة ، قال تعالى : رُ ى ى يـ يـ

رُ (٢٧٨) افعلوا ما أمركم به من الصقات الجميلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصقات الرديلة فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهيا عنه . (٢٧٩) فيشعر كل مسلم آنذاك بالتزامه الجانب الخُلقي أنه يرضي الله به ، ويحس في أعماق نفسه بضرورة الأخلاق الحسنة من صدق وأمانة ووفاء بالعهد والوعد وإتقان العمل ، والإخلاص والحلم والجود والرقق والرحمة والشفقة والصبر والعفة ، والحياة والإخاء والاتحاد والكرامة وعزة النفس، والشجاعة والإقدام والانتفاع التام بالوقت ، وغير ذلك ليسعد الناس ويهنأ المجتمع بهم . (٢٨٠)

فلا عقيدة ولا دين تتأصل به القيم مثل الإسلام ؛ لأنه يحث على حُسن الخلق ويدعو إلى مكارم الأخلاق ويهتم بجميع القيم الإنسانية التي تفيد النفس البشرية ويترابط بها المجتمع : من صحة وآداب وتألف ومحبة ، وتربية وحسن سلوك وتطهير للفكر من كلّ دخيل ، يقلق النفس ، أو يورث عداوة، ولا تتأصل القيم والمثاليات التي تتوق إليها النفوس ، ويلتئم بها الشمل إلا بولاية قوية تهتم بالتطبيق والعمل.

وإنَّ أيَّ مجتمع من المجتمعات الإنسانيّة لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع الماديّة فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنه لا بدّ لسلامة هذا المجتمع من خلقى الثقة والأمانة على أقلّ تقدير .(٧٨١)

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعيّة لا يستغني عنها مجتمعٌ من المجتمعات ، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بدّ منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان تفكك أفراد المجتمع ، وتصارعوا وتتاهبوا مصالحهم ، ثمّ أدّى بهم ذلك إلى الانهيار ثمّ الدّمار ..

لذا فيُعدُ علم الأخلاق من أشرف العلوم وأعلاها قدراً ، وقيمة الإنسان تقاس بأعماله وأخلاقه. وللأخلاق في القرآن الكريم منزلة عظيمة .. وقد كانت عنايته بها منذ بداية نزوله على نبيّنا مُحمَّد  $\mathbf{r}$  قال له :  $\mathbf{r}$  ج ج ج ج ج ج ج ج  $\mathbf{r}$  .

.. ولطول هذا الموضوع وتشعبه ، وكثرة الآيات الواردة فيه ، نظراً لتعدد أجزائه ومنطلقاته فسأقتصر على اختيار نماذج متفرقة تبيّن عناية القرآن الكريم به في ضوء المنهج الذي سلكته في هذا البحث ومن الله استمد العون والتوفيق .

كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى ، وفي نظر القرآن الكريم كانت وما تزال أكثر ضرورة وأهميّة ، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدّنيا والآخرة فهو يُعاقب الناس بالهلاك في الدّنيا لفساد أخلاقهم ، قال تعالى : رُّ وُ وُ وْ و و وْ وَ وْ وَ وَ وَ مِ ي بِ بِ

 <sup>-</sup> كرّفت الأخلاق بأنها: " هيئة مركبة من علوم صادقة ، وإرادات زاكية ، وأعمال ظاهرة وباطنة ، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة ، وأقوال مطابقة للحق ، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضها ". التبيان في أقسام القرآن: ١٣٢.

 - سورة النور: ٣١.

٧٧٩ - ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣٧٨.

<sup>.</sup> ١٢ ينظر: الأخلاق في الإسلام: ١٢ .

۷۸۱ - ينظر: المرجع نفسه .

٧٨٢ - سورة الأعراف: ١٩٩.

رُ (۷۸۳) ، وقال ژی یا شمه سبحانه بمجرَّد الشرك (۷۸۴) الله سبحانه بمجرَّد الشرك

وحده حتى ينضم الله الفساد في الأرض كما أهلك قوم شعيب بنقص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم وأهلك قوم لوط بسبب ارتكابهم للفاحشة الشنعاء (٧٥٥) وإن القرآن يخضع الأعمال العلمية للمبادئ الأخلاقية ، سواء كان ذلك في مجال البحث أو في مجال النشر لتوصيله للناس .

لذا فقد أهتم القرآن بالأخلاق ؛ لأنها أمر لا بدّ منه لدوام الحياة الاجتماعيّة وتقدّمها من الناحيتين الماديّة والمعنويّة ، فالإنسان دائماً بحاجة بها ماسة إلى نظام خلقي يُحقق حاجته الاجتماعيّة، ويحول دون ميوله ونزعاته الشريرة ويوجّهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره. (٢٨٦)

إنَّ القرآن العظيم يُدرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقيّة في المجتمع وساد فيه الخيانة والغش ، والكذب والسّرقة ، وسفك الدّماء، والتعدي على الحُرُمات والحقوق بكلّ أنواعها وتلاشت المعاني الإنسانيّة في عَلاقات الناس ، فلا محبّة ولا مودّة ، ولا نزاهة ولا تعاون ، ولا تراحم ولا إخلاص .

إِنَّه من دون شكِّ سيكون المجتمع جحيماً لا يُطاق ، ولا يُمكن للحياة أن تدوم فيه؛ لأنّ الإنسان بطبعه مُحتاج إلى الغير ، وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبّر والأنانيَّة والانتقام ، قال الله تعالى :  $\mathring{c} = \mathring{c} = \mathring{c$ 

وبما أنني لا أستطيع ذكر أنوع الخُلق الحسن ههنا بالتفصيل على هذه العُجالة بيدَ أنني أجد قلمي مجبراً على التتويه بأهم صفة خُلقيّة مدعاة إلى إصلاح وتعمير المجتمع ، ألا وهي الصدق وإن كانت مشهورة إذ بها تزدهر الحضارات وتترعرع الإنسانيّة جمعاء .

ݴݷݷݙݙݷݷݷݚݷݷݒݚݷݷݚݵݭݨݨݨݨݨݱ<sup>(٢٩١)</sup>.

۷۸۳ - سورة يونس: ۱۳ .

<sup>&</sup>lt;sup>۷۸۶</sup>- سورة هود : ۱۱۷ .

<sup>°٬</sup>۰۰ ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدراية من علم التفسير: ٦٠٦/٢.

٧٨٦ ينظر: الأخلاق في الإسلام: ١٣.

٧٨٧ - سورة البقرة : ٢٠٥ .

٧٨٨- سورة المائدة : ١١٩ .

٧٨٩- ينظر: التحرير والتنوير: ٤٥١٤/١.

٧٩٠ - سورة الأحزاب: ٢٤.

٧٩١ - سورة آل عمران : ١٥ - ١٧ .

فالصِدِّق إذا صفة مطلوبة ، وفضيلة يجب على كلِّ مسلم أن يتحلى بها ، وإذا ما اتصف بها كان جزاءه الجنّة ، قال r : « إنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة ، وإنَّ الرَّجلَ ليصدق حتى يكونَ صدِّيقاً ... » . (٧٩٢)

وحثُ الإسلام المسلمين على الالتزام بالصدّق في القول ، ووعد من التزم به جزاءً في الدّنيا والآخرة كذلك أمر هم بالصدّق في العمل ، فقال رسول الله r : « إنَّ الله عزّ وجل يُحبّ إذا عمل أحدكُم عملا أنْ يُتقنه » . (٧٩٣) أي أن يكون صادقاً فيما يقوم به من عمل في جميع المجالات سواء كانت دينيّة أم دنيويّة .

وحتهم أيضا على التخلق بفضيلة الحُلم وأن لا يتسرَّعوا في الحكم على أفراد المجتمع ؛ لأنَّ من تعجَّلَ الشيء قبل أوانه ، عوقب بحرمانه (٢٩٤) ، والذي جعل الحُلم فضيلة خُلقية هو اعتداله ومسايرته لمقتضى العقل السَّليم ، والآثار النافعة المفيدة الخيرة التي تترتب عليه ، وقد ضرب رسول الله أروع المثل للمسلمين في الحُلم ، فقد روى البخاري (٢٩٥) عن أبي هريرة t قال : (( إنَّ أعرابيًا بالَ في المَسْجد ، فثارَ إليهِ الناسُ ليقعوا به فقال لهم رسولُ اللهِ r : « دعوهُ وأهريقوا على بولهِ ذنوباً من ماء أو سَجُلاً من ماء ، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تُبْعثوا معسرين » ))

.. هذا وقد وصف الله تعالى نبيّه ومصطفاه بأعظم الخلق فقال : (5, 5, 5) گ (5, 5, 7) ، ويا لها من عبارة !! إذ الخلق العظيم هنا : هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق ، وهو البالغ أشدّ الكمال المحمود في طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق في النبيّ (5, 5, 5, 7) فهو حسن معاملته الناس إلى اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن (5, 5, 5, 5) وفسر عطية العوفي (5, 5, 5, 5) وفسر عطية العوفي (5, 5, 5) بقوله : "أدب القرآن " .

۷۹۲ - صحيح البخاري: باب: (قوله تعالى: إيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) ، رقم الحديث: (۵۷٤٣): ٥/ ٢٢٦١ ، وفي صحيح مسلم نحوه ، غير أنه بلفظ: ((.حتى يكتب صديقاً)): باب: (باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) ، برقم: (۲۲۰۷): ٤/ ٢٠١٢)، سنن الدارمي: باب: (في الكذب) ، برقم: (۲۲۰۷): ۲۸۸/۲.

<sup>&</sup>lt;sup>۷۹۳</sup>- المعجم الأوسط للطبراني : برقم : (۸۹۷) :۲۷۰/۱ ، مسند أبي يعلى : برقم : (٤٣٨٦) :٣٤٩/٧ ، شعب الإيمان : برقم: (٣١٤ه) :٣٣٥/٤. وكلهم من حديث عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث صحيح . ينظر: السلسلة الصحيحة : :١٠٦/٣.

<sup>°°°-</sup> في صحيحه : باب: [ قول النبي r : ((يسروا ولا تعسروا)) ] ، رقم الحديث: (٥٧٧٧) : ٥٠٢٧٠.

٧٩٦- سورة القلم: ٤.

٧٩٧ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩٨/١٨ ، التحرير والتنوير: ١/٥١٥٥.

<sup>&</sup>lt;sup>۷۹۸</sup>- الزهد: لابن المبارك: ۲۳۷/۱.

٧٩٩ - سورة آل عمران: ١٥٩.

<sup>·</sup> ۱۰ المستدرك ، وقال عنه الحاكم: (حديث صحيح على شرط مسلم): باب: (من كتاب آيات رسول الله ٢ التي هي دلائل النبوة) ، برقم: (٢٠٥٧١ ، سنن البيهقي: باب: (بيان مكارم الأخلاق ومعاليها) ، برقم: (٢٠٥٧١): ١٩٢/١٠.

<sup>&</sup>lt;sup>۸۰۱</sup>- سورة الجاثية: ۱۸.

على خلق عظيم جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة ، وبهذا يزداد وضوحاً معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في قوله :  $(\mathring{\mathbb{Z}} \ \mathring{\mathbb{Z}} \ \mathring{\mathbb{Z}} \ \mathring{\mathbb{Z}} \ \mathring{\mathbb{Z}} \ \mathring{\mathbb{Z}} \ \mathring{\mathbb{Z}}$  منه الخلق العظيم في نفسه ومتمكن منه في دعوته الدينيّة .  $(\mathring{\mathbb{Z}}^{(\Lambda \cdot \Gamma)})$ 

وفي الحديث الصَّحيح عن سعد بن هشام قال : سألتُ عائشة رضي الله عنها فقلتُ : أخبريني عن خُلق رسول الله  $\mathbf{r}$  ، فقالت : (( كانَ خلقُهُ القرآن )) . ( $^{(\lambda \cdot \xi)}$ 

وليُعلم أنَّ جِماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن ، هو النديّن ومعرفة الحقائق وحلم النفس والعدل والصبر على المتاعب والاعتراف للمحسن والتواضع والزهد والعفة والعفو والجمود والحياء والشجاعة وحسن الصمّت والتؤدة والوقار والرّحمة وحسن المعاملة والمعاشرة. (٨٠٥)

علماً أنَّ الأخلاق كامنة في النفس ، ومظاهرها تصرّفات صاحبها في كلامه وطلاقة وجهه وثباته وحكمه وحركته وسكونه وطعامه وشرابه وتأديب أهله، وما يترتب على ذلك من حرمته عند الناس وحسن الثناء عليه والسُمعة .(٨٠٦)

ومعنى هذا أنه  $\Gamma$  مهما أمره به القرآن العظيم امتثله ومهما نهاه عنه تركه هذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجبلية الأصلية العظيمة التي لم يكن أحد من البشر و لا يكون على أجمل منها ، وشرع له الدين العظيم الذي لم يشرعه لأحد قبله ، وهو مع ذلك خاتم النبيين فلا رسول بعده و لا نبيّ  $\Gamma$  فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصقح والرّحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يحدّ و لا يُمكن وصفه . عن أبي الدرداء  $\tau$  قال : سألت عائشة - رضي الله عنها - عن خُلق رسول الله  $\Gamma$  فقالت : ((كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه )) . ((م)

فاجتمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق والشجاعة والكرم ، فعن أنس بن مالك  $\mathbf{t}$  قال: ((كان النبيُّ  $\mathbf{r}$  أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس...)) . (^^^^) من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبّه ، وقد بلّغ الرّسول الرّسالة ، ونصح الأمّة وجمع الكلمة ، وفتح مع صحابته القلوب بتوحيدهم ، كما فتحوا البلاد بجهادهم ؛ ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ، وقد أوصلوا إلينا هذا الدّين كاملا لا يحتاج إلى زيادة أو نقصان ، قال الله تعالى : رُ ج چ چ چ چ  $\mathbf{r}$   $\mathbf{r}$ 

ی یی ژ.

ولنعلم أنَّ الحبَّ الصَّادق لله ورسوله يتطلب العمل بكتاب الله ، وأحاديث رسوله الصَّحيحة والاحتكام اليهما ، وعدم تقديم حكم أو قول أحد عليهما ، قال الله تعالى :  $(2 \times 2 \times 2 \times 2)$   $(3 \times 2 \times 2 \times 2)$   $(3 \times 2 \times 2 \times 2)$   $(3 \times 2 \times 2 \times 2)$   $(4 \times 2$ 

<sup>&</sup>lt;sup>٨٠٢</sup>- سورة الأنعام: ١٦٣ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۰۳</sup>- ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٥١٥٤.

<sup>&</sup>lt;sup>^^</sup>- ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٥١٥٤.

<sup>&</sup>lt;sup>^^</sup>- ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٤٥١٥.

<sup>^^-</sup> شعب الإيمان : رقم الحديث: (١٤٢٨) : ٢/١٥٤٠ ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : رقم الحديث: (١٨٧١٨) : ٣٨٠/٧

٨٠٨- صحيح البخاري: باب: (الشجاعة في الحرب والجبن) ، برقم: (٢٦٦٥): ١٠٣٨/٣ ، مسند أحمد: برقم: (١٠٣٨): ١٨٥/٣).

٨٠٩- سورة الأحزاب: ٢١.

<sup>&</sup>lt;sup>٨١٠</sup>- سورة الحجرات: ١.

وكان r أرحم الناس وأشدّهم إكراماً لأصحابه ، يوستع عليهم إذا ضاق المكان ، يبدأ من لقيه بالسّلام وإذا صافح رجلاً لا ينزع يده من يده حتى يكون الرّجل هو الذي ينزع يده ، وكان أكثر الناس تواضعاً وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم حتى يقوم الذي جلس إليه إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه وكان r لا يُواجه أحدا بما يكره ، يعود المريض ، ويحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً لفقره ، ولا يهاب ملكاً لملكه ، يعظم النعمة وإن قلت فما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، يأكل ويشرب بيمينه بعد أن يسمّي الله في أوله ، ويحمده في آخره . (١٢٨)

وهكذا كان سلفنا الصَّالح y ، إذ كانوا يتخلقون ويستقون من النبع الأصيل الأوَّل ، وهو نبع القرآن الكريم ، وما كان حديث رسول الله وهديه إلا أثراً من آثار ذلك النبع ، فيتكيّفون به ، ويتخرّجون عليه ولم يتأثروا بأيّ جوّ أو حضارة ، لذا كانت أخلاقهم قد جاءت عن تصميم مرسوم ونهج مقصود

والخُلق الكريم يصنع رجالاً وأجيالاً صادقة القلوب ، خالصة العقول والشعور خالصة من أيّ مؤثر آخر غير المنهج الإلهي الذي يتضمنه القرآن الكريم ، ولذلك لمّا استقى الجيل الأول من ذلك النبع كان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد ، فلابد إذن للمجتمعات الإسلاميّة اليوم أن تتبه وتتجرّد من كل مؤثرات الجاهليّة التي تعيش فيها وتستمد منها ، وليس هذا فحسب بل تسميّها أخلاقا وحضارة . لابد لنا أن نفيق ونرجع ابتداء إلى النبع الخالص الذي استمد منه صلى الله عليه وسلم وصحابته الأجلاء وهو النبع المضمون الذي لم يختلط ولم تشبه شائبة نرجع إليه في أخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا ، نستمد منه تصورنا لحقيقة الوجود كله ولحقيقة الوجود الإنساني ولكافة الارتباطات بين هذين الوجودين وبين الوجود الكامل الحق (وجود الله سبحانه) ، ومن ثم نستمد تصور اتنا للحياة وقيمنا وأخلاقنا ومفاهيمنا للحكم والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة .. وإن كان أفراد المجتمع المقلدين اللحضارات الدخيلة سيلقون عنتا ومشقة ، وستفرض عليهم تضحيات باهظة ، لكن ليسوا مخيرين إذا للحضارات الدخيلة سيلقون عنتا ومشقة ، وستفرض عليهم تضحيات باهظة ، لكن ليسوا مخيرين إذا شاءوا أن يسلكوا طريق الجيل الأول الذي أقر الله به منهجه الإلهي ونصره على منهج الجاهليّة (مهر)

ونرى ليس من الضرورة أن نسهب أو نتفتن في كشف المخططات العدوانية التي يسير عليها أعداء الإسلام وأرباب الغزو الفكري أو نهتم بعرض المزيد منها ، إذ ليس بالمسلمين حاجة اليوم إلى أي مزيد من هذه الاستكشافات أو الإيضاحات فالمسلمون على اختلاف ثقافاتهم أصبحوا على بصيرة من ذلك ، بل يملكون من الوعي في هذه النواحي ما يتيح لهم الحصانة الكافية لو أن الأمر كان موكولا إلى الوعي وحده ، وإنما هم بحاجة الآن إلى القوة الهائلة التي تدفع إلى التنفيذ .. وهيهات أن يكون أمر التنفيذ بيد الفكر أو العقل وحده ، إذ القوة الهائلة التي يحتاجونها إنما هي قوة الأخلاق .

وما نراه اليوم وما نسمعه في الشارع العربي المسلم يندى له الجبين ، حيث العَلاقات الجنسيَّة بين الشباب والشابات ، حيث النفسخ الخُلقي ، والإباحيّة اللا أخلاقيّة ، وترك الحبل على الغارب هكذا، ممّا يودي بخطر جسيم يُزعزع المجتمعات الإسلاميّة الآمنة ويُنذرها نحو الهاوية .

٨١٣- ينظر: مختصر العلو للعلي الغفار: ٦٠.

<sup>&</sup>lt;sup>٨١١</sup>- سورة آل عمران: ٣١.

<sup>^^</sup>١٢ ينظّر: البداية والنهاية: ٣٣/٦ ، توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع: ٦٦.

 $\mathring{t}^{(0)}$  وفي غير حالات الضرورة القصوى يحرم على الرّجل الاختلاء بالمرأة الأجنبيّة حتى وإن كانت ملتزمة باللباس السّاتر ، إلا بوجود أحد محارمها. وللبيوت في الإسلام حرمة عظيمة إذ لا يجوز دخولها دون استئذان أصحابها والسّلام عليهم.  $\mathring{t}^{(0)}$  قال تعالى :  $\mathring{t}$ 

ى ى ي ي ي ي المخالطة مبيحة لإسقاط الآداب ، فإنّ واجب المرء أن يُلازم الآداب مع القريب والبعيد و لا يغرنه قول الناس: إذا استوى الحبّ سقط الأدب . (١٨٨)

هذا وتمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها واقعية عملية وليست مثالية ، كما أنها تؤكد حرية الإنسان والختياره ومسئوليته عن فعله ، وتتميّز أيضاً بأنها إيجابيّة شاملة بعيدة عن الانحراف والغلو ، وهي بذلك صالحة لكلّ زمان ومكان ، كما أنّ الإسلام شرع أحكاماً لحماية المجتمع من التردي الخُلقي الذي يؤدّي إلى الهكك وذلك واضح في العقوبات الحديّة والتعزيريّة (٢٠٠) – والذي سنذكره لاحقا إن شاء الله تعالى - .. وإلحاقاً بموضوع إصلاح المجتمع خُلقياً إليك أخي الكريم هذه المطالب الآتية :

#### المطلب الأول

### أثر القرآن في الدَّعوة إلى تعاون أفراد المجتمع

ينبغي للمجتمع المسلم أن يقومَ على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله وتعاونهم على البرّ والتقوى:  $\mathfrak{z}$   $\mathfrak{z$ 

٨١٤ - سورة النور: ٣٠ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۱</sup>- السورة نفسها: ۳۱.

<sup>^^</sup>١٦ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: ٢٥ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۱۷</sup>- سورة النور : ۲۷ .

<sup>^</sup>١٠^ ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩٣٨/١.

٨١٩ - سورة النور: ٢ ، ٤ .

<sup>^</sup> ٢٠ ينظر: الأخلاق في الإسلام: ١٤ ، مفاهيم إسلامية: ١٩٩ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۲۱</sup>- سورة المائدة : ۲ .

والمحبّة نسيج الإيمان الذي يجمع أبناء هذا المجتمع ، قال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عنه النعمان ابن البشير t: « مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى » . ( $^{(ATY)}$ 

والمجتمع الإيماني هو قاعدة الدّولة في سلمها وحربها ، وفي دعم أزماتها الماليّة ورفدها بكلّ ما تحتاج إليه لحماية وضمان المصالح العامّة الدّاخليّة والخارجيّة ، وأبناء المجتمع القرآني بناة المدنيّة والحضارة الرّوحيّة والماديّة معا ، يعملون بما يُحقق الصّالح العام والأهداف الكبرى ، ويمتنعون عن كلّ ما يُوهن الأمّة ويُضعف المجتمع المعاصر ، وإبقاء مظاهر التخلف والجهل والفقر والمرض . والمسلم بحاجة دائميّة إلى أخيه المسلم سواء كان في السّرّاء أم في الرّخاء :  $(A^{(N)})$  قال  $(A^{(N)})$  فيما يرويه عنه أبو موسى الأشعري  $(A^{(N)})$  («المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشدّ بعضه بعضا » . ثمَّ شبَّكَ بين أصابعه )) .  $(A^{(N)})$ 

ولهذا وُصفت هذه اللحمة بتعاونها وتكاتفها وتآزرها وتناصرها بفرضية عرضية ، كڤوت يوم من الحنطة مثلا ، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى صحون وربما قدور وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حدّاد ونجّار وفاخوري

والشخص الذي يأكل حبّا من غير علاج ، فهو أيضاً يحتاج في تحصيله حبّا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه ، إلى الزراعة والحصاد والدّارس الذي يخرج الحبّ من غلاف السّنبل ويحتاج كلّ واحد من هذه إلى آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ، ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم . (٨٢٦)

وهذا يُدلل قطعاً على أنّ توزيع المهمّات لإنجاز الأعمال من التعاون المطلوب وأنّ هذا التعاون بين الأفراد ينتقل بعمل كلِّ منهم ؛ ليصبح وظيفة عامّة اجتماعيّة تكفل العيش لعدد كبير من المجتمع فالتعاون بين الأفراد وتقسيم العمل ظاهرتان ملازمتان للإنسان و لا غنى له عنهما ، وأنّ تعاون المجموعة لا ينتج ما يكفيهم فقط ، وإنما يزيد ويفيض .(٨٢٧)

وكذلك التعاون في الدّعوة والتعليم وإنكار المنكر ، فهذا يقترح فكرة لموضوع وهذا يجمع قصصا واقعيّة عنه ، وهذا يعمل بحثاً ميدانيّا أو استبيانا حول الموضوع ، وآخر يجمع الأدلة الشرعيّة وكلام العلماء بشأنه ، وهذا يحشد الشواهد والأبيات الشعريّة المتعلقة به ، وآخر أوتي موهبة في التحدّث يُلقيه في محاضرة تسير بها الرّكبان . أو كاتب مجيد يخط بأسلوبه ذلك المحتوى من العمل المشترك في رسالةٍ أو كتاب يؤثر في نفوس القرّاء .

مربر . ۸۲۳ - سورة التوبة : ۷۱ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۲۶</sup>- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٨٦/٢.

٥٦٥- صحيح البخاري : باب: (تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً) ، برقم: (٥٦٨٠) : ٢٢٤٢/٥ ، صحيح مسلم : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) ، برقم: (٢٥٨٥) : ١٩٩٩/٤ ، سنن الترمذي : باب: (شفقة المسلم على المسلم) ، برقم: (٢٩٢٨) :٢٠٥/٤ .

<sup>^^</sup>٦٦ ينظر: مقدمة ابن خلدون : ٢٧٢/٢ .

<sup>^^^^</sup> ينظر : كونوا على الخير أعواناً : ١٢ ، ٢٨ .

وعالم أو طالب علم لديه - ممّا فتح الله به عليه - ما يقدّمه في دورة علميّة وآخر يملك خبرة إداريّة يسير بها أعمالها ، وثالث عنده مال يبذله لإسكان الطلاب الفقراء وإعاشتهم فترة الدّورة .. وهكذا وعصرنا الذي نعيش فيه يحتاج كثيرا إلى الأعمال المشتركة والبركة مع الجماعة . وفي مجال إنكار المنكر تعاون عظيم أيضا ، فهذا يجمع معلومات عن المنكر ويستقصي خبره في المجتمع ، وهذا يبحث حكمه شرعا ، وثالث يُعين على إيصاله إلى من يُنكره ويُغيّره ، وآخر يخطب عنه ويحدر منه (٨٢٨)

## المطلب الثاني

## دعوة القرآن إلى إنصاف المجتمع

ر حمة الله ، وقد أو عد الله سبحانه وتعالى الظالمين بأشد العقوبات ، قال تعالى: رجمة الله ، وقد أو عد الله سبحانه وتعالى الظالمين بأشد العقوبات ، قال تعالى: رجمة الله سبحانه وتعالى الظالمين بأشد العقوبات ، قال تعالى : رجمه الله سبحانه وتعالى الظالمين بأشد العقوبات ، قال تعالى : رجمه الله سبحانه وتعالى الطالمين بأشد العقوبات ، قال تعالى : رجمه الله على المعالم الله الله على الله

ىي ي ي ( (۸۳۲ )

ثمَّ أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدّماء وأحكام القتل عمداً وخطأ وتأصيل الحكم الشرعي بين المسلمين في الحقوق والدّفاع عن المعتدى عليه ، والأمر بإقامة العدل بدون

<sup>^</sup>٢٨ - ينظر : كونوا على الخير أعواناً : ٢٨ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۲۹</sup>- سورة النحل: ۹۰.

<sup>&</sup>lt;sup>۸۳۰</sup>- سورة النساء : ۸۵ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۳۱</sup>- سورة هود : ۱۸ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۳۲</sup>- سورة إبراهيم: ٤٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>^^</sup> - ينظر: الأخلاق في الإسلام: ٢٠ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۳۶</sup>- سورة النساء : ١ .

<sup>&</sup>lt;sup>^^</sup>- ينظر: التحرير والتنوير: ٨٨١/١.

مصانعة والتحذير من إتباع الهوى والأمر بالبر والمواساة ، وأداء الأمانات والتمهيد لتحريم شرب الخمر وطائفة من أحكام الصلاة والطهارة وصلاة الخوف .. ثم أحوال اليهود ؛ لكثرتهم بالمدينة وأحوال المنافقين وفضائحهم وأحكام الجهاد ؛ لدفع شوكة المشركين .

وأحكام معاملة المشركين ومساويهم ووجوب هجرة المؤمنين من مكة وإبطال مآثر الجاهليّة وقد تخللّ ذلك مواعظ وترغيب ونهي عن الحسد وعن تمني ما للغير من المزايا التي حرم منها من حرم بحكم الشرع أو بحكم الفطرة .(٨٣٦)

ومن مجالات أخلاق العدل في الإسلام ، العدل مع الأهل ، وهو أن يُحسن المسلم معاملات زوجته وأولاده ، ويُساوي بينهم ، في المعاملة والعطيّة ، ولا يفضّل بعضهم على بعض .

إذن في توطيد العدل ومحاربة الظلم والحيلولة دون وقوعه إقرار للأمن وتحقيق للمساواة بين أفراد المجتمع ، والأمر الذي يُمكن لكلّ فرد الوصول إلى حقه دون مشقة وعناء ، وإذا فقد العدل أكل

<sup>^^</sup>٣٦ ينظر: المصدر نفسه.

<sup>&</sup>lt;sup>۸۳۷</sup>- التحرير والتنوير: ۸۸۱/۱.

<sup>^^^</sup> التحرير والتنوير : ١/١٨٨ .

الناس بعضُهُم حقَ بعضٍ وسادت الفتن ، وكثرت الجرائم والمنكرات وأصبح كلّ فرد من أفراد المجتمع عُرضة لاعتداء الأشرار ، وضعاف النفوس فتفقد الحياة بهجتها وجمالها .(٨٣٩)

### المطلب الثالث

## دعوة القرآن إلى إصلاح التآخي والمحبة بين الأفراد

الأخوة في الدين الإسلامي أعلى رباطٍ اجتماعي ؛ ذلك أنّ الأخوّة في الدين ناتجة عن الإيمان العميق به ، بحيث يخضع لأو امر ربّه دون سواه ، ومن ثمّ تكون هناك عاطفة قويّة موحّدة تجمع المسلمين جميعا ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى : رُّ و وُ وُ وُ رُ . قال الزجاج : " إذا كانوا متفقين في دينهم رجعوا باتفاقهم إلى أصل النسب لأنهم لآدم وحوّاء ، فإذا منان من من المنان من المنان ال

اختلفت أديانهم افترقوا في النسب " . ( $^{(\Lambda^{\epsilon})}$  كما أثر عن الرسول  $\Gamma$  قوله : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً سترهُ الله يومَ القيامة N

إنَّ التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القُربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ، ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى ، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرّب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدّرجات العلى ، وأنّ الألفة ثمرة حسن الخُلق والتغرّق ثمرة سوء الخُلق فحسن الخُلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدّين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيّه عليه الصَّلاة والسَّلام : ( گ 2 2 3 0 0 ) ( 100

كذلك يوضح الله نعمته إذ جعل المؤمنين إخوانا يجمعهم الإيمان ، وعظم فضل الأخوة التي ارتبطت بفضل الإيمان ارتباطاً وثيقاً ، إذ يقول تعالى : رُ جِ جِ جِ چِ چِ ڇِ ڇِ ڍِ ڍ دُرُ .

<sup>^</sup>٣٩ - ينظر: أخلاق الإسلام: ٢٣ .

٠٤٠ زاد المسير: ٧/ ٤٦٤ ، فتح القدير: ٥/ ٩٠ .

<sup>&</sup>lt;sup>۱۹۰</sup> صحیح البخاري : باب: (لا یظلم المسلم المسلم ولا یسلمه) ، برقم: (۲۳۱۰) : ۱۹۲/۲ ، صحیح مسلم : باب: (تحریم الظلم) ، برقم: (۲۰۸۰) : ۱۹۹۶/۶ ، سنن أبي داود : باب: (المؤاخاة) ، برقم: (٤٨٩٣) : ۲۹۰/۲ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاء في الستر على المسلم ) ، برقم: (٣٤٢١) : ۳٤/٤ ، مسند أحمد : برقم: (٣٦٤١) : ٩١/٢ ، وقال عنه الترمذي ، من حدیث أبي هریرة t : باب: (حسن الخلق) ، رقم الحدیث: (۲۰۰٤) : ۳٦٣/٤ ، وقال عنه الترمذي : حدیث صحیح غریب " .

٨٤٣- ينظر: إحياء علوم الدين: ١٥٧/٢.

<sup>&</sup>lt;sup>۱</sup> <sup>۱</sup> - سورة المجادلة: ۲۲ .

.. هكذا يحرصُ القرآنُ الكريمُ على المؤاخاة بين المسلمين ، حتى في أكثر الأمور خصوصيّة مثل الميراث ، إذ كان الميراث في بداية الإسلام بالأخوّة في الدّين لا في النسب ، ولم يكن المسلمون الأوائل يبخلون بمالهم على إخوانهم المسلمين الفقراء الذين عانوا وطأة الاضطهاد بسبب دينهم .

ولذلك فإنَّ النبيَّ  $\Gamma$  حين رأى مجتمع المدينة ممزقاً حينما هاجر إليه بسبب الخلافات بين الأوس والخزرج من ناحية ، وبسبب فقر معظم المهاجرين وعوزهم من ناحية أخرى ، طبّق مبدأ إخوة الإسلام بحيث يشعر كلّ مسلم أنه مكفول كفالة تامّة في المجتمع الإسلامي ، فأخى رسول  $\Gamma$  بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على المواساة يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر فلما أنزل الله عزّ وجل :  $\mathring{\tau}$ 

 $(^{(\Lambda 1 \Lambda)})$  ، ردَّ النوارث إلى الرَّحم دون عقد الأخوّة .

ويقوم مبدأ المؤاخاة الذي طبقه الرسول  $\Gamma$  على أساس أنَّ المسلمين جميعاً إخوة ، يُعطي الغنيّ منهم فقير هم بالمعروف ويعين القادر منهم غير القادر ، إذ أمر هم الرسول  $\Gamma$  بأن يتآخوا في الله اثنين اثنين أو أخوين أخوين أخوين أخوين أخوين انفسه ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وزيد ابن حارثة مولى النبيّ أخوين وأبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجيّ أخوين ، وكذلك سلمان الفارسي مع أبي الدرداء ( $^{(0.0)}$  .. وهكذا تآخى كلّ واحد من المهاجرين مع رجل من الأنصار .

معه- سورة النساء: ٨٤ .

٨٤٦- آداب الصّحبة: ٦٣.

٨٤٧- ينظر: المصدر نفسه.

<sup>&</sup>lt;sup>٨٤٨</sup>- سورة الأنفال: ٧٥.

<sup>&</sup>lt;sup>^^69</sup> بنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: <sup>07/٣</sup> .

<sup>-</sup> ينظر: راد المعاد في هدي خير العبد . ١/١٠ . . \*^- ينظر: المصدر نفسه : ٣/ ٥٦ ، ٣٣١ ، الإصابة في تمييز الصحابة : ٥٣١/٣ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۰۱</sup>- سورة الحجرات: ۱۲.

<sup>^</sup>٥٢ ينظر: الأمثال في القرآن الكريم: ٣٣ .

أولها ، أن يجب مثل أعمال الكفار أحدهم ذلك ، فكما أنّ هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟! فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشدّ شيء نفرة عنه ، فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشدّ شيء نفرة عمّا هو نظيره ومشبهه (٨٥٢)

كانت المؤاخاة بهذا المفهوم الاقتصادي الاجتماعي درسا في التنظيم الاجتماعي ولم يكن معناها أبدا أن يركن المهاجرون إلى الدّعة ، ويتوقفوا عن السعي وراء الرزق بل كان الهدف ترسيخ قيمة التكافل الاجتماعي بين من يشتركون في أخوة الدين الإسلامي ، بحيث يعين المسلم أخاه المسلم في وقت الحاجة الملحة دون تواكل على الغير بدون لببه أو ضرورة ، ولذلك اشتغل بعض المهاجرين بالتجارة على حين عمل البعض الآخر ، في حقول الأنصار ومزارعهم .(٥٤١)

فالأخوّة في الإسلام قد منَّ بها الله على المؤمنين ، وأنّ رسول الله ٢ طبّقها عمليّا في المؤاخاة التي قام بها بين المهاجرين والأنصار تثبيتاً لدعائم المجتمع المسلم ، وترسيخاً للأسس التي قامت عليها أمّة المسلمين .

## المطلب الرّابع

# أثر القرآن في إعلام مصادر الإلزام الخُلقي

استكمل القرآن الكريم طرق الإلزام وأنواعها ، وسلط الوازعات على عقل المؤمن ثمّ على قلبه وضميره ، ونفسه وغرائزه ، وطباعه وحسده ، فانتزع الدّواء من مكمن الدّاء ، وشمل بهذا الإلزام الكبائر والصّغائر ، والأخلاق والآداب ، وجعل الفرد رقيباً على نفسه وعلى المجتمع ، وجعل المجتمع رقيباً على الفرد وتكاد هذه الإلزامات تتحصر في الآتي (٥٠٥):

<sup>^^ -</sup> ينظر: الأمثال في القرآن الكريم: ٣٤ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۰۶</sup>- ينظر: مفاهيم إسلامية : ۲۹۳ .

<sup>^</sup>٥٥٠ ينظر: الأخلاق في الإسلام: ١٥- ١٦.

<sup>&</sup>lt;sup>٨٥٦</sup>- سورة الجمعة : ٢<sup>°</sup>.

٨٥٧ - تفسير القرآن العظيم: ١/٥٤٥.

<sup>^^^</sup> سورة المائدة : ٩٠ ـ ٩١ . ^^^ سورة البقرة : ٤٤ .

<sup>^</sup>٦٠- ينظر: في ظلال القرآن: ٤٣٠/٢.

- ٣- الإلزام بوازع الترهيب والترغيب: سلك القرآن الكريم في الإلزام بهذا الوازع طرقا كثيرة منها(٨٦١):
- الترهيب بانتقام الله في الدّنيا من العاصبي ، والجاحد نعمة الله ، قال تعالى :  $\mathring{c}$   $\mathring{e}$   $\mathring{e}$

وختاماً لهذا المطلب ، فسأذكر الآثار المترتبة على من ثبت وتمسَّك بالخُلق الحسن ؛ وذلك تباعاً لما تقدّم ..

### ` آثار ثبات الأخلاق:

ويترتب على خاصية الثبات في الأخلاق الإسلامية ، الأثار والمزايا الآتية :

- ١- تخليص المجتمعات من ظاهرة القلق والإضرابات التي تسودها ، وتمكين الأواصر الإنسانية بالود والرحمة بينهما ، خلافا للمجتمعات التي تتبدّل فيها القيم الاجتماعية بحسب التغيرات الاقتصادية ، إذ نجدها تعيش في قلق واضطراب .
- ٢- التفريق بين الأخلاق والتقاليد ، فالأخلاق ثابتة ؛ لأنها جزء من الدّين الموصى به وهي بذلك كيان متكامل ربّاني المصدر ، إنساني الهدف . أمّا التقاليد فمن طبيعتها أن تتغيّر كلما تغيّرت مبرّرات وجودها ، ولكن ليس بالإمكان تغير الأخلاق ؛ لأنها تقوم على أسس ثابتة كالحق والعدل والخير .
- ٣- إنَّ عامل الثبات في الأخلاق يبعث الطمأنينة في حياة الفرد ، وفي حياة المجتمع والثبات على الأخلاق مطلوب ؛ لأنَّ الأمور بخواتيمها وبدون الاستقامة والثبات على الحق تفوت الثمرة ولا يصل المسلم إلى الغاية . (٨١٥)
- ٤- إن الثبات على احترام الحقوق العامة التي كفلها الإسلام وشرع حمايتها ؛ ينتج عن ذلك الحفاظ على
   الأمن وتحقيق الاستقرار في المجتمع المسلم في الدين والنفس والنسل، والعرض ، والعقل والمال .
- $^{\circ}$  إنَّ التمسلك بالمُثل العُليا التي جاء بها القرآن ، وتطبيقها على أرض الواقع من خلال أبناء المجتمع ؛ يُدلل على قيام حِضارة إنسانيَّة مشيدة بنّاءة تهتدي بكتاب ربها وتلتزم بدعوة ورسالة نبيّها مُحمَّد  $^{\circ}$  ؛ لتحقيق العزة و الكرامة في الدّنيا ، و السّعادة في الآخرة .  $^{(717)}$

إذن فالأخلاق لا تقوم على نظريات مذهبيّة ، ولا مصالح فرديّة ، ولا عوامل بيئيّة تتبدل وتتلوّن تبعاً لها ، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها فليس الأخلاق فضائل منفصلة ، وإنما

<sup>^</sup>٦١ . ينظر: الأخلاق في الإسلام: ١٧ .

<sup>^</sup>٦٢ - سورة إبراهيم: ٧ . وينظر: تفسير اللباب: ٩٠٠٩ .

٨٦٣- سورة السجدة: ١٧. وينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٦٥٥.

<sup>&</sup>lt;sup>176</sup>- سورة الأعراف: 97.

<sup>^</sup>٦٠ - ينظر: الأخلاق في الإسلام: ١٨ .

<sup>^^</sup>٦٦ ينظر: المرجع نفسه.

هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة ، عقيدته أخلاق وشريعته أخلاق ، لا يخرق المسلم إحداها إلا أحدث خرقاً في إيمانه . (٨٦٧)

وإنَّ الأخلاق في الإسلام ليست لونا من الترف يُمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة وليست ثوباً يرتديه الإنسان لموقف ثمّ ينزعه متى يشاء ، بل إنها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرّك فيها الكواكب لا تتغيّر بتغيّر الزمان ؛ لأنها الفطرة : رُ وَ وَ وُ وُ وُ وُ وُ وَ وَ وَ وَ يَ يَ بِ بِ إِ

<sup>^</sup>٦٦٧ - ينظر: الأخلاق في الإسلام: ٤ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۲۸</sup>- سورة الروم : ۳۰ .

### القصل الخامس

# دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي

إنَّ من خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسؤوليَّة إصلاح المجتمع، بمعنى أنَّ

كلّ فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب قال تعالى: ثر التعاون: التعاون على إصلاح المجتمع، وإذا كان الفرد مطالبا بإصلاح المجتمع، فمن البديهي أنه مطالب بعدم إفساده، قال تعالى: ثر أن أن كُ كُ كُ و ثر . ومن القواعد الفقهيّة: (ما حُرّمَ أخدُهُ حُرّمَ العطاؤُهُ) (١٩٦٨)؛ لأنَّ إعطاء الحرام للغير من الفساد والإفساد والمسلم إذا عجز عن الإصلاح فعلى الأقل عليه أن يمتنع من الإفساد وتكثير الفساد، وعلى هذا لا يجوز إعطاء الرّشوة كما لا يجوز أخذه ولا يجوز إعطاء الرّبا كما لا يجوز أخذه - كما هو معلوم- . (١٠٠٠)

ويؤكد القرآن الكريم مسؤوليّة الفرد عن إصلاح المجتمع بما يقصنّه من أخبار الأمم السّابقة التي فرط أفرادها بواجب الإصلاح فلحقهم الذمّ والهلاك ، حتى يعتبر كلّ مسلم بما حلّ بهم فلا يُفرّط تفريطهم؛ لئلا يُصيبه ما أصابهم ، قال تعالى : رُ و ي ي ب ب

رُ (٨٧٣) أي فهلا كان من الأمم التي قبلكم أولوا بقيَّة : أي أصحاب طاعة ودين وعقل ينهون قومهم عن الفساد في الأرض . (٨٧٠)

وقال تعالى : رُ تُ تُدُفُ فَ فَ قَ قَ قَ قَ قَ جَ جَ جَ جَ جَ جَ جَ فَهذه الآية الكريمة دلت على أن الذين نجوا من العذاب ، إنما نجوا بسبب نهيهم عن السّوء والفساد ، فدلَّ ذلك على وجوبه (٢٧٨)

وِتعليل مطالبة الفرد ومسؤوليّته عن إصلاح المجتمع ما يأتي (٨٧٧)..

أوّلاً: الفرد يتأثر بالمجتمع: الإنسان كائن اجتماعي يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه ، فتمرض روحه أو تهزل ، أو تصح وتقوى تبعاً لصلاح المجتمع أو فساده . وقد أشار النبي ٢ إلى هذه الحقيقة بقوله

<sup>&</sup>lt;sup>٢٦٩</sup>- بمعنى : ( أنّ الشيء المحرّم الذي لا يجوز لأحد أن يأخذه ويستفيد منه ، يحرم عليه أيضاً أن يقدّمه لغيره ويعطيه إياه سواء أكان على سبيل المنحة ابتداءً أم على سبيل المقابلة وذلك لأن إعطاءه الغير عندئذ يكون من قبيل الدعوة إلى المحرم ، أو الإعانة والتشجيع عليه فيكون المعطي شريك الفاعل ، ومن المقرّر شرعاً أنه كما لا يجوز فعل الحرام لا يجوز الإعانة والتشجيع عليه) . شرح القواعد الفقهية ، للزرقا : ١٢٣/١ .

٨٠٠- ينظر: أصول الدعوة: ١٤٥.

<sup>^^</sup>١ التوقيف على مهمات التعاريف: ٦٨٠.

۸۷۲ سورة لقمان: ۱۷ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۷۳</sup>- سورة هود: ۱۱٦.

٨٠٠- ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، والمشهور بـ(تفسير أبي السعود) : ٢٤٦/٤ .

٨٧٥ - سورة الأعراف: ١٦٥.

<sup>^^</sup>٦ ينظر: تفسير اللباب: ١٩١/٩ ، تفسير القرآن العظيم: ٤٩٤/٣ .

<sup>^^^</sup> بنظر: أصول الدّعوة: ١٤٨- ١٤٩.

: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصرِّانه أويمجسانه... » . (^^^^) فالأبوان بالنسبة للصّغير مجتمعه الصّغير الذي يؤثر فيه ، فيدفعه إلى الفساد أو الصّلاح ، فإذا كان الأبوان ضالين دفعاه إلى الضلال وأخرجاه عن مقتضى الفطرة السّليمة التي خلقه الله عليها ، وإذا كانا صالحين أبقياه على الفطرة التي خلقه الله عليها ، ونميّا فيه جانب الخير . وهكذا شأن المجتمع الكبير في تأثيره في الفرد صلاحاً وفساداً .

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أنها نزلت : " في كلّ من أقام بين ظهر اني المشركين وهو قادر على على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدّين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع " .(٨٨٠)

وإذا كان الفرد مسئولاً عن إصلاح المجتمع وإزالة فساده ، فما هو الميزان لصلاحه وفساده ؟ إنَّ المجتمع الصَّالح هو المجتمع الإسلامي أي القائم على أساس العقيدة الإسلاميّة التي ينبثق عنها النظام الاجتماعي الإسلامي ، الذي ينظم شؤونه المختلفة .

والمجتمع الفاسد هو الذي يقوم على غير أساس العقيدة الإسلامية ولا يحكمه النظام الاجتماعي وتشيع فيه المنكرات ، وهو الذي يسميه الإسلام بالمجتمع الجاهلي . وبكلمة أخرى المجتمع الصالح هو القائم على معاني الإسلام وأفكاره ومناهجه والتي تطبق فيه أحكامه والمجتمع الفاسد بخلافه . (٨٨٣) . وفي الحقيقة إنَّ الإصلاح الاجتماعي للأمّة المسلمة يحتاج إلى دراسات مستفيضة وشاملة، ورغم ما أقوم به من انتقاء واختيار لجوانب في هذا الإصلاح ، فهي لا تعدُ كونها نماذج فحسب في كلّ فقرة من فقراته . ومن تلك النماذج ، والتي سأحصرها في المباحث الآتية :

<sup>^^^</sup> صحيح البخاري: باب: (إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام) ، رقم الحديث: ((١٢٩٣) : ٤٥٦/١ ، صحيح مسلم : باب: (معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) ، برقم: (٢٦٥٨) : ٢٠٤٧/٤ . وكلاهما من حديث أبي هريرة y .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۷۹</sup>- سورة النساء : ۹۷ <sup>۸۸۰</sup>- تفسر القرآن المخار : ۹۷۲

<sup>^^^ -</sup> تفسير القرآن العظيم : ٣٨٩/٢ . ^^^ - سورة الحج : ٤١ .

٨٨٢- أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم: ٤٣٧/٥.

٨٨٣- أصول الدعوة: ١٥٢.

### المبحث الأول

### دور القرآن في إصلاح نظام الأسرة واستقراره

يحرص القرآن الكريم على بناء الأسرة القوية المتماسكة الجادة المتعاونة لكونها الخلية الأولى لبناء المجتمع ، وهي أصغر وحدة في النظام الاجتماعي ، ويختلف حجمها باختلاف النظام الاقتصادي، فهي البناء الاجتماعي السّائد على امتداد التاريخ .. (١٨٠٠) ومن ثمّ فالأجداد والآباء والأولاد والأحفاد وكلهم يعملون كأنهم في معسكر تدريب فعّال لتحقيق الكفاية الإنتاجية الذاتية ، ورفد المجتمع ببناة الجيل الصيّاعد ، وبقاء النوع الإنساني وانطلاق هذه المؤسسة الصيّغيرة نحو تحقيق آفاق الحياة المنضبطة والسّخية والقويّة في آن واحد .

ونظام الأسرة المسلمة القائم على التعاون والتراحم والتسلح بقيم الأخلاق الفاضلة بدءا من الزواج حتى انتهاء الرّابطة الزوجيّة بالطلاق الاضطراري أو الموت: نظام صحيح معتدل، يضمّ بين أجنحته إذا التزمت آداب الإسلام وروعيت ضوابط أحكامه وشرائعه كلَّ ما يحقق الخير والتقدّم والسّعادة؛ لقيامه على قواعد العدل والمساواة والحريّة المنظمة، والضرورة أو الحاجة أو الحالات الاستثنائية التي لولاها لأصبحت الحياة الزوجية جحيماً لا يطاق. (٨٥٠)

الصّحيحة ، وضمن موازين الشرع.

وهذا يجعل الزواج من سنن الفطرة ، ونظام الاجتماع والتمدن، وأنه مظهر إيجابي فعال للتعاون والعناية المشتركة والنفع المتبادل ، ومصدر للسعادة والهناء والاستقرار ، مع مراعاة الواقع المرير أحيانا للتخلص من زيجة تصبح خطرا أو باعثة على الفساد والشر والضرر والأذى ، وذلك مع الحرص الشديد بقدر الإمكان على دوام هذه الرابطة والبعد عن هدمها ، لذا سمّاها الإسلام بالميثاق الغليظ أي الشديد المؤكد الصلّة أو العكلقة ووجوب الوفاء بالحقوق والواجبات فيها،في قوله تعالى: ثر تدّ تد ث ثد ث ث ث ث ث ث ث ث ن (۸۸۷)

والإسلامُ يسعى إلى استمرار المسيرة الإنسانية على الأرض حتى يأذن الله بفناء العالم ويرث الأرض ومن عليها ، ومن أجل تحقيق هذا المقصد شرع الإسلام الزواج ورغب فيه واعتبره الطريق الفطري النظيف الذي يلتقي فيه الرّجل بالمرأة لا بدوافع غريزية محضة ولكن بالإضافة إلى تلك الدّوافع يلتقيان من أجل تحقيق هدف سام نبيل هو حفظ النوع الإنساني وابتغاء الذريّة الصيّالحة التي تعمّر المجتمع وتبني الحياة الإنسانيّة ، وتتسلم أعباء الخلافة في الأرض لتسلمها إلى من يخلف بعدها حتى يستمر العطاء الإنساني وتزدهر الحضارة الإنسانيّة في ظلّ المبادئ النبيلة والقيم الفاضلة . (٨٨٨)

ومن الأمور المعتادة الإقرار بوجود النزعات والميول البشريّة ، إذ لا يستطيع الإنسان أن يُنكر وجود الواقع النفسي والميول والعواطف والغرائز التي خلقها الله في البشر ، وهذا يحتاج إلى الإشباع بالطرق السويّة ، دون الوقوع في الجوع والنهم أو التحرّق والمعاناة فمن تمتع باللذات المشروعة أو

۸۸۰- مفاهیم اسلامیة: ۲۲ .

<sup>^^^-</sup> ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ١٩.

<sup>^^^</sup> الأيتان في سورتي : الروم : ٢١ ، النساء : ١٩ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۸۷</sup>- سورة النساء: ۲۱.

<sup>^^^</sup> ـ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: ٢٤ .

وقد نهى الإسلام عن الترهُّب فلا رهبانيّة في الإسلام ، وندَّد برهبانية بعض النصارى ، فقال تعالى:  $(2 \times 2 \times 2)$  لله عن الترهُّ فلا رهبانيّة في الإسلام نظام أسرة ، والبيت في اعتباره مثابة وسكن في ظله تلتقي النفوس على المودّة والرّحمة والتعاطف والستر والتجمّل والحصانة والطهر ، وفي كنفه تنبت الطفولة ، وتدرج الحداثة، ومنه تمتد وشائج الرّحمة وأواصر التكافل .

ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه أغراض ذلك الرباط كلها ، بما فيها امتداد الحياة بالنسل فيمنح هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة ، ويعترف بطهارتها وجديّتها ، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها ذلك حين يقول تعالى : ر و و و ر (٩٩٦) ، فيلحظ كذلك معنى الإخصاب والإكثار ويحيط القرآن هذه الخليّة ، أو هذا المحضن ، أو هذه المثابة بكلّ رعايته وبكلّ ضماناته ، وحسب طبيعة الإسلام الكليّة ، فإنه لا يكتفي بالإشعاعات الروحيّة بل يتبعها التنظيمات القانونيّة والضمانات التشريعيّة .

والذي ينظر في تشريعات الأسرة في القرآن الكريم في كلّ موضع من أوضاعها ولكلّ حالة من حالاتها ، وينظر في التوجيهات المصاحبة لهذه التشريعات ، وفي الاحتشاد الظاهر حولها بالمؤثرات والمعقبات ؛ وفي ربط هذا الشأن بالله مباشرة في كلّ موضع . . يدرك إدراكا كاملاً ضخامة شأن

<sup>^^^</sup>٩ ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ١٠،١٠.

<sup>&</sup>lt;sup>٨٩٠</sup>- سورة الأعراف: ٣١- ٣٣.

<sup>^</sup>٩١ سورة النور : ٣٢ .

<sup>^</sup>٩٢ ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩٠١/١.

<sup>&</sup>lt;sup>۸۹۳</sup>- سورة الحديد: ۲۷ .

<sup>&</sup>lt;sup>۸۹۶</sup>- سورة البقرة : ۱۸۷ .

<sup>^</sup>٩٠ - ينظر: في ظلال القرآن: ٣٥٩٥.

٨٩٦ - سورة البقرة : ٢٢٣ .

وكان الله سبحانه قادرا على أن يخلق الملايين من الأفراد الإنسانيين دفعة واحدة ، ولكن قدره جرى بهذا ؛ لحكمة كامنة في وظيفة الأسرة الضخمة في حياة هذا المخلوق ، إذ تلبّي حياة الأسرة فطرته واستعداداته ، وتتمّي شخصيّته وفضائله ، وحيث يتلقى فيها أعمق المؤثرات في حياته ، ثمّ جرت هذه العناية في النظام الإسلاميّ منهج الله الأخير في الأرض مع القدر الإلهي في خلقه الإنسان ابتداءً كما هو الشأن في تناسق كلّ ما يصدر عن الله بلا تفاوت ولا اختلاف . (٩٠٠)

ودَلالة الاحتفال بشأن العَلاقات الزوجية والعائليّة في القرآن كله ، هي اتجاه النظام الإسلاميّ لرفع هذه العَلاقات الإنسانيّة إلى مستوى القداسة المتصلة بالله ؛ واتخاذها وسيلة للتطهر الرّوحي والنظافة الشعوريّة ، لا كما كان ينظر إليها في العقائد الوثتيّة ، وعند أتباع الديانات المحرّفة، البعيدة بهذا التحريف عن فطرة الله التي فطر الناس عليها .

والقرآنُ لا يُحاربُ دوافع الفطرة ولا يستقذرها ، إنما ينظمها ويطهّرها ، ويرفعها عن المستوى الحيواني ، ويرقيها حتى تصبح هي المحور الذي يدور عليه الكثير من الآداب النفسيّة والاجتماعية. ويقيم العَلاقات الجنسيّة على أساس من المشاعر الإنسانيّة الرّاقية التي تجعل من التقاء جسدين التقاء نفسين وقلبين وروحين . وبتعبير شامل التقاء إنسانين ، تربط بينهما حياة مشتركة ، وآمال مشتركة وآلام مشتركة ، ومستقبل مشترك يلتقي في الذريّة المرتقبة ، ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش المشترك ، الذي يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان .(٩٠١)

ويعد القرآن الكريم الزواج وسيلة للتطهير والارتفاع فيدعو الأمّة المسلمة لتزويج رجالها ونسائها إذا قام المال عقبة دون تحقيق هذه الوسيلة الضروريّة ؛ لتطهير الحياة ورفعها، قال تعالى : (1, 1) ويسمِّي الزواج إحصاناً أي (1, 1) ويسمِّي الزواج إحصاناً أي وقاية وصيانة ، ويستقرّ في أخلاد المؤمنين أن البقاء بدون إحصان ولو فترة قصيرة لا ينال رضى الله فيدخل الزواج في عرف المؤمن في الطاعات التي يتقرّب بها إلى ربّه ، وترتفع هذه الصلة إلى مكان القداسة في ضميره بما أنها إحدى الطاعات لربّه (1, 1, 1)

إنَّ الأصل في الرّابطة الزوجيّة هو الاستقرار والاستمرار ، والقرآن يحيط هذه الرّابطة بكلّ الضمانات التي تكفل استقرارها واستمرارها ، وفي سبيل هذه الغاية يرفعها إلى مرتبة الطاعات،

۸۹۷ آیهٔ : ۲۳

۸۹۸ - آیة : ۱۶

<sup>^</sup>٩٩ - ينظر: في ظلال القرآن: ٣٥٩٥.

٩٠٠- ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٩٦.

٩٠١- ينظر: في ظلال القرآن: ٣٥٩٥.

<sup>&</sup>lt;sup>۹۰۲</sup>- سورة النور : ۳۲- ۳۳ . <sup>۹۰۲</sup>- ينظر : في ظلال القرآن : ۳۰۹٦ .

ويعين على قيامها بمال الدُّولة للفقراء والفقيرات ، ويفرض الأداب التي تمنع التبرُّج والفتتة ؛ كي تستقر العواطف ولا تتلفت القلوب على هتاف الفتنة المتبرّجة في الأسواق! ويفرض حدّ الزنا وحدّ القذف؛ ويجعل للبيوت حرمتها بالاستئذان عليها والاستئذان بين أهلها في داخلها ، وينظم الارتباطات الزوجية بشريعة محدّدة ، ويقيم نظام البيت على أساس قوامة أحد الشريكين وهو الأقدر على القوامة ، منعاً للفوضي والاضطراب والنزاع . إلى آخر الضمانات والتنظيمات الواقعيّة من كلّ اهتزاز فوق التوجيهات العاطفيّة وفوق ربط هذه العَلاقة كلها بتقوى الله ورقابته.

وعدّ القرآن النفقة من جملة تنظيم الأسرة الماليّة ، إذ هي : كفاية من يمونه خبزاً وأداماً وكسوة ومسكناً وتوابعها . (٩٠٤) فكان للقرآن أثر في الأسباب الدّاعية للنَّفقة ، ومن أهمّها :

١- العَلاقة الزوجيّة ، فقد أوجب القرآن والسنة على الزوج في جميع الأحوال الإنفاق على زوجته غنياً كان أو فقيراً ، ولم يوجب الإسلام على الزوجة أن تتفق على نفسها وإن كانت موسرة، أو أن تتفق على زوجها بالأولى من هذا المال وإن كان معسراً ، ولم يوجب عليها أن تتكسب هذه النفقة بالعمل أو نحوه ، فالنفقة حق لها على زوجها بمقتضى عقد النكاح ، ومن أدلة وجوبها قول الله تعالى: رُ وُ وُ وَ وَ وَ وَ وَوَ رُ (٩٠٠) وقول رسول الله r في خطبة الوداع : « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتمو هنّ بأمان الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ... ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف». (٩٠٦) ونفقة الزوجة تشمل الإطعام والكسوة والسّكني ، ووسائل النظافة ، وتشمل أجر الخادم إن كانت الزوجة ممن تخدم في بيت أهلها ، وكان الزوج موسرا ، لقوله تعالى : ژ ج ج ج ج چ چ چ چ ڇ ڇ بالمعروف وإن كانت غير مسلمة ، وهذا الحق الذي قرره الإسلام لها يتحقق به صيانتها وحمايتها من التبذل والامتهان ؟ بسبب اكتساب أسباب الحياة ، إذ كفل الإسلام لها هذه الأسباب في منزل الزوجية بدون تدخل منها لتتفرغ لأداء رسالتها المنوط بها في الحياة .<sup>(٩٠٨)</sup>

٢- عَلاقة القرابة ، فقد أوجب الشارع بها على المرء الإنفاف على والديه ، كما أوجب بها على الوالدين الإنفاق على أو لادهما ذكوراً أو إناثاً ، إذا كان للمنفق مال يمكنه الإنفاق منه فاضلاً عن نفقته ولم يكن للمنفق عليه مال ولا كسب يكتفي به عن نفقة قريبه عليه. ومن الأدلة على وجوب نفقة الأصول على فروعهم حديث عائشة أنَّ رسول الله r قال: « إنَّ أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وإنَّ أو لادكم من كسبكم » . (٩٠٩) وكذلك وجوب نفقة الفروع على أصولهم ، والقريب على قريبه بالشروط المتقدّمة ولما روي في الحديث الصّحيح ، عن طارق المحاربي قال: قدمنا المدينة فإذا رسول الله ٢ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول : « يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول أمّك وأباك وأختك وأخاك ثمّ أدناك أدناك » . (٩١٠)

٩٠٠ - ينظر: مفاهيم إسلامية: ٣٠٢.

<sup>°°°-</sup> سورة البقرة: ٢٣٣.

٩٠٦- صحيح مسلم : باب: (حجة النبي صلى الله عليه وسلم) ، برقم: (١٢١٨) :٨٨٦/٢ ، صحيح ابن حبان : برقم: (۱٤٥٧) : ۲۱۰/٤ . ۱۰۰ - سورة الطلاق : ۲ .

٩٠٨- ينظر: اللباب في شرح الكتاب : عبد الغني الغنيمي المشقى الميداني : ٢٢/٣ ، الحاوي الكبير : للماوردي : ٤١٤/١١ ، المغنى (في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني): ٢٣٠/٩.

٩٠٩- أُخرجه الترمذي في سننه: باب: (ما جَاء أن الوالد يأخذ من مال ولده) ، رقم الحديث: (١٣٥٨) : ٣/ ٦٣٨. وقال عنه : (حديثُ حسنٌ صحيحٌ).

٩١٠- سنن النَّسَائي : باب : (أيتهما اليد العليا) ، برقم : (٢٥٣٢) : ٥/ ٦١ ، مسند الإمام أحمد : برقم : (٧١٠٥) : ٢/ ۲۲۲ ، صحیح ابن حبان : برقم : (۳۳٤١) : ۸/ ۱۳۰ .

إذ بيَّنَ في الحديث أنَّ من المعالين الأخوة والأقرب من الأقارب ، فيجب لهم على أقاربهم المأكل والمشرب والملبس والسّكنى ونحوها ، بقدر الكفاية ، مراعاة في ذلك العرف وحال المنفق والمنفق عليه ، وظروف الزمان والمكان . وإيجاب نفقة الأقارب الذين لا مال لهم إذا عجزوا عن الكسب على قريبهم الموسر ، يحقق صلة الرّحم ، ويقيم العلائق بين أفراد الأسرة على أساس من الترابط والتكافل فينصلح حال الأسرة ، وينصلح بصلاحها حال المجتمع بأسره . (٩١١)

إذن فالزواج ضرورة اجتماعيَّة لصالح المجتمع ؛ لأنه ينظم العَلاقات بين الذكور والإناث ، كما أنه يؤدّي إلى عِمران المجتمع بالناس الذين لولاهم لما تكوّن المجتمع .

وإمساك الزوجيّة على هذا الوضع إنما هو محاولة فاشلة يزيدها الضغط فشلاً ، ومن الحكمة التسليم بالواقع ، وإنهاء هذه الحياة على كره من الإسلام ، فإذا أراد أن يطلق فليس في كلّ لحظة بجوز

٩١١- ينظر : مفاهيم إسلامية : ٣٠٢ .

٩١٢ - سورة الزمر: ٦.

٩١٣- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٧/٥١٥ ، في ظلا القرآن : ٣٥٩٥ .

٩١٤ ينظر: في ظلال القرآن: ٣٥٩٧.

٩١٥ - سورة النساء : ١٩ .

٩١٦ - سورة النساء : ٣٥ ، ١٢٨ .

٩١٧- ينظر: في ظلال القرآن: ٣٥٩٧.

ولهذا لمّا طلق عبد الله بن عمر رضي الله عنه زوجته وهي حائض ، ذكر ذلك عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتغيظ فيه رسول ٢ ثمّ قال : « ليراجعها ثمّ يمسكها حتى تطهر ثمّ تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسّها فتلك العدّة كما أمره الله » . (٩١٩) قال الإمام مالك رحمه الله : " من طلق امرأته وهي نفساء أو حائض أجبر على رجعتها إلا أن تكون غير مدخول بها فلا بأس بطلاقها وإن كانت حائضاً أو نفساً " . (٩٢٠) على الرّغم من الخلاف الواقع بين الفقهاء في تفسير القرء ، ولسنا في صدد هذا الموضوع ، وليُنظر في مظانه . (٩٢١)

ويقول تعالى: رُ بِ المطلقة ومضارّة لها بمنعها من الزواج بعد العدّة ، أو نقص في مدّتها لا يتحقق به الغرض الأوّل وهو التأكد من براءة رحم المطلقة من الحمل المستكن حفظاً للأنساب ، ثمّ هو الضبط الدّقيق الذي يوحي بأهميّة الأمر .

٩١٨ - سورة الطلاق: ١.

مورو مصور البخاري: باب: (تفسير سورة الطلاق) ، برقم: (٤٦٢٥) : ١٨٦٤/٤ ، سنن أبي داود : باب: (في طلاق السنة) ، برقم: (٢١٨٦) : ٦٢٢/١ .

٩٢٠- المدونة الكبرى: ٢/٢٢.

<sup>&</sup>lt;sup>٩٢١</sup>- ينظر: الهداية شرح بداية المبتدي: ٦٢٢/٢ ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: ٣٤/١ ، المغني: ٣٤/١

٩٢٢ - سورة الطلاق: ٤.

قَ ج ج ج ج ج ج شلم نفسه لتعريضها هكذا لبأس الله القائم على حدوده يحرسها ويرعاها ، وظلم نفسه بظلم زوجه ، وهي وهو من نفس واحدة ، فما يظلمها يظلمه كذلك بهذا الاعتبار .(٩٢٣)

ونهاه القرآن أيضاً عن المضارة في الفراق بالسبّ والشتم والغلظة في القول والغضب، فهذه الصلة تقوم بالمعروف وتنتهي بالمعروف استبقاء لمودة القلوب فقد تعود إلى العشرة ، فلا تنطوي على ذكرى رديئة لكلمة نابية ، أو غمزة شائكة ، أو شائبة تعكر صفاءها عندما تعود ، ثم هو الأدب القرآني المحض الذي يأخذ به الألسنة والقلوب .(٩٢٧)

٩٢٣ - ينظر: في ظلال القرآن: ٣٦٠٠ .

<sup>976 -</sup> ينظر: المصدر نفسه.

٩٢٥ - سورة الطلاق: ٢.

٩٢٦ - ينظر: في ظلال القرآن: ٣٦٠٠.

٩٢٧- المصدر نفسه .

٩٢٨- سورة النساء: ٣٥.

قال الفقهاء: " إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرّجل؛ ليجتمعا فينظرا في أمرهما ويفعلا ما فيه المصلحة ممّا يريانه من التفريق أو التوفيق وتشوف الشارع إلى التوفيق، ولهذا قال تعالى: ثر چ چ چ چ ي ي ت ت ثر ثر ثر ثر ثر ثر ك ك ك ك ك گ گ ثر " . ( ( (  $^{479}$ )

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أمر الله عزّ وجل أن يبتعوا رجلا صالحاً من أهل الرّجل ورجلا مثله من أهل المرأة ، فينظران أيهما المسيء ، فإن كان الرّجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقصروه على النفقة ، وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة فإن اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعا ، فأمرهما جائز فإن رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره الآخر ثمّ مات أحدهما ، فإنّ الذي رضي يرث الذي لم يرض و لا يرث الكاره الرّاضي )) .(٩٣٠)

قال الحسن البصري: ( الحكمان يحكمان في الجمع لا في التفرقة ) . ( $^{(471)}$  وكذا قال قتادة وزيد ابن أسلم وبه قال بعض الفقهاء  $^{(477)}$  ؛ ومأخذهم قوله تعالى:  $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$  ولم يذكر التفريق  $\overset{(477)}{}$ .

إذن أعطى القرآن فترة للعدة ، ثلاثة قروء للتي تحيض وتلد ، وثلاثة أشهر للآيسة والصنغيرة وفترة الحمل للحوامل ، وفي خلالها مجال للمعاودة إن نبضت في القلوب نابضة من مودة ومن رغبة في استئناف ما انقطع من حبل الزوجية . وهذا ما يؤجّل فصم العقدة فترة بعد موقف الغضب والانفعال وخلال هذه الفترة قد تتغيّر النفوس ، وتقرّ القلوب ويصلح الله بين المتخاصمين فلا يقع الطلاق .

.. وهكذا نجد القرآن الكريم يدافع عن وئام الأسرة مدافعة عمليّة واقعيّة ، إذ ينظم أوضاعها ويعالج آثارها ، وعلى هذا كانت الأحكام الدّقيقة المفصّلة في إصلاح الأسرة ، والتي تدلّ على واقعيّة هذا الدّين في علاجه للحياة ، مع دفعها دائماً إلى الأمام .

٩٢٩- ينظر: الحاوى الكبير: ٦٠١/٩ ، مجموع الفتاوى: ٢٥/٣٢ ، زاد المعاد في هدى خير العباد: ١٧٢/٥.

<sup>°°-</sup> أورده الطبري ُفي تفسيره : جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ٧٣/٤ ، والسيُّوطيُّ في : الدر المنثور : ٢٤/٢ .

٩٣١ - أورده الحافظ ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم : ١٥٥/١ .

ومنهم الإمام أحمد بن حنبل . ينظر : المغني : ٨/ ١٦٧ .

<sup>&</sup>lt;sup>9۲۲</sup>- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١/ ٦٥٥. <sup>9۲۲</sup>- ينظر: في ظلال القرآن: ٣٦٠١.

## المبحث الثاني

## أثر القرآن في إصلاح التربية والتنظيم والتعليم

إنَّ التربية في القرآن نظام فذ فريد قائم على الحكمة والإنصاف ، وترقية المشاعر والوجدانات وتتمية المدارك والمعارف ، والقيم الرُّوحيَّة والأخلاقيات والإنسانيَّة ، دون أن تطغى الماديّات على الرّوحانيّات والوجدانيّات .

وهذا يتفق مع الطبيعة الإنسانية المتزنة ، ويحقق الخير للإنسان دون تقييد لحريته ، إلا بالقدر الضروري الذي تمليه المصلحة ، ودون إهمال لوسائل التأديب اللازمة بحذر ، ومع العناية بتزكية النفس والخلق ، وتنمية الجسد والمعارف والنزعة الاجتماعية ، مع جعل كل ذلك نابعاً من أصول الإيمان أو الاعتقاد الصائب ، وهو ما يُشير إليه قوله تعالى : ر ق ق ج ج ج ج ج ج ج ج ج ي أي خابت نفس أضلها الله وأغواها ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما . (٩٣٦) وحينئذ ينشأ الأولاد أو الجيل نشأة متوازنة معتدلة وسوية ، تحقق أغراض الحياة المختلفة ومصلحة الأمّة .

ولا شك أنَّ أعظم أهداف التربية قديماً وحديثاً ، هو إيجاد الفرد الصالح أو المواطن الصالح في المجتمع ، أو الإنسان الصالح النافع لنفسه وأمته ، على الاختلاف الهائل جدًا حول مفهوم الصالح والفساد تبعاً للاختلاف في العقائد والقيم ، وفلسفة الحياة ، والهدف من الوجود. والتربية عمليّة فطريّة وليست اكتشافاً عصريّا : بمعنى أنها قد صاحبت الإنسان منذ وجد على هذه الأرض ، وهو يسعى التغلب على ما نتاج وثمرة للعلم الحديث ، فالإنسان منذ وجد على سطح هذه الأرض ، وهو يسعى التغلب على ما يعترضه من مشكلات ، ويستفيد بما يمر عليه من تجارب ، ويربّي صغاره من أجل الحياة ، وينقل تراث آبائه وأجداده ، إلى أبنائه وأحفاده ويحتفظ بما يراه قيمة عليا.. فهذا نوح عليه السلام يشكوه إلى ربه الفساد التربوي الذي ينشأ عليه الأجيال في قومه : ( ث

ى ى ي ي ي ر  $(^{(979)})$ ، فدعا عليهم ؛ حرصاً على سلامة المجتمع الإنساني من شوائب المفاسد وتطهيره من العناصر الخبيثة  $(^{(978)})$  و لا شكّ أنّ نوحاً عليه السّلام لا يعني أنّ أو لاد قومه يولدون كافرين فجّاراً ، وإنما ينشئون - من آبائهم - على الكفر والفجور ، كما قال  $\mathbf{r}$  : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه... » . ثمَّ يقرأ أبو هريرة  $\mathbf{t}$  :  $\mathbf{t}$  وُوُ وَ وُ وُ وُ وَ وَ وَ وَ وَ وَ مَ  $\mathbf{t}$  .

فالخطط الإصلاحيّة للتربية والتنظيم لم تكن في وسط المجتمع الإسلامي نتاجاً لدراسات سابقة بالنفس الإنسانيّة ومتطلباتها ، ولم تكن عن عبقريّة نبعت في وسط المجتمع العربي فجأة ، ولم تكن لوجود قمّة هذه العبقريّة ممثلة في عبقريّة محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تناسب الحياة العربيّة ولم تكن تناسب الحياة في وسط الفرس والرّوم -كما يزعم بعض الزاعمين - إنّ الأمر ليس كذلك وإنما ينبغي أن يدرك الجميع أنّ هذه الخطط التربويّة والتنظيميّة وما شاكل ذلك ، انبثقت من المنهج الذي يعتقه المسلمون فهو الذي أوجد العبقريات ، وهو الذي ربّى المسلمين وفي مقدمتهم رسول الله ٢ الذي قال عنه الله تعالى : رُ كُم كُم كُم ن ر ، والذي كان يستمدّ التوجيه وتسديد الخطوات من ربّ العزة جلّ وعلا الذي كان يكلأه بعينه ورعايته ، وينزل القرآن تنزيلا وفق الحوادث والنوازل رُبيين ن ن ذ ذ ت ت دُدَّ تُدَر ( ۱۹۶۰)

نعم قد ساهم العلم الحديث في تطوّر الوسيلة والأسلوب ، فبعد إن كان العلم بالمؤدّب الخاص ووصايا الوالدين ، والخطبة ، والدرس المحدود .. أصبح بالمناهج الموحدة ، والجامعات التي تضمّ عشرات

٩٣٥ - سورة الشمس : ٩- ١٠ .

٩٣٦ - ينظر: تفسير اللباب: ٣٦٢/١٦ .

٩٣٧ - سورة نوح : ٢٦ - ٢٧ .

٩٣٨- ينظر: التحرير والتنوير : ٤٥٨١/١ .

٩٣٩ - سورة الروم: ٣٠ . والحديث سبق تخريجه .

<sup>&#</sup>x27;' - سورة الإسراء: ١٠٦. ينظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة: د. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، ط٥ دار الفكر المعاصر - صنعاء ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م: ١٥٦.

الآلاف ، والوسائل الهائلة من صحافة وتلفزيون ، وتقنيات متقدّمة .. الخ ولكن الأهداف من التربية بقيت كما هي: في العز والسيادة والرفاهية ، والتغلب على مشكلات الحياة ، والتنمية ، والمواطنة الصالحة ، وتحقيق الذات .. الخ . على اختلاف البشر في نظرتهم للحياة والكون ، وبالتالي اختلافهم في الخير والشرّ والصلّل والاستقامة والانحراف .

وكذلك ينبغي الاتصال الدّائم بالسيّرة النبويّة الكريمة وسيرة أصحابه الكرام حتى يصبح المسلم كأنه يعيش هناك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه متخطياً حدود الزمن منسلخاً بروحه للحاق بهم والتأسّي بسيرتهم . (٩٤٢)

والتربية والتعليم هما الطريقان إلى الإيمان والمعتقد ، وكذلك الرّقي المادي بل إنّ التعليم والتربية هما السّبيل للبقاء فلا بقاء لأمّة في زحمة الحياة وطوفان البشر ومزاحمة الأمم بعضها بعضاً إلا بعلم وتربية يحفظ عليها كيانها ، بل بقاءها ووجودها .(٩٤٣)

ومن الواضح أنّ القرآن الكريم يأمرنا بطلب العلم ويحثنا على التفكر والتدبر والتعقل وما يماثلها من الكلمات التي تحث على إعمال العقل في شؤون الحياة ، لذا أننا نعلم أبناءنا أنّ أوّل آية نزلت في القرآن هي قوله تعالى : رُّ چ چ چ چ رُ ، ونتحدث عن سورة القلم ، وقد نحكي لهؤلاء الأبناء سيرة بعض أسلافهم والجهود العلمية التي قاموا بها في مسيرتهم الحضارية الطويلة نقول لهم هذا كله - هكذا أظنّ - ولكن ماذا سنقول لهم عن حاضرنا ؟ أين الأثر العلمي للقرآن في حياتنا الآن ؟ ألسنا نعتمد على غيرنا في معظم احتياجاتنا أهكذا يريد القرآن الكريم منا ؟ أين مدارسنا وجامعاتنا من تحقيق النهضة العلمية التي نحتاجها ؟ هل المشكلة في القرآن أو في المجتمع أو في أولئك الذين يدرسون القرآن لشبابنا ؟ والواضح كذلك أنّ هناك نوعاً من التفكك بدأ يظهر بين أبناء المجتمع نامسه في طريقة تعامل الأبناء مع آبائهم أو الأزواج مع زوجاتهم أو الجيران مع جيرانهم إلى آخر تلك القائمة من سوء التعامل بين أبناء المجتمع الواحد ، فأين تعليم القرآن الكريم من هذا كله ؟ هل يتحدّث مدرسو القرآن عن هذه القضايا مع شبابنا ؟

والمجتمع المسلم لا يمكن له التوفيق والارتقاء ما لم يكن هنالك احترام وتقديس لكتابهم ودستورهم القرآن ، فضلاً عن عقيدتهم وتسليمهم لأحكامه مطلقاً .

فهذه الأمَّة اليابانيَّة مثلاً لو لم يكن النظام فيها قائماً على تقديس التراث واحترام الأمّة بل وتقديسها واعتقاد أنّ أرض اليابان هي أرض الشمس المقدّسة ، وأنّ كلّ عامل يجب أن يعمل للأمّة تقديسا وحقاً ثمّ لنفسه وأن يستفيد من ثمرات كدّه وجهده ، في إطار نظام اقتصادي حرّ يقوم على المنافسة والكسب بغير حدود لو لم تكن هذه السياسة العليا والعقيدة التي يحترمها الجميع موجودة لما كان لليابان هذا الدّور الاقتصادي القائم حالياً .(٩٤٤)

والتعليم عكسه الجهل ، وقد صنف الرَّاغب الجهل على ثلاثة أضرب ..

الأول: خلو النفس من العلم.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه .

١٠٠٠ - الآيات في سورة : البقرة : ١- ٢ ، الإسراء : ٨٢ ، الشورى : ٥٢ .

٩٤٢ - ينظر: أصول الدعوة: ٤٢١ .

٩٤٣- ينظر: توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح في الوطن العربي: ١- ٣.

<sup>&</sup>lt;sup>316</sup>- ينظر: توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح في الوطن العربي: ٢.

وقد وردت مشتقات كلمة الجهل في القرآن الكريم بمعنى :

١ - عدم الخبرة أو المعرفة ، كقوله تعالى : رُه مَ به هـ رُ (١٤٠٠)

٢- الطيش والسَّفه ، كقوله تعالى : ر و و و و و ر (٩٤٨)

٣- عدم إدراك الحق ، كقوله تعالى : ژ ٺ ٺ ذ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ر

ولقوله تعالى: رُذْتُ تَ تَ تَ تُ ثُثُ رُ<sup>(٩٥٢)</sup>، وذلك لما كان عليه العرب من فاحش الجهالات فى العقيدة والعبادة والتشريع والمُعاملات والأخلاق التي انتقات إليهم وشاعت بينهم وتأصلت في نفوسهم حتى صارت ديناً حلّ محل الحنيفيّة السّمحة. (٩٥٣)

ولمًا جاء القرآن الكريم طهر المجتمع من كلّ رذيلة وجهالة ، ودعى إلى التعليم وشجع عليه ليكون نوراً يُهتدى به ومشعلاً وضاءً ، يستضيء به المتعلم الصادق المخلص في طلبه والذي لا يرتضي لنفسه أن يعمل عمل الجاهليّة من السفّه و الغضب والأنفة والحميّة والمفاخرة .

قال تعالى : ژ ب ب ى يـ ژ . (۱۹۰۶)

هنا ينبّه الله تعالى عباده المؤمنين سواء كانوا مجاهدين - على رأي بعض المفسّرين - (٩٥٥) أم قاعدين ويحثهم على تعلم العلم الشرعيّ ، وأن يعلموا معانيه ، ويفقهوا أسراره وليعلموا غيرهم ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، ففي هذا فضيلة للعلم ، ولاسيّما الفقه في الدّين، وأنه أهمّ الأمور، وأنّ من تعلم علما ، فعليه نشره وبثه في العباد ، ونصيحتهم فيه فإنّ انتشار العلم عن العالم ، من بركته وأجره، الذي ينميّ له . وأمّا اقتصار العالم على نفسه ، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون ، فأيّ منفعة حصلت للمسلمين منه ؟ وأيّ نتيجة نتجت من علمه ؟ وغايته أن يموت ، فيموت علمه وثمرته ، وهذا غاية الحرمان ، لمن آتاه الله علما ومنحه فيماً .

وفي هذه الآية أيضاً دليل وإرشاد وتنبيه لطيف ، لفائدة مهمّة ، وهي: أنّ المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكلّ مصلحة من مصالحهم العامّة من يقوم بها ، ويوفر وقته عليها ، ويجتهد فيها ، و لا يلتقت إلى غيرها ؛ لتقوم مصالحهم ، وتتمّ منافعهم ، ولتكون وجهة جميعهم ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا

<sup>°°</sup>۰ - سورة البقرة: ٦٧ .

٩٤٦ - سورة الحجرات: ٦ . مفردات القرآن: ٢٧٤/١ .

 $<sup>^{95}</sup>$ - سورة البقرة : 7/7 . ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : 7/7 ، زاد المسير في علم التفسير : 1/7/7 .

٩٤٨ - سورة الفرقان : ٦٣ . ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٣٣ ، التحرير والتنوير : ١/ ٢١٨٣ .

٩٤٩ - سورة الأنعام: ١١١ . ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٦٤ ، فتح القدير: ٢٢٢/٢ .

٩٥٠ سورة النساء : ١٧ .

<sup>&</sup>lt;sup>۹۰۱</sup>- ينظر: مفاهيم إسلامية: ١١١ .

٩°٢- سورة آل عمران: ١٥٤.

٩٥٣ - ينظر: بلوغ الأرب شرح معرفة أحوال العرب: ١/ ١٥.

<sup>&</sup>lt;sup>٩٥٤</sup>- سورة التوبة: ١٢٢ .

<sup>°°°-</sup> ينظر: في ظلال القرآن: ١٧٣٤.

وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعدّدت المشارب ، فالأعمال متباينة ، والقصد واحد ، وهذه من الحكمة العامّة النافعة في الأمور كلها .(٩٥٦)

وممًا تقدّم يتبيّن لنا أنّ الأسرة نواة المجتمع الإسلامي ، فلا بدّ حينئذ أن يربّى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية ، وغرسها في نفوسهم ، وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله ولرسوله واحترام النظام وتنفيذه ، وتدريبهم وتعليمهم في كيفية إكساب المهارات، وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم ، محبّين لوطنهم معتزين بتأريخهم .

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه t قال : قال رسول الله r : « ألا أنبَّئُكُمْ بِأَكْبَر الْكَبَائِر قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْن ، وَكَانَ مُثَكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ : ألا وقولُ الزُّور وَشَهَادَةُ الزُّور ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَى قُلْتُ لا يَسْكُتُ » . (١٥٠٨) النوعو إلى انبثاق وانتشار ظاهرة الاستقرار والأمن في المجتمع الصّغير وهي الأسرة ومن ثمّ المجتمع الإسلامي الكبير ، حيث الثقافة العلميّة تجنى ثمارها عند طلبتها المخلصين المتمسكين المجتمع الإسلامي الكبير ، حيث الثقافة العلميّة للكون والحياة . ممّا يؤكد للعالم بأسره ، أنّ كتاب بعقيدتهم الصّادقة ، والتي تمثل الرّؤية الإسلاميّة للكون والحياة . ممّا يؤكد للعالم بأسره ، أنّ كتاب الله الخالد المجيد كان وما يزال عاملاً مهمّا ليس في فهم مظاهر الاستقرار والتوازن والتنمية والتكامل فحسب، بل في استيعاب مظاهر التغيّر والصّراع ، ومن هنا تتضح معالم الدّين الإسلاميّ علما وبناء وإطارا مرجعيا ليس فقط في مسألة تأسيس المجتمع وتماسكه ، بل أيضا في إضفاء علما ولشرعيّة على الكثير من الأمور التعليميّة والتربويّة والتنظيميّة والاجتماعيّة والتنمويّة المختلفة في الموقع المعاش . (١٥٠٩)

هذا وللتعليم اليوم معالم بارزة في إصلاح المجتمع المسلم ، ومن أهمّها ...

- ١- إن التربية والتعليم أداء واجب في تعريف الناشئة بربها ودينها ، وإقامة سلوكها على شرع الله وتلبية لحاجات المجتمع ، وتحقيقًا لأهداف الأمة ، ولاسيما عندما تشتمل التربية حقول التعليم بمراحله المختلفة ، والخطط والمناهج ، والوسائل التربوية والنظم الإدارية والأجهزة القائمة على التعليم وسائر ما يتصل به ، والتي لابد أن تنبثق من الإسلام ، الذي تدين به هذه الأمّة : عقيدة و عبادة و خلقًا وشريعة وحكما ، ونظامًا متكاملاً للحياة .
- ٢- غاية التعليم: فهم الإسلام فهمًا صحيحًا متكاملًا، وغرس العقيدة الإسلاميّة، ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلاميّة وبالمثل العليا ، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة وتتمية الاتجاهات السلوكيّة البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وتهيئة الفرد؛ ليكون عضوًا نافعًا في بناء مجتمعه . (٩٦٠)

فالقرآن الكريم إذا هو المنهج الذي يوجّه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها وموادها ، وهو السّبيل الأقوم للحياة الفاضلة ، الذي يحقق السّعادة لبني الإنسان وينقذ البشريَّة ممَّا تردّت فيه من فساد وشقاء ولاسيَّما أنَّ المجتمع اليوم يعلم أن طلب العلم المحتاج إليه كلّ فرد يعيش فيه هو فرض ، وذلك بحكم الإسلام ، وأمّا نشره وتيسيره في المراحل الدّراسيّة المختلفة ، فهو واجب على كلّ دولة إسلاميّة بقدر وسعها وإمكاناتها .

۹۰۸- صحيح البخاري : باب: (عقوق الوالدين من الكبائر) ، رقم الحديث: (٥٦٣١) : ٢٢٢٩/٥، صحيح مسلم : باب: (بيان الكبائر وأكبرها) ، برقم: (٨٧) : ٩١/١ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاء في عقوق الوالدين) ، برقم: (١٩٠١) ٢١٢/٤٠

٩٥٦- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٣٥٥.

٩٥٧- سورة الإسراء: ٢٣- ٢٤.

<sup>&</sup>lt;sup>٩٥٩</sup>- ينظر: المجتمع الإسلامي (أهدافه ودعائمه ، أوضاعه وخصائصه في ضوء الكتاب والسنة) : ٤٥ ، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية : ٣٠ .

<sup>&</sup>lt;sup>٩٦٠</sup>- ينظر: المجتمع الإسلامي (أهدافه ودعائمه ، أوضاعه وخصائصه في ضوء الكتاب والسنة) : ٤٥ ، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية : ٣٠ .

والاهتمام بالتربية الصالحة تبعد المجتمع عن الانحراف ، والاهتمام بمسائل الحلال والحرام وتعلمها يقي المجتمع من الخطايا ، وتوفير الأرضية الصالحة للنشء ، وتطور المجتمع يمنع الردائل والموبقات وتوفير العيش الكريم للناس يبعدهم عن التفكير في الحرام والمعاصي. والإصلاح التربوي والتنظيمي ضروريان لأي أمّة ، والأمّة الإسلاميّة أولى الأمم بها ، فهما مقصودان لذاتهما ، ولبقاء الأمّة واستمرارها . ((٩٦٠) ولأنَّ الإصلاح التربوي يُعالج الجوانب النفسيّة والاجتماعيّة للفرد ، ويعمل على توحد التوجّه العام للأمّة ، وتتمية عقل الأمّة في مساق واحد ، ويُعالج أيضا الصراع مع القوى الجاهلة المجاورة، سواء أكانت هذه القوى بشريّة أم قيميّة .. فالصراع الدّاخلي يحسم من خلال هذه الإصلاح الذي يهتم بمعالجة القيم والأعراف والاهتمامات داخل المجتمع .

والإصلاح التنظيمي يكفل الحفاظ على قوى الأمّة من أن تتبعثر فيقوم بتحديد أطر العكلقات المختلفة النقق الإسان والمصالح - بحيث تنظم هذه العكلقة دون تصادم ، ولا تترك للعبث أو المضي كيفما اتفق تخطيط أو ضبط . وحتى أثناء الصدام مع الغير لا بدَّ أن يكونَ صداماً وفق نظام متكامل له آدابه وإجراءاته .

وليس معنى هذا أنّ الإصلاح التربوي التنظيمي يختصّان بجانب دون آخر ، بل يشمل جميع جوانب الأمّة ، ويعمل من خلال منظومة متكاملة تستخدم فيها الإمكانات ، ومن ثمَّ تدخل كلّ التصرقات وكلّ الأحداث والتوجيهات ضمن هذه المنظومة التربويّة التنظيمية ؛ وذلك لتحقيق وتجذير وتعميق أسس الأفكار والمبادئ والقيم التي ينبغي أن تغرس في الأمّة ، ومن ثمّ يُعدّ الأفراد إعدادا نمونجيّا جيدا وتهيأ الأمّة كذلك لأداء مهمتها الملقاة على عاتقها التي رسمها الله تعالى في كتابه : رثف ف ف ف ق ق ق ق ج ج جج جر ، رث ن ن ذ ذ ت ت ت ت ت ت ت ث ت ث ت ث ت ث ت مور ا وسلوكا ، وبهذا يتوحّد كيان الأمّة تصورًا وسلوكا ، وتؤدّي الأمّة رسالتها فكرا وقيادة .

# المبحث الثالث دعوة القرآن إلى المحافظة على النفس والصحة

إنَّ من ضروريات الحياة الإنسانيّة عصمّة النفس وصون حق الحياة ، وقد شرَعَ القرآن الكريم عدّة وسائل للمحافظة على النفس :

\* وأمَّا من جهة الاستمرار والدّوام : فقد شرَع عدَّة وسائل لحفظ النفس ، منها :

١- أوجب على الإنسان أن يمد نفسه بوسائل الإبقاء على حياته من تناول للطعام والشراب وتوفير اللباس والمسكن ، فيحرم على المسلم أن يمتنع عن هذه الضروريات إلى الحد الذي يهد بقاء حياته واعتبر الحصول على هذه الضروريات هو الحد الأدنى الذي يلزم المجتمع ممثلاً في الدولة بتوفيره للأفراد العاجزين عن توفيره لأنفسهم ، بل أوجب على الإنسان - إذا وجد نفسه مهددة - أن يدفع عن نفسه الهلاك بأكل مال غيره بقدر الضرورة . (٩٦٦)

٩٦١ - ينظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة: ١٥٥.

<sup>&</sup>lt;sup>977</sup> - المرجع نفسه .

٩٦٣ - ينظر: المرجع نفسه.

٩٦٤ - ينظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة: ١٥٦.

<sup>&</sup>lt;sup>910</sup>- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/ ٦٣٩.

٩٦٦ - ينظر: مقاصد الشريعة: ١٤.

٢- أوجب على الدُّولَة إقامة الأجهزة الكفيلة بتوفير الأمن العام للأفراد ، من قضاء وشرطة وغيرها ـ ممّا يحقق الأمن للمجتمع . (٩٦٧)

٣- أُوجَب المُحَافظة علَى كرامة الآدمي بمنع القذف والسّب ، ومنع الحدّ من نشاط الإنسان من غير مبرّر ، وبهذا حمى حُريَّات الفكر والعمُّل والرَّأي والإِقامة والنتقل وَكفلها ، قال الله تعالى : ﴿ كَ كَ كَ گَ گَ گَ گِ ڳَ ڳَ ڳُ گُ گُ رُ (٩٦٨)

٤- تشريع الرُّخص بسبب الأعذار الموجبة للمشقة التي تلحق النفس فينشأ منها ضرر عليها ، ومن ذلك : رخصة الفطر في رمضان بسبب المرض والسّقر ، قال تعالى : ژ ڄج ج ج ج چ چ چ چ 

٥- حرَّم الإسلام قتل النفس ، سواء قتل الإنسان نفسه أم قتله غيره قال تعالى : ر ج چ چ چ چ چ چ  $= \frac{1}{2}$   $= \frac{1}{2}$  ، وشُنع على هذه الجريمة فاعتبر قتل نفس واحدة : بمثابة قتل الناس جميعاً ، قال تعالى : ۯؙ۫ٲۜؠٻڔٜڽ۪ۑۑ۪ۑؠؠؠؠؽڬۮۮؾؾڐڴڴڴڎڡٛڡٛڨڨڡٞڡٞڡٞڡٞڡٞۊٙڿڿ ىي ژ، ژگ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ر ، ژ گ گ گ گ گ چ ج چ ژ ، ژ

٦- أوجب القصاص في القتل العمد ، والدِّيَّة والكفارة في القتل الخطأ ، قال تعالى : ﴿ أَ رُ رُ رُّ رُّ ر ک ک ککگ گگگ گاگ گاگ کا د ناب بہبپ پیپیپین اندنات ت تت ٹٹٹٹٹ فقق ققق قققجججججججججچچچچچچچچچ ژ رُرْ ک ک ک ک گ ژ . <sup>(۹۷۲)</sup>

٧- إعلان الجهاد ضدَّ المُعتدين ؛ حفظًا للنفوس وحماية للمستضعفين ، قال تعالى : ﴿ أَ بِ بِ بِ بِ بييب بييٺٺٺٺٺٿ ٿٿڻ ٿڻڻڦڨڨڨڨڦڦڦڙر .(٩٧٤)

٨- أوجب على المسلم إنقاذ من يتعرَّض للقتل ظلماً ، أو يتعرَّض لخطر إن استطاع أن ينقذه .(٩٧٥)

٩- شرَع للإنسان أن يدفع عن نفسه إذا هاجمه من يريد الاعتداء عليه دون تحمّل أيّة مسؤوليّة إذا ماتِ المهاجم ، وثبت أنه كان يريد الاعتداء عليه ، فهو صائل لا ضمان في مقاتلته . (٢٦٥)

وأمَّا عن الصِّحة فقد يتطوّر تعريفها مع ارتقاء المستويات الاقتصاديّة والاجتماعيّة حتى أصبح كلّ ما من شأنه سلامة البدن (الجسم) والنفس والتوافق الاجتماعي ، قال تعالى : رُ وْ و و وْ وْ ي ي بِ بِ

والمراد من الحسنة ههنا منفعة الدّنيا على اختلاف أحوالها ، فمنها صحة البدن وحصول الخصب والفوز بالغنيمة والاستيلاء على الأعداء وحصول المحبة والألفة بين الأحباب والمراد بالسيئة أضدادها وهي المرض والفقر والهزيمة والانهزام من العدو وحصول التفرق بين الأقارب ، والقتل والنهب والغارة ، فبيّن تعالى أنهم يحزنون ويغتمّون بحصول نوع من أنواع الحسنة للمسلمين ويفرحون بحصول نوع من أنواع السيّئة لهم . (٩٧٨)

٩٦٧ - ينظر: المرجع نفسه: ١٥.

٩٦٨- سورة الأحزاب : ٥٨ . المرجع نفسه ، وينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٦٧١ .

٩٦٩ - سورة البقرة: ١٨٤ .

<sup>.</sup> ۱۷۹ ، ۳۳۹ ، ۱۰۱ ينظر: فتح الباري : ۱/ ۳۳۹ ، ۸/ ۱۷۹ .

<sup>9&</sup>lt;sup>٧١</sup>- سورة النساء: ٢٩.

٩٧٠- سورة المائدة: ٣٢ ، الأنعام: ١٥١ ، النساء: ٩٣ . ينظر: أحكام القرآن (للجصاص): ١٤١/٣ .

٩٧٣- سورة البقرة : ١٧٨ ، النساء : ٩٢ . ينظر: المصدر نفسه : ٤/ ٥٠ .

<sup>&</sup>lt;sup>946</sup>- سورة النساء: ٧٥. ينظر: أحكام القرآن (لابن العربي): ٢/ ٤١٧.

<sup>94° -</sup> ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: ١٧ .

٢١١/٩ - يُنظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٤/ ٢٢٣ ، ٢١/ ١٥٩ ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : ٣١١/٩ .

٩٧٧ - سورة آل عمران: ١٢٠ .

٩٧٨ - ينظر: التفسير الكبير: ٤/ ٣٦٤ ، اللباب: ٤/ ٣٠٠ .

وصحة البدن جُعلت شرط من شروط الحج في القرآن الكريم ، إذ لولاها لما يستطيع المسلم تأدية الفرض ، وإن أدّاها من غير عافية ، كانت تأديته على غير وجه الكمال في الغالب، قال تعالى :  $(a^{(4)})^{(4)}$  والاستطاعة ما يكسِبُ سلوكها ، وهي صحّة البدن ووجود القوت لمن يقدر على المَشي ومن لم يقدر على المَشي ومن لم يقدر على المَشي الاستطاعة ، وليس كما ذهب إليه بعض المفسرين والفقهاء من وهذا هو الصوّاب من تحديد معنى الاستطاعة ، وليس كما ذهب إليه بعض المفسرين والفقهاء من تخصيصها بالزاد والرّاحلة ، إذ فسرها عكرمة t بقوله : ( الاستطاعة هي : صحة البدن ، وإمكان المشي إذا لم يجد ما يركبه ) . (((a)) ) ؛ لأنَّ الصَّحيح البدن ، القادر على المشي إذا لم يجد ما يركبه يصدق عليه أنه مستطيع لذلك الفعل ، فتخصيص الاستطاعة بالزاد والرّاحلة ترك واضح لظاهر الآية يصدق عليه أنه مستطيع لذلك الفعل ، فتخصيص الاستطاعة بالزاد والرّاحلة ترك واضح لظاهر الآية

وقد حرصت التعاليم الإسلاميَّة على التنبيه على أهميّة الصّحة ، ففي الحديث الصَّحيح عن أبي هريرة  $\mathbf{t}$  قال : قال رسول الله  $\mathbf{r}$  : « المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبّ إلى اللهِ من المؤمن الضعيف ، وفي كلُّ خير ... » . (٩٨٣)

ولهذا أصبح من المتعارف عليه الآن أنّ الصّحة الجيدة مطلوبة للمجتمع كما هي مندوبة للفرد، فهي تمكن الناس من الاستمتاع بحياتهم وإنجاز ما يفيدهم ويفيد المجتمع بالتالي، ولهذا السّبب تدخل المستويات الصّحية في المعايير التي يقاس بها التقدّم وفي معايير التتمية البشريّة .

والله تعالى قد هيّأ لعباده جميع المتطلبات اللازمة والضروريّة ، لقوامة الأبدان وصحة الأجسام في هذه الحياة ؛ ليتقوّى على أداء فرائضه وطلب معاشه له ولمن يعول ، وسهل هذه المتطلبات على جميع خلقه ، حتى صار عليهم من الواجب بمكان شكر هذه النعم ، وإلا سيُسألون عنها لقوله تعالى :  $\mathring{c}$   $\mathring{r}$   $\mathring$ 

وقال آخرون : " بل معنى ذلك : ثمَّ لتسئلنَّ يومئذٍ عمّا أنعم الله به عليهم ممّا وهب لهم من السّمع والبصر وصحة البدن ، وهو قول ابن عباس والحسن البصري رضي الله عنهم . وقال غيرهم بمعنى: العافية " . (٩٨٦) وهو مُقارب لما تقدّم .

وأنكر النبيّ ٢ على تارك شكر نعمة الصنّحة فقال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصّحة والفراغ » . (٩٨٧)

وأوضح ابن بطال هذا الحديث بقوله: " إنَّ المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن ، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ، ومن شكره امتثال أو امره و اجتتاب نو اهيه ، فمن فرط في ذلك فهو المغبون ، وأشار بقوله: «كثير من الناس » إلا أنَّ الذي يوفق لذلك قليل " . (٩٨٩) ويُمكن الاستدلال على المقلين بقوله تعالى : رُّ (٩٨٩)

٩٧٩ - سورة آل عمران: ٩٧ .

٩٨٠ - ينظر: أحكام القرآن (للجصاص): ٣/ ٤٤٩ ، أحكام القرآن (لابن العربي): ٢/ ١٠٤ .

٩٨١ - التفسير الكبير : ٤/ ٣١٦ ، اللباب : ٤/ ٢٣٩ .

٩٨٢ - ينظر: اللباب: ٢٣٩.

٩٨٣- صحيح مسلم : باب : (في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله) ، برقم: (٢٦٦٤) : ٢٠٥٢/٤ .

۹۸۶ ـ سورة التكاثر : ۸ .

٩٨٠ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٦/ ٦٨٠ ، تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٧٠٤ .

٩٨٦ - ينظر: المصدران أنفسهما.

<sup>&</sup>lt;sup>۹۸۷</sup>- صحيح البخاري: باب: (ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش الأخرة) ، برقم: (٦٠٤٩): ٥/ ٢٣٥٧) ، الجامع الصحيح سنن الترمذي: باب: (الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس) ، برقم: (٢٣٠٤): ٤/ ١٣٩٦.

٩٨٨- ذكره الحافظ أبن حجر في: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١١/ ٢٣٠.

٩٨٩ - سورة سبأ : ١٣ .

هذا وقد بلور الطبُّ اليوم فكره في أنه لابد لكافة أجزاء الجسم من العمل بعضها مع بعض بصورة صحيحة من أجل المحافظة على صحة البدن . ومن مقومات الحياة الصحية الرئيسيَّة : الغذاء الصحيح الرياضة ، الرّاحة ، النوم ، النظافة ، الرّعاية الصحية ، ورعاية الإنسان ، وكلها ميسرة بأمر الله تعالى . (٩٩٠)

وتلعب الصحة النفسيَّة دوراً مهمًا في سلوكيّات الناس ومشاعرهم ، وأولئك الذين يتمتعون بأقدار معقولة من الثبات الانفعالي يستطيعون تحقيق قدر أكبر من السعادة ؛ لأنهم يتقبلون أنفسهم علما بأوجه الضعف وأوجه القوّة على حد سواء ، ويظلون أيضاً على صلة بالواقع كما يتمكنون من التعامل الرّشيد مع الضغوط ودواعي الإحباط ، كما يستطيعون التصرّف دون الاعتماد على المؤثرات الخارجية وردود الأفعال . (١٩٩١)

وفى المجتمعات المعاصرة تتولى وزارات متخصصة بالصحة المسئوليّة عن توفير عدد كبير من الخدمات الصحيّة . وتتولى مؤسسات عديدة الإسهام في تقديم الرّعاية الصحيّة ، وقد نشأت منظمة الصحة العالمية كإحدى منظمات الأمم المتحدة و لا تزال تعمل من أجل رفع المستوى الصحيّ في كافة أنحاء العالم ، وقد كان شعارها في العقدين الماضيين : الصيّحة للجميع بحلول عام ٢٠٠٠م والقرآن الكريم قد دعى إلى هذا من قبل ١٤٠٠ سنة - كما تقدّم - ، والمتتبع للدّراسات القرآنيّة ، والمقارنة بالطبّ الحديث يجد الإعجاز الكامل في ذلك وهذه الوريقات لا تسعفنا الآن بأن نتجول هذا العالم الفسيح.

# المبحث الرّابع

# دور القرآن في إصلاح حقوق المرأة

يكتسب موضوع حقوق المرأة في القرآن الكريم حيوية متزايدة ، بما يثيره من جدل حول الحقوق وممارستها ، وما يتصل بذلك من أسانيد وتأويلات ، فضلا عن مساحات تتداخل في الموضوع من عادات وتقاليد متوارثة في وقت تتسارع فيه خطى التغيرات وطبيعة التحديات .

وسمح القرآنُ للمرأة بدور فعّال في المجتمع والحياة العامّة ، ودعاها للعلم والمعرفة ، وهي تتمتع كالرّجل بحقوقها المدنيّة ومن بينها العمل والاتجار وتولي الوظائف ، كما ذكر حقوقها السياسيّة في قوله تعالى : ژكگ گ گگ گ گ رُ (٩٩٣)

٩٩٠ - ينظر: مفاهيم إسلامية: ١٩٥ .

٩٩١ - ينظر: المرجع نفسه.

٩٩٢ - سور الإسراء: ٧٠ ، آل عمران: ١٩٥ ، النساء: ٣٢ .

<sup>&</sup>lt;sup>٩٩٢</sup>- سورة التوبة: ٧١ . ينظر: العدوان على المرأة في المؤتمرات الدّوليّة: ٣٦- ٣٧ .

وجاءت أحوالها الشخصية - من أسرة وزواج وطلاق ورعاية طفل ومسئولياتها - راسخة الصيّلة بالمنظور الإسلامي للأسرة والمجتمع وتوزيع الأدوار بين الرّجل والمرأة ، لما فيه صلاح المجتمع والأمّة في إطار المساواة في القيمة والكرامة دون نظرة دونيّة ، تتأسّى على سوء الفهم أو البُعد عن المُمارسة السليمة . وقد سبق الإسلام غيره في كلّ ذلك من عدّة قرون ، إذ تأسست النظرة الإسلاميّة على مبدأ مساواة المرأة بالرّجل ، ومُراعاة الاختلاف بينهما في القدرات الطبيعيّة كما خلقها الله والتكامل بينهما لخدمة المجتمع ، وهي نظرة عميقة أبعد ما تكون عن دعاوى التهميش. وللمرأة من الحقّ مثل ما عليها من الواجبات ولها شخصيّتها المدنيّة - وفق الحدود الشرعيّة - وذمّتها الماليّة المستقلة ، وحق الاحتفاظ باسمها ونسبها ، وأنّ على الرّجل عبء الإنفاق على الأسرة ومسئوليّته ورعايتها .. (١٩٤٥)

إذ كانت المرأة تواجه حالات واقعة في الجماعة المُسلمة متخلفة من رواسب الجاهليّة ، وما كانت تلاقيه المرأة من العنت والخسف ، ممّا اقتضى هذا التشديد ، وهذا الحشد من المؤثرات النفسيّة ، ومن التفصيلات الدّقيقة ، التي لا تدع مجالاً للتلاعب والالتواء مع ما كان مستقراً في النفوس من تصورّ ات متخلفة عن عَلاقات الجنسين ، ومن تفكك وفوضى في الحياة العائليّة . (٩٩٥)

ولم يكن الحال هكذا في شبه الجزيرة وحدها ، إنما كان شائعاً في العالم كله آنذاك فكان وضع المرأة هو وضع الرّقيق أو ما هو أسوأ من الرّقيق في جنبات الأرض جميعاً ، فوق ما كان ينظر إلى العَلاقات الجنسيّة نظرة استقذار ، وإلى المرأة كأنها شيطان يغرى بهذه القذارة .

ومن هذه الوهدة العالميَّة ارتفع الإسلام بالمرأة وبالعَلاقات الزوجية إلى ذلك المستوى الرفيع الطاهر الكريم الذي سبقت الإشارة إليه . وأنشأ للمرأة ما أنشأ من القيمة والاعتبار والحقوق والضمانات وليدة لا ثواًد ولا ثهان ، ومخطوبة لا تتكح إلا بإذنها ثيبًا أو بكرا وزوجة لها حقوق الرّعاية فوق ضمانات الشريعة ، ومطلقة لها حقوقها الكاملة .. شرع القرآن هذا كله ، لا لأنَّ النساء في شبه الجزيرة أو في أيّ مكان في العالم حينذاك شعرن بأنّ مكانهن غير مرض ، ولا لأنّ شعور الرّجال كذلك قد تأذى بوضع النساء ، ولا لأنه كان هناك اتحاد نسائي عربي أو عالمي ، ولا لأنَّ المرأة دخلت دار الندوة أو مجلس الشورى ، ولا لأنّ هاتفاً واحداً في الأرض هنف بتغيير الأحوال . (٩٩٦)

إنّما كانت هي شريعة السماء للأرض ، وعدالة السماء للأرض ، وإرادة السمّاء بالأرض ، أن ترتفع الحياة البشريّة من تلك الوصمة وأن يكون للزوجين من نفس واحدة حقوق الإنسان وكرامة الإنسان .. هذا دين رفيع ، لا يعرض عنه إلا مطموس ولا يعيبه إلا منكوس ، ولا يحاربه إلا موكوس ، فإنه لا يدع شريعة الله إلى شريعة الناس إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه . (٩٩٧)

فكرَّمَ القرآنُ المرأةَ بأن جعلها مربية للأجيال ، وربط صلاح المجتمع بصلاحها ، وفرض عليها الحجاب ليدفظها من الأشرار ، ويحفظ المجتمع من سفورها ، والحجاب يُبقي المودّة والرّحمة بين الزوجين ، فالرّجل عندما يرى امرأة أجمل من زوجته تسوء العَلاقة بينهما وربما يؤدّي ذلك إلى

٩٩٤ - ينظر: مفاهيم إسلامية: ١٢٨ .

<sup>°°°-</sup> ينظر: في ظلال القرآن: ٣٥٩٨.

٩٩٦ - ينظر: في ظلال القرآن: ٣٥٩٨.

٩٩٧ - المصدر نفسه .

وقد اعترفن بهذا الحقّ والتكريم للمرأة المسلمة ، نساءٌ غربيَّاتٌ كثيراتٌ ومن بينهنَّ :

- الزعيمة العالميَّة (أني بيزانت) إذ قالت: "كثيراً ما يرد على فكري أنّ المرأة في الإسلام أكثر حريّة من غيره ، فالإسلام يحمي حقوق المرأة أكثر من الأديان الأخرى التي تحظر تعدد الزوجات ، وتعاليم الإسلام بالنسبة للمرأة أكثر عدالة ، وأضمن لحريّتها ، فبينما لم تنل المرأة حق الملكيّة في إنكلترا إلا منذ عشرين سنة فقط، فإننا نجد أنّ الإسلام قد أثبت لها هذا الحق منذ اللحظة الأولى ، وإنّ من الافتراء أن يقال: إنّ الإسلام يعتبر النساء مجرّدات من الرّوح". (٩٩٩)
- وقالت أيضاً: " متى وزنا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أنّ تعدّد الزوجات الإسلامي الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء ، أرجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرّجل امرأة لمحض إشباع شهواته ، ثمّ يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره " . (١٠٠٠)
- وتقول المستشرقة (فرانسواز ساجان): " أيتها المرأة الشرقيّة إنّ الذين ينادون باسمك ويدعون إلى مساواتك بالرّجل إنهم يضحكون عليك ، فقد ضحكوا علينا من قبلك " .(١٠٠١)

### المبحث الخامس

## أثر القرآن في إصلاح المساواة بين الرَّجل والمرأة

وقد تضمَّن هذا الإحياء الإسلامي إخراج الذين اهتدوا بالإسلام من الظلمات إلى النور، وكذلك تحرير الإنسان المسلم ممّا كان يثقل ظهره ويُقيّد خطوه ويشلّ طاقاته من القيود والأصفاد ، فالتحرير

٩٩٨ - سورة الأحزاب: ٥٩ .

٩٩٩ - توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع: ١٤٥.

١٠٠٠ - المرجع نفسه: ١٤٦ .

١٠٠١ - توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع: ١٤٥ .

١٠٠٢ - سورة الأنفال : ٢٤ .

وقد توجّه هذا التحرير إلى الإنسان المسلم من حيث كونه أنسانا ، رجلا كان أو امرأة هذا الإنسان فكانت نظرة الإسلام الله الرجل والمرأة باعتبارهما: الإنسان المسلم ، الذي يتوجّه إليه الإسلام بالإحياء والتحرير ، يتساويان في ذلك مساواة الأعضاء في البدن الواحد ، وفي هذه النظرة بداية خيط فلسفة الإسلام ومنهجه في عَلاقة الرّجل بالمرأة ، وموقف المرأة من الرّجل ، وما عرف واشتهر باتحرير المرأة) . (١٠٠٠)

إنَّ المُساواة بين المرأة والرجل في الإنسانية ، هي حقيقة موضوعيّة تدركها كلّ العقول والحواس وإنَّ المُساواة بينهما في التكاليف من عقل وقدرات منحها الله تعالى لكلّ منهما وركبها فيه، هي ممّا أجمع عليها ويجمع الناظرون في فكر الإسلام . لكنَّ هذه المساواة التي قرّرها الإسلام بين الرّجل والمرأة والتي جعلت منهما عضوين في بدن واحد هو بدن الإنسان المسلم ، قد اعترفت بالواقع الطبيعي المتمثل في تمييز المرأة بالأنوثة ، والرّجل بالذكورة ، وبما لهذا التمييز من حكمة استهدفت تكاملهما كما يتكامل الشقان المكونان للشيء الواحد فتجتمع لهما: المساواة ، والتكامل في ذات الوقت ، مميّزة تساويهما عن تساوي الأنداد ، فكما تتساوى أعضاء البدن الواحد في عضويّته ، مع تميّز كلِّ منهما عن الآخر ، كذلك الحال في عَلاقة المرأة بالرّجل : المساواة ، مع التميّز ، دونما تناقض بينهما (١٠٠٠)

وإذا كان تميز الرجل درجة - هي القوامة في بعض الميادين - هو الثمرة لتميز طبيعة الرجولة عن طبيعة الأنوثة ، استهدافا للتكامل المحقق لاستمرار النوع وتحقيق الستعادة لأبنائه ، إذا كان ذلك هو لب الإضافة التي أنجزها الإسلام في عَلاقة المرأة بالرجل ، ووضع كلّ منهما بالنسبة للآخر ، فإنّ المساواة بينهما في الإنسانيّة حقوقا وواجبات ، وفي التكاليف الإسلامية - هي فكر الإسلام ، الذي جاء ليطور وضع المرأة ويحررها من القيود الاجتماعيّة والاقتصاديّة والعرفيّة التي حملت من أثقالها -لأسباب تاريخيّة - أكثر وأثقل ممّا حمل الرجال ، بل لا نغالي إذا قلنا إنّ المرأة المسلمة - في عصر البعثة - قد مثلت بجهادها في سبيل حريّتها وتحريرها الواقع الذي مثل علامات الاستفهام التي جاء الوحي الإلهي بتحريرها ؟ كي يجيب عليها ويستجيب للمشروع العادل منها . (١٠٠١)

.. فكان تقرير الآية القرآنيَّة المساواة - بالنصِّ لفظاً - والمقصود من أصحاب هذه الأوصاف المذكورة النساء ، وأمّا ذكر الرّجال فللإشارة إلى أنّ الصنفين في هذه الشرائع سواء ليعلموا أنّ

١٠٠٣ - سورة الأعراف : ١٥٧ .

<sup>····</sup> ينظر: معالم المنهج الإسلامي: ١٥١ .

١٠٠٠- معالم المنهج الإسلامي: ١٥١.

١٠٠٦ - المصدر نفسه: ١٥٢ .

 $<sup>^{1.1}</sup>$ - من حدیث عکرمة عن أم عمارة الأنصاریة : باب: (ومن سورة الأحزاب) ، رقم الحدیث: ( $^{8}$ 1) :  $^{9}$ 6 . وقال عنه : (حدیث حسن غریب) .

١٠٠٨ - سورة الأحزاب: ٣٥.

الشريعة لا تختص بالرجال ، لا كما كان معظم شريعة التوراة خاصاً بالرجال إلا الأحكام التي لا تتصور في غير النساء ، فشريعة الإسلام بعكس ذلك الأصل في شرائعها أن تعم الرجال والنساء إلا ما نص على تخصيصه بأحد الصنفين .. ولعل بهذه الآية وأمثالها نقرر أصل التسوية فأغنى عن التنبيه عليه في معظم أقوال القرآن والسنة ولعل هذا هو وجه تعدد الصقات المذكورة ؛ لئلا يتوهم التسوية في خصوص صفة واحدة ، وسلك مسلك الإطناب في تعداد الأوصاف ؛ لأن المقام لزيادة البيان لاختلاف أفهام الناس في ذلك على أن في هذا التعداد إيماء إلى أصول التشريع . (١٠٠٩) والإسلام قد جعل المساواة بين الرجل والمرأة في الأجر والمثوبة . وإذا كان تمايز قدرات المرأة عن الرجل قد ارتكزت إلى تمايز طبيعة الأنوثة عن طبيعة الذكورة ، فإن الرسالة الخاتمة قد تركت آفاق الميادين التي تستطيع المرأة إجادة أعمالها لتطور ما لديها من طاقات وقدرات ، تركت هذه الأفاق مفتوحة ، منبّهة فقط على ضرورة الاتساق بين الطبيعة وما تؤهل له من أعمال استهدافا للحفاظ على

فلسفة التكامل بين المرأة والرّجل ، واتقاء خطر النّديّة المنافي لحكمة الله تعالى من خلق الإنسان ذكراً

وإذا كان الإسلام قد تميّز بهذا الوضوح في تقرير المُساواة بين الرّجل والمرأة في الإنسانيّة وفي التكاليف حقوقاً وواجبات وحساباً وجزاءً - وفي حصر التمايز بما يقتضيه تميز الأنوثة عن الذكورة وفي كلّ منها امتياز لجنسه يحرص على الحفاظ عليه العقلاء ؛ لأنه قاعدة وسرّ تكاملها ، المحقق لسعادتها جميعاً ، فإنّ وضوح هذا الموقف الإسلامي قد ازداد عندما تجسد فكره هذا في التجربة الإسلاميّة الأولى ، فلم يعد مجرد فكر نظري ، وإنما غدا واقعاً يحياه الرّجال والنساء .

١٠٠٩- ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٣٣٥٤/١.

١٠١٠- ينظر: معالم المنهج الإسلامي: ١٥٤.

١٠١١- سورة النساء : ٣٤ .

مسلم: باب: (فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرقيق وقوله عبدي وأمتي) ، برقم: (٢٤١٦): ٢/ ٩٠١، صحيح مسلم: باب: (فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم) ، برقم: (١٨٢٩): ٣/ ١٤٥، سنن ابي داود: باب: (ما يلزم الإمام من حق الرعية) ، برقم: (٢٩٢٨): ٢/ ١٤٥، سنن الترمذي: باب: (ما جاء في الإمام) برقم: (١٧٠٥): ٤/ ٢٠٨، مسند أحمد: برقم: (٥١٦٧): ٢/ ٥٤. وكلهم من حديث عبد الله بن عمر ٧.

فبيعة العقبة التي هي عقد تأسيس الدّولة الإسلاميّة الأولى ، قد شاركت فيها امرأتان هما: أم عمارة نسيبة الأنصاريّة ، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي (١٠١٣) ، فكان للمرأة المسلمة نصيب في الولاية السيّاسيّة منذ ذلك التأريخ .

وفي بيعة الرّضوان تحت الشجرة ، والتي كانت على الحرب والقتال ، شاركت النساء ، بل شملهن مع الرّجال ، قوله تعالى  $\ref{constraint}$   $\ref{con$ 

إنَّ دور خديجة بنت خويلد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته ، ودور عائشة بنت أبي بكر الصِّديق في الدّين والدّنيا ، ودور أسماء بنت أبي بكر في رحلة الهجرة -هجرة النبيّ وأبي بكر ودور الصَّدابيَّات اللواتي ملأت تراجمهن مجلدات .. إنّ هذا ليترجم عن واقع جسد فكر الإسلام في هذا المبدان . (١٠١٦)

وإذا كنا لا ننكر - بل نبرز - أنّ تأريخنا الاجتماعي قد سادت في كثير من حقبه معالم (واقع) تنكر للكثير من (المثل) التي جاء بها الإسلام في العَلاقة الجامعة والمميزة بين الرّجل والمرأة ، حتى أصاب المرأة المسلمة من المظالم أكثر ممّا أصاب الرّجال ، وحملت من القيود أثقل ممّا حمل الرّجل الأمر الذي جعل ويجعل حريّتها وتحريرها واحدة من مهام الإسلاميّين ، إذا كنا لا ننكر ذلك - بل نبرزه وننبّه إليه وندعوا له - فإننا ننكر ونستنكر أن يتبنى المسلمون المناهج غير الإسلاميّة في فلسفة تحرير المرأة .(١٠١٧)

فالإسلام الذي قام على مساواة الرجل والمرأة في الإنسانية وتكاملها في وظائف الحياة يرفض مساواة الأنداد ، التي سادت الدّعوة إليها في إطار الحِضارة الغربيّة ، وفي فكر وواقع التغريب ببلادنا الإسلاميَّة ، فلا الرّجل السوي يسعده تساويه بالمرأة كأنثى ، ولا المرأة السوية يسعدها مساواتها بالرّجل في الرّجولة ، ومن هنا تميزت وتتميّز في الإسلام فلسفة التحرير الإسلامي للمرأة بالانطلاق من الوسطيّة الجامعة والمميزة في ذات الوقت بينهما ، كشقين متكاملين ومتساويين، فمع التساوي في الإنسانيّة تتمايز الطبيعة ، من حيث الأنوثة والذكورة ، تمايز وظيفة ودرجة ، لا تمايز سيطرة واستبداد وخضوع!! .

وإذا كانت فلسفة (التحرير) التي اعتمدت تماثل الندية ، قد جعلت صورة المرأة المتحرّرة في المجتمعات التي طبقت تلك الفلسفة ، هي صورة : المسترجلة الإسبرطية ، أو الغانية الرّومانسية ، أو إعلان السلّعة وسلعة الإعلان الرّأسماليَّة ، فإنّ الإسلام في هذا المقام يقول لنا : نعم لتحرير المرأة، لكن ليس هذا هو نموذج التحرير!! . (١٠١٨)

١٠١٣- ينظر: الدرر في اختصار المغازي والسير: لابن عبد البر : ٧٩.

١٠١٤- سورة الفتح: ١٨.

١٠١٥- ينظر في تفاصيل ذلك إلى كتاب: الإسلام والمستقبل: ١٩٣- ٢١٨.

١٠١٦- ينظر: الُّغزو الفكري .. وهم أم حقيقة : ١٧٩.

١٠١٧- ينظر: المرجع نفسه.

١٠١٨- ينظر: معالم المنهج الإسلامي: ١٥٧.

### المبحث السادس

## دعوة القرآن إلى تطور المجتمع حضارياً

إنَّ من آثار القرآن العظيم في المجتمع المسلم نقرير مفهوم الإنسان وأصله ومبدئه وحقيقته وحقوقه وواجباته ، وكيف يبني حضارته على وجه هذه الأرض وما ضوابطها . ولا شكّ أنّ للقرآن العظيم منهجه المتميّز في ذلك ، وله وسائله وأساليبه وطرقه في تقرير تلك الحقائق والأمور .

وبنظرة إلى حالة العرب ، بل وإلى المجتمعات الإنسانية قبل نزول القرآن الكريم تتضح مدى ما كانت تعانيه من إهدار لكرامة الإنسان ، ووأد له ، ومصادرة لحقوقه ، بل وجعله من ضمن المتاع الذي يورث. ولا يبعد عن ذلك ما تعانيه البشرية اليوم في كثير من مجتمعاتها - التي لم تهتد بكتاب الله تعالى - من انحراف في فهم الوجود الإنساني ، ومن تضييع لكرامته ونتيجة لذلك حاولت تلك الأمم أن تقرر شيئا من حقوق الإنسان فاجتمعت وأصدرت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر في عام ١٩٤٨م . (١٠١٩)

والتساؤل: هل كان لذلك القانون أثر في حفظ الكرامة الإنسانيَّة في العالم المعاصر اليوم ؟ وهل كفل للإنسانيَّة المعذبة الحياة اللائقة بها ؟ بل هل كفل لها أدنى متطلبات الإنسان ؟

والجواب عن ذلك : أنَّ الحالة السَّيَّئة التي تعيشها الإنسانيّة اليوم وفي ظلّ تلك القوانين والأعراف نتبئ عن حالها ، وإنّ الواقع المشاهد المحسوس يغني عن كثير من الكلام .(١٠٢٠)

أمًّا كتاب الله تعالى فله الأثر العظيم البالغ في تقرير حقوق الإنسان ، وهو ما طبقه المسلمون واقعًا في تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبيئًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : رُ وُ و و وُ وَ ي تاريخهم وحاضرهم لا العربي الله تعالى المناطقة القريم الله تعالى التكريم الإلهي لهذا المناطقة المناطقة المناطقة القريم الله تعالى الله تعالى المناطقة المناطقة

١٠١٩- ينظر: العلاقة الإنسانية في القرآن الكريم: ١٤.

١٠٢٠ - ينظر: الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين: ٨٩.

١٠٢١ - سورة الحجر: ٢٨ - ٢٩ .

۱۰۲۲ - سورة الذاريات: ۲۱ .

١١٨/١ ينظر: البحر المحيط: ١١٨/١ .

وفي مجال مسؤوليَّة الإنسان عن نفسه وعمله ، يقول تعالى : رَّ (1.71) وپقول : ژی ی ی ی ی

فكلّ فرد يحمل همَّ نفسه وتبعتها ، ويضع نفسه حيث شاء أن يضعها ، يتقدّم بها أو يتأخر ويُكرمها أو يُهينها ، فهي رهينة بما تكسب ، مقيّدة بما تفعل .. وقد بيّنَ الله للنفوس طريقة لتسلك إليه على بصيرة وهو إعلان في مواجهة المشاهد الكونيّة الموحية .(١٠٢٥)

ژ ،

وفي مجال المساواة الحقيقيَّة بين البشر ، يقول الله تعالى : ر ج ج ج ج ج چ چ چ چ چ د د د ت تَذْ ذُ ذُ لَا رُ رُ رُ رِ . . وقد تقدّم الكلام في تفصيل هذا المجال ، ولا داعي لتكراره هنا .

إذن فالأمم سواء ، والناس سواء كلهم من آدم ، وآدم من تراب، فعن جابر بن عبد الله  $\mathbf{t}$  قال : خطبنا رسول الله r في وسط أيّام التشريق خطبة الوداع فقال : « يا أيها الناس إنّ ربكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عربيٌّ ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر ، إلا بالتقوى : رُجٍ دِدِ دَدُرُ ... » . (١٠٢٦)

ولم يبخل الصّحابة الأجلاء بما عندهم من دين وعلم وتهذيب على أحد ، ولم يراعوا في الحكم والإمارة والفضل نسباً ولوناً ووطناً ، بل كانوا سحابة انتظمت البلاد وعمّت العباد وغوادي مزنة أثني عليها السّهل والوعر ، وانتفعت بها البلاد والعباد على قدر قبولها وصلاحها . في ظل هؤلاء وتحت حكمهم استطاعت الأمم والشعوب حتى المضطهدة منها في القديم أن تتال نصيبها من الدّين والعلم والتهذيب والحكومة ، وأن تساهم العرب في بناء العالم الجديد ، بل إنّ كثيرًا من أفرادها فاقوا العرب في بعض الفضائل ، وكان منهم أئمّة هم تيجان مفارق العرب وسادة المسلمين من الأئمّة و الفقهاء و المحدّثين . (١٠٢٧)

إلى غير ذلك من الحقوق الإنسانيّة التي أقرّها القرآن الكريم للإنسان والتي عجزت النظم الوضعيّة عن مجاراتها أو الإتيان بمثلها . كما قرَّرَ القرآنُ الكريمُ أنَّ الحضارة الإنسانيَّة ينبغي أن تؤسَّسَ على تقوى وهدى من الله تعالى ، وأن تكون وفق منهج الله تعالى ومراده لا للمباهاة أو المراءاة أو البطر والأشر . (١٠٢٨)

قال تعالى حكاية عن هود U مع قومه وتذكيره لهم : ژ ې ې ې ې ې

رُ .(١٠٢٩) أنكرَ عليهم الترف في البُنيان لمجرّد التباهي بالمقدرة ، والإعلان عن الثراء والتكاثر والاستطالة في البناء ، ويُنكر غرورهم بما يقدرون عليه من أمر هذه الدّنيا ، وما يسخرونه فيها من القوى وغفاتهم عن تقوى الله ورقابته : ر ي ي ب ب ژ والرِّيع : المرتفع من الأرض ، والظاهر أنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنيانا يبدو للناظر من بعد كأنه علامة وأنَّ القصد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة ، ومن ثمَّ سمَّاه عبثًا ولو كان لهداية المارّة ، ومعرفة الاتجاه ما قال لهم: رث فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد وتنفق البراعة ، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع ، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة، لذا: رث

176

١٠٢٤ - سورة المدثر: ٣٨ ، النجم: ٣٨ - ٣٩ .

١٠٢٥- ينظر: في ظلال القرآن: ٣٧٦١.

١٠٢٦ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : فصل: (ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالأباء وخصوصا بالجاهلية والتعظيم) برقم:

<sup>. 179/5: (0177)</sup> - ينظر: في ظلال القرآن: ٣٩٧٠.

١٠٢٨ - الدعوة إلَّى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين: ٩٠.

١٠٢٩ - سورة الشعراء: ١٢٨ - ١٣١ .

ر إنَّ عاداً كانت قد بلغت من الحضارة الصناعيّة مبلغاً يذكر ؟ حتى لتتخذ المصانع لنحت الجبال وبناء القصور وتشييد العلامات على المرتفعات وحتى ليجول في خاطر القوم أنّ هذه المصانع وما ينشئونه بوساطتها من البيان كافية لحمايتهم من الموت، ووقايتهم من مؤثرات الجو ومن غارات الأعداء .. ويمضي هود في استنكار ما عليه قومه : ر وهم عتاة غلاظ ، يتجبّرون حين يبطشون و لا يتحرّجون من القسوة في البطش ، شأنهم شأن المتجبّرين المعتزين بالقوّة الماديّة التي يملكون . وهنا يردّهم إلى تقوى الله وطاعة رسوله ؛ لينهاهم من هذه الغلظة الباطشة المحتبرة : ر ويُذكرهم نعمة الله عليهم بما يستمتعون به ويتطاولون ويتجبّرون ، وكان الأجدر بهم أن يتذكروا فيشكروا ، ويخشوا أن يسلبهم ما أعطاهم ، وأن يعاقبهم على ما أسرفوا في العبث والبطش والبطر الذميم . (١٠٣٠)

ثمّ .. رُّ عَى عَ رُّ (۱۰۳۱) إنها ذات الدّعوة بألفاظها يدعوها كلّ رسول ، ويوحّد القرآن عن قصد حكاية العبارة التي يلقيها كلّ رسول على قومه للدلالة على وحدة الرّسالة جوهراً ومنهجاً في أصلها الواحد الذي تقوم عليه ، وهو الإيمان بالله وتقواه، وطاعة الرّسول الآتي من عند الله .(١٠٣٢)

وقبل أن نودِّعَ هذا الموضوع يجب علينا أن نعي جيّدا أنّ الحضارة الماديّة المُعاصرة تحمل بين طيّاتها جراثيم دمارها ونهايتها ، وإننا إن لم نحتط أشدّ الحيطة لهذه الجراثيم فإنّ طوفان الدّمار سيأخذنا معه .

فالحُريَّة بغير حدود وقيود ، والنفعيّة الماديّة التي قامت عليها فلسفة الحضارة الماديّة الغربيّة شجعت ألوان الفساد كله ، ودمّرت نفسيّة الإنسان الغربي وحياته ، وجعلته يعيش عيشة الحيوان بل أحط فالشذوذ الجنسي قد بلغ معدّلات وبائية ، وما هو أحط من ذلك وهو اغتصاب الأطفال من ذويهم وتعاطي المخدّرات الذي بلغ إلى الأطفال في سنّ التاسعة وملايين المدمنين والذين دمّرتهم الخمر وارتباط الإنسان بعجلة الإنتاج ودوّامة الربّا والدّين وعبوديّة الإنسان للمادّة والآلة وامتلاكها له . وليس بالعكس ، والرّكض اللاهث خلف سراب السّعادة والمنفعة واللذة دون إحساس بهدف الحياة وغاية الخلق ، ونهاية المطاف ؛ كلّ ذلك خلف الانهيار النفسي والعاطفي ، وخلق هروباً جماعياً إلى الأديان الخرافيّة ، والإيمان بالخز عبلات والترّهات ، وكلّ هذا وغيره سيسرع بانهيار هذه الحضارة الذائفة. (١٠٣٣)

ولهذا الكلام حادثة شهيرة قد حدثت في نيويورك عام ١٩٧٠م، يوم أطفئت الكهرباء عن المدينة ليلة واحدة فقط، فكان حصيلة ذلك أن خرج من في المدينة للسلب والنهب، حتى إنه نهبت مخازن تجارية إلى آخر شيء فيها، والعجب أنه تبيّن أنّ جميع الأعمار رجالا ونساءً قد اشتركوا في ذلك وأنّ خمسا وعشرين ألف شرطي كانوا مكلفين بحراسة المدينة لم يداوم منهم أحد، بل اشتركوا في النهب (١٠٣٤)

إنَّ هذه الحادثة تفيدنا أنَّ إنسان هذه الحضارة إنسان متوحش مهزوم من داخله وأنّ الذي يقيمه هو قوّة القانون لا قوّة الأخلاق . ومثل هذا المجتمع الذي يفترس فيه الأب صغاره عندما يكون في أمان من

١٠٣٠ - ينظر: في ظلال القرآن: ٢٦١٠.

١٠٣١ - سورة الشعراء : ١٣٢ .

١٠٣٢ - ينظَّر: تفسير اللباب: ١٢/ ٢٦٠ ، في ظلال القرآن: ٢٦١٠ .

١٠٣٢ - ينظر: توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح في الوطن العربي : ٤

١٠٣٤ - المرجع نفسه.

القانون واستناد إلى حاجة الابن الصنّغير والبنت الصنّغيرة إلى المأوى والطعام والشراب ، مثل هذا المجتمع لا شكّ أنه سينهار ويدمّر نفسه عند انقطاع أوّل خط من الخيوط التي تربط بين عناصره . (١٠٣٥) فمن الواجب بمكان أن لا نربط حضارتنا العظيمة بمثل هذه الحضارة العمياء ، وعلينا أن نأخذ منها انتقائيّا حكيما ، وأن نستقلّ بأنفسنا في سفينتنا الخاصنة إذ القرآن الكريم قد رسم لنا منهجا واضحاً في حياتنا ، وبيّن لنا كلّ ما يهمنّا ، وما ينبغي أن نسير عليه ونبني عليه عكلقاتنا وحضارتنا ، فهو منهج متميّز يثمر بحق عن كلّ خير وفضل للإنسانية جمعاء .

### المبحث السابع

# أثر القرآن الكريم في إصلاح حقيقة التغيير

ونعني بالتغيير هنا ما كان اجتماعيّاً والذي يُمكننا أن نعرّفه بأنه : إحداث شيء في المجتمع لم يكن موجوداً من قبل . (١٠٣٦) والتغيير يقال على وجهين ..

أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته يقال : غيّر داره إذا بناها غير الذي كان .

وثانيهما: لتبديله بغيره نحو غيّرت غلامي ودابتي ، أبدلتها بغيرهما نحو : ژ هـ هـ ے ے ۓ ۓ ۔ ڬٛ ڬٛ ػٛػُو ژ . (١٠٣٧)

قال الطبري: " رُ هُ هِ ے ے ئے ۔ رُ من عافیة ونعمة ، فیزیل ذلك عنهم ویهلکهم رُ كُ كُ كُورُ من ذلك بظلم بعضهم بعضاً واعتداء بعضهم على بعض فتحلّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره " .(١٠٢٨)

ويُلاحظ في التعبير بلفظة (التغيير): عمل الغير، أمَّا إن أردنا أن ننبّه إلى حالة الشيء المتغيّر فالأليق أن نعبّر بالتغيّر، فهو: انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى .(١٠٣٩)

وكثيراً ما يترادف مفهوم (التغيير الاجتماعي) مع مصطلحات : النهضة ، واليقظة ، والتطور ، والنمو والإصلاح ، والتقدّم ، وهي مفردات شاعت لدى روّاد الفكر والإصلاح العرب والمسلمين في العصر الحديث ، فاستخدام هذه الكلمات يتضمّن معنى واحداً وهو الصيّغة الإراديّة للتغيير . والتغيير الاجتماعي له عناصر لا يتمّ إلا بها ، وهي : الأشخاص ، والأشياء والأفكار . فالتغيير يقوم على متابعة تحليلية لحركة هذه العناصر في إطار الحياة الاجتماعيّة للإنسان ، ولا يخفي ارتباط هذه العناصر ببعضها ارتباط وثيقاً وإن شكلت الأفكار في عملية التغيير الاجتماعي العنصر ذا الأهميّة البالغة ، فأيّ عمل فرديّ أو جماعيّ لا يمكنه التحرك دون توجيه منها ، وهي تؤثر في المجتمع إمّا كعوامل نهوض ، وإمّا كعوامل تعوق التحرك والنمو الاجتماعي . (١٠٤٠)

ورؤية القرآن في (التغيير) لا تقف عند تغيير ما بظواهر الأحياء والأشياء ؛ لأنَّ هذا النوع لا يعدو أن يكون تبدلاً من حال إلى حال ، ومن مظهر إلى مظهر يأتي اللاحق فينسخ السّابق .

<sup>- &#</sup>x27;۱۰۳ - ينظر: توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح: ٤.

۱۰۳۱ - ينظر: التعريفات: ۸۷ .

١٩١٠ - سورة الرّعد: ١١. ينظر: مفردات القرآن: ١٠٧٨، التوقيف على مهمّات التعاريف: ١٩١

١٠٣٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٥٠/٧.

١٠٣٩ - ينظر: التعريفات: ٨٧ .

١٠٤٠ - ينظر: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي: ١١٠٠ .

أمًّا التغيير الحقّ فهو بعض سنن الله في الآفاق وفي الأنفس ، والتي قوامها تغيير ما بالنفس أي التغيير الدّاخلي لنفس الإنسان ، وهو ما يتمّ عادة بتغيير الفكر الذي يتمّ معه تغيير السّلوك ، وتقاس به أحوال الأقوام والأمم بين الضعف والقوّة وبين السّقوط والنهوض .(١٠٤١)

وهذا ما قرره القرآنُ في قوله: ثراً بببببببببببببببببببببببهم ذنت تقرر المنافق وكذلك في الآية المذكورة آنفا. فإنه من جانب يُقرر عدله سبحانه في معاملة عباده؛ فلا يسلبهم نعمة وهبهم الآية المذكورة آنفا. فإنه من جانب يُقرر عدله سبحانه في معاملة عباده؛ فلا يسلبهم نعمة وهبهم الآياه! للابعد أن يغيّروا نواياهم، ويبدّلوا سلوكهم، ويقلبوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغيّر ما بهم ممّا أعطاهم إيّاه؛ للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يقدروها ولم يشكروها. ومن جانب آخر يكرم هذا الإنسان المخلوق الإنساني أكبر تكريم، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله، ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنيًا على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم. ومن جانب ثالث يلقي تبعة عظيمة -تقابل التكريم العظيم - على هذا الكائن فهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه ويملك أن يزيد عليها، إذا هو عرف فشكر ؛ كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه (١٠٤٠)

وهذه الحقيقة الكبيرة تمثل جانباً من جوانب التصوّر الإسلامي لحقيقة الإنسان ، وعَلاقة قدر الله به في هذا الوجود ، وعَلاقته هو بهذا الكون وما يجري فيه .

ففي ضوء هذه السُنَّة القرآنيَّة التي قِوامها الالتزام بمنهج الله أو البُعد عنه : تسير مصائر الأفراد والأمم بين الازدهار والانكسار .

## المبحث الثامن

## صلاح الفرد بصلاح المجتمع

إنَّ الإنسان يولد مزوّداً باستعدادات كثيرة ، لكن هذه الاستعدادات ستظلّ عبارة عن إمكانات غير مرئيّةٍ والمجتمع الذي يعيش فيه هو الذي سيُخرج تلك الإمكانات إلى حيّز الوجود والتحقيق وسيمنح

١٠٤١ - ينظر: مفاهيم إسلامية: ١٥.

١٠٤٢ - سورة الأنفال: ٥٣ - ٥٤ .

١٠٤٢ - ينظّر: في ظلال القرآن: ١٥٣٦ - ١٥٣٧ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٣٢٤ .

الله عمران : ١٨٢ . عمران : ١٨٢ .

١٠٤٥ - سورة الأنفال: ٥٣ - ٥٤ . ينظر: في ظلال القرآن: ١٥٣٦ .

المجتمع لأعضائه الجدد أكثر خصائصه ، وسيجعلهم يعانون - بمقدار ما - من كلّ أشكال المعاناة التي يلاقيها ودرجة الفاعلية والرّقي التي يتمتع بها المجتمع هي التي ستحدد ما سيتفتح من تلك الملكات ، وما سيظلّ حبيساً ...

ولعنا نستجلي في هذه المسألة الهامَّة الأفكار الآتية (١٠٤٦):

أ- نستطيع القول: إنَّ ما نتمتع به من خصائص وإمكانات يتوقف في أدائه على الوسط الذي تعمل فيه فهذا الوسط هو الذي سيعلي من أهميّتها وقيمتها ، أو سيحكم عليها بالضآلة وعدم الكفاية تماماً كما يحدث لمن معه نقود ، ويريد التسوّق ، فإن أسعار السوّق هي التي ستحكم على قيمة ما معه، فرب مبلغ ضئيل تشتري به في بلد فقير أشياء كثيرة ، فإذا ذهبت به إلى بلد آخر لم يكفك لتناول وجبة طعام!!

والوسط الصَّالح لفاعلية المرء وحركته هو ذلك الوسط المثالي الذي لا يعد العيش فيه سهلا ولا عسيرا إلى درجة إمكانات الإنسان وإعاقة حركته ، حين يكون الوسط سهلاً فإنّ الإنسان يتهل، ويفقد حوافز الارتقاء ، وقد يكون من أسباب تخلف السواد الأعظم من دول أفريقية أنّ مقوّمات البقاء ظلت - إلى زمن قريب- متوفرة فيها بأدنى جهد مُمكن ، ممّا شكل داعيا إلى الكسل والتراخى.

ويذكر في مقابل هذا المناخ والوسط الذي يعيش فيه (الأسكيمو) فإنَّ الصَّعوبة البالغة التي يواجهها من يعيش في المناطق الجليدية قد استهلكت كلّ طاقاتهم في سبيل المُحافظة على البقاء، وحالت دون تمكنهم من تطوير أي نظام ثقافي أو اجتماعي أو سياسي، فالضروريات تحول دون الوصول إلى الكماليات ما لم يتمّ إشباعها وتلبيتها .

ب- إذا كان المناخ العام على هذه الدرجة من الأهميّة وجب علينا أن نوقن أنّ مجرد دعوة الناس للاستقامة والعمل والتمسك بأهداف الفضيلة سيكون محدود الفائدة ما لم تتجه الجهود لتهيئة الظروف المحيطة بالفرد المسلم . وقد طرحت أفكار إصلاحيّة كثيرة خلال القرنين الماضيين وألقيت مواعظ أيضاً كثيرة ، لكنّ الأفكار الإصلاحيّة كانت تفتقر دائماً إلى السياسات والآليات والبرامج التي تحيلها إلى واقع معاش ، ومن ثمّ فإننا ما زلنا نشعر أننا ما فتئنا نردد ما قيل قبل قرنين عن الدّاء والدواء والمشكلات والحلول .

والوسط المثالي أو الذهبي - كما يقول توينبي - لا يشهد تحسناً في أكثر بلدان العالم الإسلامي ، بل يشهد في بعضها نوعاً من التراجع ، فتكاليف التعليم والتدريب والمعيشة والصّحة في ازدياد مستمر وبنسب عالية لا تتواءم مع ارتفاع الأجور ، كما أنّ فرص العمل تتراجع ، وأجور المساكن وأثمانها في ارتفاع مستمر ، ممّا أوجد حالة من الإحباط الشديد في نفوس الأجيال الجديدة . والتعاطف والتبادل والشفافية الاجتماعية والسياسية ، لا تشهد التحسن المأمول ، وهذا عمق الشعور بالاغتراب والتأزم .

وفي هذه الأجواء ينتشر الجهل والفساد والعنف والشعور باليأس وتصبح الأرض التي تبذر فيها بذور الخير غير صالحة للإنبات ، ومن ثمّ فإنه لا مناص من الرّؤية الشاملة ، والعمل على الأصعدة كافة من أجل تحسين المناخ العام إذا ما أريد للجهود الدّعوية أن تؤتي ثمارها .(١٠٤٧)

ج- حين تبذل جهود مباركة في تحسين الوسط المعيشي والاجتماعي ، وتصيب تلك الجهود شيئا من النجاح ، فإنّ الجماعات الدعوية ستستفيد من ذلك في الرّقي بأعضائها وأحوالها المختلفة ، وقد أثبتت

١٠٤٦ - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٦ ، مشكلة الثقافة : مالك بن نبي : ٦٣ .

١٠٤٧ - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٧ ، مشكلة الثقافة : ٦٣ .

التجربة أنّ أيّة جماعة لا تستطيع أن تتجاوز كثيرا السقف الحضاري الذي يحدده المجتمع الذي تعيش فيه ، ومن ثمّ فإننا نرى كثيرا من الأمراض الاجتماعية موجودة لدى بعض الجماعات الإسلاميّة وهذا أمر طبيعي ومفهوم . إنّ الذين يستطيعون تجاوز وضعية مجتمعاتهم إلى الحد الأقصى أندر من النادر وهم بمثابة الشذوذ الذي يؤكد القاعدة ، إذا استطاع أولئك النوابغ توليد بعض الأفكار الفذة فإنّ مجتمعهم يظلّ عاجزاً عن الاستفادة منها ؛ لأنّ المجتمع يحتاج إلى نوع من الأهلية والاستعداد ، وقد لا حظ الأستاذ مالك بن نبي - رحمه الله - أنّ أفكار ابن خلدون لم تؤد إلى أيّ تقدم اجتماعي في عصره ؛ لأنّ صلتها بالوسط الاجتماعي معدومة .

فتحسين المناخ العام ، هو تحسين مباشر لأحوال الجماعات الدّعوية ، وتدهوره لا بد أن ينعكس عليها بصورة من الصور .

د- إنَّ هناك ميادين كثيرة مازالت بكرا ، ولم تبذل فيها جهود إصلاحيّة ذات قيمة ، مثل مجالات البحث العلمي والاجتماعي والتدريب الفني والدِّراسات التي تتعلق بالبيئة والتلوث والمرافق العامَّة والموارد الأوليّة والاقتصادية في الاستهلاك والبطالة وضمن حقوق المواطن والدّفاع عن الضعيف والمسكين .

هذه القضايا وأخرى ، تشكل ركائز هامّة في تشكيل المناخ الحِضاري ، ونحن ما زلنا نشاهد نوعاً من العزوف عن خوض غمارها ، فهل نحن لا نعرف ماذا نريد ؟! .(١٠٤٨)

وأكبر دليل على صدق هذا القول إنّ المجتمعات الإسلامية من أفقر مجتمعات الأرض بالهيئات والمنظمات والمؤسسات التي تعني بهذه القضايا ، مع أنّ بعضها لا يحتاج إلى أيّة إمكانات ، إنما يحتاج إلى معرفة الأهميّة ثمّ المبادرة .

## المبحث التاسع توسيع الشريحة الوسطى مُهمَّة إصلاحيَّة كبرى

الترابط الاجتماعي ، هو الذي يميّز المجتمع عن حشد الأجساد ، وحشد الأجساد عبارة عن ركم غير ذي معنى ولا هدف يؤطر عداً كبيراً من الأفراد أما المجتمع فهو عبارة عن مجموعة العقائد والعلاقات والتوجهات والأفكار والأعراف والمصالح والأهداف التي تربط بين أقوام يعيشون في ظلّ دولة واحدة . إنَّ الفارق بين الحَجَر وقبضة الرَّمل هو في العَلاقة الصلبة الموجودة بين ذرّات الحجر والفارق بين مجتمع متحلل ، ومجتمع متماسك ليس في المكونات ، وإنما في نوعية الرّوابط والعَلاقات السّائدة في كلِّ منها .

هذه العكلاقات لا يُمكن أن توجد بطريقة عفوية ؛ لأنَّ التفاوت في المصالح ، والتنافس على الأشياء النادرة فضلاً عن الخصوصيات الفكريّة والنفسيّة ، كلّ ذلك يجعل من العدوان والطغيان شيئاً كامناً خلف الباب بمجرد حصول قصور أو انحباس اجتماعي ، لذا فإنّ الترابط الاجتماعي ليس هو الأصل ولا هو الأمر الذي يحدث نتيجة التقاء الناس ، وإنما التفكك هو ذاك الذي يحدث تلقائيًا دون أيّ جُهد ولذا فإنّ تعاليم الإسلام في مجال العكلقات بين الأهل والأصدقاء والجوار والشركاء ، والحُكام والمحكومين والمُتعاملين

١٠٤٨ - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٨ .

مع بعضهم عامّة .. إنّ تلك التعاليم تسعى إلى شيءٍ واحد ، هو الشد من أزر الأواصر الاجتماعية وإيجاد المناخ الصّالح الودود الذي يُمارس فيه الفرد أنشطته المختلفة .(١٠٤٩)

وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فإنه بالإمكان القول: إنّ التناغم الاجتماعي لا يتمّ إلا من خلال عَلاقات التكافؤ والتشابه ، على الصعيد المعنوي ، وعلى الصعيد المادي ، والله جلّ وعلا جعل ظروف الناس وإمكاناتهم واستعداداتهم والمُشكلات التي تعترضهم مختلفة ، ومن ثمّ فإنه لا بُد من اختلاف نتائج كسبهم وتحصيلهم ونشاطهم .. وقد صورت ذلك الآية الكريمة : ر به

لكن يُقال إلى جانب هذا: إذا كان كلّ واحد منا سيواجه مصيره الاجتماعي دون مساعدة من أحد مهما كان سيّئا ومفجعا ، وإذا كان الأقوياء في المجتمع سوف يتمتعون بالخيرات التي جلبتها القوّة فما معنى العيش في مجتمع واحد ، وما معنى الدّفاع عنه ، وما معنى العمل المشترك ... ؟ . (١٠٠١) لذا فإنَّ مجتمعات الأرض كلها قد أقامت نظما تفصل حقوق المواطن وواجباته ، وتشرف الدّولة عادة باعتبارها مركز التوازن الاجتماعي على تنفيذ تلك النظم ، وأنّ الرّقابة الاجتماعية تقوم بدور مهم في ذلك والفارق بين مجتمع وآخر ، ليس في وجود التشريعات، ولكن في تجسيدها على أرض الواقع .

وتقوم الدَّولة والأنظمة المختلفة فيها على إحداث أكبر قدر مُمكن من التوازن الاجتماعي من خلال مساعدة الفقر الضعيف ، وضمان الحد الأدنى من العيش الكريم لهما ، إلى جانب ضمان حقوق التعليم والصدّحة ، وبناء المرافق الأساسيّة التي يرتفق بها مجموع السّكان . وقد أعطى الإسلام للحاكم المُسلم الحق في تدبير الأموال والنفقات التي يحتاجها ذلك التوازن بوسائل مختلفة .

ومهما بذلت الجهود لإحداث التوازن المنشود فإنه سيظل هناك فئة من الناس لا تجد بعض الضروريات ، كما أنه ستظل هناك فئة تحصل على الكماليات كلها والمرفهات التي تتشوف إلهيا. أمًّا الفئة الثالثة ، وهي ما اصطلح عليها بالطبقة أو الشريحة الوسطى فهي تلك الجماعات من الناس التى تقف على الحد الأوسط ، فهي تجد الضروريات كلها ، وبعض الكماليات والتحسينيات .

والقول الحق: إنَّ حجم هذه الشريحة في أيّ مجتمع من المجتمعات يقرّر صحة ذلك المجتمع من مره ورقيه من انحطاطه ، فعلى مقدار اتساعها يكون رقي المجتمع ، وعلى قدر تضاؤله يكون تخلفه؛ والسبب في ذلك أنّ الطبقة الوسطى ظلت على مدار التاريخ مركز الإبداع في الأمّة ، وأنّ الدراسات أثبتت أنّ ابناء الطبقة الوسطى هم في المغالب أحسن أبناء المجتمع أخلاقا وسلوكا وأكثر هم دأبا وجدية فاتساع مساحتها دليل على كثرة المبدعين وكثرة ذوي السلوك القويم ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإنّ المجتمع الذي تسوده الشريحة الوسطى مجتمعٌ ناجحٌ منضبط مسيطر على النزعات المدمّرة لأعضائه فالشريحة الوسطى لا تتسع إلا في ظلّ سيادة النظام والقانون ، وفي ظلّ الظروف الصحيّة المواتية للإبداع والإنتاج . (١٠٥٢)

لا معنى للرَّخاء الاجتماعي إذا لم ينعم به أكثر الناس ، ولا معنى لوجود الثقافة الجيدة في مجتمع إذا لم يتثقف بها أكثر الناس ..

١٠٤٩ - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٨ - ٣٠٩ .

١٠٥٠ - سورة الزخرف: ٣٢ .

١٠٠١- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي: ٣٠٩.

١٠٠٢ - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣١٠ .

وقد حدث في تاريخنا وتاريخ غيرنا – كما في الواقع - أن همشت بعض الشرائح الاجتماعية فتوجهت جهودها إلى هدم الدولة وهدم المجتمع ، وصارت عامل قلقل واضطراب . إذا كان الأمر على هذه الصورة فإن من واجب الدول والمفكرين والمصلحين ، وكل من يهتم بالشأن العام أن يسلكوا السبل كلها ، وأن يسنوا التشريعات كلها ، ويبذلوا الجهود التي من شأنها توسيع الشريحة الوسطى وتدعيمها لأنها تشكل متن المجتمع وصلبه ، ولا بد للصلب أن يكون أقوى شيء فيما حوله

إنَّ كثيرا من خذل الناس في الدّفاع عن مجتمعاتهم - يعود شعورهم إلى أنّ مجتمعاتهم لم تقدم لهم شيئا - وقد قال أحدهم: لماذا أدافع عن مجتمع لم يطعمني من جوع ، ولم يؤمني من خوف ؟!! وإنَّ اقتصاد السُّوق (الاقتصاد الحرّ) يحتاج إلى تدابير اجتماعية وقانونية كثيرة حتى لا يمزق أوصال المجتمع ، إذ أنه - بطبيعته - يزيد القويّ قوّة والضعيف ضعفا ، ويزيد في التباعد بين الناس . ونحن نعتقد أنّ الجهود الإصلاحيّة ما لم تفلح في تقوية الترابط الإنساني ، وإحداث التناغم الاجتماعي فإنّ الأحوال ستزداد سوءا ، على الرَّغم ممّا يتوهم من وجود تقدم وتحسن في حياة المسلمين . والحياة الاجتماعيّة قائمة على قاعدة معقدة من التوازنات ، وكلّ واحد منا يرغب في أن يندمج في مجتمعه ، لكنه يخشى في الوقت نفسه من ذوبان شخصيّته فيه ، وهذا هو أوّل المؤشرات على أنَّ التصافي الاجتماعي لا يُمكن مجتمعاتنا بما يوفر لها الصّحة ، وبما يوفر للمواطن الحد الأدنى من العيش الكريم .

كانت مواجهة أحداث العنف - في كثير من الأحيان - بعنف مماثل ، وحين يخرج أفراد على القانون فإن ذلك يُفسَّرُ بأنهم مرضى أو منحرفون ، وأنهم يحتاجون إلى علاج وتأديب . لكن ما الحيلة حين تخرج الدولة التي ترعى القانون ، وتحميه من التجاوز على دستورها وقانونها وتعليماتها . إنَّ ذلك يجعل الدَّولة تفقد مصداقيَّتها ، ويضعف شعور الناس بأنها ترعى المجتمع بأكمله وإنما تصبح طرفا وخصماً مباشرا . (١٠٥٣)

### القصل الستادس

## دور القرآن في إصلاح النظام الاقتصادي

إنَّ الله تعالى خلق الإنسان وتكفل برزقه ، قال تعالى : رُ ہہ هه هه رُ ، وقال : رُاَب ب ہ ہ ب پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ رُ . ( أُن الله عنه البشر أنهم إذا وُسِع عليهم في الرّزق بالغوا في النفقة بما يصل بهم إلى حد الإسراف وقد بيَّن الله عزّ وجل أنَّ هذه هي طبيعة الإنسان ، فقال : رُ ہ ہ ہ هه هه ے ے ئے نُ نُ گُکُو وُ وُ وُ وُ وُ رُ ، وقال : رُ کَ گ گ گ گ گ رُ . (  $^{(00)}$ 

°°''- الأبيات في سورتي : الشورى : ٢٧ ، العلق : ٦- ٧ .

١٠٥٢ - ينظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣١٠ – ٣١١ .

<sup>ُ &</sup>lt;sup>١٠٠</sup>٠ - الأيتان في سورتي : الذاريات : ٢٢ ، هود : ٦ .

إِنَّ دعونتا إلى الاقتصاد في المعيشة والنفقة ليست دعوة إلى تحريم ما أحلّ الله من الطيبات: رُّ تَّ ذَّ دُّ ثُ ثُ دُّ ثُ ثُ قُقْ فَقُ قُلْ فَقُ قُلْ اللهِ عَدَال الذي هو سِمة هذه الأمَّــة: رُ فُ فُ قُ قُرْ (١٠٥٨)

ورسولنا  $\mathbf{r}$  يُعلمنا أنَّ من المنجيات: " القصد في الفقر والغنى " ، ولهذا نهانا عن إضاعة المال الذي جعله الله لنا ؛ لنعف به أنفسنا ونحفظ به وجوهنا ونستغني به عن مد يد الحاجة إلى الناس : رُ كُ كُ كُ وُ وَ وَ وَ وَ وَ وَ وَ  $\mathbf{r}$  . (١٠٥٩)

إنَّ الأفراد والدول الذين لا يجدون المال ويعيشون حياة الفقر والحاجة لا يحترمهم الآخرون وإنّ من أعظم الوسائل لحفظ هذه النعمة - نعمة المال- الاقتصاد في النفقة والاعتدال في المعيشة. قال بعض العلماء: "ما وقع تبذير في كثير إلا هدمه ، ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمَّره " (يعني نمَّاه) .

إنَّ الاستغناء عن الناس يحفظ على العبد دينه وعزته كما قال جبريل  $\mathbf{U}$  النبي  $\mathbf{r}$ : «واعلم أنَّ شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » . (١٠٦٠)

ولو لم يكن ديننا يدعونا إلى الاقتصاد في النفقة والمعيشة ، لكان حال المسلمين المشردين المحرومين في كثير من بقاع الأرض دافعاً إلى ترك الإسراف ، والأخذ بمبدأ الاقتصاد ليعين المسلم إخوانه المسلمين المحتاجين الذين لا يجدون ما يسد جوعتهم أو يستر عورتهم .

وحين ينظر المسلم إلى كثير ممّا يلبسه وإلى أكثر ما يستخدمه من آلات ومصنوعات دقيقة .. ثمّ يجد أنها صئنعت بأيد غير إسلاميّة يترسخ في حسّه وأعماق كيانه أننا أمّة دون الأمم الأخرى ، وأنّ هناك ولا بد- أمورا ثقافية وحضاريّة معينة أدت بنا إلى عدم القدرة على تصنيع ما لدينا من مواد خام وإلى العيش تحت وطأة شروط قاسية يضعها عدو لا يرحم .

لا يستطيع المرء أن يشعر بالتأنق والرّفاه والكرامة إذا لم يجد نفسه مكافئاً للآخرين فيما ينتجونه ويقدّمونه للبشريّة ، ولا ريب أنّ مدى النقدم الصناعي – خاصة - هو المعيار الدّقيق لقدرة شعب من الشعوب على استثمار موارده ، وتدريب أبنائه ، بل إنه معيار للتقدم العلمي والمعرفي وسنظل نستغلّ أسوأ استغلال ما لم نتمكن من إحداث نقلة صناعية نوعيّة نوفر من خلالها فرص العمل لملايين الأفواه الجائعة ، ونفرض من خلالها احترامنا على الصّعيد الدّولي ، ونداوي قبل ذلك بها جرحاً غائراً في كبرياء مسلم اليوم ، إنّ طنا من الحديد الخام قد يُباع بألف دولار ، فإذا حوّلناه إلى

١٠٥٦ - سورة الأعراف: ٣١.

۱۰۵۷- سنن النسائي: باب: (الاختيال في الصدقة) ، رقم الحديث:(۲۰۰۹): ۷۹/۰ ، مسند أحمد: بزيادة: ((كلوا واشربوا وتصدقوا..)) ، برقم: (٦٦٩٥): ١٨١/٢: .. وكلاهما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وهو حديث حسن . ينظر: مشكاة المصابيح: ٤٩٤/٢ .

١٠٥٨- الآيتان في سورتي: الأعراف: ٣٢ ، البقرة: ١٤٣.

١٠٥٩ - سورة النساء : ٥ .

المعجم الأوسط: للطبراني: رقم الحديث: (٢٢٧٨): ٦٠٣/٤، شعب الإيمان ، للبيهقي: برقم: (١٠٥٤١) ٢٤٩/٧- ، شعب الإيمان ، للبيهقي: برقم: (١٠٥٤١) ٢٤٩/٧: . وهو حديث حسن . ينظر: السلسلة الصحيحة: ٤٨٣/٢ .

ساعات يدوية أمكن بيعه بمليون دو لار وإنَّ (برميلاً) من النفط إذا أمكن استخدامه في صناعة ثياب فاخرة كان عائده مائة ضعف .. وهكذا . فعمليات الإصلاح لا يجوز أن تقتصر على معالجة بعض القيم والمثل ، وإنما يجب أن تشمل جو انب الحياة كافة . (١٠٦١)

وفي ضوء المنهج الذي أشرتُ إليه مراراً في تقسيمي للفصول ، وسأذكر هنا بعض ما ورد في كتاب الله تعالى من آيات تبيّن خطوط الانحراف في هذا المجال ، وطريق الإصلاح الذي يجب أن يسلكه أفراد المجتمع الإسلامي ، وسيكون ذلك في المطالب الآتية . .

#### المطلب الأول

## أثر القرآن في إحكام النظام الاقتصادي

إنَّ مَعالم النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على أساس التوازن والاعتدال والوسطيَّة بين النظامين الرَّأسمالي والاشتراكي بارزة وواضحة ومشهورة .

فهو العدل الوسط بين النظامين المذكورين ، فنظامنا يقوم على أساس الحرية الاقتصادية لقوله ٢: «... دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » . (١٠٦٢) فلكلّ فرد حق الكسب الحرّ ، ما لم يصادم الشرع كتجارة الخمور والمخدّرات والخنازير وصناعة الأوثان ، أو يلحق ضررا بالأمّة والمجتمع كالمراقص والملاهي ؛ لأنّ " دفع المضار مقدّم على جلب المصالح "(١٠٦٠) ، و" درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح "(١٠٦٠)

ويقر القرآن الكريم بنظام الملكيّة الشخصي أو الفردي ، لقوله تعالى : رْ گُ گُ گُ ل ( رُ , , , ) ويقر القرآن التماك من مصدر محظور

شرعاً كالرِّبا والميسر والاحتكار والسَّرقة والمصادرة والغش والإكراه والتدليس والغبن مع التغرير ونحو ذلك ، وما لم تصبح الملكيّة سبيلاً للسلطان المطلق والظلم .(١٠٦٧)

١٠٦١ - ينظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٢٨٩ – ٢٩٠ .

عنه : (حديث حسن صحيح ) : باب: (تحريم بيع الحاضر للبادي) ، رقم الحديث: (١٥٢٢) : ١١٥٧/٣ ، سنن الترمذي ، وقال عنه : (حديث حسن صحيح) : باب: (ما جاء لا يبيع حاضر لباد) ، برقم: (١٢٢٣) : ٥٢٦/٣ ، سنن النسائي : باب: (بيع الحاضر لباد) ، للبادي) ، برقم:

<sup>(</sup> ٤٤٩٥ ) : ٢٥٦/٧ ، سنن ابن ماجه : باب: (النهي أن لا يبع حاضر لباد) ، برقم: (٢١٧٦) : ٧٣٤/٢ .

١٠١٦ - ينظر: الفوائد في اختصار المقاصد: ٣٤/١

١٠٠٠- ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول (للبيضاوي): ٣/ ٦٥.

١٠٦٥- ينظر: شرح القواعد الفقهية: ١١٥.

١٠٦٨ - سورة التوبة : ١٠٣ .

١٠٦٩ - سورة التوبة: ٦٠ .

وتوفير حقوق وحاجيات الدِّفاع عن الأوطان ، وفرض الضرائب العادلة المحققة للمصلحة العامّة وكفاية الفقراء ، وإيجاب الوفاء بالنذور ، والكفارات ، وإخراج صدقات الفطر في رمضان قبيل صلاة عيد الفطر ، وتوزيع الأضاحي في عيد الأضحى ، والإنفاق على الأقارب .

ولا يسمح الإسلام بأن تطغى مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع ، ولا أن تطحن مصلحة الدّولة مصلحة الدّولة مصلحة الفرد . ويجوز في الإسلام التملك الجبري أو نزع الملكيّة (١٠٧٠) للصّالح العام كتوسعة مسجد أو طريق أو بناء مصنع ، أو ثكنة عسكريّة . وحق العمل وتوفير فرصه وتحقيق التكافؤ بين الفرص وإنهاء البطالة حق مقرّر لكلّ إنسان . (١٠٧١)

ولا يصح جعل الملكيَّة الخاصّة سبباً لإضرار الآخرين ، كما لا يجوز شرعاً التعسّف في استعمال الحق ، لقوله  $\mathbf{r}$  : « لا ضرر و لا ضرار » . (١٠٧٢)

ويُمكن تقييد الملكيَّة وتحديد سقف أعلى لها أو حظرها للمصلحة العامَّة ؛ لأنَّ طاعة وليِّ الأمر واجبة ولم سلطة تقييد المباح (١٠٧٣) عند جماعة من الفقهاء ، لقوله تعالى : رُ عي يي رُولو الأمر في المعرفة هم العلماء ، وفي السيّاسة هم الأمراء والولاة والحكام . (١٠٧٥) وأساس النظام الاقتصادي الإسلامي : مراعاة الحق والعدل والمساواة وإشاعة عاطفة التراحم والمودّة والإحسان والتكافل ، دون تظالم ولا اغتصاب ولا اعتداء على الحقوق المشروعة ويهدف هذا النظام لتحقيق الرّخاء للجميع ، ومحاربة الفقر والجهل والمرض والتخلف . (١٠٧١)

#### المطلب الثاني

## دور القرآن في إصلاح كسب المال وإنفاقه

سلكَ الناسُ - ولا يزالون- مسالك شتى في هذا المال ، كسبا ، وجمعا ، وإنفاقا ، والكثرة منهم ، بل الغالبيّة العظمى ضلوا الطريق ، وحادوا عن سواء السبّيل . وجاء القرآن الكريم مبيئا خطورة هذا الانحراف ، في عدّة آيات ؛ ليهديهم إلى الصرّاط المستقيم ومن تلك الآيات التي تبيّن خطورة هذا الانحراف -الانهماك- في جمع المال والمبالغة فيه ، والإفراط في حبه - والتي سأذكرها تباعاً متضمّنا ذلك أقوال المفسرين ليزداد الأمر وضوحاً في ذمّ هذا المسلك- منها :

<sup>· · · ·</sup> تعني المِلكيَّة في اصطلاح الفقهاء : ( الاختصاص ، والعَلاقة الشرعيّة بين الإنسان والشيء ، التي ترتب له حق التصرّف فيه وتحجز الغير عن هذا التصرّف ، وهو قدرة يثبتها الشرع ابتداءً على التصرّف إلا لمانع ) . مفاهيم إسلامية : ٢٩١ .

١٠٠١ - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ٣١.

١٠٧٠- مُوطاً مالك ، من حديث عمرو بن يحيى المازني عن ابيه (مرسلاً) : باب: (القضاء في المرفق) ، برقم: (١٤٢٩) : ٢/٢٥٠ ، وعلق الشيخ الأرنؤوط عليه بأنه : (حسن) ، ٧٤٥٠ ، مسند أحمد ، من حديث ابن عباس : برقم : (٢٨٦٧) : ٢٧/٣ ، المعجم الكبير ، من حديث ابن عباس : برقم : (٢٨٨) : ٣٧/٣ ، المعجم الكبير ، من حديث ابن عباس : برقم : (٢٨٨) : ٢٢٨/١١) : ٢٢٨/١١ . وهو حديث صحيح ، ذكره الألباني في : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : ٢٨٨٠ .

<sup>-</sup> وقوله: ((لا ضرر ولا ضرار)): قيل إنهما لفظنان بمعنى واحد تكلم بهما جميعًا على وجه التأكيد. وقال ابن حبيب :(الضرر عند أهل العربية الاسم والضرار الفعل قال ومعنى لا ضرر لايدخل على أحد ضرر لم يدخله على نفسه ومعنى لا ضرار لا يضار أحد بأحد) ، وقال الخشني:(الضرر الذي لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة ، والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرة وهذا وجه حسن المعنى في الحديث ) . التمهيد: ٢٠/

١٠٧٣ - وهي من ألفاظ علماء الأصول . ينظر: أصول السرخسي: ١/ ٢٨ .

١٠٧٤ - سورة النساء : ٥٩ .

١٠٧٠ - ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٧١ ، وسطية الإسلام وسماحته: ٣١ .

١٠٧٦ ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ٣٢ .

\* قوله تعالى : رُ قُفَّ فَ قَ قَ جَ جَ جَ جَ جِ جِ جَ چَ چِ چِ چَ ڇَ دِ دِ دَ دُ دُ دُ رُ رُ رُ رُك ک ک ک گ گ گ گ گ رُ (۱۰۲۷) قالو ها هربا من الجهاد و تقیة و مصانعة بألسنتهم دون قلوبهم ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:" يقول تعالى مخبراً رسوله ٢ بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المُقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله ٢ ، فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرَّسول ٢ ، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد ، بل على وجه التقية والمصانعة يرد ما أراده فيكم تعالى وتقدس و هو العليم بسرائركم وضمائركم ، وإن صانعتمونا وتابعتمونا ؛ ولهذا قال: ژک ک کگ گڑ" (۱۰۷۸)

\* وقوله تعالى : ژه ٨ ٩ ٩ هه ٥ هـ ٢ ع ئ غ ك الله ك أن ك أن الله ك ع ع ع ع ع ع ع ك الله ك أن ك أن الله عالى الإنسان لحبِّ المال لشديد " . (١٠٨٠) وفي تحديد هذا المعنى مذهبان :

أحدهما: أنَّ المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال.

والثاني: وإنه لحريص بخيل ؛ من محبة المال .. وكلاهما صحيح . (١٠٨١) 

عن قتادة عن مطرف عن أبيه قال : أتيتُ النبيَّ r ، وهو يقرأ : رُرُرُرُرُ رُ ، قال : « يقول ابن آدم مالي مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ » . (١٠٨٣)

وفسر الطبري قوله تعالى: رُرُرُرُ رُرُ بمعنى: " ألهاكم أيّها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم ، وعمَّا ينجيكم من سخطه عليكم " . (١٠٨٤)

\* وقوله جلَّ وعلا: ثرت تدَّت تُدت تُ تُدتُ فَ قَدْق قَ قَدَّة ج ج ج ج ج ج ج ج ثر . (١٠٨٥) وهذا تهديد ووعيد آخر فيمن انهمك في جمعه للمال وحسب أنه سيخلده في الدّنيا ، ففي معنى قوله : رْتُ لَا لَهُ قُولِهُ: رُجِ جَمِعِهُ بِعضِهُ عَلَى بِعض، وأحصى عدده ، كقولِه: رُج جِ جِ رُرُ ١٠٨٦) ، قاله السّدي ، وابن جرير . وقال محمَّد بن كعب في قوله: رث لدُّ لله في ألهاه ماله بالنهار ، هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل ، نام كأنه جيفة " . (١٠٨٧)<sup>"</sup>

۱۰۷۷- سورة الفتح : ۱۱ . ۱۰۷۸ - تفسير القرآن العظيم : ٣٣٧/٧

۱۰۷۹ - سورة العاديات: ٦- A .

١٠٠٠- جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٦٧/٢٤.

١٠٨١- تفسير القرآن العظيم: ٢٦٧/٨.

١٠٨٢ - سورة التكاثر: ١- ٤.

١٠٨٣- صُحيح مسلم :كتاب: (الزهد والرقائق) ، رقم الحديث: (٢٩٥٨) :٢٢٧٣/٤ ، سنن الترمذي : باب: (ومن سورة التكاثر) برقم:

<sup>(</sup>٢٣٥٤) : ٤٤٧/٥ ، سنن النسائي : باب: (الكراهية في تأخير الوصية) ، برقم: (٣٦١٣) : ٢٣٨/٦ ، مسند أحمد :

<sup>. 7 5/5: (17 59)</sup> 

١٠٨٤- جامع البيان في تأويل القرآن : ٧٩/٢٤

۱۰۸۰ - سورة الهمزة : ۱ - ٥

١٠٨٦ - سورة المعارج: ١٨.

١٠٨٧- تفسير القرآن العظيم: ٤٨١/٨.

وقوله: رُ قَوْقً قَ قُ رُ أي: يظنُّ أنَّ جمعه المال يخلده في هذه الدَّار ؟ رُقِّجِرُ أي: ليس الأمر كما زعم و لا كما حسب . (١٠٨٨)

وكذلك قال المفسِّر البغوي : " ر ق ق ق ق ق ق ق ر في الدُّنيا ، يظنُّ أنه لا يموت مع يساره رُقَّجِرْ رَدَّا عليه أن لا يخلده ماله " . (١٠٨٩)

.. والآيات بهذا الخصوص كثيرة جداً ، لا يسعنا المجال لسردها كلها . بيد أننا نقول إنَّ الآيات التي ذكرت و آراء المفسرين حولها يُعطي دلالة واضحة المعالم على خطأ هؤلاء الناس المفرطين الذين اتخذوا من المال عزاً وجاهاً وبقاءً ، حتى انقلب عليهم وبالاً .. وليس هذا موضوعنا ، ولكن ما يهمنا الآن كيفية إصلاح ذلك الحب المفرط ؟

إذن فكما أنَّ القرآن الكريم يُحذر من الإغراق في حبّ المال ، وقضاء الحياة في جمعه وتحصيله دون أداء حق الله فيه ، ويبيِّن عاقبة من كانت هذه حاله ، فإنه لا يرضى بالإعراض عن المال بالكليَّة ، قال تعالى : (1.97) ، بل إنه يُقرُّ جمع المال قال تعالى : (1.97)

وتحصیله ، ویشرع السبل الصّحیحة لذلك في كسب المال ، قال تعالى : رُ نُ نُ تُ تُ هُ هُ مَ مَ هِ هُ هُ هُ هُ عَلَى كَ نُ كُ كُ كُ وُ وَ وَ وَ رُ ، وقال : رُ اَ ب ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ی ی ی ن ن رُ . (۱۹۹۰) ومن هنا جاءت الآیات تبین الخطوط العریضة و المنطلقات الشرعیّة في كسب المال وتحصیله ، وجاءت القاعدة التي تفرّعت عنها القواعد كلها : رُ ثُ تُ لُ قُ قُ قُ رُ . إذن فكسب المال مشروع ، ولكن ليس كلّ طريق يؤدى إلى ذلك جائز ومحمود ..

١٠٨٨ - المصدر نفسه .

١٠٨٩ - معالم التنزيل: ٥٣٠/٨ .

۱۰۹۰ - سورة النور: ٣٣ ، الإسراء: ٦.

١٠٩١ - سورة نوح: ١١ - ١٢ .

١٠٩٢ - الآيات الثلاث في سورة: النساء: ٥، الكهف: ٤٦، الأحزاب: ٢٧.

١٠٩٣ - سورة القصص : ٧٧ .

١٠٩٤ - سورة آل عمران: ١٤، الكهف: ٤٦.

<sup>·</sup> الآيات – بالترتيب- في سورتي : البقرة : ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، أل عمران : ١٣٠ .

وكذلك من طرق الكسب المحرَّمة : الميسر : وهو القمار ، كذا قال ابن عباس ، وابن عمر، وقتادة وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومكحول ، والس*ّدي ، . . وغيرهم y . (١٠٩٦)* 

وقد جاءت بعض الآيات تبيِّن إصلاحه وحكمه وأنَّ الله قد حرَّمه ، قال تعالى : ژ و و ي ي بې روقد جاءت بعض الآيات تبيِّن إصلاحه وحكمه وأنَّ الله قد حرَّمه ، قال تعالى : ژ ، وقال : وقال : ژ ، وقال : وقال : ژ ، وقال : وقال : وقال : وقال : ژ ، وقال : وقال

ڤڤڤڦڦڦڦڦڄڄڄڄڙ .

وكذلك من أوجه الكسب المُحرَّم أكل مال اليتيم ، قال جلَّ وعلا :  $\ref{c}$   $\ref{c}$ 

وقد بيَّنَ القاضي أبو يعلى معنى الباطل هنا ، وحدَّده في وجهين (١٠٩٩):

الأوّل: أن بأخذه بغير طبب نفس من مالكه كالسرقة والغصب والخبانة.

والثاني: أن يأخذه بطيب نفسه كالقمار والغناء وثمن الخمر.

وبعد إن انتهينا من ذكر بعض الآيات الدَّالة على مشروعيَّة كسب المال ، وكيفيَّة ذلك إصلاحاً .. وجب علينا الآن أن نتعرَّضَ إلى الآيات التي تُقرِّر المنهجَ الإصلاحي في إنفاق المال . والناس في هذا الجانب على صنفين: صنف قابض يديه ، مقتر ، وهو البخيل . وصنف: مسرف مبذر ، باسط يده كلّ البسط ، والذي يضع المال في غير محله ، وكلاهما منهيًّ عنهما ... وإليك الآيات القرآنيَّة في ذلك، مع أقوال المفسرين - بإيجاز - فعن الصنف الأوَّل :

\* قال تعالى: ژ

رُ (۱۱۰۰) بِيَنَ المفسِّرون معنى كلمة (البخل) هنا في هذا الموضع بمنع الزكاة (البخل) الله عنه الله شجاعا أقرع له زبيبتان يُطوّقهُ يومَ الزكاة (۱۱۰۱) ؛ لقوله ۲ : « مَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يُطوّقهُ يومَ القيامةِ يَأخدُ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - يقول: أنا مَاللُكَ أنا كَنْزُكَ » .. ثمَّ تلا هذه الآية : رُ (۱۱۰۲)

\* وقال جلّ وعلا: رُ على الله لا يحبّ المختال الفخور ، الذي يبخل ويأمر الناسَ بالبخل " . (۱۱۰۳) فكر الطبري معنى ذلك بقوله : " إنَّ الله لا يحبّ المختال الفخور ، الذي يبخل ويأمر الناسَ بالبخل " . (۱۱۰۰) \* وقال سبحانه: رُ كُم گُ گُ گُ ں ں لُ لُ لَا لَهُ هُ م م هِ رُ . (۱۱۰۰) قال الحافظ ابن كثير : " يقول تعالى لرسوله  $\mathbf{r}$  قل لهم يا مُحمَّد : لو أنكم - أيها الناس - تملكون التصرّف في خزائن الله ، لأمسكتم خشية الإنفاق . قال ابن عباس ، وقتادة : أي الفقر ، أي : خشية أن تذهبوها مع أنها لا تفرغ و لا تنفد أبداً ؛ لأنَّ هذا من طباعكم وسجاياكم ، ولهذا قال : رُ هُ ه مرُ ، قال ابن عباس ، وقتادة : أي بخيلاً منوعاً لأنَّ هذا من طباعكم وسجاياكم ، ولهذا قال : رُ هُ ه مرُ ، قال ابن عباس ، وقتادة : أي بخيلاً منوعاً . (۱۱۰۰) وقال الله تعالى : رُ نُ نُ ذَ ذَ تُ تُ ذَ ذُ تُ تُ ذَ دُ تُ الله لما

١٠٩٦- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٣٢٤/٣- ٣٢٥ ، زاد المسير : ٢٤٠/١ ، تفسير القرآن العظيم : ١٧٨/٣ .

١٠٩٧ - سورة البقرة: ٢١٩ ، المائدة: ٩٠ - ٩١ .

١٠٩٨- سورة النساء: ١٠ .

١٩٤/١ - نقله ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره : زاد المسير : ١٩٤/١ .

١١٠٠ سورة آل عمران: ١٨٠.

١١٠١- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٤٣٢/٧ ، معالم التنزيل : ١٤٢/٢ ، تفسير القرآن العظيم : ١٧٤/٢ .

۱۱۰۲ - صحيح البخّاري : باب: (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله..) ، رقم الحديث: (٤٢٨٩) : ١٦٦٣/٤ ، مسند أحمد : برقم : (٨٦٤٦) : ٣٥٥/٢ ... وكلاهما من حديث أبي هريرة t .

١١٠٣ - سورة الحديد : ٢٣ - ٢٤ .

١١٠٠- جامع البيان في تأويل القرآن: ٣٥٠/٨.

١١٠٠- سورة الإسراء: ١٠٠٠ .

١١٠٦ - تفسير القرآن العظيم: ١٢٤/٥.

١١٠٧ - سورة النساء: ٥٣ .

.. وغيرها من الأيات ، فهذا بالنسبة للصنف الأوّل ، وهم القابضون أيديهم ، البخلاء بأموالهم عن أنفسهم وأهليهم وذويهم وفصيلتهم التي تؤيهم ، إذ أوضح القرآن الكريم خطر هذا الاتجاه وانحرافه .

وأمًا الصنف الثاني المقابل وهو الباسط يديه ، من غير عقلانيّة ، فقد قال تعالى :

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله :  $\dot{t}$   $\dot{t}$  ( المبدّر : المنفق في غير حقه)). (۱۱۱۰) و كذا قال ابن مسعود  $\dot{t}$  (۱۱۱۱) و عن قتادة  $\dot{t}$  قال : ( التبذير : النفقة في معصية الله وفي غير الحقّ وفي الفساد ) . (۱۱۱۲) وقال مجاهد  $\dot{t}$  : ( لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبذرا ، ولو أنفق مدا في غير حقه كان تبذيرا ) . (۱۱۱۳)

وفي الحديث عن أنس بن مالك t قال : أتى رجلٌ من بني تميم رسولَ اللهِ r ، فقال : يا رسول الله إني ذو مال كثير ، وذو أهل وولد وحاضرة ، فأخبرني كيف أنفق؟ وكيف أصنع؟ فقالَ رسولُ اللهِ r : « تخرج الزكاة من مالك ، فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك وتعرف حق السّائل والجار والمسكين » . فقال يا رسول اللهِ : أقلل لي . قال : « ف t

رسول الله إذا أديتُ الزكاة إلى رسولك فقد برئتُ منها إلى الله ورسوله؟ فقال رسول : « نعم إذا أديّتها إلى رسولي ، فقد برئتَ منها ، فلك أجرها وإثمها على من بدلها » .(١١١٤)

وعن علة تشبيه المبذر بالشيطان ، في قوله تعالى : رُ عَنَ عَلَيْ فَقَدَ بَيَّنَهَا ابن الجوزي بقوله : " لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه ، ويشاكلونهم في معصية الله رُ يُ رُ أي : جاحداً لنعمه وهذا يتضمَّن أنَّ المسرف كفور للنعم " .(١١١٥)

وعن تخصيص هذا الوصف بالذكر قال أبو السّعود: "وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر أوصافه القبيحة ؛ للإيذان بأنّ التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المُقابل للشكر، الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له، والتعرض لوصف الرّبوبيّة للإشعار بكمال عتوّه، فإنّ كفران نعمة الرّب مع كون الرّبوبيّة من قوى الدّواعي إلى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان ". (١١١٦)

.. وبهذا يكون الأمر جليًا ثر قت ثث ثدث فق فق فق فق (١١١٧). إذ دلت الآيات السَّابقات بمفهومهنَّ على أنَّ طريق الإصلاح والاعتدال – التوسط- ، هو المنهج الحق والقويم في إنفاق المال وقد صرَّحت الآيات اللحقات بذلك :

١١٠٨ - الآيات الأربع الأخيرة في سورة المعارج: ١٩- ٢٢ . تفسير القرآن العظيم: ١٢٤/٥ .

١١٠٩- الآيتان في سورتي: الأنعام: ١٤١، الإسراء: ٢٦- ٢٧.

١١١٠- أورده الطبري في تفسيره جامع البيان في تفسير القرآن: ٤٢٩/١٧.

١١١١- المصدر نفسه: ٢١//١٧ .

١١١٢- المصدر نفسه: ٢١/٩٢٧ .

١١١٦ - أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم: ٦٩/٥.

١١١٠- أخرجه أحمد في مسنده : رقم الحديث: (١٢٤١٧) :١٣٦/٣ . وعلق عليه المحقق شعيب الأرنؤوط قائلاً : " رجاله ثقات ، رجال الشيخين " .

۱۱۱۰ زاد المسير :٥/٨٦ .

١١١٦- إُرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم ، والمعروف بـ(تفسير أبي السعود): ١٦٨/٥.

۱۱۱۷ - سورة ق : ۳۷ .

١١١٨- سورة الفرقان : ٦٧ .

قال النحاس: "وأحسن ما قيل في قوله عزَّ وجل: ث عي يد ث ، مَنْ أنفقَ في غير طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو الإسراف ، ومن أمسكَ عن طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو الإسراف ، ومن أمسكَ عن طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو القوام ، ثريد ث أي: عدلاً". (١١١٩)

وذهب ابن كثير إلى أنَّ المعنى: "ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بُخلاء على أهْليهم فيُقصِّرون في حقهم فلا يكفونهم ، بل عَدْلا خيارًا ، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا، رُدي رُ مُما قال : رُ نُ نُ ذَذَت تُ الله والاعتدال فيه والتوازن ، نموذجا للحياة ، وعكسه المال كسبا وإنفاقا . وجعل سيد قطب القصد في المال والاعتدال فيه والتوازن ، نموذجا للحياة ، وعكسه مفسدة للنفس والمال والمجتمع .

حتى قال رحمه الله: "وهذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات، ويتجه إليها في التربية والتشريع، يُقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال. والمسلم مع اعتراف الإسلام بالملكية الفردية المقيدة ليس حُرا في إنفاق أمواله الخاصة كما يشاء كما هو الحال في النظام الرَّأسمالي (١١٢١)، وعند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها، إنما هو مقيد بالتوسط في الأمرين الإسراف والتقتير فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية. والإسراف والتقتير يُحدثان اختلالاً في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي، وحبس الأموال يُحدث أزمات ومثله إطلاقها بغير حساب ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق ".(١١٢١)

وممًّا سبقَ يتضعُ انحرافَ كلّ من المنهج الرَّأسمالي والمنهج الاشتراكي ، فالنظام الرَّأسمالي يقوم على حريّة الفرد في عمل ما يروق له من الأعمال التجارية. فهي تعني حريّة الاستثمار وحرية الفرد في التملك ، الحريّة المطلقة ، فهو حرّ في البحث عن الربّح بشتى الوسائل والطرق . (١١٢٣)

والملكيَّة الفرديَّة مقدَّسة ، لا تمس ، ولا يحدّها ضابط أو قيّد ، حتى لو أدّت هذه الملكيَّة لاحتكار المالك للسلعة . إنَّ هذه الحُريَّة ، بل هذه الفوضويَّة المطلقة - كان لها نتائج عكسيَّة على المجتمع ، إذ أوقدت نار الاحتكار والأنانيَّة الفرديَّة .. وبالتالي تحوَّلت الحياة الاقتصاديَّة إلى شريعة غاب يأكل فيها القويُّ الضعيف ، وأدّى هذا إلى تكدس رءوس الأموال في يد طبقة معيّنة من أصحاب رؤوس الأموال ويُقابلهم طبقة العمَّال الذين لا حول لهم ولا قوّة . ويقابل المنهج الرّأسمالي المنهج الاشتراكي ، إذ قام على فكرة وفلسفة انتقال السيطرة على المال من أيدي أصحاب رؤوس الأموال إلى أيدي الطبقة العاملة إذ قامت على أسس من أبرزها (١١٢٤):

الغاء الملكيّة الفرديّة ، وتأميم الممتلكات التجاريّة والصّناعيّة ، بدعوى مصلحة الجميع والأفراد يؤدّون أعمالاً للدولة نظير أجور متساوية .

٢- توزيع السلّع والمنتوجات الاستهلاكيّة كلّ وفق حاجته ، فالاقتصاد الاشتراكي يعتمد على دعوى- تغليب مصلحة المجتمع ، ويجعل الدّولة مالكة لكلّ شيء، وموجهة للاقتصاد ، فلا يكاد يوجه للأفراد حقوق تذكر ، من التملك والنتقل أو اختيار العمل فأفقر الغني ولم يُغن الفقير .

. وبهذا ففي هذين النظامين يتمثل الإفراط والتفريط في أبشع صورة . أمَّا منهج القرآن الكريم - كما سبق - يختلف عنهما اختلافا كليَّا . إذ يدعو – من خلال الاعتدال الاقتصادي- إلى إصلاح المجتمع

١١١٩ - معانى القرآن: ٥/٨٥ - ٤٩.

١١٢٠ - الآية الأخيرة في سورة الإسراء: ٢٩. تفسير القرآن العظيم: ١٢٣/٦- ١٢٤.

١١٢١ - وتعني كلمة الرأسمالية: بـ (النظام الاقتصادي الذي يقوم على الملكيّة الخاصّة لموارد الثروة). المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، وغيرهما: ٦٦٣/١.

أُنْ : ٢٥٧٨- ٢٥٧٩ . أَنْ : ٢٥٧٨ .

http://www.al-) عنوء القرآن: للشيخ ناصر بن سليمان العمر ، بحث منشور على موقع: الإسلام (http://www.al-) . "٢١ (islam.com

<sup>&</sup>lt;sup>117</sup>- المرجع نفسه: ٣٢٢ .

والتكافل والتضامن الإجتماعي والعدالة الاجتماعية ، واختيار طريق يتفق وواقعية الدول الإسلامية ، لا رأسمالية ولا اشتراكية ، بل طريقة إسلامية تؤكد ملكية الفرد ومصالح المجتمع ، وسطية وتوازنية بين الإنتاج والاستهلاك ، وتتمية الموارد وحماية البيئة ، والتطوّر المستمر . وتنادي بحكم البلاد وإدارة شؤون المجتمع على أساس الشورى ، وتحارب الاستبداد والفساد والاستغلال والظلم . (١١٢٥) فهو آخذ بمصلحة الفرد ومصلحة المجتمع في وقت واحد ، وهو يحترم الملكية الفردية ويقرّها، لأنها توافق الفطرة الإنسانية ، ولكنه لا يُقرّها مطلقة من غير قيود ، فيترك الحبل على الغارب هكذا ، بل جعل لها ضوابط وقيود تحول دون الاعتداء على مصلحة المجتمع وكذلك يحترم مصلحة المجتمع دون التعدي على مصلحة الفرد . . وبهذا يتحقق إصلاح المال في أبهى صوره .

#### المطلب الثالث

#### دور القرآن في إصلاح المال وحفظه

إنَّ قضية المال من القضايا الكبرى التي عنى بها القرآن الكريم كسبًا ، وحفظًا ، وإنفاقًا وإنَّ من شأن الإسلام دائمًا مع النزعات الفطريّة للإنسان إذ يبيح إشباعها ويلبّي مطالبها ضمن الحدود المعقولة مع التهذيب والترشيد حتى تستقيم وتحقق الخير للإنسان ولا تعود عليه بالشرّ ، شأنه هذا مع نزعة حبّ التملك الأصليّة في الإنسان ، وقد أباح الملكيّة الفرديّة وشررَعَ في ذات الوقت من النظم والتدابير ما يتدارك الآثار الضارّة التي قد تتجم عن طغيان هذه النزعة من فقدان للتوازن الاجتماعي، وتداول للمال بين فئة قليلة من المجتمع ، ومن النظم التي وضعها لأجل ذلك نظم الزكاة والإرث والضمان الاجتماعي ، ومن ثمَّ عد الإسلام المال ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانيَّة ، وشرعَ من التشريعات والتوجيهات ما يشجِّع على اكتسابه وتحصيله ، ويكفل صيانته وحفظه وتتميته ، وذلك على النحو الآتى :

أو لأ: وسائل الحفاظ على المال إيجاداً وتحصيلاً ، ومن أهمِّها (١١٢٦):

1- الحث على السّعي لكسب الرِّزق وتحصيل المعاش ، فقد حثّ الإسلام على كسب الأموال باعتبارها قِوام الحياة الإنسانيّة واعتبر السّعي لكسب المال- إذا توفرت النيّة الصّالحة وكان من الطرق المباحة - ضربا من ضروب العبادة وطريقا للتقرّب إلى الله تعالى القائل : رُ تُ تُ تُ ثُ ثُ ثُ قُ قُ قُ قُ قُ قُ قُ جَ ج ج ثُ ، وقال تعالى : ( رُ لُ لُ ثُ قُ قُ قُ قُ قُ قُ قَ ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج بينافي التوكل .(۱۱۲۷)

رفع منزلة العمل كما رفعها الإسلام وأعلى من أقدار العمال ، قال رسول  $\mathbf{r}$ : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده » . (1179) وقررً

<sup>11</sup>۲° - وسطية الإسلام: ٢٦ .

١١٢٦- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: ٢٧- ٢٩.

١١٢٧- الأيتان في سورتي : الملك : ١٥ ، الجمعة : ١٠ .

١١٢٨- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٧٩/٨.

١١٢٩- صحيح البخاري ، من حديث المقدام رضي الله عنه : باب: (كسب الرجل وعمله بيده) ، رقم الحديث: (١٩٦٦) : ٧٣٠/٢ .

<sup>- (</sup>وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده). بين ذلك المناوي بقوله: " في الدروع من الحديد ويبيعه لقوته. وخص داود لكون اقتصاره في أكله على عمل يده لم يكن لحاجة ؛ لأنه كان خليفة في الأرض ، بل أراد الأفضل. وفيه أن الكسب لا ينافي التوكل وأن ذكر الشيء بدليله أوقع في النفس وجواز الإجارة إذ عمل اليد أعم من كونه لغيره أو نفسه ". فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥-٤٢٥.

حق العمل لكل إنسان وجعل من واجب الدولة توفير العمل لمن لا يجده ، وقرر كرامة العامل وأوجب الوفاء بحقوقه المادية والمعنوية ، يقول r: « أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » . (۱۱۳۰) ويقول فيما يرويه عن ربه: « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يُعطه أجره » . (۱۱۳۱)

٣- إباحة المعاملات العادلة التي لا ظلم فيها ولا اعتداء على حقوق الآخرين ، ومن أجل ذلك أقر الإسلام أنواعاً من العقود كانت موجودة بعد أن نقاها ممّا كانت تحمله من الظلم ، وذلك كالبيع والإجارة والرّهن والشركة وغيرها ، وفتح المجال أمام ما تكشف عنه التجارب الاجتماعيّة من عقود شريطة أن لا تنطوي على الظلم أو الإجحاف بطرف من الأطراف أو تكون من أكل أموال الناس بالباطل – من غير الوجه الذي أباحه الله تعالى - . (١١٣٢)

ثانيا: وسائل المحافظة على المال بقاءً واستمرارا، ومن أهمِّها (١١٣٣):

- ا ضبط التصرُّف في المال بحدود المصلحة العامَّة ، ومن ثمَّ حرَّمَ اكتساب المال بالوسائل غير المشروعة والتي تضرُّ بالأخرين ، ومنها الرّبا لما له من آثار تخلّ بالتوازن الاجتماعي ، قال تعالى : ثر ث دُدُ ق ق ق ثر ، وقال : ثر گ گ گ ل 0 ثر (100)
- ٢- كما حرَّمَ الاعتداء على مال الغير بالسِّرقة أو السَّطو أو التحايل ، وشرَعَ العقوبة على ذلك قال تعالى : ژ ٺ ذ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ث ف ڤ ث وأوجب الضمان على من أتلف مال غيره ، قال ٢ : «... كلُّ المسلم على المسلم حرام دمُهُ ومالهُ وعرضهُ » . (١١٣٥)
- $^{7}$  منع إنفاق المال في الوجوه غير المشروعة ، والحث على إنفاقه في سبل الخير وذلك مبنيً على قاعدة من أهم قواعد النظام الاقتصادي الإسلامي وهي أنَّ المال مال الله وأنَّ الفرد مستخلف فيه ووكيل ، قال تعالى :  $(^{7}$  كَ عَلى على صاحب المال أن يتصرَّفَ في ماله في حدود ما رسمه له الشرع ، فلا يجوز أن يفتن بالمال فيطغى بسببه ؛ لأنّ ذلك عامل فساد ودمار ، قال تعالى :  $(^{7}$

١١٣٠ - سنن ابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عمر : باب : (أجر الأجراء) ، برقم : (٢٤٤٣) : ٢/ ٨١٧ . قال عنه الشيخ الألباني في مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل :(صحيح) ١١/ ٢٩٥ .

المالاً عند البخاري ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البابان: (إثم من باع حراً) ، و(إثم من منع أجر الأجير) ، و يقم

<sup>.</sup> ٧٩٢ ، ٧٧٦ / ٢ : (٢١٥٠) ، (٢١١٤)

١١٣٢ - ينظر: أحكام القرآن (للجصاص): ١٢٨/٣.

١١٣٣ - ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: ٣٠ - ٣٢ .

١١٣٠- ينظر : أحكام القرآن (للشافعي) : ١٣٥/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١١٦ .

۱۱۳۰ - صحیح مسلم: بأب: (تحریم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله) ، برقم: (۲۰۱۶): ۱۹۸٦/٤ ، سنن ابن ماجه: باب: (حرمة دم المؤمن وماله) ، برقم: (۳۹۳۳): ۱۲٦٨/۲ ، مسند أحمد: رقم الحدیث: (۷۷۱۳): ۲۷۷/۲ .. وکلهم من حدیث أبی هریرة ۷ .

١١٣٦ - سورة الحديد : ٧ ، النور : ٣٣ .

١١٣٧ - سورة الإسراء: ١٦.

١١٣٨ - سُورَة الْإِسرَاء : ٢٦- ٢٧ . ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن :٤٢٨/١٧ ، معالم الننزيل (للبغوي) : ٨٩/٥

- بٍ بِيٍ رُّ ، ومن ذلك الحجر على البالغ إذا كان سيِّئ التصرُّف في ماله، قال تعالى: رُّ كُ كُ وُ وُ وَوْ لُ وُوْ وْ وْ وْ وْ وْ وْ وْ وْرْ. (١١٤٠)
- ٥- تنظيم التعامل المالي على أساس مِن الرّضا والعدل ، ومن ثمّ قرّر الإسلام أنّ العقود لا تمضي على المتعاقدين إلا إذا كانت عن تراض وعدل ولذلك حرّم القمار ، قال تعالى : رُدُف ف ق ق ق ق ق ق ق ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ش (١١٤١)
  - الدَّعوة إلى تنمية المال واستثماره حتى يؤدّي وظيفته الاجتماعيّة وبناءً على ذلك .

.. بهذه التشريعات كلها حفظ الإسلام المال وصانه عن الفساد حتى يؤدِّي دوره كقيمة لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية ، وتحقيق أهدافها الحضارية والإنسانية ، شأنه في ذلك شأن كلِّ المصالح السّابقة التي تمثل أساس الوجود الإنساني وقوام الحياة الإنسانية ومركز الحضارة البشريَّة ، والتي بدون مراعاتها وحفظ نظامها يخرب العالم وتستحيل الحياة الإنسانيّة ، ويقف عطاؤها واستثمارها في هذا الوجود .

### المطلب الرَّابع

## أثر القرآن في تكامل نظام المسؤوليَّة المدنيَّة والجنائيَّة

المسؤولية عنوان التكريم الإنساني ؛ لأنّ إهمال الإنسان وتعطيل قواه أمارة على الإهمال والتخلي والنبذ ، والتقصير في القيام بالمسؤوليّة دليلٌ على عدم المُبالاة ، وتحدّي نظام المجتمع ، والتجرّد من الإنسانيّة .

وممًّا تعانيه اليوم البشريّة في الجانب الاقتصادي ، هو الإعراض عن منهج الله تعالى في هذا الخصوص ، وتطبيق الأنظمة البشريّة من الاشتراكية والرّأسماليّة وعجز تلك الأنظمة عن إسعاد أفراد المجتمع ، وتحكم كبار الأغنياء في أقوات الناس ، وفتح المجال في ظلّ النظام الرّأسمالي للأفراد أن ينموا ثرواتهم بكافة الوسائل من ربا وحيل وما شاكل ذلك بدون ضوابط ، فبرزت الأنانيّة وحبّ الذات على حساب المجتمع وساد الجشع والطمع وانقسم ذلك المجتمع على طبقتين متباعدتين ، الغني الفاحش والفقر المدقع ، وانتشر الربّا ، وتكدّست الأموال بيد مجموعة قليلة من الأثرياء ؛ بسبب التعامل الربّوي ، واحتكرت السلّع وطغت الحروب المدمّرة ؛ وسبب ذلك يعود إلى طغيان المادّة والجري وراء المصالح ، والبحث عن الثروات والأسواق لبيع المنتجات وتأمين طرق المواصلات (١١٤٢)

وعماد المسؤوليات الدنيويّة هو النظام المدني بتنظيم العقود والتصرّفات والأنشطة الاقتصاديّة من إنتاج واستثمار وادخار وتوزيع ، وتوجيه كلّ الأنشطة الصّناعيّة والتجاريّة والخدمات نحو ما يحقق المصلحة العامّة أو العُليا للأمّة .

١١٣٩ - سورة النساء: ٦.

١١٤٠ - السورة نفسها: ٥.

١١٤١ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٣٠٢٥٥.

١١٤٢ - ينظر: الموسوعة الميسرة: ٢/ ٩٢٣ ، أساليب الدّعوة: ٥٥٢ ، مذاهب فكريّة معاصرة: ٤٧١ .

وأساس المُعاملات في الإسلام: هو الحُريَّة الاقتصاديَّة المنظمة ، والعدالة والمساواة وأداء الحقوق وتنفيذ الالتزامات ، لقول الله تعالى: ثر ثر ثر ثر ثر ثر ككثر ( $^{(1)}$ ) والابتعاد عن إلحاق الجور والظلم والمساس بحقوق الآخرين أو أكل أموال الناس بالباطل ، لقوله سبحانه: ثر ثد ف ف ف ف ف ق ق ق ق ج ج ج ج ج ج ج شر و الأصل في العقود كالبيع و الإيجار وكذا الشروط هو الإباحة ، إلا ما صادم مقتضى العقد أو النصِّ الشرعي ، أو القواعد العامَّة كالربِّا والغرر والقِمار والغش ( $^{(1)}$ )

فالمُعاملات أو العقود في منهج القرآن الكريم بين أبناء المجتمع كلها مدنيّة ، لا شكليَّات ولا تعقيدات فيها ، ولها ضوابطها وقواعدها الشرعيّة القائمة على حفظ الحقوق وإقامة الحق والعدل والمساواة ومنع المنازعات ومُقاومة كل أشكال الكسب غير المشروع الناجم عن الغش والغبن والاستغلال ، والطيش البين ، والهوى الجامح ، والخداع ، والقمار ، والرّبا ، والبيوع ، وجميع حالات أكل أموال الناس بالباطل ، « كلّ المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » . (١١٤٦) وهذا دليل الإصلاح والاعتدال؛ لتحقيق مصلحة المجتمع والدّولة والأفراد .

و على هذا فالملك باعتبار صاحبه يكون على ثلاثة أنواع(١١٤٠):

- مِلكيَّة الدّولة أو مِلكيَّة بيته المال : وتضمُّ كلَّ مال استحقه المسلمون ولم يتعيّن مالكه ، كبيت مال الزكاة بأنواعها ، وبيت مال المصالح ، ويضمُّ : الخراج والفيء وخمس الغنائم والجزية والعشور والرّكاز ، وبيت مال الضوائع ، ويضمُّ : وارث من لا وارث له ، واللقطة وديات القتلى الذين لا أولياء لهم ، ويتصرّف فيه ناظر بيت المال تصرّف الملاك الخاصيّن في أملاكهم بما يُحقق مصلحة الجماعة المسلمة .

- الملكيَّة العامَّة أو الجماعيَّة : وهي ملكيَّة مشتركة بين مجموع أفراد الأمَّة دون أن يختصَّ بها أحد منهم ، إمَّا لتجاوز المنفعة من هذه الأشياء على ما يبذل في سبيلها من جهد ونفقة وإمَّا لكون نفعها ضروريًا لمجموع الأمَّة ولا غنى لأفرادها عنها .

وتشمل الملِكيَّة المشتركة: المرافق العامَّة من أنهار وشوارع وطرقات ومراعي وغابات وغيرها فقد ورد عن رسول الله r: « المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار ». (١١٤٨) الملِكيَّة الخاصَّة: ويكون مستحقها وصاحبها فردا أو جماعة على سبيل الاشتراك، وتشمل أموال الحلال كلها، من نقود وعروض تجارة وأصول ثابتة ووسائل الإنتاج، والتي لا تقع ضمن الملِكيَّة

العامَّة المشتركة للمسلمين أو ملكيَّة بيت مال المسلمين .

١١٤٣ - سورة المائدة: ١.

١١٤٤ - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ٢١.

<sup>°</sup> ۱۱٤٠ سورة الأنفال: ٤٦. ينظر: المرجع نفسه.

۱۱٤٦ - سبق تخريجه .

۱۱٤۷ - ينظر: مفاهيم إسلامية: ۲۹۱.

۱۱٤٨ سنن أبي داود : باب: (في منع الماء) ، رقم الحديث: (٣٤٧٧) : ٣٠٠/٢ ، سنن ابن ماجه : باب: (المسلمون في ثلاث) برقم: (٢٤٧٢) : ٣٦٤/٥ .. وهو حديث صحيح . ينظر: مشكاة المصابيح : ١٧٩/٢ .

وقد حفظت الشريعة الإسلاميَّة حق المِلكيَّة الخاصيّة والمشتركة ومِلكيَّة الدَّولة بتحريم التملك عن طريق وسائل الغشّ والخداع كالتلاعب بالأسعار والغرر ، وعن طريق الظلم والاستغلال كالغصب والسرّقة والاختلاس والرّشوة والربّا والاحتكار ، وعن طريق تحديد المصالح التي تبيح تدخل الحاكم لتقييد المِلكيّة الخاصيّة أو مصادرتها .

وحفظت الشريعة أيضاً دور المِلكيّة في المجتمع عن طريق تحريم التملك لكلّ ما فيه ضرر عائد على الأفراد أو الجماعات في أعراضهم وأموالهم وعقولهم ، كالاتجار بالأعراض والخمر والميسر وكافة المحرّمات .

كذلك حفظت الشريعة السمّحاء التوازن الدّقيق بين مصلحة الفرد وحق الجماعة بما حدّدته من مبادئ تحفظ حق كلّ من الملكيّة الخاصّة والملكيّة العامّة وملكيّة الدّولة ، وكيفية استعمال كلّ منها ، وانتقال الملكيّة الخاصّة من شخص لآخر في حياته وبعد موته .(١١٤٩)

١١٤٩ - ينظر: مفاهيم إسلامية : ٢٩١ .

## الفصل الستابع

# دور القرآن في إصلاح النّظام السنياسي

(دعوة القرآن إلى بناء الدُّولة وإصلاحها)

يُعدّ وجود الدّولة لأيِّ تجمُّع إنساني أمر ضروري وفطري لا غنى عنه ، وقد توجد الدّولة بصورة مقننة ومنظمة وفق أصول وضوابط شرعيّة ، وقد تكون عكس ذلك بسيطة غير منظمة ، وعودة هذا كله على حسب وعي إمارة وإدارة الدّولة ، ومدى تطوّر حياتهم الفكريّة والمعيشيّة .

وإذا كانت الدّولة ضرورة بشريّة فالشرع يُقرّ وجود الضرورة للبشريّة ؛ لأنه لا تناقض بين الفطرة البشريّة ، وبين ما أنزله الله من شرع ودين ، فكلاهما من مشيئة الله تعالى ، وما دامت الدّولة ضرورة بشريّة ، وفريضة شرعيّة ، فإنَّ وجود القيادة من مستلزمات وجود الدّولة ، ولا دولة بدون قيادة . (١١٥٠)

ومن المعلوم أنّ دعوة القرآن الكريم ليست مقصورة على فرائض وشعائر تؤدّى في أوقات معيّنة أو أحوال محدّدة ، ولكنه دستور ينظم الحياة كلها وينظم السلوك كله ومن أجل هذا ، فإنه لفهم المجتمع المسلم وتطوّرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي يجب أن يدرس ذلك مقرونا بطبيعة دين الإسلام وشموله وسعته .

والإسلام لا يؤلف إطار السلوك العام والخاص للفرد المسلم فقط ، ولكنه يتغلغل في عمق نسيج المجتمع وبناء الدولة ومن ثمّ فإنه يؤثر في كلّ ناحيةٍ من نواحيها .

وهذه إشارات وتنبيهات لبعض مظاهر تطبيق الإسلام على الفرد والجماعة ، وسيادة سلطان الدّين على النفوس والأنظمة .

لذا يتلخص المنهج الذي يجب أن تقوم عليه المجتمعات الإسلاميَّة بما يأتي :

- ١- اتخاذ القرآن الكريم أساساً ودستوراً لشؤون الحياة والحكم في المجتمع المسلم ؛ ذلك لأناً
   اعتقاد شموليَّة الدِّين لكل شؤون الحياة لا يتحقق إلا بالحكم بشريعة الله في كلِّ الشؤون .
- ٢- شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق والدّماء وتنظم العَلاقة بين الحاكم والمحكوم وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع وتصون الأمن العام .
- ٣- حمل الدَّعوة الإسلاميَّة ونشرها ، فالدَّعوة إلى الله من أعظم وظائف الدّولة الإسلاميّة وأهمها
- ٤- إيجاد (بيئة عامّة) صحيحة صالحة سليمة من فشو المنكرات والانحرافات ، تعين الناس على
   الاستقامة والصلاح ، و هذه المهمّة منوطة بالأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر .
  - ٥- تحقيق (الوحدة الإيمانيَّة) التي هي أساس الوحدة السياسيّة والاجتماعيّة والجغرافيّة.
- ٦- الأخذ بأسباب التقدّم وتحقيق النهضة الشاملة التي تيسر حياة الناس ومعاشهم وتراعي مصالحهم في ضوء هدى الإسلام ومقاييسه .
- ٧- الأخذ بمبدأ ( الشورى ) التي أمر الإسلام بها ومدح من أخذ بها وجعلها من صفات أهل
   الإيمان ؛ وذلك ليقوم الحكم على أساس العدل والمساواة وفق الشريعة الإسلاميَّة . (١١٥١)

١١٥١- ينظر: اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية: ١٦.

197

١١٥٠- ينظر : مآثر الأناقة في معالم الخِلافة : ١/ ٢٩ .

٨- فرض التعليم الدِّيني في كلّ مراحل التعليم في البلد المسلم ؛ ليتربّى المجتمع على هذا الدّين الحنيف ، وليتخرّج نخبة مؤمنة مثقفة تؤمن بالوحدة والجماعة وروح المحبّة والأخوّة مع جميع الناس من غير تمايز بينهم ، وبالفكر المعتدل دون تطرّف أو استبداد .

#### + أثر القرآن في تشييد نظام الحكم الصّالح:

إنَّ من أهم خصائص نظام الحكم في الإسلام إقامة العدل والمساواة في الحقوق والواجبات والشورى في القضايا العامّة ، ومنع الظلم والتعدّي والاستبداد ، والاحتكام إلى شرع الله فيما تقرّر في القرآن الكريم والسنّة النبويّة الصّحيحة .

وممًّا لا شكّ فيه أنَّ ملازمة هذه الخصائص وتفعيلها ومراعاتها في مجال التطبيق يحمي الأمّة من كلّ آفات الانحراف والضياع والضعف والتفكك والتفرقة ، ويجعل الأمّة والدّولة قويّة رصينة، تحمي الحمى ، وتدفع الاعتداء ، وتمحو مظاهر التخلف ، وتحقق تقدّم الحياة والمدنيّة ، وتبني الحضارة الجامعة للمادّة والروّح أو وسائل الرّقيّ المادّيّ والترفع أو السمّو الرّوحي ، على أساس من التفوق العلمي والصناعي والتقني . (١١٥٢)

وواضح أنَّ هذا كله هو منهج الأمن والاستقرار والبُعد عن كلِّ أسباب الاضطراب والمشكلات الخاصَة والعامَّة . وفي مجال العدل بين الناس ، قال تعالى : ژ و ۉ ۉ ٸ ٸ ݙ ݙ (100) ، وقوله سبحانه : ژ ݙ ݙ ه ه ه ے ے ۓ ڬ ڬ ػ ۉ وُو و وُ وُ وُ وُ وُ وَ وَ وَ وَ وَ وَ وَ وَ المتقد . أَمَا المُعلى أَنْ مَنْ كانَ حاكما و جب عليه أن يحكم بالعدل لقوله تعالى - المتقد - :

فأطلق لفظ العدل الذي هو التسوية على تسوية نافعة يحصل بها الصلّلاح والأمن ، وذلك فك الشيء من يد المعتدي ؛ لأنّه تظهر فيه التسوية بين المتنازعين ، فهو كناية غالبة ، ومظهر ذلك هو الحكم لصاحب الحقّ بأخذ حقّه ممّن اعتدى عليه ، ولذلك قال تعالى : رُ و و و و ي ي ب ب رُ ثمّ توسّعوا في هذا الإطلاق حتى صار يُطلق على إبلاغ الحقّ إلى ربّه ولو لم يحصل اعتداء ولا نزاع .

والعدل: مساواة بين الناس أو بين أفراد أمّة في تعيين الأشياء لمستحقها ، وفي تمكين كلّ ذي حقّ من حقّه ، بدون تأخير ، فهو مساواة في استحقاق الأشياء وفي وسائل تمكينها بأيدي أربابها ، فالأوّل هو العدل في تعيين الحقوق ، والثاني هو العدل في التنفيذ ، وليس العدل في توزيع الأشياء بين الناس سواء بدون استحقاق . (١١٥٦)

فالعدل وسط بين طرفين ، هما : الإفراط في تخويل ذي الحقّ حقه ، أي بإعطائه أكثر من حقه والتفريط في ذلك ، أي بالإجحاف له من حقه ، وكلا الطرفين يسمّى جورا ، وكذلك الإفراط والتفريط في تنفيذ الإعطاء بتقديمه على وقته ، كإعطاء المال بيد السّفيه ، أو تأخيره كإبقاء المال بيد الوصيّ بعد الرّشد (١١٥٧) ، ولذلك قال تعالى : رُ كُ كُ و و و و و و و و و و و و و ب ب ب

١١٥٢ - ينظر: المرجع نفسه: ٢٨.

١١٥٣ - سورة النساء : ٥٨ .

۱۱<sup>۵</sup>۰ - سورة المائدة : ۸ .

<sup>°</sup>۱۱° - سورة النحل: ٩٠، الأنعام: ١٥٢، ص: ٢٦. ينظر: تفسير مفاتيح الغيب: ٥/ ٢٤٥.

١٥٠١ - ينظر: التوقيف على مهمّات التعاريف: ٥٠٦ ، ٧٢٥ ، التحرير والتنوير: ٣/ ٤٤٩.

١١٥٧ - ينظر : المصدران أنفسهما ، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة : ٧٣

ر ((١١٥٨)؛ فالعدل يدخل في جميع المعاملات ، وهو حسن

في الفطرة لأنّه كما يصدُّ المعتدي عن اعتدائه ، كذلك يصدّ غيره عن الاعتداء عليه ، كما قال تعالى : رُ و و ي يرُ (١١٥٩) ، وإذا كان العدل بهذه الاعتبارات تجول في تحديده أفهام مخطئة تعيَّنَ أن تسَنَّ الشرائع لضبطه على حسب مدارك المشرِّعين ومصطلحات المشرَّع لهم ، على أنّها معظمها لم يسلم من تحريف لحقيقة العدل في بعض الأحوال، فإنَّ بعض القوانين أسست بدافعة الغضب والأنانية ، فتضمنت أخطاء فاحشة مثل القوانين التي يمليها الثوار بدافع الغضب على من كانوا متولين الأمور قبلهم ، وبعض القوانين المتفرّعة عن تخيّلات وأوهام كقوانين أهل الجاهليّة والأمم العريقة في الوثنيّة (١١٦٠)

لذا ينظر الإسلام إلى العدل نظرة شاملة كان لها أكبر الأثر في توجيه التشريع العام الذي ينتظم كافة العكرة العكرة العام الذي المسلمين المسلمين بعضهم مع بعض أم كانت بين المسلمين وغيرهم من سائر الملل والنحل .(١١٦١)

ونجد القوانين التي سنّها الحكماء أمكن في تحقيق منافع العدل مثل قوانين أثينة وإسبَرطة وأعلى القوانين هي الشرائع الإلهيّة لمناسبتها لحال من شرّعت لأجلهم ، وأعظمها شريعة الإسلام لابتنائها على أساس المصالح الخالصة أو الرّاجحة ، وإعراضها عن أهواء الأمم والعوائد الضالة ، فإنّها لا تعبأ بالأنانيّة والهوى ، ولا بعوائد الفساد ؛ ولأنّها لا تبنى على مصالح قبيلة خاصة ، أو بلد خاص ، بل تبتنى على مصالح النوع البشري وتقويمه وهديه إلى سواء السبّيل ، ومن أجل هذا لم يزل الصنّالحون من القادة يدوّنون بيان الحقوق حفظا للعدل بقدر الإمكان وخاصة الشرائع الإلهيّة ، قال تعالى : رُ أ ب ب ب ب ب ب ب ب ي ي ي ي ي ي ي العدل فمنها المنصوص عليه على لسان رسول البشريّة مُحمّد صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما استنبطه علماء تلك الشريعة فهو مدرج فيها وملحق

وإنّما قيد الأمر بالعدل بحالة التصدّي للحكم بين الناس ، وأطلق الأمر بردِّ الأمانات إلى أهلها عن التقييد ؛ لأنّ كلّ أحد لا يخلو من أن تقع بيده أمانة لغيره ولاسيّما على اعتبار تعميم المراد بالأمانات الشامل لما يجب على المرء إبلاغه لمستحقه كما تقدّم ، بخلاف العدل فإنّما يؤمر به ولاة الحكم بين الناس ، وليس كلّ أحد أهلا لتولّي ذلك فتلك نكتة قوله : رُ و و و و ي رُ . (١١٦٣)

قال الفخر الرَّازي: "قوله: ثر و و ثر هو كالتصريح بأنّه ليس لجميع الناس أن يشرّعوا في الحكم بل ذلك لبعضهم، فالآية مُجملة في أنّه بأيّ طريق يصير حاكماً ولمّا دلّت الدلائل على أنّه لا بدّ للأمّة من إمام وأنّه يُنصب القضاة والولاة صارت تلك الدّلائل كالبيان لهذه الآية ". (١١٦٤)

١١٥٨ - سورة النساء: ٥- ٦.

١١٥٩ ـ سورة البقرة : ٢٧٩ .

١١٦٠ - ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٤٤٩.

١١٦١ - الموسوعة في سماحة الإسلام: ١/ ٢٦٦ .

١١٦٢ - سورة الحديد: ٢٥.

١١٦٣- ينظر: التحرير والتنوير: ٤٥٠/٣.

١١٦٤ - مُفاتيح الغيبُ : ٢٤٦/٥ .

١١٦٥- سورة المائدة : ٤٤ . تفسير القرآن العظيم : ٢٥٠/٣ .

وممّا يدلُّ على وجوب العدل الآيات الواردة في مذمّة الظلم قال تعالى : رُ (1171) قال عطاء : " فلا يحلّ لأحد أن يعين ظلما ، ولا يكتب له ولا يصحبه ، وأنه إن فعل شيئا من ذلك فقد صار معينا للظالمين " (1171) وقال تعالى : رُ (1174) وقال تعالى : رُ و و و و (1174) ، فإن قيل : الغرض من الظلم منفعة الدُّنيا ... فأجاب الله عن السُّؤال بقوله : رُ و و و و (1174) ي ي ي ب ب (1174)

فالعدل إذن هو الغاية العامّة أو غاية الغايات من نظام الحكم الإسلامي ، .. وستتحدّد بذلك مسئوليّة الحاكم أمام الله . (١١٧٠)

لذا جعل ابن خلدون العدالة سبباً في إصلاح المجتمع وإعماره فقال: " فإذا ما توفر العدل وُجدت الشورى بداهة ، ووُجدت المساواة ، وانتفى الظلم الذي يؤذن بخراب العمران " .(١١٧١)

وقد عدَّ الماوردي العدل ، الشرط الثاني بعد الإسلام فيمن يرغب أو يتولى الخلافة .(١١٧٢)

# ^ أثر القرآن في دعوة الدولة إلى مبدأ المشروعيّة الإسلاميّة (١١٧٤):

وهذا يدلل على أنّ قواعد الشريعة الإسلاميّة قد جاءت من عند الله تعالى ، وكتابه المنزل على نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم هو مصدر كلّ الأحكام والقواعد الشرعيّة ، ذلك ما يجعل مبدأ الشرعيّة الإسلاميّة يتسم بالكمال المطلق الذي يتصف به الله وحده ويعبر عن العدل المطلق في الوقت ذاته،

١١٦٦ - سورة الصافات: ٢٢ .

١١٦٧- تفسير الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٣/١٣.

١١٦٨- الآيتان في سورتي: إبراهيم: ٤٢ ، النمل: ٥٦ .

١١٦٩- سورة القصص : ٥٨ . ينظر: تفسير مفاتيح الغيب : ٢٤٦/٥ .

١١٧٠ - ينظُّر: النظريات السّياسيّة الإسلاميّة: ٣٣٧ ، ٣٣٧ .

۱۱۷۱ - مقدمة ابن خلدون : ۱/۹/۱ .

١١٧٢ - ينظر: الأحكام السلطانيّة: ٦.

١١٧٣ - الآيات في سورة: الأعراف: ٤٤، هود: ١٨، غافر: ٥٢.

أنا حقيقة مبدأ المشروعية في الشريعة هو: (خضوع الجميع حكاماً أو محكومين إلى القواعد والأحكام الإلهيّة المتعلقة بالعقيدة والتشريع التي فرضها الله تعالى ، بحيث يتحقق بمقتضاها الإطار العام الذي يلتزم به المسلمون جميعاً ). مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون في الفقه الإسلامي: ٧٣.

١١٧٠- الآيات في سورة: النساء: ١٥٠، المائدة: ٤٨، ٩٥، الأنعام: ٥٧.

وقد أكد القرآن العظيم هذه الخاصيّة في قوله تعالى : ژ هـ هـ هـ هـ هـ عـ ۓ ۓ ڬٛڬٛ کُ کُ وُ وُ ژ (١١٧٦) ، وقوله : ژ چ چ چ چ چ ژ .

وعليه فمن الصعب على المسلمين مخالفة أحكام هذه الشريعة السمحاء ، إذ يلاحظ أنّ مخالفة القانون الوضعي يستتبع ، توقيع جزاء محدّدا ، إلا أنّ هذا الجزاء لا يوقع في كلّ الأحوال ؛ لأنّ المخالف له يستطيع أن يبعد نفسه عن طائلة الجزاء يستطيع أن يبعد نفسه عن طائلة الجزاء المقرّر . أمّا مخالفة الشرعيّة الإسلاميّة فإنّ صاحبها إن استطاع الإفلات من الجزاء الدّنيوي فإنّه لا يستطيع الإفلات من الجزاء الأخروي من الله تعالى الذي يعلم السرّ وأخفى والذي يثبت المحسن ويعاقب المسيء ، وعقيدة المسلم في هذا الشأن تخلق فيه ضميراً حيّا به يُراقب الله تعالى ويُراقب خلقه ويناى به عن مخالفة الأحكام الشرعيّة ، وهذا كله لا يتوفر لأيّ مشروعيّة وضعيّة .

ومن الأمثلة الناصعة التي تدلّ على وجود الرّقابة الذاتيّة لدى المسلم بفعل ضميره الحيّ للوقوف عند حدّ الشرعيّة الإسلاميّة: قصنَّة ماعز والغامديَّة (١١٧٧) اللذين أقدما طواعيَّة واختياراً على الاعتراف لرسول الله r بما اقترفاه من ذنب ليوقع عليهما الحدّ ، وليس من مبرّر سوى شرعيَّة تلتزم بها النفوس البشريَّة وتنبض مع دقات القلوب وتشرق مع إشراقة الإيمان . (١١٧٨)

وممًّا يزيدنا فرحاً وغبطة أنَّ التشريع في الجمهوريَّة اليمنيَّة وقوانينها مستمدَّة من أحكام الشرع استناداً إلى دستور الجمهوريَّة لعام ١٩٩٤م ، والتي نصَّت المادة الثالثة منه على أنَّ : ( الشريعة الإسلاميَّة مصدر التشريعات جميعاً ) . (١١٧٩)

ولمزيد من التعرُّف على دور القرآن وإصلاحه لأنظمة الدّولة .. يُمكننا النظر فيما يأتي من المباحث

# المبحث الأوّل دور القرآن في إصلاح مبدأ الشوري

إنَّ الحاكميَّة الإلهيَّة المتمثلة في أصول الشريعة ومقاصدها وحدودها ، ليست من جنس الحاكميّة البشريّة ، المتمثلة فيما هو موضوع لشورى الإنسان ، فحاكميّة الله تعالى هي حاكميَّة الفعَّال لما يُريد الذي لا يُسأل عمّا يفعل ، والذي شاءت حكمته – كي تتحقق للرّسالة المحمّديّة الخاتمة مؤهلات الخلود الدّنيوي ، فلا تتسخ – أن تقف هذه الحاكميّة الإلهيّة في المتغيّرات الدّنيوية عند الكليّات والفلسفات والمقاصد والأحكام المتعلقة بالمصالح الثابتة ، فتمثل الإطار الذي يحفظ لشورى الإنسان – إذا هي التزمت حدود هذا الإطار – إسلاميّتها ، إنها حاكميَّة السيّادة العُليا ، التي تمثلت في مبادئ الشريعة الإلهية وحدودها ومقاصدها ، والتي هي الضابط والمعيار لإسلاميّة شورى الإنسان التي هي شورى (الخليفة) المحدود نطاقها والمحدّدة موضوعاتها بحكم مكانة الخليفة في الكون وبذود عهد استخلافه في عمارة الكون الذي يعيش فيه ، عن الله سبحانه وتعالى .

١١٧٦ سورة الأنعام: ١١٥،

المحريث: (١٢٧٠) منحيح البخاري: باب: (هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت) ، رقم الحديث: (١٤٣٨) تنظر في صحيح مسلم: باب: (من اعترف على نفسه بالزنى) ، برقم: (١٦٩٤) ١٣٢٠/٣: ، سنن أبي داود: باب: (رجم ماعز بن مالك) ، برقم: (٤٤١٩) : ٣٠/٤) : ٥٠/٢: مسنن الترمذي: باب: (ما جاء في درء الحد عن المعترف إذا رجع) ، برقم: (٢٤٢١) : ٣٦/٤) ، مسند أحمد: برقم: (٤١) : ٨/١ ، سنن الدارمي: باب: (الحامل إذا اعترفت بالزنا) ، رقم: (٢٣٢٤) : ٢٣٤/٢ . ألخ

وهنا في تحديد العَلاقة بين ( الشورى البشريَّة ) وبين ( الشورى الإلهية ) تبرز خصائص المنهج القرآني في مكانة الإنسان في هذا الكون – مكانة الخليفة عن الله – وفي نطاق حريَّته واختياره ، وفي عَلاقة الثوابت بالمتغيّرات ... إلخ

إِنَّ القرآن الكريم يُحدّد أَنَّ للحاكميَّة الإلهيَّة السِّيادة العُليا والمرجعيَّة العظمى في حياة هذا الخليفة الإنسان : رُ لَـٰ لَـٰهُ هُهُ مَ مَهُ هُهُ مَ حَ مَ عُ لَتُ لَكُ كُمُ وَ وَ وَ وَ وَ وَ رَ ، رُ

ی ی پی

ودستور الدّولة الإسلاميَّة الأولى - الصحيفة ، الكتاب - على عهد رسول r ينصُّ على أنَّ المرجعيَّة هي لهذه الحاكميَّة الإلهيَّة ، ممثلة في الشريعة ، فيقول : «... وأنه ما كان من أهل هذه الصَّحيفة من حدَث أو اشتجار يُخاف فساده فإنّ مردّه إلى الله وإلى مُحمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم » . (١١٨١)

ی ی پ پ

ژ .(۱۱۸٤)

١١٨٠- الأيتان في سورة النساء : ٦٤ ، ٥٩ .

١١٨١ - السيرة النبوية (لابن كثير): ٣٢٢/٢- ٣٢٣ ، مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة: ١٥.

١١٨٢ - سورة آل عمرا: ١٥٩.

١١٨٣- معالم المنهج الإسلامي: ١٤٣- ١٤٤.

١١٨٤ - سورة البقرة : ٢٣٣ .

فهي فريضة في سياسة الدّولة والأمَّة ، وكذلك في نطاق الأسرة ، بل قد بلغت مكانتها في منهج الإسلام أن غدت واحدة من الصقات التي يُميّز بها الإيمان أهله  $\ref{thm}$   $\ref$ 

الأمر الذي يزكي جعل السلطة - سلطة أولي الأمر - في الدّولة والمجتمع جماعيّة شوريّة؛ كي لا يغرى ويفضى الانفراد بالسلطة إلى الطغيان ، مع التأكيد على أن يكون (أولو الأمر) هؤلاء من المسلمين ، حتى تلتزم شوراهم نهج الإسلام وحاكميّة الله تعالى .(١١٨٧)

وقد ذهب القرآن الكريم على درب تزكية فريضة الشورى الإنسانيّة ، فضرب الأمثال على رجحان كفتها وكثرة منافعها من قصص التأريخ وأنباء الأولين ، فهذه ملكة سبأ تستشير الملأ من قومها قائلة:  $\mathring{t}$  و  $\mathring{t}$  و  $\mathring{t}$  و  $\mathring{t}$  الملأ من قوم فرعون و هم يبحثون الموقف مع موسى  $\mathring{t}$  و  $\mathring{t}$  و  $\mathring{t}$  و  $\mathring{t}$  و  $\mathring{t}$  الملأ من قوم فرعون و هم يبحثون الموقف مع موسى  $\mathring{t}$  :  $\mathring{t}$   $\mathring{t}$ 

والشورى مسئوليَّة كبرى تتطلب من هو أهل لها ولتبعاتها ، فلا بدّ وأن يُهئ المجتمع الإسلامي أبناءه لحمل أمانتها ؛ لأنّ : « المستشار مؤتمن » (۱۱۹۱) ، وقد كانت من أبرز صفات رسول الله ۲ ، على الرَّغم من عصمته فيما يبلغ عن ربه ومع رعاية الوحي لاجتهاده بالتقويم فقد كان القدوة – كقائد للدّولة وسائس المجتمع – في الالتزام بثمرات الشورى .. حتى امتدَّ نطاقها وأظلت شجرتها كلّ جزئيات الحياة وسائر ما لم تفصل فيه حاكميّة الله تعالى . وعلى ذات الدّرب سار الخلفاء الرّاشدون رضي الله عنهم ، فدولة الخلافة تأسست بالشورى وعليها والبيعة الشوريّة والاختيار كانا سبيل تمييز الخليفة والعقد له .

لذا قد بلغت مكانة الشورى في المنهج القرآني ، مكانة القانون الحاكم لانتظام الحياة الفردية والاجتماعية - وفق نظام الإسلام- ، وقد حدّثنا القرآن العظيم عن أنّ اقتران الانفراد بالأمر

۱۱۸۰ - سورة الشورى : ٣٦ .

١١٨٦ - سورة النساء: ٨٣ .

١١٨٧ - معالم المنهج الإسلامي: ١٤٦.

١١٨٨ - سورة النمل : ٣٢ .

١١٨٩ - سورة الأعراف: ١٠٩ - ١١٠ .

١١٩٠ - معالم المنهج الإسلامي: ١٤٩.

۱۹۱۱ - سنن أبي داود : باب: (في المشورة) ، رقم الحديث: (٥١٢٨) : ٧٥٥/٢ ، سنن الترمذي : باب: (إنّ المستشار مؤتمن) ، برقم: (٣٧٤٥) : ١٢٣٣/٢ .. وكلم من حديث أبي هريرة t . وهو حديث صحيح . ينظر: السلسلة الصحيحة : ١٩٣/٤ .

ولا يحسبن أحد أن الشورى قد وقفت في تطبيقات المنهج الإسلامي عند حدود الشورى الفردية التي لم تعرف التنظيم في المؤسسات ، فعلى الرّغم من بساطة حياة مجتمع الصدر الأول ، وسذاجة تجارب الإنسان يومئذ في ميدان التنظيم المتبلور في مؤسسات ، وعلى الرّغم من ضعف الضوء الذي سلطه المؤرخون المسلمون على هذا الجانب في نظام الدّولة الإسلامية الأولى ؛ بسبب تراجع الشورى وممارستها وانعدام مؤسساتها في التجربة الإسلامية بعد عصر الرّاشدين ، على الرّغم من كلّ ذلك فإننا نستطيع أن نرى في هيئة المهاجرين الأولى مؤسسة دستورية ذات سلطات محددة في قيادة الدّولة على عهد النبي ٢ وفي الترشيح للخليفة ، وعقد البيعة الأولى له ، والتي نتلوها البيعة العامّة من أهل العاصمة والأمصار . (١٩٤٠)

كذلك نستطيع أن نرى كيف لم تقف الشورى وجوهرها اشتراك الأمّة في صنع القرار عند حدود أعضاء هذه المؤسسات ، بل امتدّت إلى كلّ أهل الرّأي ، بل والجمهور ، ففي الأيام الثلاثة التي تمّت فيها الشورى لاختيار الخليفة الرّاشد الثالث "لم يترك أهل الشورى أحداً من المهاجرين والأنصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم إلا سألوهم واستشاروهم ، فيمن يُريدون الخليفة بعد عمر بن الخطاب " . (١١٩٥)

إذن تلك هي الشورى الإسلامي : التجسيد لإرادة الأمّة الحرّة المحكومة بإطار حاكميّة الله تعالى ومظهر سلطة الأمّة وسلطانها فيما لم تقض فيه الحاكميّة الإلهيّة .. هذه الحاكميّة التي تمثلت وتتمثل في مبادئ الشريعة وحدودها ومقاصدها ، والتي هي في شئون الدّنيا بمثابة الأطر والثوابت ، التي تحفظ على شورى الأمّة صبغتها الإسلاميّة ، والتزامها حدود الحلال والحرام ، فهي ليست نقيضا للشورى ، وإنما هي الكافلة لها أن تظلّ ثمراتها إسلاميّة ، وأنّ هذه الشورى لا يُمكن أن تضيق من هذه الحدود الإلهيّة ؛ لأنها الشورى في عرف الإسلام فريضة إلهيّة ، أي أنّ المسلم يعبد الله تعالى عندما ينهض بتبعاتها ، وغير وارد أن تكون هنالك عبادة لله تعالى لا يُراعي المتعبّد بها حدود حاكميّة الله . (1191)

١١٩٢ - سورة العلق: ٦-٧.

١١٩٣- ينظر: معالم المنهج الإسلامي: ١٤٩.

١١٩٤- ينظر: الإسلام وفلسفة الحكم: ٥٤.

١١٩٥- الإمامة والسياسة: لابن قتيبة: ١/ ٢٤.

١١٩٦- ينظر: معالم المنهج الإسلامي: ١٥٠.

#### أثر القرآن في إصلاح طاعة ولاة الأمور

يحث القرآن الكريم على وجوب السمّع والطاعة لولاة الأمر ، وإن كان لم يُصرّح بوجوب تتصيبهم؛ ذلك لأنّ وجوب الطاعة تحتم وجود المُطاع ، ومن ثمّ إذا كان الله تعالى قد أوجب طاعة أولي الأمر فقد أوجب تتصيبه ؛ لأنه من العبث الذي يتنزه عنه كلام الله أن يأمر بالطاعة لمعدوم ، وهو القائل: ث

وقد ورد في الأثر أنَّ عبد اللهِ بن مسعود t قال : سمعت رسول اللهِ r يقول : « لا بدّ للناس من إمارة برّة أو فاجرة ، فأمَّا البرّة : فتعدل في القسم ويقسم بينكم فيأكم بالسّويّة ، وأمَّا الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن والإمارة الفاجرة خير من الهرَج ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ وما الهرَج ؟ قالَ : القتل والكذب » (١١٩٨)

ى ﮊ ، وقال : ﮊ ﭬ ﭬ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ﮊ <sup>(١١٩٩)</sup> أي يجعل منهم خلفاء .. إلى غير ذلك من الآي " .<sup>(١٢٠٠)</sup>

ثمَّ قال رحمه الله : " إذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد ، أو بواحد على ما تقدم وجب على الناس كافة مبايعته على السمع والطاعة وإقامة كتاب الله وسنة رسوله ٢ ومن تأبى عن البيعة لعذر عُذر ، ومن تأبى لغير عُذر جبر وقهر ؛ لئلا تفترق كلمة المسلمين " .(١٢٠١)

قال ابن الدَّيبع: "نصب الإمام واجب على الأمَّة ؛ لإجماع الصَّحابة ... ". (١٢٠٢)

لذا فإنَّ مذهب أغلبيَّة الأمَّة الإسلاميَّة هو أنَّ إقامة الإمامة أو الخلافة الشرعيَّة الصَّحيحة فرض أساسي من فروض الدِّين ، بل هو الفرض الأعظم الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفرائض . (١٢٠٣) وتؤكد طبيعة هذا الدّين أنّ كلّ أحكامه لا تنفذ إلا بوساطة سلطة ، وهذه السلطة لا بدّ لها من رأس مسئول آمر ، له على الناس حق الطاعة بحكم هذه الأمانة التي تولاها . (١٢٠٤)

وهكذا يتبيّن لنا حُرمة ما يُفعل اليوم من جرائم لا تحقق مصلحة للمجتمع ، تحت حجج واهية في مخالفة ومحاربة ولاة الأمور ، وقد تزهق أرواح ليست مقصودة ، حتى لأولئك الذين اعتدوا، ويصبح بذلك نوع من اضطراب وخلل في الأمن وإشاعة للفساد ، ويلحق بذلك كذلك ما يتضمنه مثل هذا

١١٩٧- ينظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة: ٢٤٣.

<sup>1190 -</sup> أُخرَجُه الطبراني في المعجّم الكبير: رقم الحديث: (١٠٢١٠) : ١٣٢/١٠. قال عنه الهيثمي: (فيه وهب الله بن رزق ولم أعرفه ، وبقيّة رجاله ثقات) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٥٧/٥ .

١١٩٩ - سورة النور : ٥٥ .

١٢٠٠ الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣٠٢.

١٢٠١ - المصدر نفسه .

١٢٠٠ - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: ٢/ ٧٧١.

١٢٠٠ ينظر: النظريات السّيآسيّة الإسلاميّة: ١٧١.

١٢٠٠ - ينظر: دراسة في منهاج الإسلام السّياسي: ١٧٠ .

الفعل من رُجحان تكفير أولئك لقتل هؤلاء ، واستباحة أولئك لقتل هؤلاء ، ونظرهم في جواز أو في وجوب الخروج عن السمع والطاعة وشق عصا الجماعة ، وكلّ ذلك من الأمور التي دلت النصوص الشرعيّة على حُرمتها والمنع منها لقوله تعالى – المتقدم-: ثور في أولى الأمر هنا أربعة أقوال:

أحدها: إنهم الأمراء ، قاله أبو هريرة وابن عباس في روايةٍ وزيد بن أسلم والسّدي ومقاتل .(١٢٠٥)

والثاني: إنهم العلماء ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهو قول جابر بن عبد الله والحسن وأبى العالية وعطاء والنخعي والضحاك ورواه خصيف عن مجاهد .

والثالث: إنهم أصحاب النبيّ r ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وبه قال بكر بن عبد الله المزني . والرابع: إنهم أبو بكر وعمر ، وهذا قول عِكرمة .(١٢٠٦)

ويُرجِّحُ بعضُ المفسِّرين بأنهم و لاة الأمور بدليل قوله تعالىي : رُ ، فإنْ اختلفتم أنتم وأولوا الأمر منكم في شيء من أمور الدِّين فردُّوه إلى الله ورسوله .(١٢٠٧)

وبمعنى : فإن تنازعتم أيها المؤمنون أنتم وألوا الأمر منكم في أمر من أمور الدّين فردّوه فراجعوا فيه إلى الله - أي إلى كتابه ، والرّسول - أي إلى سنته ، ولا شكّ أنّ هذا إنما يُلائم حمل أولي الأمر على الأمراء دون العلماء ؛ لأنَّ للناس والعامّة منازعة الأمراء في بعض الأمور ، وليس لهم منازعة العلماء إذ المُراد بهم المُجتهدون ، والناس ممّن سواهم لا ينازعونهم في أحكامهم . (١٢٠٨)

وعن وجوب طاعتهم بالخير ، فعن أنس بن مالك t قال : قال رسول r : « اسمعوا وأطيعوا وإن أمّر عليكم عبدٌ حبشيٌ كأنّ رأسه زبيبة » . (17.9)

وعن أبي ذرِّ t قال : (( إنَّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع و إن كان عبداً مجدع الأطراف )) (١٢١٠)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r : « مَنْ رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحدُ يُفارقُ الجماعة شبراً فيموت إلا ماتَ ميتة جاهليّة » .(١٢١١)

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما أنه سمعَ رسولَ اللهِ ٢ يقول: « مَنْ خلعَ يداً مِنْ طاعةٍ لقيَ الله يوم القيامة لا حجّة له ، ومَنْ ماتَ وليس في عُنقهِ بيعة ماتَ ميتة جاهليّ » .(١٢١٢)

وليس من الإصلاح كذلك الدّعوة إلى الاضطراب وإلى إشاعة الخلل في المجتمع ، وذلك بصور مختلفة كثيرة ، فإنّ ما في الأمّة اليوم وما يوجّه إليها من الفتنة والبلبلة ما يُعدّ مثل هذا زيادة فيه وتكريساً له وإشاعة لأمور تعظم بها الفتنة ويكثر بها الفساد ولا يقع بها الإصلاح ، وعلاج ذلك بالمنهج القرآني والنبويّ من المناصحة والصبر والتدرّج ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

<sup>&</sup>lt;sup>۱۲۰</sup>- ينظر: زاد المسير: ۱۱٦/۲.

١٢٠٦ - يُنظر: المصدر نفسه: ١١٧/٢.

۱۲۰۷ - ينظر: تفسير الكشاف: ١/ ٢٦٠ .

۱۲۰۸ - ينظر : تفسير روح المعاني : ٦٦/٥

الله المجاري : باب: (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) ، برقم: (٦٧٢٣) : ٢٦١٢/٦ ، سنن ابن ماجه : باب: (طاعة الإمام) ، برقم: (٢٨٦٠) : ٢/ ٩٥٥ ، مسند أحمد : برقم: (١٢١٤) : ١٤٤/٣ .

١٢١٠- صحيح مسلم : باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية) ، برقم: (١٨٣٧) : ١٤٦٧/٣ ، سنن ابن ماجه : باب: (طاعة الإمام) ، برقم: (٢٨٦٢) : ٩٥٥/٢ .

۱۲۱۱- صحيح البخاري: باب: (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) ، برقم: (۲۲۲۶): ۲۲۱۲، ، : باب: (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) ، برقم: (۱۸٤۹): ۲۷۰/۳: (۱۸٤۹)

برتم. را ١٣٠٢ . باب: (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) ، برقم: (١٨٥١) : ١٤٧٨/٣ .

ولذلك نحن اليوم في أمس الحاجة إلى أن ندعو إلى زيادة التعليم الديني والإسلامي ، وإلى زيادة انشطة الديني والإسلامي ، وإلى زيادة بيان الحق للناس في أمور ومجامع كثيرة ؛ لأن غياب مثل هذه الدينوة وعدم معرفة هذه المسائل وتقليص التعليم الديني أو الهجوم عليه - كما يفعل بعض الكتاب جهلا أو قصدا - إنما يؤدي إلى اتساع الخرق على الراقع ، ويمنع من وقوع أسباب الإصلاح ، ولذلك فإنه لا بد لنا أن نؤكد على الأمر المهم ، وهو أننا إذا أردنا انطلاقا إلى الإصلاح فانطلاقنا إلى الإحلاح فانطلاقنا إلى الإدارة والاختلاف والنارع وسفك الدماء واختلال الأمن ، فكيف يكون الإصلاح بايقاع مثل هذه الأمور؟!

فإنَّ الذين يدعون إلى الخروج عن الطاعة ، أو الذين يدعون إلى أن يكونَ هناك أعمال يُراد بها إثارة البلبلة والقلاقل إنما يؤدّي فعلهم إلى عكس حقيقة الإصلاح القرآنيّ ، وقد رأينا كذلك أمرا مهما وهو أن نبحث عن المنطلقات في الشخصية المصلحة بأن تكون مخلصة شه متجردة عن الهوى ليست منطلقة من ردود الأفعال ولا من التشكي ولا من التحدّي ولا من غير ذلك ، فإنّ أمر الأمّة وسياستها أعظم من أن يكون خاصاً بهذا الشخص أو ذلك ، أو بهذه الفئة أو تلك ، فالمصلحة الإيمانية الإسلامية أعظم وأولى أن يراعيها الجميع حكاما ومحكومين ، علماء ودُعاة ، عامّة ومتعلمين ، تأتلف عليها قوبهم وتجتمع لتحقيقها جهودهم ، ويتنازلون لأجلها عن بعض آرائهم أو عن بعض مصالحهم، حتى يجمع الله عزّ وجلّ القلوب ، وندرك كذلك أخيرا أنّ كلّ أمر يقع به اضطراب أو تقع به فتنة أو يحلّ به شيء ممّا يؤدّي إلى اختلاف الآراء أنه يصب في خانة الأعداء ومصالحهم ، ويبرر ويوفر أسبابا لم يكون لنا غير ذلك ؛ لأنَّ هذا هو الذي نفهمه فهما صحيحا ممّا جاء في كتاب الله وسنة رسوله كلا يكون لنا غير ذلك ؛ لأنَّ هذا هو الذي نفهمه فهما صحيحا ممّا جاء في كتاب الله وسنة رسوله وممّا نطق به علماؤنا وأئمتنا ومشايخنا في عصرنا الحاضر، بل وأجمعت عليه كثير من المجامع وممّا نطق به علماؤنا وأئمتنا ومشايخنا في عصرنا الحاضر، بل وأجمعت عليه كثير من المجامع الفقهيّة ، فبعد هذا كله كيف نترك ذلك ونميل إلى رأي أو إلى قول لا يتطابق مع هذه المنطلقات ، ولا ينطلق من هذه الاستنباطات، ويكون لنا من وراء ذلك ظنّ بأننا نصلح وأننا نحسن ؟!

لا شكَ أنَ إقامة المجتمع على شريعة الإسلام وأسس النقوى هي الخطوة الأولى في بناء الدّولة الإسلاميّة ، وهي خطوة هامّة لسلامتها والمحافظة عليها ، إلا أنّ الأهمّ من ذلك هو استدامته والاستقامة عليه ، وذلك يتجلى في واجب حراسة الدّين والدّفاع عنه .

والمقصود بحفظ الدّين والدّفاع عنه كما بيّنه الماوردي بقوله: "حفظ الدّين على أصوله المستقرّة وما أجمع عليه سلف الأمّة ، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبيّن له الصوّاب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الدّين محروسا من خلل ، والأمّة ممنوعة من زلل " . (١٢١٣) وقال أيضاً رحمه الله: " ومنها إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام إذ لا يُمكن الادّعاء بحفظ الدّين مع ترك المفاسد والمنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك " . (١٢١٤) هذه النصوص من القرآن والسُنَّة كلها تأمر بطاعة الأئمَّة وولاة الأمور في غير معصية الله تعالى ويمكن أن نستخلص منها ما يأتى :

- ١- إنَّ السَّمع والطاعة واجبة في الأحوال كلها في غير معصيةٍ .
  - ٢- عدم الخروج على وُلاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة .
- ٣- إنَّ من نصح لو لاة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة ، فقد برئ من الذنب .

١٢١٣ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ٥.

۱۲۱۶ - المصدر نفسه : ۷

- ٤ النَّهي عن إثارة الفتن وأسباب إثارتها .
- ٥- عدم الخروج على الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البواح أي الظاهر الذي لا يحتمل التأويل- .

.. فدلت هذه النصوص على وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعة الأمر أهله ، والوعيد لمن يخالف ذلك ، إذ أنَّ الجماعة رحمة والفرقة عذاب . (١٢١٦)

الخليفة ومن دونه من ولاة الأمور يباشرون السلطة والأمر والنهي في إدارة شؤون الدّولة وفق اجتهادهم وما يرونه من وجوه المصلحة للأمّة ، وهذا فيما عدا ما هو منصوص عليه في الشريعة؛ لأنّ ما هو منصوص عليه واجب على الخليفة ومن دونه من ولاة الأمر التقيد به إذ لا اجتهاد في مورد النص ، وإنما الاجتهاد فيما لا نصّ فيه ، ومثل هذا الاجتهاد جائز لولاة الأمور . وقد يخالفهم غيرهم فيما يأمرون به أو ينهون عنه ، وقد يكون المخالف فردا أو أفرادا أو جماعة تقوم بالدّعوة إلى الإسلام ، وقد يكون الصوّاب مع ولي الأمر والخطأ مع مخالفيه وقد يكون العكس ، وفي جميع الأحوال يكون من حق أفراد الأمّة والجماعة المسلمة أن يبدوا آراءهم في تصرفات ولي الأمر مؤيّدين لها أو مخالفين ، وفق قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .(١٢١٧)

ومن هذه القواعد: عدم الإنكار في الأمور الاجتهادية وإن كان من الجائز لأفراد الأمَّة أو للجماعة المسلمة إبداء آرائهم فيما ذهب إليه ولي الأمر في الأمور الاجتهادية كما تقدم ولكن لا يجوز لهم اعتبار رأيهم هو الحق والصوّاب، والواجب التنفيذ وأن رأي ولي الأمر (الخليفة فمن دونه) المخالف لرأيهم باطل وخطأ قطعا ولا يجوز تنفيذه؛ لأن من القواعد الفقهيّة أنّ الاجتهاد لا ينقض بمثله وأن حكم الحاكم يرفع الخلاف في الأمور الاجتهادية، فإذا أخذ ولي الأمر برأيه واجتهاده المخالف لرأي غيره فهو قد استعمل حقه ، ومن يستعمل حقه فهو مُصيب غير مخطئ ومُحسن غير مسيء فلا يجوز الإنكار عليه وتجميع الناس ضده وإباحة الخروج عليه ، فهذا الصنيع من مخالفيه يقع في دائرة الخلاف والجماعة المسلمة أن يفقهوا هذا لئلا يقعوا في الخلاف المذموم وتحق عليهم المسؤوليّة وما يترتب عليها من جزاء . (١٢١٨)

إِنَّ الأميرَ إِنَّمَا يُختار لتطيعه الجماعة ؛ لأنها تعلم أنّ الأمير يُختار ليُطاع ، ولا معنى لاختياره إذا لم تطعه الجماعة ؛ ولأنّ طاعة الجماعة المُسلمة لأميرها هي طاعة لله ولرسوله ، فقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة t أنَّ رسول r قال : « مَنْ أطاعني فقدْ أطاعَ الله ومَنْ عَصاني فقدْ عَصى الله ، ومن أطاعَ أميري فقدْ أطاعني ومَنْ عَصى أميري فقدْ عَصاني » . (١٢١٩)

١٢١٥ - سورة النساء: ١١٥ .

١٢١٦- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: ٣٦٥.

١٢١٧- السنن الإِلْهَية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلاميّة: ١١٢.

١٢١٨- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلاميّة: ١١٢.

<sup>1111</sup> صحيح البخاري : باب: قول الله تعالى: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} ، رقم الحديث: (٦٧١٨) : ١١١/٦ ، صحيح مسلم : باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية) ، برقم: (١٨٣٥) : ١٤٦٦/٣ ، سنن النسائي : باب: (الترغيب في طاعة الإمام) ، برقم: (٤١٩٣) : ١٥٤/٧ ، مسند أحمد : برقم: (٧٦٤٣) : ٢٧٠٠/٢ .

وجاء في شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني: "وفي رواية همام والأعرج وغيرهما عند مسلم (١٢٢٠)« ومن أطاع الأمير»، ويُمكن رد اللفظين لمعنى واحد فان كل من يأمر بحق وكان عادلاً، فهو أمير الشارع؛ لأنه تولى بأمره وبشريعته ويؤيده توحيد الجواب في الأمرين، وهو قوله « فقد أطاعني » أي عمل بما شرعته، وكأنَّ الحكمة في تخصيص أميره بالذكر أنه المراد وقت الخطاب؛ ولأنه سبب ورود الحديث. وأمَّا الحكم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبَّب، ووقع في رواية همام (١٢٢١) أيضا « ومن يعص الأمير فقد أطاعني » بصيغة المضارعة وكذا « ومن يعص الأمير فقد عصاني »، وهو أدخل في إرادة تعميم من خوطب ومن جاء من بعد ذلك " . (١٢٢٢)

وخلاصة هذا الشرح أنَّ من يتولى إمرة شيء بموجب الشرع ويقضي بموجب الشرع فهو يُعد أميرا من قبل الشرع وطاعته واجبة ، فمن أطاعه فقد أطاع رسول الله الذي أمر بطاعة مثل هذا الأمير ومن أطاع رسول الله صلى r فقد أطاع الله تعالى . ومن يعص الأمير المذكور فإنه يعص الله ورسوله . (١٢٢٣)

والطاعة الواجبة لأمير الجماعة والتي تعصمها من الاختلاف إنما تكون في غير معصية الله تعالى فإذا أمر بمعصية الله فلا تجوز طاعته ، يدل على ذلك ما ورد في الصّحيحين (١٣٢٤): عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ٢ قال: « السّمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة ».

وجاء في صحيح مسلم: « عليك السَّمع والطاعة في عُسرك ويُسرك ومنشطك ومكر هك وأثرة عليك » (١٢٢٥)

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: "قال العلماء معناه: تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره ممّا ليس بمعصية ، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة ". (١٢٢٦) والمعصية التي لا يُطاع فيها الأمير إذا أمر بها هي التي عليها دليل شرعي واضح صريح لا يتحمل التفسير بأكثر من وجه ولا الاجتهاد في مدلوله كدخول النار التي أمر أمير السرية أتباعه بدخولها؛ لأنّ الدّخول في النار قتل للنفس ، وقتل النفس لا يجوز قطعاً . أمّا في الأمور الاجتهادية فطاعته فيها

# المبحث الثالث دور القرآن في إصلاح العدالة تجاه أبناء المجتمع

يدعو القرآن إلى إقامة النظم الاجتماعيّة العادلة المتوازنة والشورى والعدالة الاجتماعيَّة ومحاربة الاستبداد ، ويرى أنَّ المفهوم الأساس للوسطيّة الإسلاميّة والتوازن هو تحقيق المساواة والعدالة ، فلا وسطيّة ولا توازن إلا بالعدالة ، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم : ژ به به هه ٢

واجبة إذ لا معصية في اختيار الأمير رأياً دون رأي فيما يجوز الاجتهاد فيه . (١٢٢٧)

١٢٢٠ - في صحيحه: باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ، رقم الحديث: (١٨٣٥): ١٤٦٦/٣.

۱۲۲۱ - المصدر نفسه

۱۲۲۲ فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١٢/١٣.

١٢٢٣ - السنن الإلهية: ١٣ .

۱۲۲۰ - صحيح البخاري: باب: (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) ، رقم الحديث: (٦٧٢٥): ٢٦١٢/٦ ، صحيح مسلم: باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ، برقم: (١٨٣٩): ١٤٦٩/٣.

١٢٠٠- باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ، رقم الحديث: (١٨٣٦) :١٤٦٧/٣.

١٢٢٦ - شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢/ ٢٢٤.

١٢٢٧ - ينظر : السنن الإلهية : ١٣ .

كتاب يدعو إلى إصلاح المجتمع والتكافل والتضامن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية واختيار طريق يتفق وواقعية الدول الإسلامية ، لا رأسماليَّة ولا اشتراكيَّة بل طريقة إسلاميَّة تؤكد ملكيَّة الفرد ومصالح المجتمع ، وسطيّة وتوازنية بين الإنتاج والاستهلاك ، وتتمية الموارد وحماية البيئة والتطور المستمر ، وتنادي بحكم البلاد وإدارة شؤون المجتمع على أساس الشورى ، وتحارب الاستبداد والفساد والاستغلال والظلم .

ويدعو إلى الوحدة ونبذ الخلافات وإجراء حوار الحضارات وتقوية التبادل ، وتبيِّن أنَّ النزاعات الداخليّة قد أضعفت بكثير قوّة الأمّة الإسلاميّة وعرقلت تطوّرها وتقدّمها ، وإنّ تقوية الوحدة وتعزيز العكلقة أصبحت حاجة ماسنة وواجبة للأمم ، وليس في استطاعة الأمّة أن تجابه تحدّيات العصر والعولمة إلاّ بالاتحاد والتعاون ، فالوسطيّة الإسلاميّة تهدف إلى تتمية الوحدة والتعاون بين شعوب العالم الإسلامي انطلاقا من مبدأ : رُ و وُ وُ رُ لإجراء الحوارات فيما بينهم لتقوية التعاون وتعزيز العكلة بينها . (١٢٣٠)

وكذلك المسؤوليَّة الجنائيَّة من أجل حفظ الأمن والحفاظ على نظام التديّن ، والأرواح أو الأنفس والعقول ، والأنساب أو الأعراض ، والأموال ، قَيُعاقبُ الزناة واللصوص ورماة العقيفات بالفاحشة والمحاربون والسكارى ، بالعقوبات الزاجرة أو الرّادعة المناسبة لشدّة الجريمة وخطورتها ، ويُعاقب القتلة أو سفاكو الدّماء والمفسدون والمخرّبون على أساس من العدل والمماثلة أو المساواة ؛ لإطفاء حزازات النفوس ومنع عادة الأخذ بالثأر ، يشير إلى ذلك قول الله تعالى : رُكُ كُ كُو وُ وَ وَ وُ رُ فعن قتادة في قوله : رُكُ كُ كُرُ ، يعني : (نكالا وعظة إذا ذكره الظالم المعتدي كفّ عن القتل ) . (١٣٢١) وقال أيضا لله : ( جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لأولي الألباب ، وفيه عظة لأهل الجهل والسقه كم من رجل قد همّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكنّ الله حجز عباده بها بعضهم عن بعض وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر إصلاح في الدّنيا والآخرة وما نهى الله عن أمر إلا وهو أمر فساد والله أعلم بالذي يصلح خلقه ) . (١٢٣٢)

وعن الحسن البصري في قوله:  $( ^{\circ}$  ه ه  $^{\circ}$   $^{\circ$ 

ويكون العفو عن جرائم الحدود قبل رفعها إلى القضاء ، وكذا بعد الادّعاء أمام القضاء في القصاص مجّاناً أو إلى الدّية هو الأفضل والأقرب إلى رضوان الله ، لقوله تعالى في العفو عن الدّية : ث تُ تُثرُ (١٢٣٤) أي يتصدّق أهله على القاتل ، وسمّي العفو عن الدّية صدقة حثاً عليها ، وفي حديث الشيخين (١٢٣٥) : « كلّ معروف صدقة » .

وهذا التخيير بين عقوبة القصاص والدِّية والعفو ممَّا تميَّزت به شريعتنا للدّلالة على الوسطيّة والاعتدال فقد شرع القصاص وحده في الدّيانة اليهوديّة ، والعفو وحده في الدّيانة المسيحيَّة ، ثمَّ جاء

۱۲۲۸ - سورة المائدة: ٨.

١٢٢٩ - الأخيرة في سورة الرحمن : ٧- ٩ . ينظر: وسطية الإسلام : ٢٥ .

١٢٣٠ - ينظر: وسطية الإسلام: ٢٦ .

١٢٣١ - الدر المنثور : ١/١١ .

۱۲۳۲ - المصدر نفسه .

١٢٣٣ - المصدر نفسه .

١٢٣٤ - سورة النساء: ٩٢ .

۱۲۳۰- صحيح البخاري ، من حديث جابر بن عبد الله : باب : (كل معروف صدقة) ، برقم: (٥٦٧٥) :٢٢٤١/٥ صحيح مسلم ، من حديث حذيفة بن اليمان :باب : (بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) ، برقم: (١٠٠٥) : ٦٩٧/٢.

النظام الإسلامي جامعاً بين المزايا كلها ؛ لإبقاء صنائع المعروف والمودّة والفضيلة ، وتقليل تطبيق العقوبة وجعله هو الشائع بين الناس .(١٣٣٦)

والسِّجن يُعَدُّ نوعاً من أنواع التعزير الذي جعلته الشريعة الإسلامية بيد الحاكم المسلم وعلى حسب اجتهاده ، ووفق القواعد الإسلاميّة ، والتعازير تُعدّ مؤيّدات وكوابح لحماية نظام الشريعة الأصلي واحترام أصولها العامة ، وغايتها تحقيق الأمن والاستقرار والأمان وزرع الثقة فيما بين الناس .

وتعد أهم غايات السبن وأهدافه في شرعنا الحنيف هي رعاية المصالح العامة للمجتمع وذلك بحفظ الضروريّات ورحمة المجتمع من الخراب والدّمار والوقوع في براثن الإجرام وعزل المجرمين عن بقيّة المجتمع كما أنَّ من أهدافه إصلاح هذه الفئة من المجتمع التي عبثت بها يد الهوان والإفساد وألجأتها في آخر المطاف إلى غياهب السبون ، إذ يقوم السبن بإصلاح هذه الفئة لتعود بعد ذلك إلى المجتمع فئة صالحة مساهمة في بناء بلدها .

وفهما من هذا لا بدّ أن تولي الحكومات العربية والإسلامية السّجون اهتماماً كبيرًا وأن تجعله مؤسسة إصلاحية مثلى ؛ لما لها من دور في إصلاح المجتمع ، ويُمكن استغلال ذلك من خلال الوعظ والإرشاد ، وإتاحة إقامة الشعائر الدّينية من أذان وصلاة وصيام وغير ذلك مع توفير الوسائل الضرورية واللازمة لأداء تلك الشعائر . ومن ثمّ بث الوعي الدّيني والتوجيه السّديد بين السّجناء وذلك عن طريق إرسال العلماء والدّعاة المصلحين إليهم .

ولا يفوتني أيضاً أَنْ أشير إلى بثّ روح المسابقة الإيمانيّة في حفظ القرآن الكريم ، وحفظ بعض الأحاديث النبويّة الصّحيحة ، مقابل الإفراج عنهم مثلاً أو إعطائهم هدايا تشجعهم على الاستمراريّة في ذلك .

إذن تطبيق الشريعة الإسلاميّة في الحياة ، وتأمين الإصلاح للشعوب ، يتحقق باحتكام الدّولة بأنظمتها العامّة وممارستها القضائيّة للشرع وغرس المنهج الصّحيح الحيّ في نفوس الناس .

وينبغي أن نعلم أنَّ تطبيق الحدود ليس إلا عاملاً واحداً من عوامل كثيرة ، شرعها القرآن لبناء المجتمع الإسلامي وسلامته واستقراره وأمنه ، فهناك التربية الإسلاميّة ، وأصولها والإيمان وتقريره في النفوس ، وأثره في الأمن وثيق ثمّ التربية بالعبادات الإسلاميّة فالصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وكذا أمور العبادة الأخرى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصوص الترغيب ونصوص الترغيب

ونظام الحكم في الإسلام يقوم على أسس الحق والعدل ، والشورى ، والمساواة ، والحريَّة في إطار الدِّين الذي يمنع الجموح والشذوذ ومصادمة القيم الكبرى والنظام الأمثل وسعادة الإنسان نفسه، ويُعدُّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس التكافل الأدبي والثقافي والاجتماعي ، كما أنّ التضحية والعمل للصالح العام المقدّم على الصنّالح الخاص ، وبناء مستقبل الأمّة والتعاون والتكافل كلّ ذلك من قواعد الحكم القرآني .

هذا وفي المُقابل فقد حرّم القرآن الكريم الظلم في آيات كثيرة صريحة بذكر اسمه ، وفي آيات أخرى بصورة غير مباشرة وذلك بالأمر بالعدل ؛ لأنّ الأمر بالعدل نهي عن الظلم فمن ذلك قوله تعالى : رُج چ چ رُ ، هكذا أمراً مطلقاً بالعدل بكلّ ما هو عدل ولكلّ إنسان فلا يجوز ظلمه ولو كان كافراً

١٢٣٦ - ينظر: وسطيّة الإسلام وسماحته: ٢٤.

١٢٣٧ - سورة آل عمران: ٧٢ .

١٢٣٨ - ينظر: أثر تطبيق الحدود في المجتمع: ٢٤٧ .

أو ظالماً ، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : " ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كلّ شيء وعلى كلّ أحد ، والظلم محرّماً في كلّ شيء ولكلّ أحد فلا يحلّ ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً أو كان ظلماً ، قال تعالى : رُ به هه هه عرض عن في كن تك كن تك وُ وُ وُ وُ وُ وُ وُ وَ وَ وَ وَ ي ي برُر ، ومعنى شنآن قوم أي بغض قوم وهم الكفار " . (١٢٣٩)

ومن المعلوم أنَّ الظلم معصية ، وأنَّ الظالم إذا لم يتب من ظلمه عوقب عليه في الآخرة ، وأنه إذا تاب توبة نصوحاً مقبولة ، فتوبته تسقط عنه عقوبة ظلمه . ولكن إذا كان ظلمه يتعلق بحقوق الناس كما لو قتل غيره ظلماً أو آذاه في بدنه بغير القتل أو غصبه حقاً له ثمّ تاب فهل تسقط توبته عقوبة ظلمه هذا في الآخرة ؟ تعرَّض الإمام ابن تيميَّة لهذه المسألة فقال : " إنَّ التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب وأمَّا حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة ، فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم ، لكن من تمام توبته أن يعوضه بمثل مظلمته ، وإن لم يعوضه في الدّنيا فلا بدّ له من العوض في الآخرة فينبغي للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات حتى إذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلساً ومع هذا فإذا شاء الله تعالى أن يعوض المظلوم من عنده فلا رادّ لفضله كما إذا شاء أن يغفر ما دون الشرك لمن يشاء " .(١٢٤٠)

من سنّة الله في الظلم والظالمين هلاك الأمّة بظلمها ، وفي بيان هذه السنة العامّة آيات كثيرة في كتاب الله العزيز منها :  $\hat{t}$   $\hat{t}$ 

وتبقى الدّولة مع الكفر لكن لا تبقى مع الظلم ، قال تعالى : رُ يو ثُر الذّولة الدّولة مع الكفرة قد تكون عادلة بمعنى أنّ حكامها لا يظلمون الناس والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم ، فهذه الدّولة مع كفرها تبقى ، إذ ليس من سنّته تعالى إهلاك الدّولة بكفرها فقط ولكن إذا انضم إلى كفرها ظلم حكامها للرّعية وتظالم الناس فيما بينهم ، وبهذا قال المفسرون وأهل العلم ، قال الفخر الرّازي في تفسيره:" إنّ المُراد من الظلم في هذه الآية الشرك . والمعنى أنّ الله تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين ، إذا كانوا مصلحين في المُعاملات فيما بينهم يُعامل بعضهم بعضا على الصدّلاح والسدّاد " . (١٢٤٢)

وفي تفسير القرطبي: "قوله تعالى: رُ رُ أي بشرك وكفر رُ رُ ، أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق. ومعنى الآية: إنَّ الله تعالى لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط ".(١٢٤٣)

ومن آثار الظلم الذي يُعجّل في هلاك الدّولة الظالمة خراب البلاد اقتصادياً وعمرانياً لزهد الناس في العمل ، وسعيهم الدّائم إلى الفرار والخروج منها . وكان هذا يؤثر في قوة الدّولة اقتصادياً وعسكرياً ويُقال مواردها الماليّة التي كان يُمكن أن تنفقها على إعداد قوتها في مختلف المجالات ، ممّا يجعل الدولة ضعيفة أمام أعدائها الخارجين وإن بقيت قويّة طاغية على مواطنيها الضعفاء المساكين المظلومين .. وكلّ هذا يؤدي إلى إغراء أعدائها من الدّول القويّة لتهجم عليها وتستولي عليها أو على بعض أقاليمها أو إلحاق الأذى والضرر بها ممّا يُعجّل في هلاكها . (١٢٤٤)

وقد أشار القرطبي رحمه الله إلى أثر الظلم في خراب البلاد ، فقال : " فإنَّ الجَور والظلم يخرّب البلاد بقتل أهلها وانجلائهم منها ، وترفع من الأرض البركة " . (١٢٤٥)

ومن الظلم المُهاك المُحاباة في تطبيق القانون ، إذ إنّ القانون يجب أن يطبقَ على الجميع وبالسويّة وبدون مُحاباة ، فإذا ما طبق بُعثت الطمأنينة في النفوس ، وصار الضعيف المُحق يوقن بأنه في مأمن من ظلم القوي ؛ لأنّ الدّولة معه ممثلة بقانونها الذي تطبقه محاكمها بعدل وبجديّة وعلى الجميع

۱۲۳۹ - الفتاوي الكبري : ۸۹/۱ .

۱۲۴۰ - المصدر نفسه : ۱۱۱۱۱ .

١٣٤١ - الآيات في سورتي : الأنعام : ٤٥ ، ٤٧ ، يونس : ١٣ .

۱۲٤۲ - مفاتيح الغيب: ٤٨٦/٨ .

١٢٤٣ - الجامع لأحكام القرآن: ١١٤/٩.

١٢٤٤ - السنن الإلهية : ٩٣ .

١٢٤٥ - الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٤/٩.

وبدون مُحاباة لأحد ، ومن كانت معه الدّولة وقانونها فهو أقوى من غيره مهما كان هذا الغير ذا نفوذ وجاه وسلطان .

فإذا اختل هذا الوضع فلم يطبق القانون على الجميع وأخذت المُحاباة تفعل فعلها وهي التي يأخذ بها الحاكم ، كان ذلك من الظلم الذي تباشره الدّولة أو تعين على وقوعه أو تسكت عنه فلا تمنعه فتتلبس الدّولة بالظلم وتغشاها ظلمته فيقوم فيها سبب الهَلاك فتهاك . (١٢٤٦)

#### المبحث الرابع

## أثر القرآن في إصلاح ترسيخ العَلاقات الدوليّة

الإسلام مستمد من السَّلام ، فالله هو السَّلام ، والجنَّة هي دار السَّلام ، وتحبَّة الإسلام السَّلام وتحبَّة الأسلام الله والملائكة لأهل الجنة هي السَّلام : (0,0) (0,0) (0,0) (0,0) الله والملائكة لأهل الجنة هي السَّلام : (0,0) السَّلام : (0,0) السَّلام : (0,0) المَسْروع لقوله تعالى: (0,0) المَسْروع لقوله تعالى: (0,0) المَسْروع لقوله عن المَسْروع لقوله عن وجل: (0,0) المَسْروع لقوله عن وجل: (0,0) المَسْروع لقوله عن المُسْروع لقوله عن المَسْروع لقوله عن المَسْروع لقوله عن المُسْروع لقوله عن المُسْروع

والأصل (القاعدة العامَّة) في عَلاقات المسلمين بغيرهم هو السلم لا الحرب ، والباعث على القتال هو العدوان ، وإقرار الحرب مع النهي عن الاعتداء إنما هو للضرورة ودفع العدوان ومُقاومة الغاصبين والمحتلين وطردهم من ديار المسلمين والمستضعفين والمظلومين، لقوله تعالى: ژ

ی ژ

وحينئذ يكون لزاماً التفرقة بين الإرهاب بالمعنى المطلق أو المفهوم الغربي الشامل لحق المُقاومة أو الدّفاع ، وبين الجهاد المشروع أو المُقاومة للمحتلين لطرد الأعداء والغاصبين فالمعنى الأوّل فيه خلط بين المفاهيم وتسويغ تسلط الظلمة والمستكبرين على المستضعفين والمعنى الثاني حق وعدل وشرف وكرامة بل واجب .

فالإرهاب المحظور: هو كلّ اعتداء على الآخرين ، أو عمل عنيف وراءه دافع سياسيّ ، أيّا كانت وسيلته ، فهو عمل غير مشروع في دوافعه ومناهجه وأساليبه وغاياته ، وهذا يشمل وقائع الإرهاب المحلي في البلاد العربيّة الإسلاميّة الآمنة ؛ لأنه إفساد وتخريب وتدمير فيجب ملاحقة مثل هؤلاء وتخليص الوطن من شرّهم . (١٢٤٩)

أو بتعبير آخر أنّ كلمة الإرهاب: تستخدم للرّعب أو الخوف الذي يسببه فرد أو جماعة أو تنظيم سواء كان ذلك لأغراض سياسية أو شخصيّة أو غيرها .(١٢٥٠)

أمًّا المُقاومة أو الدِّفاع عن الحقوق والبلاد والأوطان فهي مشروعة ، بل واجبة ، لطرد الظلمة والمعتدين والمتسلطين على الضعفاء واسترداد الحقوق المغتصبة ، مثلما يفعل الغربيون في العراق والصَّهاينة في فلسطين المحتلة . (١٢٥١)

١٢٤٦ - السنن الإلهية: ٩٤ .

١٢٤٧ - سورة الأنفال: ٦١ .

١٢٤٨ - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ٢٦.

١٢٤٩ - ينظر: المرجع نفسه: ٢٧.

١٢٥٠ - ينظر: الإرهاب السياسي: ٨١.

١٢٥١ - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته: ٢٧.

وإن كنا اليوم أمام صفحة جديدة غير مشرقة في العكلقات الدوليّة ، الحافز فيها هو هذا غير المعرّف المسمّى إرهاباً ، والخصم والقاضي فيها هو الولايات المتحدة وعُصبة من الدول ، يُقابله صمت فعلي من العالم ، والقانون المطبق فيه هو شريعة الغاب . آن للعالم أن يشخص الداء قبل اللجوء إلى دواء قد يكون هو من أسباب الداء . أو لا نرى ذلك تحت أنظارنا في العراق وأفغانستان ، وقبلها وبعدها ، الله يعرف أين ومتى ؟ ومن يعش ير . (١٢٥٢)

ولهذا فإنَّ العَلاقة بين مختلف تجمّعات الأمّة الإسلاميّة وإن تعددت كياناتها السياسية هي السّلام الذي تحققه مبادئ السّماء وكفالة الإسلام لحقوق غير المسلمين .. ويتجلى ذلك فيما يأتي (١٢٥٣) :

أوّلا: تميّز الشريعة الإسلامية في كفالة حريّة الاعتقاد: جعلت شريعة الإسلام حرية العقيدة لغير المسلمين أمرا مقرّرا ، لأنّ الإسلام لا يكره أحدا على الدخول فيه ؛ ذلك لأنّ الله خلق الناس جميعاً مختلفين في أديانهم وألوانهم وعاداتهم وتقاليدهم ولا يزالون كذلك إلى يوم الدّين ، يُؤكد ذلك أنّ القرآن الكريم أنزل سورة كاملة تحتوي على هذا المفهوم الشامل ، قال تعالى: رُ أب ب ب ب ب ب پ ب ي ي ي ن ن ذ ذ ت ت ت ت ت ت ت ت ث ث ث د ث ش ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ب المناه المناه

ثانيا: كفالة حقوق غير المسلمين: جاء الإسلام الحنيف وفي جوهر مقاصده بقاء الإنسان ناهضا بتبعاته يسعد بحياة آمنة لا يرى فيها ظلما ولا هضما. فالعدالة والإنصاف والقسطاس سمة الحياة في الإسلام والاستقامة ورعاية الحقوق وأداء الواجبات هي الأمل والعمل والسبيل والهدف، وإن الإنسانية في مسيرتها عبر التاريخ في الزمان والمكان لم تعرف دعوة إلى العدل كما عرفتها في ظلّ الإسلام؛ ليستقر المجتمع الدولي ويعيش في أمن وأمان. وتحقيقاً لمفهوم الأمن الشامل كفل الإسلام المعاملة الحسنة والرعاية الكريمة لغير المسلمين الذين يقيمون في دار الإسلام (١٢٥٠) على أن يكون لهم ما للمسلمين من حقوق ورعاية واهتمام وحماية ، وعليهم ما على المسلمين من واجبات. فأصبح الأجنبي يتمتع بجميع الحقوق والأمان الذي يتمتع به المواطن المسلم ، وأصبح الجميع متساوين وحقوقهم مصانة، وفي مقدمة ذلك أنفسهم وممتلكاتهم وأعراضهم ودينهم. (١٢٥٦)

ثالثاً: التعايش مع الأديان الأخرى : طالبنا الإسلام وفق أخلاقياته وسمو نظرياته إلى معايشة الأديان الأخرى والتساكن معها مهما اختلفت ؛ لأن هذا الاختلاف بين الناس أمر حتمي قضى به خالق الناس لحكمة يعلمها هو جل وعلا ، يؤكد ذلك قوله تعالى: رُ لُ لَا لَهُ قُ قُ قُ قَ قَ قَ قَ قَ قَ جَ جَ جَ جَ جَ جَ رَ (١٢٥٧)

هذا وإنَّ من السِّمات البارزة والمزايا الحميدة للإسلام أنه دين يعترف بالأديان السَّماويّة الأخرى، وإنّ نبيّ الإسلام مُحمّداً r قد آمن بما أنزل على موسى وعيسى عليهما السّلام ممّا لم يحرّفه اليهود ولا

١٢٥٢ - ينظر: الإرهاب الدولي والنظام العالمي الرّاهن: ٢٠٣.

١٢٠٢ - ينظر: نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين: ٩- ٣٧.

١٢٥٤ ـ سورة الكافرون : ١ - ٦ .

٥٠٠٠- دار الإسلام: (هي الدار التي تجري عليها أحكام الإسلام، ويأمن من فيها بأمان المسلمين سواء كانوا مسلمين أم ذميّين). السياسة الشرعية: ٧١.

<sup>-</sup> ودار الحرب : (هي الدار التي لا تجري فيها أحكام المسلمين) . الشريعة الإسلامية والأجانب في دار الإسلام : ٤٢ . ١٢٠٦- ينظر: نظام الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمنين : ٦٩ مفهوم العدل في الإسلام : ١٣١ .

۱۲۵۷ - سورة يونس: ۹۹.

رابعاً: تميز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والحريّات : تشير المُعاملة الإسلاميّة لغير المسلمين في ظلّ دولة الإسلام الحق والقانون والحماية إلى تميّز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والأخلاق ودفع الظلم وإنجاز كلّ ما فيه خير الفرد والأمّة في الحاضر والمستقبل وبطبيعة الحال يشمل ذلك غير المسلمين ، فجعل النظام السياسي الإسلامي الحكم أمانة. يجب تحقيق مفهوم العدالة فيها تطبيقاً وتنفيذاً شرعياً ، قال تعالى: رُو و و و و و و و و و و ب ب ب ب ر (١٢٦١)

ولا شك أن وجود السلطة القضائية المستقلة العادلة النزيهة لهو أكبر الضمانات لمحاكمة تتوافر لها عوامل الحيدة والنزاهة والاستقلال . ومن صور المساواة والعدالة في الحكومة التسوية في مجلس القضاء والاستماع إلى الخصم غير المسلم وعدم الضيق بهم والحنق عليهم ، كما جاء ذلك في توجيهات النظم القضائية الإسلامية . (١٢٦٢)

وممًا سبق يتضح لنا أنَّ الشريعة الإسلاميَّة أقرّت مبدأ أصول العَلاقات الإنسانيّة من تعايش واحترام للحريّات مع غير المسلمين ، وسبقت بذلك قواعد القانون الدّولي كله ، وذلك منذ أربعة عشر قرنا (۱۲۹۳) ولم يضيّق الإسلام على المخالفين أو يُرهبهم أويُروّعهم البتة ، وبذلك تتدحر المقولة المزعومة والتي يتشدق بها الأعداء الحاقدون على نظام الإسلام مرددين مقولة : إنَّ الإسلام انتشر بالسيّف!! بل إنَّ الإسلام انتشر عن طريق الدّعوة بالتي هي أحسن والمجادلة المُقنعة والحوار الهادف البناء والتسامح في المعاملة ، ولم يعرف السيّف إلا دفاعا عن حُرُماته ومُقدَّساته من أن تُتنهك أو تُمنتهن من قبل أعداء الإسلام . وللمظلوم أن يدفع عن نفسه ، قال ابن القيِّم رحمه الله : " إنَّ جهاد الدّفع يُشبه باب دفع الصّائل ولهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه ، كما قال الله تعالى: رُّ أ ب ب ب

خامساً: تمتع الأجنبيِّ بالأمان: جاء الإسلام بشريعة عادلة ونظم إنسانية تحترم الإنسان وتكرمه وتمنحه الرّعاية والحماية والأمان. وقد أبان الفقهاء أنّ الأمان للأجنبي يتمثل في تحقيق الدولة الإسلاميّة الأمن والحماية لمن لجأ إليها (١٢٦٥). وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة في تمتع الأجنبي بالأمان. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تبارك وتعالى: رُبِ

رُ (١٢٦٦) " والغرض أنّ من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة ،

١٢٥٨ - سورة البقرة : ٢٨٥ .

١٢٥٩ - سورة المائدة: ٤٤، ٢٤.

١٢٦٠ - ينظر: المجتمع المدني في عهد النبوة (خصائصه وتنظيماته الأولى): ٧.

ا ١٢٦١ - سورة النساء : ٥٨ . ينظر: الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : ٨٥ ، التقسيم الإسلامي للمعمورة : ٩٥ .

١٣٦٢- ينظر: السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي: ٦٥٢ ، القضاء في الإسلام وآداب القاضي:

<sup>·</sup> ١٢٦٢ - ينظر: قواعد العَلاقات الدوليّة في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية: ٣١٥.

١٢٦٠- سورة الحج: ٣٩. وقول ابن القيم في كتابه الفروسيّة: ١٨٧.

١٢٦٥- ينظر: الإسلام والعَلاقات الدّولية: ٣١٧.

١٢٦٦ - سورة التوبة : ٦ .

أو تجارة ، أو طلب صلّح ، أو مهادنة ، أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلبَ من الإمام أو نائبه أماناً أعطي أماناً ما دام متردداً في دار الإسلام وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه ". (١٢٦٧)

إذن فلا شك أن هذا التمتع إنما هو مصدر للرعاية الحقيقية التي منحتهم إياها الشريعة الإسلامية أكثر من القانون الدولي . وقد رتب الفقهاء على هذه الامتيازات أنه لا يجوز لدار الإسلام تسليم المستأمن إلى دولته دون الرجوع إليه ورضاه بذلك ولو على سبيل المبادلة بأسير مسلم .. فأي امتياز وتمتع للأجنبي في نظام أو قانون مثل الإسلام ، فلم تكن نظرية بل كانت سلوكا واقعياً في حياة المسلمين وفي صلاتهم وعَلاقاتهم بغيرهم ، وهي جزء لا يتجزأ من العقيدة .(١٢٦٨)

سابعا: الإخلال بالأمن وعقوبته الشرعية والقانونية: في مقابل ما منح الوافد الأجنبي والديبلوماسي من حقوق وحماية ورعاية وأمان وتكريم، فإن إخلاله بالأمن القومي للدولة الإسلامية يترتب عليه تبعات عقابية قاسية. فالأمن القومي للدولة الإسلامية هو عبارة عن "مجموعة مصالحها الحيوية فكل دولة تهتم بالحفاظ على تلك المصالح سواء كانت سياسية أو اقتصادية، أو ثقافية، أو اجتماعية: معنوية أو روحية أو أمنية، وإن مفهوم الأمن القومي هو العمل على مُقاومة كل من يُحاول مخالفة قواعد الأنظمة المرعية والتشكيك في مبادئ الدول وقيمها". (١٢٦٩)

وقد أدركت الدّولة الإسلامية في سياساتها الخارجية منذ نشأتها الأولى هذا الأمر وأعطته جُلّ الاهتمام فزوّدت سفراءها بالتعليمات ، والسلوكيّات والآداب التي ينبغي أن يتجملوا بها أمام الدول والهيئات والمؤسسات والمنظمات العالميّة فممّا أوصتهم به الديّبلوماسيّة الإسلاميّة عدم التدخل في شؤون المُرسل إليه ، وأمور مملكته ، والتحريض على الرّاعي والرّعيّة ، أو أن يتصلوا بشخصيات مشتبه في أمرها لدى سلطات الدّولة المُرسل إليها ؛ لأنَّ الديبلوماسي أو الوافد إلى دولة أخرى ينبغي أن يكون كما قال الملك الظاهر برقوق : "أعمى أخرس ، غزير العقل ، ثقيل الرّأس " . (١٢٧٠)

ثامناً: الوفاء بالعهد: إذا أعطى المسلمون الأمان للحربيين ، وجبَ عليهم الالتزام بما يقتضيه عقد الأمان من عدم التعرض لمن ثبت له الأمان الخاص أو العام المؤقت أو المؤبّد ما لم ينته أمانه إن كان مؤقتاً وإنما يجب الوفاء بالعهد مع الحربيين . فالمسلمون مطالبون بالوفاء بالعهود التي التزموا بها كما قال تعالى: رُ رُ ك ك ك كر ، وقال : رُ و و و و و و و رُ (١٢٧١)

إذن فالقرآن الكريم لا يمنع من إقامة العكلقات الدوليّة حتى مع غير المسلمين على أسس من العدل والمُعاملة بالمثل. فالنوازن هو السنة التي دونها يستحيل أن يكون هناك وجود حقيقي على مستوى الفرد فالإنسان إذا اختلت التوازنات في ذاته وفي جسمه يشعر بمرض كذلك الطبيعة والطقس والجو إذا اختلت فيها النوازنات يحدث الخلل، وإذا

١٢٦٧- تفسير القرآن العظيم: ١١٤/٤.

١٣٦٨ - ينظر: أصول العكلقات الدولية في الإسلام: ١٣١ ، العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية: ٨٦ ، ٨٧ .

١٢٦٩ - نظم الحكم المعاصر: ١٣٣.

۱۲۷۰ - النظم الديبلوماسيّة في الإسلام: ٦٦ . ١٢٧٠ - الآيتان في سورتي : النحل : ٩١ ، الإسراء : ٣٤ .

١٢٧٢ - سورة الأنفال : ٥٨ .

١٢٧٠ - العُلَاقات الدولية في الشريعة الإسلامية : ١٠٣ ، أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية : ١٥٧ .

اختلّ التوازن في العكلقة بين الطبقات في المجتمع، يحدث الصرّاع والدّمار وإذا اختلّ التوازن بين العكلقات الدوليّة تحدث الحروب والصراعات والفتن .(١٢٧٤)

.. وأخيرا فإنَّ هذا الموضوع ذو شجون وفنون ، يُبرهن أنَّ الإسلام بريء من العُنف والتطرّف وأنه دين التيسير ، وأنه دين جاء ليبقى ، قال تعالى : رُ على التيسير ، وأنه دين عالمي ، قال تعالى : رُ ككگ گگ گگ گا به اله وين عالمي ، والمعبود بحق ربّ العالمين ورسوله رحمة للعالمين قال تعالى : رُ ككگ گگ گ

قابه دین عالمي ، فالمعبود بحق رب العالمین ورسوله رحمه للعالمین قال نعالی : ر د کرک که که که در وقرآنه رحمه للعالمین ، قال تعالی : ژ گې گې گې گ گ گ ر ن ژ (۱۲۷۰) گ گ گ گ گ ن ن ژ (۱۲۷۰)

#### الفصل الثامن

### دور القرآن في إصلاح الإعلام

لا تخلو أيّة أمّةٍ من الأمم - أيّا كان تمدّنها وحضارتها- من مفاهيم وقيم وموازين وأعراف تربى عليها أفرادها ، وتقيم موازينهم وقيمهم وتصوّراتهم عليها ، وتسعى بكلّ وسائلها وإمكاناتها إلى غرس تلك المفاهيم ؛ لأنّ بقاءها وتزكيتها والمحافظة عليها كفيل بتماسك الأمّة وتلاحمها .

وتختلف أمّة عن أمّة في التركيز على بعض القيم وتبنيها لها ، وقد توجد اختلافات وتباينان بين أمّة وأخرى إلى حدّ التناقض في تلك الأسس التي تعمل على تربية أفرادها عليها ونلاحظ في الوقت الحاضر هذا الأمر بجلاء ، إذ تسعى أجهزة الإعلام المختلفة ووسائلها المتعدّدة لغرس القيم والمفاهيم التي تريدها هذه الدولة أو تلك في مواطنها بحيث تتمط أفكار الناس ، وتشكّل سلوكياتهم وتسيّر حياتهم وفق ما تريد . (١٢٧٦)

فهذا النهج هو الذي يعنى به في البناء التربوي للأمّة ، وقد لاحظناه أمراً بدهيًا تمارسه جميع الأمم والجماعات .. إلا أنّ قيادات الأمم غير المهتدية بهدي الله تعالى تسعى إلى تتميط حياة الناس، بحيث لا يتعارض مع مصالحها ، بينما قيادة الأمّة السّائرة على هدى الله تعالى تعمل على إيجاد الكرامة الإنسانيّة ، وغرس القيم الإنسانيّة . ويندرج تحت البناء التربوي جوانب تربية الأفراد والأمّة ، وجوانب إدارة وإجراءات تنفيذ ما يطلب منهم ، وإدارة الصرّاع مع من حولهم وحدود العَلاقة مع غيرهم ومدى تتمية حياتهم العلميّة . (١٢٧٧)

إنَّ القرآن الكريم كتاب إصلاحيٍّ إعلامي نزل بالحق: لتحقيق غرض مُعيّن ، ألا وهو الدّعوة إلى الله تعالى ، فالإعجاز في القرآن هي الحقيقة الإعلاميّة الخالدة ، إذ يستعين باللغة الفصيحة والعبارة البليغة الواقعيّة القادرة على غزو القلوب و العقول ، وهو كتابٌ إعلاميٌّ نزل من عند الله تعالى لتحقيق هداية البشر كافة إلى الله تعالى وتثبيت عقيدة نقيّةٍ راسخةٍ في النفوس . حتى أضحى الإعلام

١٢٧٤ - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار: ٣٦.

١٢٧٥- الأيات – بالترتيب – في سورة : الفتح : ٢٨ ، الأنبياء : ١٠٧ ، يوسف : ١٠٤ ، أل عمران : ٩٦ .

١٢٧٦ - دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة: ٧١.

۱۲۷۷ - المرجع نفسه

الإسلامي يتميّز بمقوّمات خاصّة في: النتوّع في الأداء ، والواقعيّة في الأدوار من حيث البيان المعجز ، والتزام الصدق ، والمواجهة الصريحة، والشمول لمختلف القضايا، تقديم الحقائق العلميّة في قدرة الإنسان على الاستيعاب ، وإتباع أسلوب الأداء الأمثل في التتوع والتغيير .

فما أحوج الإعلام الإسلامي – اليوم- وهو يدعو ويعلم و يُصحّح أن يعلم أنَّ القرآن الكريم : هو الوسيلة الأولى في الإعلام و التبليغ ، بل هو وسيلة إعلاميّة شديدة الفاعليّة فهو المصدر الأصيل للعلم والثقافة الإسلاميّة . وكان رسول الله ٢ يمثل القرآن الذي نزلَ عليه ، وكأنه قرآنٌ يمشى على الأرض وذلك في أحواله كلها ، و في كلّ ما ينطق به من أقوال وأحاديث . (١٢٧٨)

وللإعلام الإسلامي مقومات وأسس من أهمها: الالتزام بالصدق والأمانة في البيانات كلها من مصادرها الأصيلة . وإنّ التزام الصدق مسألة بالغة الأهميّة في الإعلام الناجح ، و في الدّعوة إلى الله تعالى ، وقد ذمَّ القرآنُ الكريمُ الذين يقولون بغير علم : ثر ں ل ل لا لا له ه ه ه ه ه ه ح ح ىى يى ز، رْٺ دْنْتْ تْدَتْ تْدُتْ تْدُ ژ ، ژ

قُ أَ ( (١٢٧٩) وقال r : « كفي بالمرء كذبا أن يُحدّث بكلّ ما سمع » . (١٢٨٠) وتظلّ المصادر الأساسيَّة في الإسلام مهيمنة على كلّ نظرية ، توصف بأنها إسلاميّة في أيّ ميادين المعرفة . وأنّ الصّدق والأمانة في جمع البيانات من مظانّها ومصادرها الرئيسيّة تعدان ميزتان بارزتان في الإعلام الإسلامي ، وأصل من أصول منهجه .

لذا فإنَّ من الخصائص التي يقوم عليها الإعلام في الإسلام: أولها ، وأو لاها الصِّدق ؛ ذلكم لأنَّ الصِّدق سمة من سمات القرآن الكريم في الرِّسالة والدَّعوة الإسلاميَّة .(١٢٨١) وكذلك الحقائق المُدعمة بالبراهين . وأنبياء الله ورسله المبلغون عنه ، صفتهم الرَّئيسيَّة : الصِّدق والأمانة . والمؤمنون هم الوارثون عن رسل الله : الدَّعوة و البلاغ والإعلام بالإسلام ، وقد أمروا بالتحقق وتحرِّي الصِّدق، قال تعالىي : ژ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ج چ چ چ څ ژ (۱۲۸۲) ، وحذروا من أن يعتبر القول من غير علم وسند صحيح ، قال تعالى : ژ

فالقرآن الكريم كتاب الدَّعوة جاء من الحقّ جلَّ في علاه بالحقّ .. فهذه الصِّفة تنهي عن الكذب والخداع ، حتى في النوايا : لا بدّ من الصَّدق مع الله ، و إخلاص النيَّة ؛ لسلامة العمل . والصَّدق هو أحد الرّكائز الأساسيّة ضمن المنهج الإعلامي الإسلامي ، والذي يتضمّن : صدق الخبر ، وصدق الكلمة ، وصدق الحكم . وإنّ النزام الصّدق صفة بالغة الأهميّة في الإعلام الناجح – بشكل خاص-وفي الدَّعوة إلى الله – بشكل عام- .

ومن بين المقوّمات الرَّئيسيَّة أيضاً التجرّد من الذاتيّة ، والتحلي بالموضوعيّة في عرض الحقائق، ويُعد هذا المقوم: الصَّفحة المميِّزة لدعوة الإسلام على ما سواها ، إذ تعرض الحقّ بموضوعيّة بعيدة عن الأهواء والرّغبات . (١٢٨٣) والإسلام متميّز في عرض الحقائق ، بأنّه لا يثبتها ولا يبثها عن طريق الحدس والتخمين و لا يوضحها بأسلوب التدليس و المُغالطة ، وإنما يبنى حقائقه على العلم الموصل إلى اليقين وعلى الصِّدق المؤدِّي بإذن الله تعالى إلى الثقة والاطمئنان.

١٢٧٨ - ينظر: الإعلام: ٦٠.

١٢٧٩ - الآيات - بالترتيب- في سور : النور : ١٥ ، الإسراء : ٣٦ ، الحجرات : ٦ .

١٢٨٠ - صحيح مسلم: باب: (النهي عن الحديث بكلّ ما سمع) ، رقم الحديث: (٥): ١٠/١ ، سنن أبي داود: باب: (التشديد في الكذب) ، برقم: (٤٩٩٢) :٧١٦/٢ .. وكلاهما من حديث أبي هريرة † . المنظر: النظرة الإسلاميّة للإعلام : ١٢٧ .

١٢٨٢ - سورة التوبة: ١٩٩،

١٢٨٣- ينظر: الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة: ٤٧.

إنّ القرآن الكريم يمتاز بالتنوّع في الأداء من حيث الحقيقة ، إذ هو تركيب مُعجز ، غاية الإعجاز في بناء آياته في الموضوعات ؛ ذلك لأنّ القضايا التي يتبنّاها ويتناولها ، أساسها الواقعيّة في الحوار: والمقصود بالواقعيّة وإن كان وحيا ، إلا أنّه واجه الأحداث والوقائع وكلّ من يتلو القرآن الكريم يتبيّن له أنّ الحوار يتناول الأحداث والمواقف كلها ، وكلّ الناس من جميع الفئات . والقرآن العظيم لا يتردد في أيّ أسلوب من أساليب البيان ، ولا يستحيي أن يضرب أيّ مثل من الأمثلة في سبيل خدمة الدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى .. كيف لا وهو البيان المُعجز ، إذ اعتمد أفضل أساليب القول في الدّعوة . والدّعوة إلى اعتماد أفضل أساليب الأداء في مُمارسة الإعلام ، ومُخاطبة الآخر .. وهذا يتمثل في :

- القول الحسن ، قال تعالى : ر ب ب ر (١٢٨٤)
- اللين في القول والخطاب ، قال الله تعالى : ژ ډې هه هه ے ے ځ ژ . (١٢٨٥)
- البصيرة في الأداء والتوصيل ، قال سبحانه : ر حٍ جٍ ي ي د د د د د ر ر ر ر ر ر ر (١٢٨١)
- الحِكمة في العَرْض ، واختيار الموعظة الحسنة : ر ه ٨ به هه هه ي ح ئے لئے ر (١٢٨٧)

كما شمل القرآن مختلف القضايا ، والمواقف المتعلقة بشؤون الدّنيا والآخرة ، وذلك عبر الاهتمام بكلّ صغيرة وكبيرة ؛ حتى لا يترك أيّة ثغرة في بناء الدَّعوة إلى الله ربِّ العالمين .. وهكذا فينبغي استثمار ما تقدّم والإفادة منه . وأمًا عن الأساليب القرآنية للدَّعوة والإعلام ، فقد تضمَّنت : اليُسر والسّهولة ومخاطبة العقول كلها . الحوار بأسلوب يُقدّر كرامة الإنسان ، و حريّته وعقله ؛ ذلك لأنّ الإعلام قد بني على أساس حريّة الإنسان المنضبطة ؛ ليميّز الخير من الشر. ومُخاطبة عقل الإنسان ، وقابه وجوارحه بأسلوب شامل جامع ، إذ أحاط ملكات الإنسان كلها . (١٢٨٨)

والقصيَّة القرآنيَّة ، لها أثر بالغ في الإصلاح ، إذ استخدمت كأسلوب من أساليب الإعلام والدَّعوة القرآنيَّة -التي خاطبت العقل والشعور جميعا- . وفي الأساليب القرآنيَّة والإعلام : نجد التكرار قد استخدم بطريقة فعّالة ومؤثرة ، قبل أن يُعرفَ علمُ النّفس ، ودراساته الحديثة . (١٢٨٩)

وهذا يعني أنَّ القرآن الكريم ظاهرة تاريخية منفصلة عن العصر الحاضر ، وأنه لم يتوقف تأثيره في صنع الأفكار و تعيين العادات والتقاليد والتأثير في النفوس في فترة ، ولا يزال محتفظاً بالدّفاع عن أصالته وثباته وقدرته على المعاصرة .

.. وللإحاطة ببعض الجوانب الإصلاحيَّة تجاه الإعلام – من دون إطالة- ، ارتأيتُ أن يكون هذا الفصل متضمّناً المطالب الآتية :

# المطلب الأوّل أثر القرآن في إصلاح رجل الإعلام

١٢٨٤ - سورة البقرة: ٨٣ .

١٢٨٥ - سورة طه: ٤٤ .

١٢٨٦ - سورة يوسف: ١٠٨.

١٢٨٧ - ينظُّر: الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة: ٤٧ - ٤٨ .

١٢٨٨- ينظر: الإعلام في القرآن الكريم: ٢٠١- ٢٢١ .

١٢٨٩ - ينظر: المرجع نفسه: ٢٦٤.

يوجّه القرآن رجل الإعلام بتوجيهات هامّة وصفات خاصّة ، تجعله عنصرا مميّزا فعّالا ، ولاسيّما إذا كان موضع ثقة الشخص الذي توجّه إليه الفكرة ، و اتصف بالاحترام والخبرة والصدّق ، وكان متخصّصا في مجاله ، ومهما تكن عظمة الفكرة أو قدسيّتها ، فإنّ رجل الإعلام له أهميّته الكبرى ، ويكفي أن نستذكر هنا قوله تعالى حينما وصف رسوله ٢ : ر پ پ پ پ پ ناف ذذ ت ت ت ت ت ت ت ث ث ر (١٢٩٠) فتبلغ رسالة القرآن بما يمثله من عظمة وقدسية تطلبت أن يكون رسول الله ٢ متصفا بصفات خُلقيّة أو كما أجملها القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى : رُ كُ كُم رُ رُ .

.. وبهذا التوجيه الجليل مهد الإعلام لمراحل الدّعوة الإسلامية التي كللت بالنصر وانتشار الإسلام في كلّ أفاق الأرض ، لذلك فإنّ تجلية الجانب الإعلامي ، وإلقاء الضوء على الأساليب والوسائل التي وجه الله تعالى بالقرآن الكريم رسوله وأصحابه إليها ، تقدم لنا أنجح الوسائل وأكثرها فاعليّة وتأثيرا بالنسبة للدّعوة لديننا في هذا الزمن ، وبالنسبة لما ندعوا إليه من مبادئ وقيم أخرى تتصل بالحياة .

إنَّ التوجيهات قد شغلت حيزا كبيرا في القرآن وأنه تعالى قد قدّم لنا الأركان الأساسيّة التي تقوم عليها الدّعوة مع بيان أساليبها ووسائلها ، وهي تتضمّن المبادئ السّامية لكلّ إعلام ناجح ومؤثر .. ونستطيع القول إنّ أغلب آيات القرآن الكريم إن لم تكن كلها قد احتوت في جزء من أجزائها على إعلام عن حقيقة ما غابت عن عقولنا وعظة بالغة ، أو دليل واضح على وجود الله تعالى وقدرته أو قصة عظيمه الدّلالة على الانتصار الدّائم للخير باعتباره سنّة الله التي لا تبديل لها في حياة البشر .(١٢٩١)

فإذا انتقلنا إلى ميدان التخطيط للحياة الفاضلة وحمايتها من عوامل الانحراف والهدم فإن هذه الآيات تقدم لنا من خلال بيانها المثالي كلّ المعلومات والوسائل التي تمكننا من المحافظة على طهارة الحياة ونقائها فتعلمنا أنباء الأيام الخالية والأمثال والعبر ، وتحفزنا للدّفاع عنه والجهاد في سبيله ولنحيا الحياة الجديرة بالإنسان يقول تعالى في ذلك : رُ حُ حُ لَكُ لَكُ كُ و وُ وَ وَ وُ وَ وَ وَ وَ وَ وَ وَ وَ عَ ي بِ

ىى يى اَ بٖ بٖ ب۪ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ننت ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ج ج ج چ چ چ ڇ ڇ ڀ ڍ ڌ ڌ ڏ ڏ ڏ ڏ رُ رُ رُ رُ رُ . (۱۲۹۲)

بهذه الكلمات الطيّبة المضيئة الموحية ، استقر الدين القيم في القلوب وبها انطلقت النفوس لتجاهد في سبيله لا تنظر إلا إلى ما يعدها الله به .. وفي آياته البيّنات . وقد ساندت هذه الكلمات القرآنية القدوة والأسوة التي سنها رسول الله ٢ بسلوكه وأفعاله وأقواله ونحن نعلم أنّ هذا السلوك ظلّ في القمة بين كلّ سلوك بشري على مدى القرون والأجيال ؟ لأنّه من صنع الله الذي اصطفاه وأدّبه فأحسن تأديبه .

### المطلب الثانى

### دور القرآن في إصلاح الشعور بالأمن إعلاميّاً

كان من أهمِّ إصلاح الأساليب القرآنية للدّعوة والإعلام إشاعة الشعور بالأمن والأمل في نفوس المجتمع العربي ، الذي عانى في جاهليته من شعور متمكن بفقدان الأمن والإحساس العميق بالضياع في حياته الدنيا ومن بعدها الموت ورأينا كيف بث الأسلوب القرآني شعوراً مطمئناً بالأمن والسّلام وأقامت الأساليب

<sup>.</sup> ۱۲۹۰ ـ سورة آل عمران : ۱۵۹ .

١٢٩١- ينظر: الإعلام في القرآن الكريم: ٢٢١.

<sup>&</sup>lt;sup>۱۲۹۲</sup> - سورة الأنعام: ١٥١ - ١٥٣.

القرآنية للدعوة والإعلام الوجداني الجماعي في المجتمع العربي ، الذي اندفع به وحقق المعجزات في مجال نشر الإسلام والدعوة له بكل أساليب الدعوة التي بينها القرآن له وحثه على إتباعها .

ويبقى بعد تكونى الوجدان الجماعي ، ما يتحمّل بكلّ فرد وما تضطرب به نفسه من قلق أو خوف على حياته أو ماله وأولاده ، وفي مجال بث أمن الفرد على حياته ، واطمئنانه إلى ما تأتى به الأيّام والمواقف وجّهت الدّعوة القرآنيّة الإنسانيّة إلى الحقيقة الخالدة التي تتصل بهذه الحياة وما بعدها على نحو لا يشعر فيه المؤمن بأيّ خوف من الموت ؛ لأنّ القرآن بث فيه الإيمان بحياة أفضل وأخصب تتصل بالدّوام والخلود. (١٢٩٣) يقول الله تعالى في ذلك : رُو وُ وُ وَ و و و وَ وَ ي ي رُ ، رُ لُ لُـ لُـ هُ هُ هُ هُ هُ هُ هُ ے ہے ئے ڑ ، ویقول: ژ و و و و و و و و و می و ویقول جلَّ شأنه : ژ

رُ .(١٢٩٤) وإذا كان الموت هو قدر كلّ حي ونهايته فلم يكن ذلك قدرًا محتومًا لا غاية وراءه ولا هدف منه ولكن شاء القدير الحكيم أن يجعله وسيلة لصلاح الدّنيا وخير الأحياء ، قال الله تعالى : ژ آ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀڀڀڀڀٺ ٺ ذذ ٿٿ ٿ ٿ ٿ (1790)

" إنه أوجد الخلائق من العدم ؛ ليبلوهم ويختبرهم أيّهم أحسن عملا " . (١٢٩٦)

إنَّ غايات الحياة هنا تتحدد بالدّعوة القرآنيّة في عقل كلّ إنسان وشعوره ، ويصبح إدراك ما بعد الحياة من خير يرتبط بما يقدّم كلّ إنسان من عمل حسن وصالح في حياته الحاضرة ، فترتبط الغايات الطيّبة بالوسائل الطيّبة ، ويصبح الثواب بعد الموت مرتبطاً بالحياة ؛ ليزيد الخير وتطيب الحياة لكلّ حي، وبهذا الشعور يذهب الفزع من الموت من نفوس المؤمنين وتطمئن نفوسهم إلى ما ينتظرهم بعد الحياة .(١٢٩٧) فالموت حق ويقين في نفس كلّ مؤمن ، يرجوه وتشتاقه نفسه في سبيل الله ؛ لأنَّ ما ينتظره من ربه خير من كلّ ما يجمع الأحياء على الدّنيا ، وهو معبر إلى حياة النعيم والخلود .

بهذا اليقين زال أكبر ما كان يؤرق النفس الإنسانيّة من فزع الموت وما يعقبه من الفناء والضياع وبهذا الإدراك تسابق الناس إلى الصّالح من الأعمال والخيرات ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ويأتي بعد الفزع من الموت تضطرب له النفس البشريّة أشد الاضطراب ، خوف آخر ، مرده شعور الإنسان بعدم اطمئنانه على معايشة ومعاش ذويه ، إذ تتراءى له شبح الجوع والفقر ، وما يجرّانه عليه من بؤس وعنا ومذلة قد تدفعه إلى الشرّ ، أو إلى اليأس والقنوط ، وفي هذا الشأن تقدم الأساليب القرآنيّة العلاج الشافي الذي تطمئن له النفوس ويتبع به الأمل ، يقول جلَّ في علاه : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀٺ ٺ ذ ت ت ژ .(۱۲۹۸)

وفي بيان معجز يزيل من نفس الإنسان كلّ شك ويفتح أمامه منافذ لا تحصى للأمل والرّجاء يقول تعالى : رْ ، رُ و و و و و و و و ژ ں ڻ ٿ ٿ ٿه هه هر به هه هڙ ، ژؤؤ ۋو وو و و و ي ي ب

> ی ی پی *ۋى ى ڊ* ڊ (1799)

١٢٩٣ - الإعلام في القرآن الكريم: ٢٥٢.

١٢٩٠٠ - الأيات - بالترتيب- في سور: النساء: ٧٨ ، الأنعام: ٣٦ ، غافر: ٣٩ ، الأنبياء: ٣٤ - ٣٥ .

<sup>1</sup>۲۹۰ سورة الملك : ١- ٢ .

١٢٩٦ - تفسير القرآن العظيم: ١٧٦/٨.

١٢٩٧ - الإعلام في القرآن الكريم: ٢٥٣.

۱۲۹۸ - سورة هود: ٦.

١٢٩٩ - الآيات في سورتي : العنكبوت : ٦٠ ، ٦٢ ، فاطر : ٣-٣ .

وهذا عام لجميع المصائب ، في النفس ، والمال ، والولد ، والأحباب ، ونحوهم ، فجميع ما أصاب العباد فبقضاء الله وقدره ، قد سبق بذلك علم الله تعالى ، وجرى به قلمه ، ونفذت به مشيئته واقتضته حكمته والشأن كلّ الشأن ، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام ، أو لا يقوم بها ؟ فإن قام بها ، فله الثواب الجزيل ، والأجر الجميل ، في الدّنيا والآخرة ، فإذا آمن أنها من عند الله ، فرضي بذلك ، وسلم لأمره ، هدى الله قلبه ، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب ، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه ، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر ، فيحصل له بذلك ثواب عاجل ، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب .. وعلم من هذا أنّ من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب ، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره ، بل وقف مع مجرد الأسباب ، أنه يخذل ويكله الله إلى نفسه ، وإذا وكل العبد إلى نفسه ، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد ، قبل عقوبة الآخرة ، على ما فرط في واجب الصبر (١٣٠١)

#### المطلب الثالث

#### دور الرسالة الإعلامية الإسلامية

شكّلَ الإعلامُ - اليوم - أحد أهمِّ دعامات الثورة التكنولوجية الحديثة في الاتصالات ، وانعكس ذلك على كلّ فرد في هذا المجتمع المعاصر ؛ نظراً للتغييرات المستحدثة في آلياته والمستجدات في نمط حياة الفرد مقارنة مع ما كانت عليه في العهود السّابقة ، إذ أحدث الإعلام انقلاباً شبه جذري في مجالات الحياة المعاصرة كلها وسلوكيات أفراد المجتمع وطالت التغيرات الأعراف والقواعد والقيم الاجتماعيّة ، فضلا عن ما تعرضه وسائله المتعددة في الأجواء العالميّة ، بعدما حوّلت العالم إلى قريةٍ صغيرةٍ .

وفي الحقيقة أنَّ الإعلام هو الذي يوجّه الناس في المجتمع ، وهو الذي يضع الرّأي العام وفق رغبات وأهواء القائمين على الوسائل الإعلاميّة وانطلاقاً ممَّا يُؤمنون به من مبادئ وأفكار وقيم .

فالإعلام أصبح بطل الملحمة واللاعب الأساسي في صياغة الترتيبات العالميّة على ضوء انعكاسات الحادي عشر من سبتمبر.. وبالتالي فإنّ المتحكمين في الإعلام ، هندسة وتمويلا وصياغة ، هم الأكثر قدرة على صوغ خريطة العالم ورسمها في هذا الزمن وفقاً لمرئيّاتهم وأغراضهم ومصالحهم الخاصيّة .

و من المُلاحظ في هذه الأوقات أنَّ الإعلام الإسلامي ، ولاسيّما الرّسمي وشبه الرّسمي منه ما زال يُمارس لعبة إخفاء الحقائق ، غير آبه بأنّ الزمن غير الزمن ، وأنه من المُمكن اليوم الحصول على المعلومة كاملة أو مشوّهة أو مشكلة من جديد ، من مصادر أخرى ، في ظلّ ثورة الاتصالات التي نعيشها، وهذا ممّا لاشكّ فيه له نتائج سلبيّة ؛ لأنّ هذه السياسة تعمق من أزمة الثقة بين المجتمع والدّولة ، وتزيد من سعة الفجوة بينهما ، بحيث يصبح كلّ طرف سائرا في طريق مناقض للآخر، مع ما لذلك من مخاطر على الاستقرار السياسي والاجتماعي .

كما أنه من المُلاحظ أنّ الإعلام الإسلامي بوجه عام ما يزال يُمارس أسلوب الوصاية الفوقيّة على المجتمع - أي أسلوب أفعل و لا تفعل - ، ما يجوز وما لا يجوز ، الصّح والخطأ . مثل هذا الأسلوب -أي أسلوب الأمر الفوقى - هو عديم الجدوى في النهاية ، بالنظر إلى المُمارسة الإعلاميّة السّليمة . فالفرد وهو المتلقى

١٣٠١- ينظر: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): ٨٦٧.

١٣٠٠ - سورة التغابن: ١١.

الأخير للرسالة الإعلاميّة ، لا يستسيغ مثل هذا الأسلوب ، أي أسلوب الأمر والتوجيه المباشر ، وكأنه من القاصرين .

ويتفاقم فشل مثل هذا الأسلوب في ظلّ عالم أصبحت وسائل الإعلام والاتصال المُختلفة تملأ أجواءه وتصل الى الناس في غرف نومهم ، وفي ظلّ أزمة ثقةٍ مُزمنةٍ بين المُجتمع والدّولة في هذه المنطقة من العالم (١٣٠١)

من ذلك كله نخرج بنتيجة مبدئية مفادها أنّ العمليّة الإعلاميّة في العالم الإسلامي لا تلعب الدّور الفعّال الذي من المُفترض أن تلعبه ، ولاسيّما في مثل الظروف الحاليّة للعالم الذي أصبح بالفعل خريطة إعلاميّة قبل أنْ يكونَ خريطة جغرافيّة أو تاريخيّة ، استراتيجية إعلاميّة للوحدة الإسلاميّة .

وآن لنا أن نضع أيدينا على مواطن الخلل ونعيد النظر في خريطتنا الإعلامية. ولعل من أبرز نتائج تلك الحملة الغاشمة إزالة دولة إسلامية وتشريد وقتل آلاف الأبرياء المسلمين فضلا عن حصار العالم الإسلامي وتهديد أمنه واستقراره ومُحاولة تقسيم بلاده ، وما يحدث مع العراق اليوم أكبر دليل على تلك الموامرة الخبيثة.

ى ي ي ي ثر (۱۳۰۳) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: « الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ... » . (۱۳۰٤) وهذا يوضح لنا أنَّ هنالك أولويات في الأعمال ، ولذلك كان الصّحابة لا يحرصُون على التعرّف على الأولى في الأعمال ليتقرّبوا إلي الله عزّ وجل ، ولهذا كثرت أسئلتهم عن أفضل الأعمال وأحبّ الأعمال إلى الله تعالى . فإذا كانت معرفة الأولويات للأمّة المُسلمة ، وهي تغدو إلى ربها سنة نبويّة كريمة ، فهي

المولى في الاعمال بيعربوا إلى الله عرو وجن ، ولها كلوت السلمة على المعمل الاعمال والحب الاعمال الله تعالى . فإذا كانت معرفة الأولويات للأمّة المسلمة ، وهي تغدو إلى ربها سنة نبويّة كريمة ، فهي اليوم أمرٌ واجبٌ تفرضه المرحلة الرّاهنة . ويُمكن الإعلامنا أن يلعب دورا كبيرا في تغيير المواقف والاتجاهات وذلك عبر :

- توحيد الخطاب الإعلامي وتصحيحه ومن ذلك: البعد عن استخدام المصطلحات التي تتضمن تشجيع العدو على احتلال واستعمار بلادنا العربيّة والإسلاميّة ، وتمزيق المجتمع المسلم ، من خلال بث مصطلح: أزمة الشرق الأوسط بأزمة المشرق الإسلامي ؛ لأن مصطلح الشرق الأوسط لم يكن له جذور في الاستخدام العربي والإسلامي ، بل كان تعبيرا عن تقسيمات للعالم في إطار الحقبة الاستعماريّة .

١٣٠٠ - ينظر :العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق : ص١.

١٣٠٣ - سورة التوبة: ١٩ - ٢٠ .

<sup>1&</sup>lt;sup>۱۲۰</sup>- صحيح مسلم: باب: (بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها) ، رقم الحديث: (٣٥): ١٣/١ . وورد بلفظ: ((الإيمان بضع وسبعون باباً أفضلها قول..)) . سنن أبي داود: باب: (في رد الإرجاء) ، رقم الحديث: (٤٦٧٦): ١٢٠/٢، سنن النسائي: باب: (ذكر شعب الإيمان) ، برقم: (٥٠٠٥): ١١٠/٨: ، مسند أحمد: برقم: (٩٣٥٠): ٤١٤/٢ ... وكلهم من حديث أبي هريرة y .

- البُعد عن المُصطلحات الغربية التي تسئ إلى المُقاومة الشرعية ، وتصفها بالعنف والإرهاب والدموية ، وتتجاهل أن هذا حق مشروع في الدّفاع عن النفس ورفع الظلم واسترداد ما غتصب من الأراضي الإسلامية .
- توضيح أنَّ الإرهاب هو ما يقوم به العدو المغتصب ، وليس ما تقوم به الحركات الجهاديّة من مُقاومة مشروعة ومتعيِّنة للاحتلال الغاشم .(١٣٠٥)

وليُعلم أنَّ الإسلام منهج حياة صالح لكلّ زمان ومكان بقدر ما يراعي ظرف الزمان وشروط المكان فإنّ منهجنا هو قبول النتوّع في إطار الوحدة ، والاختلاف تحت ظلال التوحيد ، والـتأليف والتسديد والمقاربة دون قسر أو قصر ، والمشاركة في قضايا العالم وهموم الإنسانية المشتركة ، والمعرفة بالعدو ولغته والرّؤى المغايرة وتضاريسها والتفاعل معها بثقة وعزة ، واستشراف التحديات ، والنظر في مواطن الفتن ومعرفة خصائص العصر المستجدة والتعامل معها بحكمة ورئشد .

وقبل الختام أرى من الواجب بمكان أن أتطرَّق إلى أهداف الإعلام الدَّعوي الصَّحيح في مجتمعاتنا (١٣٠٦) .. والتي من أهمِّها :

- ايضاح الطريق السليم أمام الأمّة الإسلاميّة في شتى الأقطار بما يتلائم ومبادئ الإسلام ويواكب التطور العصريّ ويبعد عنها الجمود والتخلف.
- ٢- التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة ، وهي لا تخرج عن معين الإسلام الصّافي بحيث تذوب الفوارق بين الفرق الإسلاميّة ، وينصهر المسلمون جميعاً تحت بوتقة الإسلام الحنيف وتزول من بينهم الاختلافات المذهبيّة .
- ٣- حماية الشباب المسلم من الانحرافات المدمرة التي تحاول أجهزة معادية لنا.. تصديرها إلى وطن الإسلام ؛ لإشاعة الضعف في النفوس وتحطيم القيم الدّينيّة والمثل الرُّوحيَّة وصرف أبناء المسلمين إلى الحياة الماديّة والمبادئ الهدّامة وتخليصهم من التعصيّب الأعمى وتبصيرهم بحقائق الإسلام وروحه .
- ٤- الانطلاق بالإسلام إلى كافة الشعوب التي لا تزال غارقة في ظلمات الجهالة ، ويجد فيها المبشرون أرضاً خصبة لبث سمومهم ونشر آرائهم التي تحارب الإسلام وتطعن في حقيقته وتشوّه صورته أمام تلك الشعوب .
- ٥- العمل على تكوين الفرد المسلم والأسرة والشعب المسلم الذي يؤمن بتطبيق الشريعة الإسلامية منهجاً وسلوكاً في حياته.
- ٦- مُحاربة العادات التي لا تتفق مع الإسلام ، والتي انتشرت بين المسلمين في حقبة من الزمن لأهداف سياسية أو لأغراض شخصية وأصبحت جزءا من حياة بعض الناس وتحولت إلى ألوان من الشعوذة والدّجل ، وفي ذلك إساءة للإسلام والمسلمين .
- ٧- التعاون مع الأجهزة المختلفة في سبيل مُحاربة الأميّة ونشر الثقافة الإسلاميّة والتخلص من
   آفة الجهل التي تؤدّي إلى ضياع أمّة الإسلام وتأخرها عن غيرها .
- $\Lambda$  توجيه الناس إلى العمل وعدم التواكل واعتبار ذلك عبادة ، يثبت الله تعالى عليها لينطلق الجميع إلى الإنتاج والإبداع والله تعالى يدعو إلى العمل في قوله :  $\mathring{c}$  و  $\mathring{c}$  و  $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$  و  $\mathring{c}$   $\mathring{c}$   $\mathring{c}$  و  $\mathring{c}$   $\mathring{c}$

۱۳۰۰ - ينظر: العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق: ۲-۱.

١٣٠٦ - الإعلام في القرآن الكريم: ٤٤١ - ٤٤٢ .

- ن والرسول  $\Gamma$  يقول: « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » . $^{(17.7)}$
- 9- توجيه الجماهير إلى المعاونة في المشروعات الخيرية والمشاركة في الجهود الذاتية من أجل
   تحسين حياة المسلمين بإقامة المدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية وغير ذلك .
- ١٠ معاونة الجهات المسئولة في القضاء على الشائعات المضللة والفتن المدمرة التي يلجأ إليها
   بعض ذوي النفوس الضعيفة لأهداف سيئة .

وعليه فلا بدَّ من أن يكون الإعلام الإسلامي ملتزماً ومتمسِّكاً بما يأتي :

- النزامه في كلِّ ما يصدر عنه ، في المحافظة على عقيدة هذه الأمّة ونقاوتها وصفائها ، وأن يستبعدَ من وسائله كلّ ما يُناقض شريعة الله التي شرعها للناس .
- العمل على مُناهضة التيارات الهدّامة ، والاتجاهات الإلحاديّة والفلسفات المعادية ومُحاولات صرف المسلمين عن عقيدتهم . وكشف زيفها وإبراز خطرها على الأفراد والمجتمعات والتصدي للتحديات الإعلاميّة .
- وضع قوانين من قبل الدّول العربيّة الإسلاميّة للجمارك والإعلام لمنع الكتب والنشرات المخلة بالعقيدة ، المصادمة للإسلام ، فضلاً عن متابعة من يُمارسون عملية التثقيف في المجتمع وعلى أيّ مستوى كانوا ؛ لئلا يُصادموا عقيدة المسلمين .
- العمل على خدمة المجتمع ، وذلك عن طريق تأصيل قيم الإسلام الثمينة ، وترسيخ تقاليده العربيّة الكريمة ، والحفاظ على عاداته الخيرة الموروثة ، ومُقاومة كلّ ما من شأنه أن يُفسد نقاءه وصفاءه .
- الإصرار على التأكيد من خلال التجربة الحيّة على إمكان دور الرّسالة الإعلاميّة في توحيد المسلمين حول قضاياهم الكبرى ، ولاسيَّما تجاه الدّول الإسلاميَّة المحتلة والمنكوبة كفلسطين والعراق وأفغانستان والصُّومال .. وغيرهم . (١٣٠٩)

بينما نجد اليوم المسيطرين على الإعلام العالمي يسعون بكلّ ما أوتوا من قوّة لإبقاء الأمّة الإسلاميّة في حالة الضعف والضياع والانقسام التي تعيشها ، ويسعون لإجهاض كلّ محاولة لتوحيد الأمّة عبر مخطط إعلامي مُتكامل براعي الجودة في خطوات العمليّة الإعلاميّة فيهتم بالمرسِل والمُستقبل كما لا يهمل الرّسالة ولا وسيلة إيصالها. فنجده في اهتمامه بالرّسالة يُراعي أن تحقق مقاصده وتوافق مخطاطته ، ويتفنّن في مُحاولة إخراجها في قالب مُحايد تارة ، وقالب مُنحاز تارة أخرى ، وفي كلّ الأحوال تبقى الرّسالة الإعلاميّة العالميّة متسمة بالتضليل وإلباس الحق ثوب الباطل ، وإظهار الجاني بمظهر الضحية ، والعكس صحيح . والبعد عن الدّقة والعلميّة عند الحديث عن المسلمين فتجدهم يروّجون لممارسة حكومة ما على حساب حكومة أخرى . والتطفيف وازدواجية المعايير وسياسة الكيل بمكيالين .و الانحياز التام ضد الفكرة الإسلاميّة الصحيحة ، والسعي الدؤوب لزرع بذور المقرقة بين المسلمين .

١٣٠٧- سورة التوبة : ١٠٥ .

١٣٠٩- العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق : ٣

إنَّ واقع العجز العربي والوهن الإسلامي والمكر العالمي ، فتح الباب على مصراعيه لعدد من مخططات الأعداء لتجد لها موطئاً في أرض المسلمين ، لتعمل معولها في مجتمعاتهم هدماً وتشتيتاً وتمزيقا ، وحِرصا على وحدة المسلمين لزم أن يراعي الإعلاميّون في رسالتهم الإعلاميّة أن يفضحوا هذه المخططات ، ويَسْعُوا إلى تعريتها حتى يحذرها الناس.

والرِّسالة الإعلاميَّة منوط بها أن تذيع المبشرات - من القرآن والحديث واستقصاء التاريخ- بانتصار الإسلام والمسلمين ، وتشيع التوعية بأنّ الأمّة الإسلاميّة قد مرَّت عليها أعوام حالكة من قبل .(١٣١٠)

#### الخاتمة

بدا لنا من خلال هذا الموضوع الشيق أهميته ، وآثاره العظيمة التي تبرز في الوسط الإسلامي وبأن القرآن الكريم دستور كامل وتشريع شامل يتناول شؤون الدين والدنيا دون انعزالية وفصل يقوم منهجه على نظام فريد ، قوي في البناء ، يُقرر الصور المثلى والمنهج العادل والوسطية والاعتدال والتسامح .. وأنه مصدر التشريع ومحورية هذا الدين التي اتضحت لنا من خلال الوقوف على دوره وأثره في السلطة والنظم الدينية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة كافة، والتي يُمكن الوقوف عليها بجلاء في انعكاس هذا البحث على الواقع اليومي المعاش في الدول الإسلامية .. ومن خلال ما تقدّم فقد أبرزت لنا هذه الدراسة النتائج الآتية :

1- دعوة القرآن الكريم إلى إيجاد أمّة صالحة قائمة بأمر الله تعالى ، مستخلفة لهداية الناس وقيادة الدّنيا عملاً بقوله سبحانه : ثر أن أن ذذت ت ت ش أث أث أث و لا تكون هذه الأمّة المقصودة خير أمّة إلا إذا تحقق لها الإيمان بالله ، وصدق الانتماء إلى الإسلام والأخذ بتعاليمه في كلّ شؤون الحياة ، وهو أساس صلاح المجتمع ووقايته من كلّ شرّ أو فساد .

١٣١٠ - ينظر: المرجع نفسه.

٢- دور القرآن في إصلاح الموالاة ، والتي لا بد أن تكون في الله ، وكذلك التآخي والتعاطف والتراحم . والدّعوة إلى وحدة الصقف النابع عن وحدة المعتقد ، ووحدة المشاعر ووحدة المصير والاتفاق في طريقة التفكير ، ومناهج الاجتهاد والاستتباط والتخلص من العصبيَّات الجاهليَّة والطائفيَّة والمذهبيَّة ، وكلّ ما من شأنه أن يُمزق الأمّة ويضعف بناءها .

٣- دور القرآن في حيازة الأمّة لكلّ أسباب القوّة والمنعة الماديّة ، ولكلّ ما يُغنيها عن أعدائها ويجعلها
 عفيفة مرهوبة الجانب .

3- دعوة القرآن إلى إيجاد الفرد الصالح الذي هو لبنة هذا المجتمع وثمرة التعلم والتربية و لا يكون هذا الفرد صالحاً إلا إذا اتصف بصدق الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسالاته وتكريس النفس لعبادته وتوحيده ، وصدق الانتماء إلى أمّة الإسلام الذي يحمل الفرد على الاعتزاز بهذه التسمية والجهر بها ، والعمل والجهاد لتكون أمّته أعز الأمم وأقواها ، وبناء الفرد الكامل - حسب الاستطاعة والقدرة والاستعداد - في دينه وخلقه وجسمه وعاطفته ومهاراته وإحسانه لعمله كله .

٥- الاهتمام بتربية الأسرة ودعوتها إلى العمل الصالح والبعد عن المنكرات ، أساس في صلاح المجتمع واستقامته ، ومن ثمّ الحفاظ عليها بما يكفل استمرارها وبقاءها وقدسيّتها على النحو الذي أراده الله تعالى ، وتهيئتها لتكون المدرسة الأولى ، والجهة الأفضل التربية والتعليم ، وتتشئة الجيل الصالح . والحفاظ على المواطنة الصالحة في المجتمع ، والبعد عن العصبيّات الجاهليّة .. والعكس في ذلك أساس في فساد المجتمع الذي يتكوّن من الأسر .

7- لن يستقيم حال المجتمع ما لم يوضع المعلم والمربي في منزلته الحقيقية على رأس السلم الوظيفي ، وما لم يُطهر الجهاز التربوي والتعليمي من الذين وضعتهم الظروف السيئة والترتيب السئ في هذه المهمة وما لم يكن اختيارنا للمدرس والمربي اختيارا سليما وفق معابير الأهداف التي نرمي إلى تحقيقها ، ضاع المجتمع السليم وأصبح أبناؤه فريسة لكل أصحاب الأفكار والمبادئ الهدّامة ، ونهبا مشاعاً لكل من أراد تجنيد هذه الأمة في سبيل أهدافه الخبيثة ومآربه الشريرة ، بل تجنيد أبناء المجتمع أنفسهم لهدم مجتمعهم المسلم وعقيدتهم وتراثهم .. الذي به قوتهم ووحدتهم وفلاحهم في الدّنيا والآخرة .

٧- أكدت هذه الجولة وبشكل واضح أنَّ هدف المسلم - الأول - لا بدّ أن يكون رضى الله تعالى وأن تكون أهدافه العليا المتفرعة عن هذا الهدف هي مقاصد الإسلام التي في مقدّمتها الضرورات الخمس: حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ النسل وحفظ العقل ، وحفظ المال فكل نشاط المجتمع المسلم يجب أن يخدم تحقيق هذه الأهداف ؛ لأن هذه الأهداف إذا اتجه إليها أبناء الأمة الإسلامية كان جديراً بالوقاية من المنكرات والجرائم ، ومنها المسكرات والمُخدرات . ويجب على المسئولين عن التعليم أن يصوغوا مناهجه صياغة يتحقق بها حفظ الضرورات الخمس المتقدمة وما يخدمها ؛ لصالح المجتمع عامة والأفراد خاصة .

٨- يجب أن نقام قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن كلّ المعاصي والجرائم حتى يتطهر المجتمع من أرجاسها ، ويجب أن يقوم بهذه القاعدة كلّ من تتوفر فيه شروطها وكلّ بحسب قدرته :
 العلماء بالبيان ، والحُكّام بالقوّة عند الحاجة .. وهكذا كلّ حسب موقعه .

9- إنّ القرآن الكريم قد بيّن لنا خطوط الانحراف في جمع المال وحبه ، واتضح لنا من خلال ذلك أنّ جمع المال مشروع ، ولكنّ الانحراف يكون في الإفراط فيه أو التفريط ، وكذلك فإنّ حبّ المال ليس

رجسًا أو عارًا ، بل هو أمر جبلي فطري ، لا ينفي ذلك إلا مُكابر أو شاذ والأمر المنهي عنه هو الغلو في حبه وتقديسه والتوسّط في ذلك هو المشروع .

• ١- بيّنت هذه الدّراسة حفظ الشريعة الإسلاميّة -التي دعا إليها القرآن الكريم- حق الملِكيّة الخاصيّة والمشتركة وملِكيّة الدّولة بتحريم التملك عن طريق وسائل الغش والخداع كالتلاعب بالأسعار والغرر، وعن طريق وعن طريق الظلم والاستغلال كالغصب والسرّقة والاختلاس والرّشوة والربّا والاحتكار، وعن طريق تحديد المصالح التي تُبيح تدخل الحاكم لتقييد الملِكيّة الخاصيّة أو مصادرتها . وحفظت أيضا دور الملكيّة في المجتمع عن طريق تحريم التملك لكلّ ما فيه ضرر عائد على الأفراد أو الجماعات في أعراضهم وأموالهم وعقولهم كالاتجار بالأعراض والخمر والميسر وكافة المحرّمات .

11- أوضحت هذه الجولة ضرورة إيجاد عمل أو وظيفة لأبناء المجتمع ؛ وهو من أولويات الأمن والاستقرار ، وإزاحة البطالة عنه وأيًا ما كانت الأسباب المؤدية إلى البطالة كأن تكون أثراً لما يوجد في المجتمع من نتاقضات في بناء الفرصة ، أو نتيجة للتخصص المتزايد والتنافس الشديد في الإنتاج الرّأسمالي فلا سبيل إلى مكافحتها إلا بإتاحة فرص العمل التي تصونها الضوابط العادلة من شرع الله ، والتي تهتم بالحاجات العامة للإنسان . فالدّين والعمل هما طوق النجاة من شرور البطالة والأزمات الاقتصاديّة . وفي هذا ضمان خير ضمان لإشباع الحاجات من ناحية ، وتحقيق المواءمة بين المصلحة العامة والخاصة من ناحية ثانية .

17- المطلوب من المُسلم أن تكون أفعاله ابتداءً وفق المناهج الإسلاميّة - وفي مقدّمتها القرآن الكريم- ، وأن يتقبل حكم الشرع في نتائج أفعاله ، وأن يتصرّف على النحو المشروع في عَلاقاته مع الآخرين ، فإذا ما جهل ذلك أو بغضه ، وجب عليه أن يعرفه ؛ ليكون سلوكه وفق الحدود الشرعيّة .

17- كان منهج القرآن الكريم صريحاً وواضحاً في مُواجهة العنف ، فقد نبذ العنف بجميع أشكاله وألوانه ، وحثّ المسلمين على الابتعاد عن كلّ ما يؤدّي إلى العنف واستخدام القوّة بغير محله- وبيَّن لهم العقوبة التي يستحقها من قام بالعنف .

لذا فإن الأحداث التي جرت ولا تزال تجري في الدّيار العربيّة الإسلاميّة ، تعد حرابة ولا يصح إقحام الإسلام فيها ، وتعد الجماعات المتورّطة مخالفة لحكم الشرع ومقاصده ولا يُمكن بأيّ حال من الأحوال عدّ عملهم جهادًا ، فالجهاد كلّ الجهاد أرفع وأسمى من أن يُبيحَ لهم سفك دماء الآمنين وهتك الأعراض ، وإتلاف الأموال وإضاعتها فإنَّ المشاركين في تلك الهجمات يُعدون في الحسِّ الإسلاميِّ معتدين ومُحاربين – كما أوضح ذلك العلماء – ، ولا يُقبل منهم أيُّ تأويل لأعمالهم الشنيعة المشوّهة لصورة الإسلام ونصاعته

وقد نهجت الجمهوريّة اليمنيّة نهجاً إسلاميّاً في جميع مناحي الحياة ، وحاربت كلّ ما يُخالفها فعلاً وسلوكاً وعملاً . ولمّا كان الإرهاب والعنف بجميع أشكاله وبمختلف صوره والتطرّف بمجاوزته الاعتدال ، فهو ليس من الإسلام ، بل الإسلام براءٌ منه. ووقفت الجمهورية وأشقاؤها من الدّول العربيّة الإسلاميّة موقفاً قاطعاً وحاسماً من ظاهرة الإرهاب . ورأوا أنَّ ما يقوم به ذووه من صور إجراميّة وأفعال ترويعيّة وأخطار على الأمن والسَّلام يفوق أعمال المُحاربين وهو ضربٌ من ضروب الإفساد في الأرض .

15- بيّنت هذه الدّراسة دور القرآن في إصلاح العكلقات الدوليّة الإنسانيّة ، حين دعا إليها ؛ لأنها تقوم على التعاون والنفاهم والحوار وتبادل النفع ورعاية الحُرُمات ، وكفالة الحريّات وتقوم هذه العكلقات على

سلامة البشرية وأمن الوجود الإنساني . والعكلقات الإسلاميّة وسيلة للمسالمة والمُهادنة والتعاون الدّولي لخير الشعوب والدّول والحكومات .

10- الواقع التاريخي والسياسي يؤكد في جلاء وصدق ووضوح أنّ القرآن العظيم هو الدَّاعي والمؤسس الأوّل لقواعد وأسس السلّم بين الأمم ، وقد بيّنها وأوضحها وطبّقها على أرض الواقع رسول البشريّة مُحمّد ٢ في تعامل إنسانيّ وحوار هادف بنّاء في الغايات والوسائل والأهداف .

11- لا يُمكن للدّاعية أن يكونَ مُصلحاً إلا بعد أن يكتسبَ ثقافة عالميّة تؤهله لفهم ما يجري خارج ديار الإسلام وتساعده على فتح مغاليف اللغة العالميّة التي يفهمها الناس في المُحيط الخارجي . وأنه بحاجة بها ماسيّة على فهم دقيق لواقع المجتمع المحلي وهمومه وتطلعاته ورموز استجاباته .. ومن هنا نرى أهميّة الدّعوة والدّعاة اليوم ، ونحن نعلم أنّ رسالة الكليات والمعاهد والمدارس الدّينيّة في جمهوريّة اليمن السّعيد لا تقف عند الجانب التعليمي فحسب ، وإنما تتجاوز هذه المهمّة إلى حفظ التراث الإسلاميّ ودراسته وتجليته ونشره، وإلى أداء رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً والعمل على إظهار حقيقته وأثره في تقدّم البشر ويقتضي الأمر - لكي تؤدّى الرّسالة على أكمل وجه ب أن تكون هنالك خطة لإعداد الدّعاة وتدريبهم على أسس علميّة سليمة .

1٧- إنَّ الإعلامبيّن اليوم أمام مسؤوليّة عظيمة تتطلب منهم النظر في ثوابت التأريخ وسنن الكون ومعطيات الواقع وحقائق الغيب واستنطاق الوحيين لتقديم رسالة إعلاميّة فاعلة تعمل على توحيد الأمّة والرّجوع بالشعوب إلى الحركة وفق منهج الله تعالى في طريق الاعتدال الفكري والجهادي وإصلاح الفرد والمجتمع.

واليوم فإننا بحاجة إلى إرادة حاضرة للإصلاح في العالم الإسلامي ، إرادة صادقة عند الكبار والصّغار لأنّ الله سبحانه جعل التوفيق في الإرادة الحقيقيّة الصّادقة للإصلاح ، فيجب علينا أن نضع هذه الإرادة بكلّ قوّة وعزيمة .

وقبل الختام فإذا كان لي من اقتراح فإنني أودّ اقتراح الأمور الآتية :

أولاً: تكثيف الدراسات القرآنية في مراحل التعليم المختلفة حتى الدراسات العليا .

ثانياً: إطلاع العالم غير الإسلامي على جوانبٍ من كتاب الله تعالى ، ودعوتهم للإيمان به .

ثالثاً: القيام بعمل دورات للخطباء للارتقاء بمستوى الخطيب ، وتبصيره بأهميّة الخطبة ، وكيفية إعدادها ، والأسلوب الخطابي المؤثر على أن لا نقل مدة هذه الدّورة عن شهرين على الأقل ويوضع لها مساق مكثف منتقى يقوم بإعداده أهل الخبرة والاختصاص من أهل العلم ، وعلماء الفقه واللغة والبيان والأدب .. والتأكيد على احترام اللغة العربيّة ، عند إلقاء الخطبة ؛ لما لها من ذوق وجماليّة في هذا الجانب ، وليس هذا فحسب ، بل الإخلال باللغة يجر الخطيب – أحيانا - إلى الكفر ، وإلى تحليل الحرام وتحريم الحلال .. وما شابه ذلك . ولا يفونني بأن أذكر الأخ الفاضل الخطيب - بالحرص على طرح المسائل الفقهيّة في خطبة الجُمعة وغيرها ، والتأكيد على ذلك لما لها من أهميّة وواقعيّة في حياة المسلم الدّينيّة والاجتماعيّة بمختلف جوانبها .

رابعاً: إجراء مسابقات دورية سنوية ، أو كلّ سنتين ، أو نحو ذلك لاختيار أحسن بحث علمي رصين سواء كان بتقييد عنوان البحث كمثل هذه المسابقة – جزا الله القائمين عليها ورحم موتاهم - أو بمطلق العنوانات ، ورصد جوائز ومكافآت قيّمة لهذا الغرض - بعد تحكيمها - ، والعمل على تدريب المختصين وتشجيعهم على ذلك تكرارا ومرارا .

خامساً: تعاون الجمعيّات والمراكز الإسلاميّة المتخصّصة ، ولاسيّما هذا الصرّح – أعني مؤسسة الحاج هائل سعيد الثقافيّة - مع وزارة الأوقاف والإرشاد ، على وضع المناهج والبرامج المنتوّعة الكفيلة بالارتقاء بالمجتمع من خلال نشر الكتب الدّاعية إلى سماحة هذا الدّين واعتداله ووسطيّته في جوانب الحياة كافة ، وأن يكون توفير هذه التواليف بأسعار رمزيّة - إذا لم تكن مجاناً - ليتمكن من اقتتائها أبناء هذا المجتمع الواحد .

.. وختاماً فهذا هو جهد المُقل في هذا البحث ، إذ حاولتُ فيه إبراز القرآن الكريم من حيث الأولويّة ودورهُ وأثرهُ في إصلاح المجتمع ، وتكلمتُ فيه عن الأطوار التي ينبغي أن يمرّ بها أفراد المجتمع اليوم ، كما أوردتُ بعض العوامل الأساسيّة لتطوير المُجتمعات الإسلاميّة وتتقيتها من براثن الشرّ والفساد .. أسأله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يوفقنا إلى عمل الصوّاب إنه سميعٌ مجيبٌ .

#### ثبت المصادر والمراجع

- \* القرآن الكريم .
- ۱- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هــ) ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هــ ١٩٨٧م .
- ٢- أثر تطبيق الحدود في المجتمع : وهو بحث مقدم من قبل الشيخ محمد خاطر إلى مؤتمر الفقه الإسلامي ، المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ .
- ٣- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعى ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هــ ١٩٨٤م .
- ٤- الإحصاء السنوي ، لعام (٢٠٠٤م) : وزارة التخطيط والتعاون الدولي الجهاز المركزي للإحصاء ، ط مؤسسة الثورة اليمن ٢٠٠٤م .
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية : على بن محمد بن حبيب الماوردي ، ط ١ مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٨٦هـ.

- ٦- الإحكام في أصول الأحكام: لأبي علي بن محمد الآمدي ، تح. د. سيد الجميلي ، ط١ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٤هـ.
- ٧- أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تح. محمد الصادق قمحاوي ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥هـ .
- ٨- أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بــ(ابن العربي) (ت٥٤٣هــ) ، تح. علي البجاوي ، ط دار المعرفة بيروت (وهي طبعة مزيدة ومنقحة) .
  - ٩- أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية: محمد طلعت الغنيمي، منشأة المعارف الإسكندرية.
    - ١٠- إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، طدار االمعرفة بيروت .
    - ١١- الأخلاق في الإسلام: د. عبد اللطيف العبد، ط٥ دار الثقافة العربية القاهرة ١٩٩٨م.
- ۱۲ آداب الصحّجبة : لأبي عبد الرّحمن السّلمي ، تح. مجدي فتحي السيد ، ط۱ دار الصحّحابة للتراث مصر ۱٤۱۰هـ ۱۹۹۰م .
- ۱۳- الإرهاب الدولي والنظام العالمي الرّاهن : د. محمد عزيز شكري ، ود. أمل يازجي ، ط١ دار الفكر المعاصر بيروت ١٤٢٣هـ .
  - ١٤- الإرهاب السياسي: عبد الرحيم صدق ، طدار النهضة القاهرة ١٩٨٥م .
- اسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ط مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .
- ١٦- الاستذكار : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ ، تح. سالم محمد عطا ، ومحمد معوض
   ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م .
- ١٧- أسس الحكم في الإسلام (الشورى والعدل والمساواة) : د. صالح السدلان ، ط١ دار بلنسية الرياض ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
  - ١٨- الإسلام على مفترق الطرق : محمد أسد ، ترجمة : د . عمر فروخ ، ط دار العلم للملابين.
    - ١٩- الإسلام والعَلاقات الدّولية: محمد عفيفي ، طدار الرائد العربي بيروت ١٤٠٦هـ.
      - ٢٠ الإسلام وفلسفة الحكم: د. محمد عمارة ، طدار الشروق القاهرة ١٩٨٩م.
- ۲۱- الإسلاميّة والقوى المضادة : د . نجيب الكيلاني ، ط۱ مؤسسة الرّسالة بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .
- ٢٢- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، ط مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٤١هـ .
- ٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تح. علي البجاوي ، ط١
   دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ.
- ٢٤- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة : لنخبة من العلماء ، طاوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٤٢١هـ .
- ۲۰ أصول الدعوة : د . عبد الكريم زيدان ، ط۱ مؤسسة الرسالة دمشق وبيروت ١٤٢٦هـ ۲۰۰٦م
- ٢٦- أصول العَلاقات الدولية في الإسلام: عمر أحمد الفرجاني ، المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس/ ليبيا ١٣٩٣هـ.
- ۲۷ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد الأمين الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، ط١ دار
   الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
  - ٢٨- الإعلام: د. عبد اللطيف حمزة ، طادار الفكر ١٩٧٨م.
- ٢٩- الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة : عبد الله قاسم الوشلي، ط٢
   دار عمار صنعاء ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
- ۳۰ الإعلام في القرآن الكريم: د . محمد عبد القادر حاتم ، ط۱ مؤسسة فادي بريس لندن ، وتوزيع دار قتيبة بيروت ۱۶۰۰هـ ۱۹۸۰م .

- ٣١- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرائي ،
   تح. محمد حامد الفقى ، ط٢ السنة المحمدية القاهرة ١٣٦٩هـ .
- ٣٢- اقتضاء العلم العمل: للخطيب البغدادي ، تح. محمد ناصر الدين الألباني ، ط٥ المكتب الإسلامي ٣٢- البروت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.
  - ٣٣- الإمامة والسياسة: لابن قتيبة ، ط القاهرة ١٣٣١هـ.
- ٣٤- الأمثال في القرآن الكريم: لابن القيّم محمد بن أبي بكر الزرعي ، تح. إبر اهيم محمد ، ط ١ مكتبة الصّحابة القاهرة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- ۳۵ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه) : خالد بن عثمان السيد ، ط۱
   المنتدى الإسلامي لندن ۱٤۱٥هـ ۱۹۹۵م .
- ٣٦- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض ١٤١٧هـ
- ٣٧- الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدّعوة إلى الله : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الريّاض ١٤١٨هـ.
- ۳۸- أنوار التنزيل وأسرار التأويل والمعروف بــ(تفسير البيضاوي) : للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هــ) ، ط١ دار الكتب العلميّة بيروت ١٤٠٨هـــ- ١٩٨٨م
- ٣٩- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء : قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي ، تح. د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي ، ط ١ دار الوفاء جدة ١٤٠٦هـ .
- ٤٠ أهميّة الدّعوة وصفات الدّاعية : د. محمد بيلو ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، إصدار : عمادة البحث العلمي ، العدد:(٥٣) ، لسنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .
- ١٤ البداية والنهاية : الأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ط مكتبة المعارف بيروت
- ٤٢- البحر المحيط في التفسير : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٥٥٥هـ) ، إعتناء: الشيخ زهير جعيد ، ط دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
- ٤٣ البرهان في علوم القرآن : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم،
   طدار المعرفة ببروت ١٣٩١هـ .
- ٤٤ البصيرة في الدعوة إلى الله: عزيز فرحان العنزي ، ط١ دار الإمام مالك الإمارات ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
- ۵- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هت) ، تح. مصطفى حجازي ، ط الكويت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .
- ٤٦- التبصرة في القراءات : مكي بن أبي طالب ، تح.د. محيي الدين رمضان ط١ الكويت١٤٠٥هـ \_\_ ١٩٨٥م .
- ٤٧ التبيان في أقسام القرآن : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر أبوب الزرعي ، ط دار الفكر بيروت .
- ٤٨ النبيان في نفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تح. د. فتحي الدابولي ، ط١ دار الصحابة للتراث بطنطا القاهرة ١٩٩٢م .
- ٤٩- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) : للإمام النووي ، تح. عبد الغني الدقر ، ط١ دار القلم دمشق ١٤٠٨م .
- ۰۰- التحرير والتتوير: للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ، ط١ مؤسسة التأريخ العربي بيروت ١٤٢٠ ٢٠٠٠م.
- ١٥- التشريع الإسلامي مصادره وأطواره: د. شعبان محمد إسماعيل ، ط ٢مكتبة النهضة المصرية مصر ١٩٨٥م.

- ٥٢- التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدّولي : سالم الهنساوي،ط١ دار الوفاء ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤
  - ٥٣- التعبير الفني في القرآن: د. بكري أمين ، ط٣ دار الشروق بيروت ١٣٩٩هـ
- ٥٤- التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تح. إبراهيم الأبياري ، ط1 دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥هـ .
- ٥٥- تفسير سفيان الثوري : للإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ .
- ٥٦- تفسير القاسمي ، المسمى: (محاسن التأويل) : للشيخ محمد جمال الدين(ت١٣٣٢هـ) ، ط١عيسى الحلبي ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م .
- ٥٧ تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ) تح. سامي محمد سلامة ، ط ٢ دار طيبة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م .
- ٥٨- تفسير القرآن العظيم ، المعروف بـ (تفسير المنار) ، للشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)
   تعليق: سمير مصطفى رباب ، ط١ دار إحياء التراث العربي ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م
- ٥٩- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (٣٤٠٥هـ)، تح. عماد زكي البارودي ، ط المكتبة التوفيفيّة القاهرة .
- -٦٠ التقسيم الإسلامي للمعمورة: محيي الدين محمد قاسم ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ٦٠ واشنطن ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- 71- توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع : محمد بن جميل زينو ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٤١٨هـ .
- ٦٢- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن ابراهيم بن عيسى تح.
   زهير الشاويش ، ط٣ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٦هـ .
- ٦٣- التوقيف على مهمّات التعاريف: محمد عبد الرءوف المناوي ، تح. د. محمد رضوان الدايه ، ط١ دار الفكر المعاصر ، ودار الفكر بيروت ، دمشق ١٤١٠هـ.
- 75- التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) ، صححه: أوتوبرنزل ط الدولة \_ استانبول ، ١٩٣٠م .
- -٦٥ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تح.عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط ١ مؤسسة الرسالة -زززززز ٢٤٠٠هـ ٢٠٠٠ م .
- 77- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت7٧١هـ)، طدار إحياء التراث العربي -بيروت.
- ٦٧- جامع البيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط١ مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
- ٦٨- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت .
- 79- الجرح والتعديل : لابن أبي حاتم الرازي ، ط1 دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٧٢هــ ــ ١٩٥٣م .
- ٧٠ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: للإمام ابن تيمية الحراني ، تح. د.علي حسن ناصر ود.عبد العزيز إبراهيم العسكر، ود. حمدان محمد ، ط١ دار العاصمة الرياض ١٤١٤هـ .
- ٧١- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم: علي أحمد سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري،
   تح. إحسان عباس ، ط١ دار المعارف مصر ١٩٠٠م.
- ٧٢- الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم: سعيد على ثابت ، ط١ وزارة الشئون
   الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٤١٧هـ.
  - ٧٣- الحاوي الكبير : للشيخ أبي الحسن الماوردي ، ط دار الفكر ـــ بيروت .

- ٧٤- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة : زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ، تح. د. مازن المبارك ط١ دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١١هـ .
- ٧٥ حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار : لعبد الرحمن بن علي بن الديبع (ت٤٤٩هـ) ، تح . عبد الله الأنصاري ، طبع على نفقة أمير دولة قطر : الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ١٩٨٢م .
  - ٧٦- الحريّة الإعلاميّة في ضوء الإسلام: سعيد على ثابت ، ط عالم الكتب- الرياض ١٤١٢هـ .
- ٧٧- حقوق الإنسان في الإسلام دراسة مقارنة مع الإعلام العالمي والإعلام الإسلامي لحقوق الإنسان :
   د. محمد الزحيلي ، ط۲ دار الكلم الطيب دمشق ، ودار ابن كثير بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
- ٧٨- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة : د. أحمد الريسوني ، ود. محمد الزحيلي ، ود. محمد عثمان شبير ، سلسلة كتاب: (الأمّة) ، العدد (٨٧) ، السنة الثانية والعشرون ١٤٢٣هـ.
  - ٧٩- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٤٢٣هـ .
  - ٨٠ حقوق الإنسان وأسباب الضعف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة : د . أحمد يسري
     ٠ دون طبعة ١٩٩٣م .
  - ٨١- الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة): يحيى بن محمد زمزمي ، ط ٢ دار المعالي-عمّان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
    - ٨٢- الخطابة: د. يوسف محمّد يوسف عيد ، ط١ الفجر الجديد ١٩٩٢م.
    - ٨٣- الخطابة وفن الإلقاء: د . أشرف محمد موسى ، ط الخانجي القاهرة ١٩٧٨م .
  - ٨٤- خطبة الجمعة في الكتاب والسنة : عبد الرحمن الحمد ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٤١٩هـ .
  - ٨٥- خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة ، عبد الغني أحمد جبر مزهر ، ط١ وزارة الشؤون
     الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٤٢٢هـ .
  - ٨٦- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : د . عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع ، ط٥ دار الفكر المعاصر صنعاء ٢٠٠٥م ٢٠٠٦م .
  - ٨٧- دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر ، حسنين توفيق ، مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية بالأهرام ١٩٨٨م .
  - ٨٨- دراسة في منهاج الإسلام السيّاسي : لأبي جيب سعدي ، ط1 مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هــ ١٩٨٥م .
    - ٨٩- الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، طـ دار الفكر بيروت ١٩٩٣م .
  - ٩٠- دستور للأمَّة من القرآن والسنة : د. عبد الناصر توفيق العطار، طـ دار الفكر بيروت ١٩٨٩م .
    - ٩١ الدّعوة إلى الإسلام: د. أبو بكر زكرى ، ط مكتبة دار العروبة القاهرة.
  - 97- الدّعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين ، د. عبد الرحيم محمد المغذوي ، بحث مقدّم إلى ندوة: (عناية المملكة العربية السّعوديّة بالقرآن الكريم و علومه ) ، تنظيم: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة ، سنة ٢٠٤١هــ-٢٠٠٠م ، وهو منشور على موقع الإسلام: http://www.al-islam.com
    - 97- الدعوة الفرديّة وأهمّيّتها في تربية الأجيال : عقيل المقطري ، تعز اليمن ١٤٢١هـ .
  - 98- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات): للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تح. د. محمد السيد ، ط٢ مؤسسة علوم القرآن دمشق ١٤٠٤هـ .
    - ٩٥- الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان : د. محمد عبد الله دراز ، ط دار القلم الكويت .
  - 97- الرائد دروس في التربية والدعوة : للشيخ مازن عبد الكريم الفريح ، ط١ دار الأندلس جدة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

- 97- رفع الحرج في الشريعة ضوابطه وتطبيقاته : د. صالح عبد الله حميد ، ط ا جامعة أم القرى مركز البحث العلمي ١٤٠٣هـ .
  - ٩٨- ركائز الإيمان : أ. محمد قطب ، ط دار الشروق ٢٠٠٥م .
- 99- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٤هـ .
- ١٠٠-زاد المعاد في هدي خير العباد : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح. شعيب الأرناءوط، وعبد القادر الأرناءوط ، ط١٤ مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية / بيروت والكويت ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .
- ١٠١-الزهد : لأبي عبد الله عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي ، تح. حبيب الرحمن الأعظمي ، طدار الكتب العلمية بيروت .
  - ١٠٢-السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة المعارف الرياض.
- ١٠٣-السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ، ط الزهراء للإعلام العربي القاهرة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
- ١٠٤ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية : أ. د. عبد الكريم زيدان ، ط١ مؤسسة الرسالة بيرت ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
- ١٠٥ سنن البيهقي الكبرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، تح. محمد عطا، ط مكتبة دار الباز مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
- ١٠٦-سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تح. فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع ، ط١ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧هـ .
- ١٠٧ سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(ت٢٧٣هـ) ، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر بيروت .
- ١٠٨-سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هــ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الفكر بيروت .
- ١٠٩ سنن النسائي (المجتبى من السنن) : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) ، تح. الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
- ۱۱۰ - سنن النسائي الكبرى : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) ، تح. د. عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي حسن ، ط ۱ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م
  - ١١١- السياسة الشرعية: الشيخ عبد الوهاب خلاف ، ط القاهرة.
- ١١٢-السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ط دار المعرفة .
  - ١١٣-شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي ، ط٤ المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩١.
- ١١٤-الشريعة الإسلامية والأجانب في دار الإسلام : محمد عطية خميس ، ط دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٧م.
- ١١٥-شعب الإيمان : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تح. محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ .
- ١١٦-الصّحاح في اللغة والعلوم : للجوهري ، إعداد: نديم مرعشلي ، وأسامة مرعشلي ، ط دار الحضارة العربية بيروت ١٩٧٤م .
- ١١٧-صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) : محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) تح. د. مصطفى ديب البغا ، ط٣ دار ابن كثير بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
  - ١١٨ -صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تح.
     شعيب الأرناءوط ، ط٢ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

- ١١٩ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦٦هـ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، طدار إحياء التراث العربي بيروت .
- ١٢٠ الضوابط الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي : د. محمود بابللي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إصدار : عمادة البحث العلمي ، العدد: (٨) ، سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م
- ١٢١-الضياء اللامع من الخطب الجوامع: للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط١ إدارة البحوث العلمية والإفتاء السعودية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
  - ١٢٢-الطيقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، ط صادر بيروت .
    - ١٢٣ عالمية الإسلام: أنور الجندي ، طدار الاعتصام القاهرة.
- ١٢٤-العدوان على المرأة في المؤتمرات الدّوليّة : د. فؤاد عبد الكريم عبد العزيز ، ط١ الرياض ١٢٤-العدوان على المرأة في المؤتمرات الدّوليّة : د. فؤاد عبد الكريم عبد العزيز ، ط١ الرياض
- ١٢٥-العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق : أ. نزار محمد عثمان ، ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر العلمي ، جامعة الخرطوم / قسم الثقافة الإسلامية ٢٣- ٢٥جمادى الأولى ١٤٢٥هـ ١٠- ١٠ ٢٨ ، منشور على موقع شبكة المشكاة الإسلامية .
  - ١٢٦- العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية : على قراعة ، دار مصر للطباعة القاهرة .
    - ١٢٧- العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية: عباس شومان ، الدار الثقافية للنشر .
- ١٢٨-العنف والشريعة في مصر (دراسة قانونية) : د . مجدي متولي ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ١٩٥٥م .
- ١٢٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ .
- ١٣٠- الغلو في الدّين في حياة المسلمين المعاصرة: للأستاذ عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط٥ مؤسسة الرسالة بيروت ٢٤٠هـ ١٩٩٩م .
- ١٣١-فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة بير وت ١٣٧٩هـ .
- ١٣٢-فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ط1 دار الخير دمشق ١٤١٢هـ ١٩٩١م (وهي طبعة منقحة) .
- ١٣٣-الفروسيّة : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح. مشهور حسن محمود ، ط ١ دار الأندلس السعودية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
  - ١٣٤ فقه السنة ، سيد سابق ، ط٣ دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٣٩٧هــ- ١٩٧٧م .
- ١٣٥-الفوائد في اختصار المقاصد : العز بن عبد السّلام ، ط١ دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع ١٣٥-ام.
  - ١٣٦- في ظلال القرآن: سيّد قطب، طدار إحياء الكتب العربيّة القاهرة.
- ١٣٧-القانون الرّهيب : أ. د. عبد الكريم زيدان ، مجلة التربية الإسلامية بغداد ، العدد الأول، السنة السادسة ١٣٨٣هـ \_ ١٩٦٣م .
  - ١٣٨-قانون السلام في الإسلام ، د. محمد طلعت الغنيمي ، ط منشأة المعارف مصر .
  - ١٣٩-القرآن شريعة المجتمع: د. عارف خليل ، ط١ دار الأرقم الكويت ١٤٠٥هـ.
- ١٤٠ القرآن وحرية الرّأي : هشام منور ، مقال منشور في مدونات أمين على شبكة الأنترنت للإعلام العربي ، بتأريخ ٢٩/ كانون الثاني / ٢٠٠٧م .
  - ١٤١ القضاء الإداري: أ. د. أحمد عبد الرّحمن شرف الدّين ، ط جامعة صنعاء / اليمن ١٩٩١م .
- ١٤٢-القضاء الإداري في اليمن (الأسس العامّة) : د. محمد محمد الدرّة ، ط٣جامعة تعز / اليمن ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
- ١٤٣ القضاء في الإسلام و أداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، طدار عمار عمّان ١٤١٢هـ .

- 182-قواعد العَلاقات الدوليّة في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : جعفر عبد السلام ، ط مكتبة السلام العالميّة القاهرة ١٤٠١هـ .
- ١٤٥-القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام : علي بن عباس البعلي الحنبلي ، تح. محمد حامد الفقي ، ط السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٥هــ - ١٩٥٦م .
- ١٤٦-الكامل في التاريخ : على بن أبي الكرم بن الأثير (ت٦٣٠هــ) ، ط دار صادر بيروت ١٩٦٥م
- ١٤٧-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـــ) ، تح. عبد الرزاق المهدي ، ط٢ دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢١هـــ ٢٠٠١م .
- ١٤٨-كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه : عبد الله بن جارالله إبراهيم آل جارالله ، ط ١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٨٤١هـ .
- 189-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علي بن حسام الدّين المنقي الهندي ، ط مؤسسة الرسالة بيروت 19۸۹م .
- ١٥٠-اللباب في شرح الكتاب : عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني ، تح. محمود أمين النواوي ، طدر الكتاب العربي .
  - ١٥١-لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط١ دار صادر بيروت
- ١٥٢-لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد الصبّاغ ، ط المكتب الإسلامي بيروت ١٩٢هـ. .
- ١٥٣-مآثر الإنافة في معالم الخلافة : أحمد بن عبد الله القلقشندي ، تح. عبد الستار أحمد فراج ، ط٢ مطبعة حكومة الكويت ١٨٥م .
  - ١٥٤-مباحث في علوم القرآن : للشيخ مناع القطان ، ط ٨ مكتبة المعارف- الرياض ١٤٠١هـ
- ١٥٥-مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون في الفقه الإسلامي : د . فؤاد محمد النادي ، ط جامعة صنعاء ١٩٨٠م القضاء الإداري في اليمن الأسس العامّة : د . محمد محمد الدرة ، ط٣ المتفوق صنعاء ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
  - ١٥٦- المتطرَّفون : د. عمر عبد الله كامل ، مكتبة التراثُ الإسلامي دون طبعة أو تاريخ .
- ١٥٧-المجتمع المدني في عهد النبوة (خصائصه وتنظيماته الأولى) : د. أكرم ضياء العمري ، ط ١ المجلس العلمي بالمدينة المنورة ١٩٨٣م .
- ١٥٨-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط دار الفكر بيروت ١٥٨-١٤١٨هـ .
- ١٥٩-مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة : د . محمد حميد الله آبادي ، ط القاهرة ١٩٥٦
- ١٦٠ المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تح. د. طه جابر العلواني، ط١
   جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٠هـ.
- ١٦١-المحلى: لأبي محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ) ، ط دار الفكر ، وهي مصححة ومقابلة على نسخة أحمد محمد شاكر .
- ١٦٢-مختصر الشمائل المحمدية: لأبي عيسى محمد الترمذي ، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتبة الإسلامية عمّان .
- ١٦٣-مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
- 178-مختصر العلو للعلي الغفار : للحافظ الذهبي ، تح. الشيخ الألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي بيروت ١٤١٢هـ .
  - ١٦٥-المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر : لأنور الجندي ، طدار الاعتصام القاهرة .
- ١٦٦-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين : للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، تح. محمد حامد الفقي ، ط٢ دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٣هــ ١٩٧٣م .

- ١٦٧-مدارك النتزيل وحقائق التأويل ، والمعروف بـ (تفسير النسفي) : لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت .
  - ١٦٨-المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس ، ط١ دار صادر بيروت .
- ١٦٩-المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تعليق الذهبي ، تح. مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 دار الكتب العلمية بيروت١٤١١هــ ١٩٩٠م .
- ١٧٠ مسند أحمد بن حنبل : لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، ط مؤسسة قرطبة القاهرة .
- ۱۷۱-مسند أبي يعلى : أحمد بن علي بن المثنى (أبو يعلى الموصلي النميمي) ، تح. حسين سليم أسد ، ط1 دار المأمون للتراث - دمشق١٤٠٤هــ - ١٩٨٤م .
- ١٧٢-مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب النبريزي ، تح. محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٥هــ - ١٩٨٥م .
  - ١٧٣-مشكلة الثقافة : مالك بن نبي ، ترجمة : د. عبد الصبور شاهين ، ط دار الفكر بيروت .
- ١٧٤-مشكلة الغلو في الدّين في العصر الحاضر- الأسباب ، والآثار ، والعلاج : عبد الرحمن اللويحق ط١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩٨م .
  - ١٧٥ مع الله دراسات في الدّعوة والدعاة : محمد الغزالي ، طدار الكتب الحديثة مصر .
- ۱۷٦-معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تح. محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط٤ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
  - ١٧٧-معالم المنهج الإسلامي: د . محمّد عمارة ، ط٣ دار الرشاد مصر ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
- ١٧٨-معاني القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تح. محمد علي الصابوني ، ط١ جامعة أم القرى مكة المرمة ١٤٠٩هـ.
- ١٧٩-المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تح. طارق عوض ، وعبد المحسن إبراهيم ، طدار الحرمين القاهرة ، ١٤١٥هـ .
- ١٨٠-المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تح. حمدي عبد المجيد ، ط٢ مكتبة العلوم والحكم الموصل٤٠٤هـ ١٩٨٣م .
- ١٨١-مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : للشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربيني، عناية: محمد خليل عيتاني ، ط دار المعرفة بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
- ١٨٢ مفهوم المساواة في الإسلام دراسة ومقارنة : د. حسن خليل ، ط دار الرشيد الرياض ١٣٩٣هـ
  - ١٨٣-المناظرة في القرآن : عبدالله المقدسي ، تح. الجديع ، ط١ مكتبة الرشد الرياض ١٤٠٩هـ .
- ١٨٤-مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط١ دار الفكر بيروت ١٩٩٦م.
- ١٨٥-المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة : أ. د. عبد الكريم بكار ، مجلة البيان، الصادرة في لندن ، العدد:(٧٥) ، لسنة ١٤١٤هـ .
- ١٨٦-منهج الحياة في القرآن والسنة : إصلاح اسماعيل أمين ، ط ١ دار الفكر العربي الكريت١٩٨٢م .
- ١٨٧ -مفردات ألفاظ القرآن : للحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ط دار القلم ــ دمشق
  - ١٨٨ مفهوم العدل في الإسلام: مجيد خدوري ، در اسات في الفكر الديني دمشق ١٩٩٨م.
- ١٨٩-مقاصد الشريعة الإسلامية : محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ، ط الشركة التونسية للتوزيع .
- ۱۹۰ مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي : أ. د. عبد الكريم بكار ، ط۲ دار القلم دمشق ۱٤۲۲هـ ١٠٠١م .
- ۱۹۱-مقدمة ابن خلدون : للمؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت۸۰۸هــ) ، ط دار الفجر في النراث القاهرة ۲۰۰۶م .

- ۱۹۲-مقوّمات الدّاعية الناجح: د علي بن عمر بن أحمد بادحدح ، ط٤ دار الأندلس الخضراء جدة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
- ١٩٣-المنثور في القواعد : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تح. د. تيسير فائق ، ط٢ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت ١٤٠٥هـ .
- ١٩٤-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، ط٢ دار إحياء النراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ .
- ١٩٥-الموافقات في أصول الفقه (الشاطبي): إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، تح. عبد الله دراز ، طدار المعرفة بيروت .
- ١٩٦-الموسوعة في سماحة الإسلام: د . صادق ابراهيم عرجون ، ط٢ الدار السعودية جدة ١٩٠٤هـ ١٩٨٤م .
- ١٩٧-موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس الأصبحي ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي مصر .
- 19۸-موضوعات خُطبة الجُمعة : عبد الرحمن اللويحق ، ط1 وزارة الشئون الإسلامية السعودية العرب المربعة الم
  - ١٩٩- النبأ العظيم: د. محمد عبد الله در از ، ط ٢ دار القلم الكويت ١٣٩٠هـ .
- ٢٠٠ نظام الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمنين : سامي الصقار ، ط جامعة محمد الخامس
   الرباط ١٩٧٧م .
- ٢٠١-النظرة الإسلاميّة للإعلام : محمد كمال الدّين إمام ، ط١ دار الحديث العالميّة الكويت ١٤٠١هــ ١٩٨١م .
  - ٢٠٢ نظم الحكم المعاصر : لأبي راس محمد الشافعي ، ط عالم الكتب القاهرة ١٩٧٧م .
- ٢٠٣-النظم الديبلوماسيّة في الإسلام : صلاح الدّين المنجد ، ط دار الكتاب الجديد بيروت ١٤٠٣هــ.
- ٢٠٤-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط البقاعي (ت٥٨٥هـــ) ، ط١ دار الكتب العلميّة -بيروت ١٤١٥هــ ١٩٩٥م .
- ٢٠٥- النظريات السياسيّة الإسلاميّة: د . محمّد ضياء الدّين الريّس ، ط٧ دار التراث مصر ١٩٧٩م.
- ٢٠٦-نقد السياسة (الدين والدولة) : د . برهان غليون ، ط٢ المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٣م .
- ٢٠٧-نهاية التاريخ وخاتم البشر: فرانسيس فوكو ياما ، ترجمة / حسين أحمد أمين ، ط١ مركز الأهرام مصر ١٤١٣هـ .
- ٢٠٨-النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السّعادات المبارك بن محمد الجزري، تح. طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي، ط المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- ٢٠٩-الهداية شرح بداية المبتدي : للشيخ برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (٥٩٣هـ)، تح.محمد محمد قامر ، وحافظ عاشور ، ط١ دار السّلام القاهرة ٢٤٠هـ ٢٠٠٠م
  - ٢١٠ الوحي المحمّدي : رشيد رضا ، ط المكتب الإسلامي دمشق ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م
- ٢١١-وسطية الإسلام: صالح حبيب الله (تشي شيوه ي) ، ط١ وزارة التعليم العالي / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية ١٤٢٥هــ ٢٠٠٤م.
- ٢١٢-وسطية الإسلام وسماحته : أ. د. وهبه مصطفى الزحيلي ، ط وزارة التعليم العالي جامعة محمد ابن سعود الإسلامية السعودية ٢٥٠٤هـ ٢٠٠٤م .
- ٢١٣- وظيفة المسجد في المجتمع: صالح بن ناصر الخزيم، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعوديّة ١٤١٩هـ.

## فمرست المحتويات

المقدمة
التمهيد
التعريف بمصطلح عنوان البحث المعريف بمصطلح عنوان البحث
حقيقة الإصلاح في القرآن الكريم
أنواع الإصلاح ، وسمات المصلح
الباب الأوّل: القرآن ودوره الإصلاحي
الفصل الأوّل: عالميّة القرآن الكريم
الفصل الثاني : القرآن والإسلام
الفصل الثالث: دور القرآن في إصلاح حريّة الرّأي
الفصل الرّابع: شموليّة دعوة القرآن الكريم
الفصل الخامس : دور القرآن في حفظ الضرورات الخمس٧٨
المبحث الأوّل: دعوته إلى حفظ الدّين
المبحث الثاني: دعوته إلى حفظ النفس
المبحث الثالث: دعوته إلى حفظ العقل
المبحث الرّابع: دعوته إلى حفظ النسل
المبحث الخامس: دعوته إلى حفظ المال
الفصل السادس: القرآن والمجتمع
المطلب الأول: دعوة القرآن المجتمع إلى ترك الفساد، وحثهم إلى الصلاح ١٠٨
المطلب الثاني: أثر القرآن في إصلاح أمن المجتمع
المطلب الثالث: دور القصة القرآنية وأثرها في إصلاح المجتمع ١١٧
المطلب الرابع: الأسلوب القرآني في مخاطبة الرّوح الجماعية
المطلب الخامس: القرآن والمجتمع اليماني
الباب الثاني: دور القرآن في إصلاح المجتمع
الفصل الأوّل: دور القرآن في إصلاح المجتمع عقدياً
المبحث الأوّل: أثر القرآن في إصلاح البناء الفكري
المبحث الثاني: أثر القرآن في الدّعوة إلى الاعتدال الفكري
المبحث الثالث : دور القرآن في إصلاح مشكلة الغلو
المبحث الرّابع : فتنة التكفير وضرره على المجتمع
الفصل الثاني : دور القرآن في إصلاح المجتمع من حيث العبادة ١٦٤

المبحث الأول : ضرورة الدين لإصلاح المجتمع
المبحث الثاني: أثر القرآن في تيسير التشريع والتكليف
المبحث الثالث: الوسطيّة في التشريع والتكليف
الفصل الثالث : دور القرآن في إصلاح الدّعوة والدعاة
المبحث الأوّل : دور القرآن في الإصلاح الدّعوي
المطلب الأوّل: أهميّة الدّعوة في إصلاح المجتمع
المطلب الثاني : أثر القرآن في إصلاح خُطبة الخطيب
المطلب الثالث: أثر القرآن في الدّعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٩٥
المبحث الثاني : دور القرآن في إصلاح الدّعاة
الفصل الرّابع : دور القرآن في إصلاح المجتمع خُلقياً
المطلب الأوّل: أثر القرآن في الدّعوة إلى تعاون أفراد المجتمع٢٠٠
المطلب الثاني: دعوة القرآن إلى إنصاف المجتمع
الثالث : دعوة القرآن إلى إصلاح التآخي والمحبة بين الأفراد ٢٢٥
المطلب الرّابع: أثر القرآن في إعلام مصادر الإلزام الخُلقي
الفصل الخامس : دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي
المبحث الأوّل: دور القرآن في إصلاح نظام الأسرة واستقراره ٢٣٥
المبحث الثاني : أثر القرآن في إصلاح التربية والتنظيم والتعليم ٢٤٨
المبحث الثالث: دعوة القرآن إلى المحافظة على النفس والصّحة ٥٥٢
المبحث الرّابع : دور القرآن في إصلاح حقوق المرأة
المبحث الخامس : أثر القرآن في إصلاح المساواة بين الرّجل والمرأة٢٦٣
المبحث السادس : دعوة القرآن إلى تطور المجتمع حضارياً ٢٦٨
المبحث السابع : أثر القرآن الكريم في إصلاح حقيقة التغيير
المبحث الثامن: صلاح الفرد بصلاح المجتمع
المبحث التاسع : توسيع الشريحة الوسطى مهمّة إصلاحيّة كبرى ٢٧٨
الفصل السّادس : دور القرآن في إصلاح النظام الاقتصادي
المطلب الأول : أثر القرآن في إحكام النظام الاقتصادي
المطلب الثاني : دور القرآن في إصلاح كسب المال وإنفاقه ٢٨٥
المطلب الثالث : دور القرآن في إصلاح المال وحفظه ٢٩٥
المطلب الرّابع: أثر القرآن في تكامل نظام المسؤوليّة المدنيّة والجنائيّة ٢٩٨

٣.٢	الفصل السّابع: دور القرآن في إصلاح النظام السّياسي
۳.9	المبحث االاول : دور القرآن في إصلاح مبدأ الشورى
٣١٥	المبحث الثاني : أثر القرآن في إصلاح طاعة ولاة الأمور
* * *	المبحث الثالث: دور القرآن في إصلاح العدالة تجاه أبناء المجتمع
* * V	المبحث الرابع: أثر القرآن في إصلاح ترسيخ العَلاقات الدّوليّة
<b>77</b> £	الفصل الثامن : دور القرآن في إصلاح الإعلام
٣٣٨	المطلب الأول : أثر القرآن في إصلاح رجل الإعلام
٣٣٩	المطلب الثاني: دور القرآن في إصلاح الشعور بالأمن إعلامياً
7 £ 7	المطلب الثالث: دور الرسالة الإعلامية الإسلامية
٣٤٨	الخاتمة
405	المصادر والمراجع
٣٦٨	فهرست المحتويات

#### ثبت المصادر والمراجع

- ١- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت ١ ١ ٩ هـ) ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١ ٠ ٧ هـ ١ ٩٨٧ م .
- ٢- أثر تطبيق الحدود في المجتمع: وهو بحث مقدم من قبل الشيخ محمد خاطر إلى مؤتمر الفقه الإسلامي، المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ.
- ٣- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: للإمام ابن القيم محمد بن أبى بكر الزرعى ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
- ٤- الإحصاء السنوي ، لعام (٢٠٠٤م) : وزارة التخطيط والتعاون الدولي الجهاز المركزي للإحصاء ، ط مؤسسة الثورة اليمن ٢٠٠٤م .
- ٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية : على بن محمد بن حبيب الماوردي ، ط ١ مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٨٦هـ .
- 7 الإحكام في أصول الأحكام : لأبي علي بن محمد الآمدي ، تح. د. سيد الجميلي ، ط 1 دار الكتاب العربي بيروت 18.8 هـ .
- ٧- أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تح. محمد الصّادق قمحاوي ، طدار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥هـ .
- $\Lambda$  أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بــ (ابن العربي) (ت $\pi$  هــ) ، تح. علي البجاوي ، ط دار المعرفة بيروت (وهي طبعة مزيدة ومنقحة) .
- ٩- أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية : محمد طلعت الغنيمي ، منشأة المعارف الإسكندرية .
- ١ إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، ط دار االمعرفة بيروت .
- ١١ الأخلاق في الإسلام: د. عبد اللطيف العبد، طه دار الثقافة العربية القاهرة ١٩٩٨م.
- 17 آداب الصحبة: لأبي عبد الرّحمن السلّمي، تح. مجدي فتحي السيد، ط١ دار الصّحابة للتراث مصر ١٤١ه ١٩٩٠م.
- ١٣ الإرهاب الدولي والنظام العالمي الرّاهن : د. محمد عزيز شكري ، ود. أمل يازجي ، ط١ دار الفكر المعاصر بيروت ١٤٢٣هـ .
- ١٤ الإرهاب السياسي: عبد الرحيم صدق ، طدار النهضة القاهرة ١٩٨٥ م .
- ١٥ أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ط
   مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

- 17 الاستذكار: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ، تح. سالم محمد عطا، ومحمد معوض، ط1 دار الكتب العلمية بيروت 1٤٢١ هـ ٢٠٠٠م.
- ١٧ أسس الحكم في الإسلام (الشورى والعدل والمساواة) : د. صالح السدلان ،
   ط١ دار بلنسية الرياض ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
- ۱۸ الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد ، ترجمة: د . عمر فروخ ، ط دار
   العلم للملايين .
- ١٩ الإسلام والعَلاقات الدولية : محمد عقيقي ، طدار الرائد العربي بيروت
   ١٤٠٦هــ.
- ۲۰ الإسلام وفلسفة الحكم: د. محمد عمارة ، ط دار الشروق القاهرة العرم .
- ٢١ الإسلامية والقوى المضادة : د . نجيب الكيلاني ، ط١ مؤسسة الرسالة ٢١ ١٩٨٠ م .
- ٢٢ الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ،
   ط مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٤١٠هـ .
- ٢٣ الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،
   تح. علي البجاوي ، ط١ دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ .
- ٢٤ أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة : لنخبة من العلماء ، طاوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الستعودية ٢١٤١هـ .
- ۲۰ أصول الدعوة : د . عبد الكريم زيدان ، ط۱ مؤسسة الرسالة دمشق وبيروت ۲۶۲۱هـ ۲۰۰۲م
- ٢٦ أصول العَلاقات الدولية في الإسلام: عمر أحمد الفرجاني ، المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس/ ليبيا ١٣٩٣هـ.
- ۲۷ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد الأمين الجكني الشنقيطي
   (ت٣٩٣٦هـ) ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
  - ٢٨ الإعلام: د. عبد اللطيف حمزة ، طادار الفكر ١٩٧٨م.
- ٢٩ الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة : عبد الله قاسم الوشلي ، ط٢ دار عمار صنعاء ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
- ۳۰ الإعلام في القرآن الكريم: د. محمد عبد القادر حاتم، ط۱ مؤسسة فادي بريس لندن، وتوزيع دار قتيبة بيروت ۱٤٠٥هـ ۱۹۸۵م.
- ٣١ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرائي ، تح. محمد حامد الفقي ، ط٢ السنة المحمدية القاهرة ١٣٦٩هـ .
- ٣٢ اقتضاء العلم العمل: للخطيب البغدادي ، تح. محمد ناصر الدين الألباني ، ط٥ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.
  - ٣٣ الإمامة والسياسة: لابن قتيبة ، ط القاهرة ١٣٣١هـ.

- ٣٤ الأمثال في القرآن الكريم: لابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي ، تح.
   إبراهيم محمد ، ط١ مكتبة الصحابة القاهرة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- ٣٥ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه) : خالد بن عثمان السيد ، ط١ المنتدى الإسلامي لندن ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
- ٣٦- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض ١٤١٧هـ
- ٣٧- الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدّعوة إلى الله: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرّياض ١٤١٨هـ.
- ٣٨ أنوار التنزيل وأسرار التأويل والمعروف بـ(تفسير البيضاوي) : للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٢٩٧هـ) ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
- ٣٩ أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء : قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي ، تح. د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي ، ط١ دار الوفاء جدة ١٤٠٦هـ .
- ٤٠ أهميّة الدّعوة وصفات الدّاعية : د. محمد بيلو ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، إصدار : عمادة البحث العلمي ، العدد : (٥٣) ، لسنة ٢٣٤ هـ ٢٠٠٢م .
- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ط مكتبة المعارف بيروت .
- ٢٤ البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٤٥٧هـ) ، إعتناء: الشيخ زهير جعيد ، ط دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
- ٤٣ البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، طدار المعرفة بيروت ١٣٩١هـ.
- ٤٤ البصيرة في الدعوة إلى الله: عزيز فرحان العنزي ، ط١ دار الإمام مالك
   الإمارات ٢٦ ٢١هـ ٢٠٠٥م.
- ٥٤ تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥ مت)
   ، تح. مصطفى حجازي ، ط الكويت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .
- 23 التبصرة في القراءات : مكي بن أبي طالب ، تح.د. محيي الدين رمضان ط1 الكويت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
- ٧٤ التبيان في أقسام القرآن : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي
   ، طدار الفكر بيروت .

- التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تح. د. فتحي الدابولي ، ط۱ دار الصحابة للتراث بطنطا القاهرة ١٩٩٢م .
- 93 تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه): للإمام النووي ، تح. عبد الغني الدقر ، ط1 دار القلم دمشق ٢٠٨ م .
- ٥٠ التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (١٣٩٣هـ)
   ١ مؤسسة التأريخ العربي بيروت ١٤٢٠ ٢٠٠٠م.
- ١٥ التشريع الإسلامي مصادره وأطواره : د. شعبان محمد إسماعيل ، ط
   ٢مكتبة النهضة المصرية مصر ١٩٨٥م .
- ٥٢ التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدّولي : سالم الهنساوي ،ط١ دار الوفاء ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م .
- ٥٣ التعبير الفني في القرآن : د. بكري أمين ، ط تدار الشروق بيروت المروق بيروت بيروت المروق بيروت -
- ٥٥ التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تح. إبراهيم الأبياري ، ط١
   دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥هـ .
- ٥٥- تفسير سفيان الثوري: للإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ .
- ٥٦ تفسير القاسمي ، المسمى: (محاسن التأويل) : للشيخ محمد جمال الدين(ت١٩٥٧هــ) ، ط١عيسى الحلبي ١٣٧٦هــ ١٩٥٧م .

- ٥٧ تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، تح. سامي محمد سلامة ، ط ٢ دار طيبة ٢٠ ١٤٨هـ ١٩٩٩ م .
- ٥٨ تفسير القرآن العظيم ، المعروف بـ (تفسير المنار) ، للشيخ محمد رشيد رضا (ت٤٥٣١هـ) ، تعليق: سمير مصطفى رباب ، ط١ دار إحياء التراث العربي ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .
- 9 التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت ٢٠٤هـ)، تح. عماد زكى البارودي، ط المكتبة التوفيفيّة القاهرة.
- ١٠ التقسيم الإسلامي للمعمورة: محيي الدين محمد قاسم ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي واشنطن ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .
- 71 توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع: محمد بن جميل زينو ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٨١٤هـ.
- 77- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تح. زهير الشاويش ، ط٣ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٦هـ .
- 77 التوقیف علی مهمّات التعاریف : محمد عبد الرءوف المناوی ، تح. د. محمد رضوان الدایه ، ط۱ دار الفکر المعاصر ، ودار الفکر بیروت ، دمشق . ۱٤۱۰ .
- ٦٤- التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني(ت ٤٤٤هـ) ، صححه: أوتوبرتزل ط الدولة ـ استانبول ، ١٩٣٠م .
- ٦٥ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تح.عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط امؤسسة الرسالة -زززززز .
   ٢٠٠٠ م .
- 77- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 7 ٧١هـ)، طدار إحياء التراث العربي بيروت.
- 77- جامع البيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط١ مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
- ۱۸ الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلّمي ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت .
- 79 الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي ، ط1 دار الكتب العلمية \_ بيروت . ١٣٧٢هـ \_ ١٩٥٣م .

- ٧٠ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: للإمام ابن تيمية الحرائي ، تح.
   د.علي حسن ناصر، ود.عبد العزيز إبراهيم العسكر، ود. حمدان محمد ، ط۱ دار
   العاصمة الرياض ١٤١٤هـ .
- ٧١ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم: علي أحمد سعيد بن حزم
   الأندلسي الظاهري ، تح. إحسان عباس ، ط١ دار المعارف مصر ١٩٠٠م .
- ٧٢ الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم: سعيد على ثابت
   ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٤١٧هـ
  - ٧٣- الحاوي الكبير: للشيخ أبي الحسن الماوردي ، طدار الفكر \_ بيروت .
- ٤٧- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة : زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ،
   تح. د. مازن المبارك ، ط١ دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١١هـ .
- ٥٧- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: لعبد الرحمن بن علي بن الديبع (ت٤٤٩هـ) ، تح . عبد الله الأنصاري ، طبع على نفقة أمير دولة قطر: الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ١٩٨٢م .
- ٧٦ الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام: سعيد علي ثابت ، ط عالم الكتب الرياض ١٤١٢هـ .
- ٧٧ حقوق الإنسان في الإسلام دراسة مقارنة مع الإعلام العالمي والإعلام الإسلامي لحقوق الإنسان : د. محمد الزحيلي ، ط٢ دار الكلم الطيب دمشق ، ودار ابن كثير بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٧م
- ٧٨ حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة: د. أحمد الريسوني ، ود. محمد الزحيلي ، ود. محمد عثمان شبير ، سلسلة كتاب: (الأمّة) ، العدد (٨٧) ، السنة الثانية والعشرون ١٤٢٣هـ.
- ٧٩ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، سعيد بن على بن وهف القحطاني ، ط١
   وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ٢٣ ١٤ ١هـ .
- ٨٠ حقوق الإنسان وأسباب الضعف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة : د . أحمد يسرى ، دون طبعة ١٩٩٣م .
- ٨١ الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة) : يحيى بن محمد زمزمي
   ٠ ط ٢ دار المعالي عمّان ٢٢٢هـ ٢٠٠٢م .
  - ٨٢ الخطابة: د. يوسف محمد يوسف عيد ، ط١ الفجر الجديد ١٩٩٢م.
- ٨٣ الخطابة وفن الإلقاء: د . أشرف محمد موسى ، ط الخانجى القاهرة الم ١٩٧٨م .
- ٤٨ خطبة الجمعة في الكتاب والسنة : عبد الرحمن الحمد ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٩١٤هـ .
- ٨٥ حطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة ، عبد الغني أحمد جبر مزهر ، ط١
   وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ٢٢١هـ .

- ٨٦- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة: د. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، طه دار الفكر المعاصر صنعاء ٢٠٠٥م ٢٠٠٦م.
- ٨٧- دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر ، دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر : حسنين توفيق ، مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية بالأهرام ١٩٨٨م .
- ٨٨- دراسة في منهاج الإسلام السياسي : لأبي جيب سعدي ، ط١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .
- ٨٩ الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط دار الفكر بيروت ١٩٩٣م .
- ٩٠ دستور للأمّة من القرآن والسنة : د. عبد الناصر توفيق العطار، ط دار الفكر بيروت ١٩٨٩م .
- ٩١ الدّعوة إلى الإسلام: د. أبو بكر زكرى ، ط مكتبة دار العروبة القاهرة
- 97 الدّعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين ، د. عبد الرحيم محمد المغذوي ، بحث مقدّم إلى ندوة: (عناية المملكة العربية السّعوديّة بالقرآن الكريم وعلومه ) ، تنظيم: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنوّرة ، سنة ٢١١هــ- ٢٠٠٠م ، وهو منشور على موقع الإسلام :-islam.com
- 97 الدعوة الفرديّة وأهميّتها في تربية الأجيال : عقيل المقطري ، تعز اليمن المعالي . عقيل المقطري ، تعز اليمن المعالية المعا
- 9 9 دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) : للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تح. د. محمد السيد ، ط۲ مؤسسة علوم القرآن دمشق ١٤٠٤هـ
- 9 9 الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان : د. محمد عبد الله دراز ، ط دار القلم الكويت.
- 97 الرائد دروس في التربية والدعوة : للشيخ مازن عبد الكريم الفريح ، ط١ دار الأندلس جدة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .
- 99 رفع الحرج في الشريعة ضوابطه وتطبيقاته : د. صالح عبد الله حميد ، ط ا جامعة أم القرى مركز البحث العلمي 99 99
  - ٩٨ ركائز الإيمان: أ. محمد قطب ، طدار الشروق ٢٠٠٥م.
- 99 زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣ المكتب الإسلامي بيروت ٤٠٤ هـ.

- ١٠٠ زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح. شعيب الأرناءوط ، وعبد القادر الأرناءوط ، ط١٠ مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية / بيروت والكويت ١٤٠٧هـ ١٩٨٦ .
- ١٠١ الزهد: لأبي عبد الله عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي ، تح. حبيب الرحمن الأعظمي ، ط دار الكتب العلمية بيروت .
- 1.۲ السلسلة الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة المعارف الرياض.
- ١٠٣ السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ، ط الزهراء للإعلام العربي القاهرة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
- ١٠٤ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: أ. د.
   عبد الكريم زيدان ، ط١ مؤسسة الرسالة بيرت ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
- ۱۰۰ سنن البيهقي الكبرى: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تح. محمد عطا، ط مكتبة دار الباز مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
- ١٠٦ سنن الدارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تح. فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع ، ط١ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧هـ .
- ۱۰۷ سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ۲۷۳هـ) ، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر بيروت .
- ١٠٨- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقى ، طدار الفكر بيروت .
- ١٠٩ سنن النسائي (المجتبى من السنن): لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٠هـ) ، تح. الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- ۱۱۰ سنن النسائي الكبرى : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) ، تح. د. عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي حسن ، ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م .
  - ١١١ - السياسة الشرعية : الشيخ عبد الوهاب خلاف ، ط القاهرة .
- 111- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، طدار المعرفة .
- 117 شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي ، ط؛ المكتب الإسلامي بيروت 1٣٩١.
- 111- الشريعة الإسلامية والأجانب في دار الإسلام: محمد عطية خميس ، ط دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٧م.
- ١١٥ شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تح. محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ.

- 117 الصّحاح في اللغة والعلوم: للجوهري ، إعداد: نديم مرعشلي ، وأسامة مرعشلي ، ط دار الحضارة العربية بيروت ١٩٧٤م.
- ۱۱۷ صحیح البخاري (الجامع الصحیح المختصر): محمد بن إسماعیل البخاري الجعفي (ت۲۰۱هـ)، تح. د. مصطفی دیب البغا، ط۳ دار ابن کثیر بیروت ۱۲۰۷هـ ۱۹۸۷م.
- 11۸ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تح. شعيب الأرناءوط ، ط۲ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
- 119 صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت ٢٦١هـ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقى ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ۱۲۰ الضوابط الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي: د. محمود بابللي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إصدار: عمادة البحث العلمي ، العدد: (٨) ، سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- 171 الضياء اللامع من الخطب الجوامع: للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط١ إدارة البحوث العلمية والإفتاء السعودية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- 1 ٢٢ الطيقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، ط صادر بيروت .
  - ١٢٣ عالمية الإسلام: أنور الجندي ، طدار الاعتصام القاهرة .
- ١٢٤ العدوان على المرأة في المؤتمرات الدوليّة : د. فؤاد عبد الكريم عبد العزيز
   ١ ط١ الرياض ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
- 170 العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق: أ. نزار محمد عثمان ، ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر العلمي ، جامعة الخرطوم / قسم الثقافة الإسلامية ٢٣ ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ ١٠ ٢٠٠٤/٧/١٢م ، منشور على موقع شبكة المشكاة الإسلامية .
- 177 العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية : علي قراعة ، دار مصر للطباعة القاهرة .
- ١٢٧ العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية: عباس شومان ، الدار الثقافية للنشر .
- ١٢٨ العنف والشريعة في مصر (دراسة قانونية) : د . مجدي متولي ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ١٩٩٥م .
- 179 عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ .
- ١٣٠ الغلو في الدّين في حياة المسلمين المعاصرة: للأستاذ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط٥ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢هـ ١٩٩٩م.

- ١٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاتي ، طدار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ .
- ۱۳۲ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط۱ دار الخير دمشق ۱٤۱۲هـ ۱۹۹۱م (وهي طبعة منقحة).
- ١٣٣ الفروسيّة: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح. مشهور حسن محمود ، ط ١ دار الأندلس السعودية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- 171- فقه السنة ، سيد سابق ، ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .
- الفوائد في اختصار المقاصد: العزبن عبد السلام ، ط۱ دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع ۱۹۹٦م.
  - ١٣٦ في ظلال القرآن: سيد قطب ، طدار إحياء الكتب العربية القاهرة.
- ۱۳۷ القانون الرّهيب: أ. د. عبد الكريم زيدان ، مجلة التربية الإسلامية بغداد العدد الأول، السنة السادسة ۱۳۸۳هـ ۱۹۶۳م .
- ١٣٨ قانون السلام في الإسلام ، د. محمد طلعت الغنيمي ، ط منشأة المعارف مصر .
- ۱۳۹ القرآن شریعة المجتمع : د . عارف خلیل ، ط۱ دار الأرقم الكویت د . عارف خلیل ، ط۱ دار الأرقم الكویت د . ۱۶۰۵ ا
- ۱٤٠ القرآن وحرية الرّأي : هشام منور ، مقال منشور في مدونات أمين على شبكة الأنترنت للإعلام العربي ، بتأريخ ٢٩/ كانون الثاني / ٢٠٠٧م .
- 1٤١ القضاء الإداري: أ. د. أحمد عبد الرّحمن شرف الدّين ، ط جامعة صنعاء / اليمن ١٩٩١م .
- 1 £ ٢ القضاء الإداري في اليمن (الأسس العامّة) : د. محمد محمد الدرّة ، طهجامعة تعز / اليمن ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
- 1٤٣ القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، طدار عمار عمّان ١٤١٢هـ .
- ١٤٤ قواعد العَلاقات الدوليّة في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : جعفر عبد السلام ، ط مكتبة السلام العالميّة القاهرة ١٤٠١هـ .
- 150 القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام: علي بن عباس البعلي الحنبلي ، تح. محمد حامد الفقي ، ط السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م.
- ١٤٦ الكامل في التاريخ : علي بن أبي الكرم بن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، ط دار صادر بيروت ١٩٦٥م .

- ١٤٧ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٣٨٥هـ)، تح. عبد الرزاق المهدي، ط٢ دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٤١هـ ٢٠٠١م.
- 1٤٨ كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه : عبد الله بن جارالله إبراهيم آل جارالله ، ط ١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ١٤١٨هـ .
- ١٤٩ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علي بن حسام الدّين المتقي الهندي ،
   ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩م .
- ١٥ اللباب في شرح الكتاب عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني ، تح. محمود أمين النواوي ، ط دار الكتاب العربي
- ١٥١ لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط١ دار صادر بيروت .
- 101 لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد الصبّاغ ، ط المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٤هـ .
- 107 مآثر الإنافة في معالم الخلافة: أحمد بن عبد الله القلقشندي ، تح. عبد الستار أحمد فراج ، ط٢ مطبعة حكومة الكويت الكويت ١٩٨٥م .
- ١٥٤ مباحث في علوم القرآن: للشيخ مناع القطان، ط ٨ مكتبة المعارف الرياض ١٤٠١هـ.
- ٥٥١ مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون في الفقه الإسلامي : د . فؤاد محمد النادي ، ط جامعة صنعاء ١٩٨٠م القضاء الإداري في اليمن الأسس العامّة : د . محمد محمد الدرة ، ط٣ المتفوق صنعاء ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
- 107 المتطرّفون: د. عمر عبد الله كامل ، مكتبة التراث الإسلامي دون طبعة أو تاريخ .
- ١٥٧- المجتمع المدني في عهد النبوة (خصائصه وتنظيماته الأولى): د. أكرم ضياء العمري، ط ١ المجلس العلمي بالمدينة المنورة ١٩٨٣م.
- ١٥٨ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ.
- ١٥٩ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة : د . محمد حميد الله آبادي ، ط القاهرة ١٩٥٦م .
- ١٦٠ المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تح. د. طه جابر العلواني ، ط۱ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٠هـ.

- 171 المحلى : لأبي محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٥٦٥ هـ) ، ط دار الفكر ، وهي مصححة ومقابلة على نسخة أحمد محمد شاكر .
- 177 مختصر الشمائل المحمدية: لأبي عيسى محمد الترمذي ، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتبة الإسلامية عمّان .
- 17۳ مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- 175 مختصر العلو للعلي الغفار: للحافظ الذهبي ، تح. الشيخ الألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي بيروت ١٤١٢هـ.
- 170 المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر: لأنور الجندي ، طدار الاعتصام القاهرة.
- 177 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، تح. محمد حامد الفقي ، ط٢ دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .
- 17V مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، والمعروف بـ (تفسير النسفي) : لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (17V -) ، دار الكتاب العربي بيروت .
  - ۱٦٨ المدونة الكبرى: للإمام مالك بن أنس ، ط١ دار صادر بيروت .
- ۱۲۹ المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تعليق الذهبي ، تح. مصطفى عبد القادر عطا ، ط۱ دار الكتب العلمية بيروت ۱۱۱۱ه ۱۹۹۰م.
- ١٧٠ مسند أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني(ت ٢٤١هـ) ،
   ط مؤسسة قرطبة القاهرة .
- ۱۷۱ مسند أبي يعلى : أحمد بن علي بن المثنى (أبو يعلى الموصلي التميمي) ، تح. حسين سليم أسد ، ط1 دار المأمون للتراث دمشق ٤٠٤ هـ ١٩٨٤م .
- ۱۷۲ مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تح. محمد ناصر الدين الألباني، ط٣ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- 1۷۳ مشكلة الثقافة: مالك بن نبي ، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين ، ط دار الفكر بيروت .
- ١٧٤ مشكلة الغلو في الدّين في العصر الحاضر الأسباب ، والآثار ، والعلاج :
   عبد الرحمن اللويحق ، ط١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩٨م .
- ١٧٥ مع الله دراسات في الدّعوة والدعاة : محمد الغزالي ، ط دار الكتب الحديثة مصر.
- 177 معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 170هـ) ، تح. محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم الحرش ، ط؛ دار طيبة للنشر والتوزيع 1118هـ 199۷م .

- ۱۷۷ معالم المنهج الإسلامي : د . محمد عمارة ، ط۳ دار الرشاد مصر ۱۷۷ هـ ۱۹۹۸م .
- ۱۷۸ معاني القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تح. محمد علي الصابوني، ط1 جامعة أم القرى مكة المرمة ١٤٠٩هـ.
- 9 ٧٩ المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تح. طارق عوض ، وعبد المحسن إبراهيم ، طدار الحرمين القاهرة ، ١٤١٥هـ .
- ١٨٠ المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تح.
   حمدي عبد المجيد ، ط٢ مكتبة العلوم والحكم الموصل ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م .
- ۱۸۱ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: للشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربيني ، عناية: محمد خليل عيتاني ، ط دار المعرفة بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- 1 / ۱ مفهوم المساواة في الإسلام دراسة ومقارنة : د. حسن خليل ، ط دار الرشيد الرياض ١٣٩٣هـ .
- 1 / ۱ / ۱ المناظرة في القرآن : عبدالله المقدسي ، تح. الجديع ، ط ا مكتبة الرشد الرياض 1 ٤٠٩ هـ .
- ۱۸٤ مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظیم الزرقاني ، ط۱ دار
   الفكر بيروت ۱۹۹٦م .
- ١٨٥ منهج الحياة في القرآن والسنة : إصلاح اسماعيل أمين ، ط ١ دار الفكر
   العربي الكريت ١٩٨٢م .
- 1 / 1 مفردات ألفاظ القرآن: للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، طدار القلم ـ دمشق.
- ١٨٧ مفهوم العدل في الإسلام: مجيد خدوري ، دراسات في الفكر الديني دمشق ١٩٩٨م.
- 1۸۸ مقاصد الشريعة الإسلامية : محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ، ط الشركة التونسية للتوزيع .
- ۱۸۹ مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي : أ. د. عبد الكريم بكار ، ط٢ دار القلم دمشق ٢٢ ١٤ هـ ٢٠٠١م .
- ۱۹۰ مقدمة ابن خلدون: للمؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت۸۰۸هـ) ، طدار الفجر في التراث القاهرة ۲۰۰۶م.
- ۱۹۱ مقومات الدّاعية الناجح: د علي بن عمر بن أحمد بادحدح ، ط؛ دار الأندلس الخضراء جدة ۱۶۲۲هـ ۲۰۰۲م.
- 197 المنتور في القواعد: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تح. د. تيسير فائق، ط٢ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت ١٤٠٥هـ.
- ۱۹۳ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، ط۲ دار إحياء التراث العربي بيروت ۱۳۹۲هـ .

- 194 المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة : أ. د. عبد الكريم بكار ، مجلة البيان، الصّادرة في لندن ، العدد:(٧٥) ، لسنة ١٤١٤هـ .
- ١٩٥ الموافقات في أصول الفقه (الشاطبي) : إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، تح. عبد الله دراز ، ط دار المعرفة بيروت .
- 197- الموسوعة في سماحة الإسلام: د. صادق ابراهيم عرجون ، ط٢ الدار السعودية جدة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- ١٩٧ موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس الأصبحي ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، طدار إحياء التراث العربي مصر .
- ١٩٨- موضوعات خُطبة الجُمعة : عبد الرحمن اللويحق ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية السعودية ١٤١٩هـ .
- ١٩٩ النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز ، ط ٢ دار القلم الكويت ١٣٩٠هـ
- ٢٠٠ نظام الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمنين: سامي الصقار، ط
   جامعة محمد الخامس الرباط ١٩٧٧م.
- ٢٠١ النظرة الإسلامية للإعلام: محمد كمال الدين إمام، ط١ دار الحديث العالمية
   الكويت ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
- ٢٠٢ نظم الحكم المعاصر : لأبي راس محمد الشافعي ، ط عالم الكتب القاهرة العرب المعاصر . ١٩٧٧م .
- ٢٠٣ النظم الديبلوماسيّة في الإسلام: صلاح الدّين المنجد، ط دار الكتاب الجديد
   بيروت ١٤٠٣هـ.
- ٢٠٤ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت٥٨٨هـ) ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
- ٢٠٥ النظريات السياسية الإسلامية : د . محمد ضياء الدين الريس ، ط٧ دار التراث مصر ١٩٧٩م .
- ۲۰۶ نقد السياسة (الدين والدولة) : د . برهان غليون ، ط۲ المركز الثقافي العربي بيروت ۱۹۹۳م .
- ۲۰۷ نهایة التاریخ وخاتم البشر: فرانسیس فوکو یاما ، ترجمة / حسین أحمد أمین ، ط۱ مرکز الأهرام مصر ۱۶۱۳ هـ.
- ۲۰۸ النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري
   ، تح. طاهر أحمد الزاوي ، محمود الطناحي ، ط المكتبة العلمية بيروت
   ۱۳۹۹هـ ۱۹۷۹م.
- ۲۰۹ الهدایة شرح بدایة المبتدی : للشیخ برهان الدین علی بن أبی بکر المرغینانی (۹۳هه) ، تح. محمد محمد قامر ، وحافظ عاشور ، ط۱ دار السلام القاهرة ۲۰۰۰هـ .

- ۲۱۰ الوحي المحمدي : رشيد رضا ، ط المكتب الإسلامي دمشق ۱۳۹۱ هـ
   ۱۹۷۱ م .
- ٢١١ وسطية الإسلام: صالح حبيب الله (تشي شيوه ي) ، ط١ وزارة التعليم
   العالي / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية ٢٥ ١٤ هـ ٢٠٠٤م.
- ٢١٢ وسطية الإسلام وسماحته: أ. د. وهبه مصطفى الزحيلي ، ط وزارة التعليم العالي جامعة محمد بن سعود الإسلامية السعودية ٢٥٠٤هـ ٢٠٠٤م.
- 71۳ وظيفة المسجد في المجتمع: صالح بن ناصر الخزيم، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الستعوديّة ١٤١٩ هـ .

## فمرست المحتويات

البياب الأوّل : القرآن ودوره الإصلاحي
الفصل الأوّل: عالميّة القرآن الكريم
الفصل الثاني : القرآن والإسلام
الفصل الثالث: دور القرآن في حريّة الرّأي
الفصل الرّابع: شموليّة دعوة القرآن الكريم
الفصل الخامس: القرآن ودعوته الإصلاحيّة إلى حفظ الضرورات الخمس
المبحث الأويّل: دعوته إلى حفظ الدّين
المبحث الثاني: دعوته إلى حفظ النفس
المبحث الثالث: دعوته إلى حفظ العقل المبحث الثالث: دعوته إلى حفظ العقل
المبحث الرّابع: دعوته إلى حفظ النسل
المبحث الخامس: دعوته إلى حفظ المال
الفصل الساّدس : القرآن والمجتمع
المطلب الأوّل: دعوة القرآن المجتمع إلى ترك الفساد ، وحثهم إلى الصّلاح
المطلب الثاني: أثر القرآن في إصلاح أمن المجتمع
المطلب الثالث: الأسلوب القرآني في مخاطبة الروح الجماعية
المطلب الرّابع: دور القصّة القرآنيّة وأثرها في إصلاح المجتمع
المطلب الخامس: القرآن والمجتمع اليماني
الباب الثاني: دور القرآن في إصلاح المجتمع
الفصل الأول : دور القرآن في إصلاح المجتمع عقدياً
المبحث الأول : أثر القرآن في إصلاح البناء الفكري
المبحث الثاني: أثر القرآن في الدّعوة إلى الاعتدال الفكري
المبحث الثالث: دور القرآن في إصلاح مشكلة الغلو
المبحث الرّابع: فتنة التكفير وضرره على المجتمع

الفصل الثاني : دور القرآن في إصلاح المجتمع تعبديّاً
المبحث الأوّل : ضرورة الدّين لإصلاح المجتمع
المبحث الثاني : أثر القرآن في تيسير التشريع والتكليف
المبحث الثالث: الوسطيّة في التشريع والتكليف
الفصل الثالث: دور القرآن في الإصلاح الدّعوي
المبحث الأوّل: دور القرآن في إصلاح الدّعوة
المطلب الأوّل: أهميّة الدّعوة في إصلاح المجتمع
المطلب الثاني : أثر القرآن في إصلاح خُطبة الخطيب
المطلب الثالث: أثر القرآن في الدّعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
المبحث الثاني : دور القرآن في إصلاح الدّعاة
الفصل الرّابع : دور القرآن في إصلاح المجتمع خُلقياً
المطلب الأوّل: أثر القرآن في الدّعوة إلى تعاون أفراد المجتمع
المطلب الثاني: دعوة القرآن إلى إنصاف المجتمع
المطلب الثالث : دعوة القرآن إلى إصلاح التآخي والمحبة بين الأفراد
المطلب الرّابع : أثر القرآن في إعلام مصادر الإلزام الخُلقي
الفصل الخامس : دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي
المبحث الأوّل : دور القرآن في إصلاح نظام الأسرة واستقراره
المبحث الثاني : أثر القرآن في إصلاح التربية والتنظيم والتعليم
المبحث الثالث: دعوة القرآن إلى المحافظة على النفس والصّحة
المبحث الرّابع : دور القرآن في إصلاح حقوق المرأة
المبحث الخامس : أثر القرآن في إصلاح المساواة بين الرّجل والمرأة
المبحث السّادس: دعوة القرآن إلى تطوّر المجتمع حضاريّاً
المبحث السَّابع: أثر القرآن الكريم في إصلاح حقيقة التغيير
المبحث الثامن: صلاح الفرد بصلاح المجتمع
المبحث التاسع: توسيع الشريحة الوسطى مهمّة إصلاحيّة كبرى
الفصل السّادس : دور القرآن في إصلاح النظام الاقتصادي
المطلب الأوّل: أثر القرآن في إحكام النظام الاقتصادي
المطلب الثاني : دور القرآن في إصلاح كسب المال وإنفاقه

المطلب الثالث : دور القرآن في إصلاح المال وحفظه
المطلب الرّابع: أثر القرآن في تكامل نظام المسؤوليّة المدنيّة والجنائيّة
الفصل الستَّابِع : دور القرآن في إصلاح السَّياسي
المبحث الأوّل: دعوة القرآن إلى بناء الدّولة وإصلاحها
المبحث الثاني : دور القرآن في إصلاح مبدأ الشورى
المبحث الثالث : أثر القرآن في إصلاح طاعة ولاة الأمور
المبحث الرّابع : دور القرآن في إصلاح العدالة تجاه أبناء المجتمع
المبحث الخامس: أثر القرآن في إصلاح ترسيخ العَلاقات الدّوليّة
الفصل الثامن : دور القرآن في إصلاح الإعلام
المطلب الأول : أثر القرآن في إصلاح رجل الإعلام
المطلب الثاني : دور القرآن في إصلاح الشعور بالأمن إعلاميّاً
المطلب الثالث: دور الرّسالة الإعلاميّة الإسلاميّة